الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الجيلالي ليابس سيدي بلعباس
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم : العلوم الإنسانية

التواصل الصوفي بين الطرق الصوفية في المغرب الأقصى وغرب الجزائر

1518– 1830م الطريقة الهبرية نموذجا

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر

إعداد الطالب
عبد القادر مداح

إشراف
أ. د. محمد مكحلي

أعضاء اللجنة المناقشة

أ.د عبد القادر صحراوي	جامعة سيدي بلعباس	رئيســـــــا
أ.د محمـــد مكحـــــلي	جامعة سيدي بلعباس	مشرفا ومقررا
أ.د إبـراهيـــم مهديـــــد	جـــــــامعة وهران1	عضوا مناقشا
أ.د محمـــــــــــد دادة	جـــــــامعة وهران1	عضوا مناقشا
د. بن عمـــر حمـــــدادو	جـــــــامعة وهران1	عضوا مناقشا
د. زاوي فـــكـــــــــروني	جامعة سيدي بلعباس	عضوا مناقشا

السنـــــة الجـــــامعية

2016– 2017م/1437–1438هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى روح والدي العزيز ووالدتي حفظها الله، وإلى روح أخي بربيعة وبقية الإخوة والأخوات الأحياء منهم، وإلى من انتقلوا إلى عفو الله، وإلى زوجتي العزيزة وأبنائي الستة، وإلى كل من شارك في تحرير الجزائر بسيفه أو بقلمه، وكل شهيد ضحى بنفسه في سبيل الجزائر. وإلى كافة أبناء وطني العزيز أهدي هذا العمل المتواضع.

شكر وعرفان

الشكر لله على منهُ وفضلهُ وسدادهِ، وعلى نعمهُ التي لا تحصى ولا تعد، وعلى توفيقهُ لانجاز هذا العمل.

والشكر والعرفان للمشرف الأستاذ الدكتور محمد مكحلي، على كل ما قدمهُ لي من نصح وإرشاد، وتوجيهُ. وما بذلهُ من جهد ووقت في متابعة هذا البحث رغم شغلهُ وانشغالاتهُ، حتى تم على هذا النحو. كما أشكر رئيس وأعضاء اللجنة المحترمة لقبولهم تقويم وتقييم هذا العمل المتواضع، والشكر موصول إلى كل من ساهم في هذه الأطروحة من قريب أو بعيد.

دليل المختصرات المستعملة

– باللغة العربية

إ د: إعداد ودراسة

إ ش، م: إشراف ومراجعة

تح: تحقيق

تص: تصحيح

تق: تقديم

خع: الخزانة العامة

د، ب، ن، ش، ت: دار البصائر للنشر والتوزيع

دت: دون تاريخ

در: دراسة

دط: دون طبعة

ش، و، ن، ت: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع

ص: صفحة

ض ض: صفحات متتابعة

م، هـ، ت، ن: مركز الأهرام للترجمة والنشر

م، و، إ، ن، ش: المؤسسة الوطنية للاتصال، النشر والتوزيع

مر: مراجعة

مك: المكتبة الوطنية

تح، فه، : تحيق وفهرسة

و، س، م، غ : وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للمملكة المغربية

م، ع ، ت ، ث ، ع : المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم

ج م ت ن : الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر

إ ، ع ، م : الإمارات العربية المتحدة

إ، د : إعداد ودراسة

إ ، ش ، م : إشراف ومراجعة

م ، هـ ، ت ، ن : مركز الأهرام للترجمة و النشر

ن ع : نسخة عربية

– باللغة الأجنبية

Tm: Tome: جزء

Vol: Volume: مجلد

S.N.A.D: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع

Ibid: المرجع نفسه

Op.cit:المرجع السابق

P: page: صفحة

pp : pages Continuées : صفحات متتابعة

مقدمة

مقدمة

التصوف علم من علوم الدين الإسلامي مبني على مقام الإحسان، وطريق من طرق معرفة الله والموصلة إليه، سلكه قوم ومارسوه فشاع عنهم أمره، وهم الصوفية ترجع إليهم بدايته؛ وبعدهم جاء من سلك طريقهم وهم المتصوفة، ثم انتشر في أقطار العالم الإسلامي حتى تشبه خلق كثير بهم. فعكف الباحثون في حقله مسلمين، وغيرهم لدراسته، نظرا لما شاع من خلاف، واختلاف؛ وليس لكونه تراث فحسب، وإنما لارتباطه بحياة الأمة الإسلامية، وحقيقة مسلمة مهما قيل، ويقال فيه، بغية التشكيك، وزعزعة كيانه من ثم طمس ملامحه، وإلباسه تارة عباءة الفلسفة، وتارة الخرافة، وأخرى البدعة في الدين، وهي أشنع الأوصاف في نظر البعض.

وليس لكونه وجد متى وجد الإنسان، تحت مسميات مختلفة في سائر الحضارات التي عرفها الإنسان لاسيما الحضارة الإسلامية، بل لأنه حقيقة تاريخية وجدت بالفعل بنعت معلوم الاسم والرسم في نظر البعض الأخر. بل اعتبروه ظاهرة تعبر عن ذاتها من خلال تغلغلها في الأوساط الاجتماعية. وأصبحت مع الوقت نظام يتبع لتوجيهات الشريعة الإسلامية المدركة للحقيقة من جهة، وباعتبارها علم يعتمد وسيلة في المعرفة سلّمها الارتقاء من حال إلى أخر، هدفها معرفة الحق معرفة حقة من جهة ثانية.

وهي الآن تشغل أذهان الدارسين لها بين الرافض، ومؤيد من المبدأ، ومحقق وناقد، إثر الأدوار التي لعبها التصوف بعد أن تطور وتبلور عبر مراحل تاريخية كبرى، حتى انتهى إلى نظام في شكل طرق صوفية. وهي أخر حلقة في تشكيله. وهذه الأخيرة اختلف بشأنها بحكم صدورها عن التصوف. غير أننا في تتبعنا لها في هذا العمل وجدنا أنها واصلت وبحزم ـ رغم اختلاف مشاربها ـ واصلت عملها على كافة الأصعدة وخاصة في المغرب، ولاسيما نضالها ضد الاحتلال الأجنبي، الذي حاول بشتى الوسائل، وبكل الطرق طمس الهوية الشخصية، ومعالمها والتي كانت تهدف إلى القضاء، وبصورة خاصة على عروبة المغرب ككل. وهي القضية ذاتها التي ناضل من أجلها زعماء الحركات التحررية في المغرب ببذل النفس والنفيس للوقوف ضد السياسة الاستعمارية في هذا.

وللطرق الصوفية الدور البارز والرائد في ذلك بالرغم من أن أدوات مشايخ الصوفية كانت بسيطة وأساليبهم عتيقة تعتمد على الحفظ والتلقين، و بالرغم من ذلك فإن القراءة والكتابة كانتا منتشرتين انتشارا واسعاً.

فإن غاية الأولياء بلغت المرام، وحقق مشايخ الطرق الصوفية غايتهم، تدرجا من طرقهم إلى عمل الزوايا. فالجهل الذي ساد بعد الاحتلال والأمية التي دبت في أوساط العامة تعكس الدور الذي كان يلعبه الأولياء والمشايخ قبل الاحتلال، والذي استمر بعده للحفاظ على المقومات الأساسية للشخصية العربية الإسلامية عموما والمغاربية على وجه الخصوص؛ من خلال تفعيل دور الزوايا وتكييفها حسب متطلبات المرحلة، وما تقتضيه الظروف السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية. وارتباط الطرق الصوفية باللغة العربية كان العامل الأساسي في إزالة رواسب سياسة التغريب، وإعادة أصالة عروبة المغرب، وهذا الأمر لازال محل اهتمامات الطرق الصوفية، مقابل الغزو الثقافي المتواصل.

إن سجلات التاريخ الوسيط وحتى الحديث مرصعة بالفجوات، لأن الحقائق التاريخية لا تصل إلينا بصورة بحتة، وإن كانت الدقة واجبة وليست فضيلة فإن تعيين التواريخ الدقيقة للأحداث مرتبة حسب تسلسلها الزمني لا تثبت الوقائع بنفس الصورة، لوجود مغالق غامضة لم تكشف بعد. نظرا للتناقل المنقح من جهة وتقديس الوثائق من جهة أخرى، وكون ظاهرة التصوف في المغرب كانت السّمة التي غلبت على مميزات وخصوصيات أخرى بعد انتقاله من المشرق عبر التواصل الصوفي.

ولا شك أن دوره في المغرب يختلف عنه في المشرق، ويختلف حدة وتأثيرا بين أقطار المغرب كما يختلف ميزة وخصوصية بين الطرق الصوفية حسب القرابة البيئية من جهة والمشرب من جهة ثانية، ووشائج أخرى ساهمت في ذلك من جهة ثالثة. وهذا ما جعلنا نختار موضوع – التواصل الصوفي بين الطرق الصوفية في المغرب الأقصى وغرب الجزائر من 1518–1830م الطريقة الهبرية نموذجا – ولو أن الإطار الزمني يختلف بالنسبة لبداية الاحتلال الفرنسي لأقطار المغرب كما يختلف بالنسبة لخروجه منها.

فالجزائر غصبها سنة 1830م ودخلت تحت حمايته تونس 1881م، والمغرب الأقصى 1912م. لكن لاعتبارات تاريخية في تحديد الفترة الحديثة كان التزاما منا بما رجحه المؤرخون في تحديد الإطار الزمني العام الأنف الذكر. في حين أن الإطار الزمني الخاص له مجال فيما نحن بصدده. هذا من ناحية ومن ناحية ثانية، فغرب الجزائر ينفرد عن بقية المناطق كونه لم يستتب الأمر فيه للعثمانيين إلا فترة قصيرة، وكان سجالا بين عدة أطراف وخصوصا الإسبان، والطريقة الدرقاوية التي كان لها الحيز الكبير في مناوأة العثمانيين وتعرف بثورة درقاوة وهو ما يهمنا في هذا المجال.

فكانت عبارة غرب الجزائر أكثر دلالة من عبارة بايليك الغرب، وذلك لما عرفه المجال الجغرافي من تمدد وتقلص في فترات متلاحقة لهذه الناحية والسيطرة العثمانية التي احتاجت إلى دفعات متتالية من الجيوش لإخضاعها تارة، وطرد الإسبان تارة ومواجهة المغرب الأقصى وطموحات ملوكه المتزايدة تارة أخرى. ولأن بايليك الغرب عرف في النظام الإداري عند استقرار الأتراك بالجزائر عدة تقسيمات. ففي البداية كان قسم الغرب مركزه مدينة شرشال تحت سلطة السيد علي، ثم في التقسيم الثاني المُؤسس سنة 1565م.

كان الغرب قسمان يتولاه بايان أحدهما بمازونة، والأخر بتلمسان إلى غاية 1706م، حيث أصبح القسمان؛ قسما واحدا يتولاه بايا واحدا. وكانت قاعدة حكمه قلعة بني راشد، ثم مستغانم، وأخيرا وهران عام 1792م. وهذه التقسيمات تؤثر على المدة المعينة لدراسة موضوع التواصل، وكذلك هذه التحيزات الجغرافية. ثم أن الغرب كان يضم مدن وقرى هامة، كتلمسان، وتيارت وسعيدة، وسيدي بلعباس وغليزان وتموشنت، ومستغانم، ومازونة، ووهران، وندرومة، ونمور (جامع الغزوات) وسبدو، وأرزو.

وكذلك تدل الرحلة التي قام بها الباي محمد بن عثمان الكبير إلى الأغواط، أن هذه المنطقة جزء من غرب الجزائر. وأيضا تحديدها بالبايليك يلقي بظلال التيه بين التقسيمات، سواء الرسمية أو التغير الجغرافي للغرب في فترات متتابعة لما شهدته المنطقة من عدم الاستقرار.

وأخيرا وليس آخرا، فالحدود التي تفصل المغرب الأقصى عن الجزائر الذي يمتد إلى غاية واد ملوية لم يثبت رسمه بصفة واضحة إلا في 17 مارس 1845م إثر معاهدة لا لا مغنية، حيث رسمت فرنسا باتفاق مع الدولة المغربية حدا يفصل بين أملاك الدولتين. في حين أنه لا يصل إلى الجنوب.

ووُقعت اتفاقات جديدة جرياً على ما سبق ورُسمت حدود الجنوب. ولم يتم الفصل بخط وضعي بصورة نهائية إلا في سنة 1910م بمنطقتين، فقيق، وبوذنيب، وأخيرا حُددت دائرة كولومب بشار. وهذه اعتبارات جيوسياسية تعني بالأرض، وترتب عن ذلك فيما بعد أزمة أدت إلى نزاع وصل إلى حد الاشتباك المسلح. وظلت هذه المسألة عالقة إلى اليوم لتعلقها بالتراب، أو بكل ما هو فاصل طبيعي، تاريخي أو مصطنع.

لذلك فالجانب الثقافي لم يخضع إلى هذا التأزم في العلاقات وعليه؛ فإن مصطلح بايليك الغرب تدخلنا في معالجة جانب العلاقات على المستوى السياسي، والدبلوماسية، كما يشير صاحب كتاب

:(التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم)، وهو يستعرض ما وقع بين محمد الأول وعصمان باشا، يريد بذلك تضمين رسائل في كتابه كدليل على حقوق المغرب الترابية حيث يقول: ((وقد كان من نتائج هذه السفارة تخطيط الحد الذي يفصل المملكة المغربية، والإيالة التركية بوادي تافنة، وقد التزم محمد الأول أن لا يتخطى هذا الوادي إلا فيما يرضي الله ورسوله).

وقد تجرنا مثل هذه الكتابات إلى الوقوف عند تلك الحدود، ويصبح الطابع السياسي هو السمة التي تصبغ هذا العمل وليس الثقافة، والدين، والتصوف. فكلمة غرب الجزائر تصلح أكثر من كلمة بايليك الغرب، حتى لا نعطي جانب العلاقات والدبلوماسية ضروب من التحليلات ذات المنحى الرسمي. بل إن صح القول نسميها الدبلوماسية الثقافية أو الصوفية، وهي ذات صلة بربط الشعوب أكثر منها برسم الحدود. لأن الهدف من التواصل هو الإنسان على هذه الأرض، وليس التراب والنجود.

والتواصل الصوفي سيكون على مستوى الأفراد والجماعات، أو بالأحرى بين الطرق الصوفية، وهي الغاية المنشودة.

وهذا الذي حدث في الماضي له دور في استمرار التواصل في الغد. وكون الطرق الصوفية، والزوايا المنتشرة في غرب الجزائر من الكثرة، والقوة بمكان، ومزاياها المتعددة ينم عن تواصلها المكثف والامتدادات العميقة المتداخلة التي كانت أحيانا تعمل على ربط المناطق، وأحيانا أخرى على فك هذا الارتباط، إثر الاختلاف الذي كان يطفو بين الفينة، والأخرى حول الزعامة لطريقة على أخرى. وهذا أيضا يجعلنا نبتعد عن ربط التواصل الصوفي بالرسميات أو بين الدول وإعطائه الصبغة السياسية، ولو أنه فيه شيء من ذاك، فيصبح الطابع الروحي والديني يميز ما نحن بصدده، والغاية، والهدف الذي نحاول تحقيقه.

وكذلك التحقق من العوامل الحقيقية التي ساعدت على ترسيخ دعائم هوية المغرب العربي وشخصيته التي حاول، ويحاول الغرب التشكيك فيها، وطرح النظريات الداعية إلى الحول دون وقوفه متحدا مرة أخرى.

وهذا أمر لا يخفى على أحد، ولا يختلف فيه اثنان. فسلامة المغرب، وعروبته هي المقصد، وأكثر من هذا على الدين الإسلامي كعامل وحدة، وأخوة. والتصوف الإسلامي هو من فرض قناعة بأن المغرب لن يتحول إلى غير ذلك مهما كانت الظروف الخارجية المحيطة به، أو الداخلية التي تنشأ بفعل التأثر القادم

من الضفة الأخرى للبحر المتوسط، وهذا ما نلمسه اليوم في المجتمع المغربي، حيث تحقق في أخر المطاف أن تشبع المغرب العربي بالتصوف من أقصاه إلى أقصاه، وأصبح شعبيا بكل ما تدل عليه الكلمة من معنى. سوف نلحظ أن انتشار هذه الظاهرة وتغلغلها في أوساط الشعب المغربي، كانت نتيجة للتواصل، وهي الطريقة، والوسيلة التي قال عنها ((إدوارد دونوفو)): " يجب سبر الجانب السياسي لهذه الجمعيات التي غالبا ما أنتجت بين الأشخاص علاقة ذاتية تمنح إمكانية اتصال سريعة تكاد تكون خارقة للعادة ".

والتواصل هو خاصية التصوف وميزته، وهذا هو المربط الذي يمثل صعوبة كما أشار "دنوڤو" في تتبع مظاهر التواصل وخصوصا في الفترة الزمنية المعينة فضلا عن التواصل الطريقة الهبرية التي إلى حد علمي لم تتناولها الأقلام من قبل في دورها في تلك الفترة. وخاصة إذا تعلق الأمر بمجال جغرافي محدد كغرب الجزائر من جهة، والمغرب الأقصى من جهة ثانية. غير أن ما حفزنا وشجعنا على دراسة هذا الموضوع، ما قمنا به من عمل في هذا الإطار، وخصوصا أثناء إنجازنا لرسالة الماجستير. حيث تناولنا " الأبعاد الحضارية والثقافية للطرق الصوفية بالمغرب الأقصى الجزولية البوتشيشية نموذجا ".

فلا شك أننا استفدنا كثيرا من هذه الدراسة التي سمحت لنا بالتعرف على تاريخ التصوف بالمغرب بشكل عام والطرق الصوفية بشكل خاص. وأفادتنا الدراسة من معرفة جملة الباحثين ورواد هذا الحقل والمؤلفات الخاصة بالتاريخ الحضاري والثقافي لهذا الإقليم. وعلى الرغم من وفرة المصادر والمراجع التي تناولت ظاهرة التصوف، والطرق الصوفية ودورها في المغرب؛ إلا أنها لم تعالج موضوع التواصل الصوفي بين المغرب الأقصى وغرب الجزائر كموضوع مستقل بذاته.

ولم تسلط الأضواء على تواصل الطرق الصوفية في المغرب الأقصى وغرب الجزائر بشكل دقيق، في فترة غلب عليها التاريخ السياسي يتضمن شذرات، فيما يتضمن بعض الأدوار الجهادية للطرق الصوفية ضد القوى المسيحية، أو داخلية ضد الظلم ويدخل في الحراك الاجتماعي، وهي مبعثرة في كتب من تعرضوا لدراسة تلك الفترة تساوقا مع مجريات الأحداث التاريخية، والتي لا تزال بحاجة إلى إجلاء ما يكتنفها من غموض رغم التأويلات، والاستنباطات التي تفرضها المادة الخام، التي تتوفر لدى المؤرخ لصياغتها كحقيقة تاريخية، حتى وإن كانت مرضية لجميع الأطراف أم لا.

وهذا ما جعلنا نبحث عن كل ما يتوفر من كتابات حول تواصل الطرق الصوفية في الجزائر والمغرب بشكل عام وفي المغرب الأقصى وغرب الجزائر على وجه الخصوص، وننقب عن جذوره في بطون هذه الكتابات، ونجمع ما يمكن جمعه من مادة تخدم الموضوع والغاية منه.

وكان علّينا في البداية، إحصاء أغلب الطرق الصوفية النشيطة في تلك الفترة، وما كتب حولها. لأن أغلب المصادر أهملت هذا الجانب إلا قليلا، والمعروف أن أغلبها حول التاريخ السياسي، وحتى كتب التاريخ الثقافي لم تخصص لها إلا القليل، نظرا لصعوبة تقصي أخبارها من الواقع، ويتم الاعتماد بشكل شبه كلي على المخطوطات، والتي أغلبها غير وصفية وتدرج فقط، حسب ما يقتضيه الموضوع المدروس وإسقاطها على الوصف يعتمد على قوة التأويل، والاستنباط هذا جانب. والجانب الأخر هو كتب التاريخ التي تناولت الفترة الحديثة، وخصوصا التي اهتمت بالجانب السياسي، والعلاقات الخارجية والأهم العلاقات البينية.

وهي متضاربة في أغلب الأحيان تبعا لانتماء المؤرخ. وأقصد بذلك الذاتية التي لا تخلو من أي مؤلف في إيراد الإيجابيات، والمبالغة فيها، وهذا موجود حتى في الكتب القديمة. والصعوبة تكمن في المقارنة قصد الخلوص إلى حقائق أقرب إلى الموضوعية منها إلى التحيز.

أما الصعوبة الكبيرة فقد تمثلت في الطريقة الهبرية موضوع الدراسة، والتي ظهر الاهتمام بها حديثا نظرا لحضورها القوي في الوقت الراهن من خلال نشاطها، بفضل الدعم الذي تلقاه على المستوى الرسمي وخصوصا في الجزائر، أو على المستوى الشعبي بالإقبال والرضا. بالإضافة إلى دور الإعلام في بروز هذه الطريقة وتميزها. ومن هنا يبرز الإشكال في دور التواصل الصوفي بين الطرق الصوفية وأهميته بالنسبة لمنطقة خاضعة للحكم العثماني في أجزاء منه، بينما عاصمة الغرب استُعمرت من طرف الإسبان والفرنسيين ما يقرب من أربعة قرون ونصف القرن، في حين أنها لم تخضع للحكم العثماني إلا ما يقرب من ثمانية وثلاثين عاما، والتي شكلت الحلقة الأخيرة في سلسلة الضعف، والانحطاط الذي سبق السقوط.

ومن هنا نحاول أن نعالج إشكالية تواصل الطرق الصوفية في هذه الجهة أو تلك بصفة عامة وتواصل الطريقة الهبرية بصفة خاصة، والتحقق من تلك العلاقة في تمتين الروابط في تلك الفترة المترنحة وانعكاساتها على المجتمع في الجهتين في الماضي والحاضر ؟.

وتفرض هذه الإشكالية جملة من التفرعات، سنحاول الإجابة عنها في هذا العمل. منها فقه خاصية التواصل، ونجاعتها في تحقيق أهداف الطرق الصوفية في تلك الظروف؟. وما هي الإسهامات الدينية والعلمية التي نتجت عن هذا التواصل في تعزيز أواصر الأخوة، والتماسك الاجتماعي وبعث الهوية الثقافية، والتضامن الذي أفضى إلى وحدة الشعور تجاه القضايا المصيرية؟ وما هي الانعكاسات الإيجابية والسلبية معا على المستوى السياسي، والاجتماعي، والثقافي، وحتى الديني في ظل ثلاث كيانات؟ مامدى حضور الطرق الصوفية الأخرى بغرب الجزائر، والمغرب الأقصى في ثقافة المغربي وإنعاس ذلك في سلوكه اليومي في ظل وجود الطريقة الهبرية؟.

هل تمثل الطريقة الهبرية ثورة روحية توازن كل الثورات المتأججة في نفس المغربي المنفعلة بالإيديولوجيات الوافدة من الغرب لتمكنه من الاستقرار النفسي قبل الأمني؟.

أ- للإجابة عن هذه الإشكالية وتفرعاتها رجحنا بعض الفرضيات نجملها في الآتي:

من الناحية الدينية أمر لابد أن نعطيه حقه، لأنه الركن الركين، والعمود المتين في توثيق الصلات بين المسلمين، ولاسيما بين أبناء المغرب الإسلامي، وخصوصا متى تزعمته الطرق الصوفية، والثقة التي كانت تحوزها. ولا ننكر أن الدول التي قامت في المغرب الإسلامي كلها حكومات دينية، فلا ضير من أن يكون الدين الإسلامي الباعث على كل حراك قادته الطرق الصوفية، وسببا في تحريك الحماس الشعبي للدفاع عن كيانه، ووجوده وهويته برسم الجهاد، الذي كان للطرق الصوفية دور البارز في أي مكان منه. ولا شك أن التواصل الذي ربط هذه الطرق، ووحد هدفها ورسم سياستها، هو نفسه الذي حافظ على تواجدها كلما عزب أمر، أو عظُم خطب.

فالإنسان المغربي تشبع بالتصوف التاريخي في أبسط صوره، وأصبح الإسلام يستند إلى تلك البساطة من خلال مشايخ الطرق الصوفية الذين تمكنوا من جذب المغاربة، وحثهم للالتفاف، والاصطفاف ورائهم لصيانة الكيان الإسلامي بالمغرب ككل.

إذا كان الدين الإسلامي يشكل حجر الأساس، والقاعدة المتينة في صمود الكيان المغربي فإن اللغة هي أداته. لأن هذا التلازم بين الإسلام، والتصوف هو أيضا في القوة، والضعف يخضع إلى قوة، وضعف اللغة العربية في تثبيت هوية المغربي من جهة، وأداة تواصل بين الطرق الصوفية عبر تاريخه منذ الفتح إلى الآن.

لأن الهجرات الهلالية التي اتخذت مظهر الفتح، وتأسيس الإمارات العربية، عملت على تعريب القبائل البربرية بالمغرب، وذلك لأن الفتوحات الإسلامية الأولى نجحت في نشر الدين الإسلامي واللغة العربية بالمغرب. فأتت الهجرات الهلالية لتضيف إلى ذلك الدم العربي، وتعدل التكوين الجنسي العنصري لسكان المغرب، حتى أصبح العنصر البربري القديم لا يُلتَمس إلا في معاقل الجبال ذات الطبيعة الوعرة ولا يميز إلا ببعض الظواهر اللغوية. فتشكل بهذا التمازج جيل يجمع بين كل الخصال إلى جانب اللغة.

وتعتبر الإسهامات العلمية، والدينية للطرق الصوفية خصوصا منذ عهد الموحدين، وفي فترة الخليفة أبي يعقوب المنصور الذي كان يُرغِب في الصلاة، وأمر جماعة من المحدثين من المصنفات الحديثية العشر في موضوع الصلاة ... وكان يمليها بنفسه، وفي عهده ذاع صيت أبي مدين شعيب الأندلسي دفين تلمسان، ومحي الدين بن عربي الأندلسي دفين دمشق، وأبي الحسن الشاذلي، وعبد الحق بن السبعين وبعد تفكك الدولة الموحدية لعبوا أدوارا مع العامة.

وحدثت الغربلة بعد ذلك فظهر أمر الصوفية السنيين الذين عملوا على إحياء السنة، ونشر العلم وتأمين السبل. فوحدوا بذلك النظرة إلى القضايا ذات المصير المشترك. أما الايجابيات فتمثلت في الإسهامات التي قدمتها الطرق الصوفية دينية، وتعليمية، واجتماعية، وحتى سياسية. وأما السلبيات فتمثلت في الاختلاط بين المصلحين، والمغرضين إثر تعدد المذاهب، والفرق.

وانعس ذلك على المستوى السياسي؛ تمثل في الاضطرابات، والقلاقل. وعلى المستوى الثقافي الشعبي انتشار الشعوذة، والسحر، وكل ما ينافي التصوف النقي. وكان لانتقال مشايخ الصوفية، أو الانتقال إليهم جسر لانتقال الطرق الصوفية بين أقطار المغرب الإسلامي، ولاسيما بين المغرب الأقصى وغرب الجزائر.

وتفرعت عن الطريقة الأم طرق أخرى، وزاد عدد الزوايا، والمريدين؛ وبذلك تم التواصل بالولاء للمشرب. ومُدّ بين المغرب الأقصى، وغرب الجزائر حبل متين، وشكلوا بذلك معا جدارا رصينا تحطمت على أحجاره المحاولات المتكررة للمستعمرين في الطمس، والإلغاء لهويته وكيانه. لاشك أن الطريقة الهبرية لعبت دورا ولا تزال كغيرها من الطرق الصوفية الأخرى، سواء ذات المشرب القادري أو الشاذلي في التواصل الصوفي بين غرب الجزائر والمغرب الأقصى على الخصوص، والمغرب الإسلامي على العموم؛وهذا دليل على قوة الطريقة الشاذلية ذات الأصل المغربي، في تغذية التيار الروحي مقابل التيار

المادي في البعث على الاستقرار النفسي، وتمكين المسلم المغربي من لعب دوره في كل مرحلة من مراحل تاريخه الإسلامي. وخصوصا منذ أن اتخذ الأشعرية عقيدة، والمالكية مذهبا، والجنيدية طريقة. هذا ما تجمع عليه كل المصادر، وبرهنت عليه المواقف ضد كل التيارات الرامية إلى التغيير به طوعا أو قصرا.

ب- دراسة المراجع

اعتمدنا على كتب تاريخية سياسية، وثقافية، وأخرى صوفية السنية منها، والفلسفية. فالكتب التاريخية على صنفين، تلك التي تزامنت أو كانت قريبة عهد بظهور مفهوم التصوف، أو تلك التي اتسمت بالشمولية في التاريخ وجاءت بفنون شتى. فرصدت فيما رصدت ظاهرة التصوف. أما الصنف الثاني يتمثل في المؤلفات الخاصة بالفترة الحديثة، التي وصفت الأوضاع في المغرب الإسلامي، والأحداث التي كانت تدور فيه، وتتبعت التطورات السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية، والمتغيرات والمآلات، وما إلى ذلك وهي المراجع الرئيسة في هذا العمل. أما الكتب التاريخية الثقافية فكانت تصف الحالة الثقافية.

فإلى جانب العرف والعادة، والتقليد. وصفت الحياة الفكرية، والدينية، والعلمية في المغرب الإسلامي.

كما بينت التطورات التي عرفها التصوف؛ وكيفية انتقاله من المشرق إلى المغرب العربيين. وتتبعت هذه الظاهرة وتقصت مراحلها منذ البداية إلى الفترة الحديثة، وبينت كيفية انتشار التصوف، وتطرقت إلى أعلامه وإسهاماتهم الدينية، والفكرية، وما تركوه من أعمال، وبينت حالة التصوف في كل طور من أطواره ووضع من أوضاعه، حتى آل إلى ما آل إليه. أما الكتب الصوفية فمن أجل عرض ظاهرة التصوف السني والفلسفي، وكل ما يتعلق بهما وذلك مما كتبه المنتسبين إليه، فبينوا حقيقته.

وفي الحقيقة أن كتب الصوفية الأوائل تعتبر النواة الرئيسة في تشكل هذا المذهب بقواعده، وكيفية الانتساب إليه. بالإضافة إلى هذه الكتابات التاريخية هناك كتب فلسفية تعرضت إلى التصوف الفلسفي وحاولت سبر أغواره، ومعرفة أسراره، وتناولت شخصياته بالدراسة. كما اعتمدت على الرحلات، وخاصة في الفترة المدروسة، وهي مهمة في عملنا هذا مثلما هي مهمة في الكتابات التاريخية المغاربية. ورغم كل ما كتب، ويكتب حول التصوف، والطرق الصوفية يظل كما أسلفت ميدانه يسع اللاحقين من رواده كما وسع السابقين، وكل من ملك الأدوات فحقل التصوف فسيح يستدعي أبدا النبش في تراثه العميق.

بالإضافة إلى هذه المراجع اعتمدنا على معاجم للاصطلاحات الصوفية وذلك لتحديد وضبط المفاهيم. فأصل الظاهرة مبني على فهم المصطلحات التي شكلت الميزة والخصوصية لهذه الطائفة، وكان للطرق

الصوفية في تواصلها تعتمد ألفاظا تنبه لها الدارسون؛ سواء المستشرقين أو المسلمين وبذلك وضعوا لها مصنفات لتسهيل فهم الألفاظ الدالة على التواصل النازل الذي بين الله والعبد والصاعد من العبد إلى خالقه، ثم الأفقي وهو دور المشايخ التصوف لنشره داخل وخارج الأقطار العربية الإسلامية.

من مؤرخي القرن الخامس عشر ميلادي العلامة عبد الرحمن ابن خلدون، والمشهور " بالمقدمة « التي تشكل الجزء الأكبر من " العبر" تحدث فيه تاريخيا مذ بدأ الخليقة إلى غاية عصره. فكتابه لا يستغني عنه أي دارس للتاريخ بصفة عامة فضلا عن الباحث في تاريخ المغرب، ولولا أنه كان خاتمة مؤرخي العصر الوسيط؛ لكان من الكتب التي تغني عن أي كتاب. واستفدت منه في الجانب التاريخي للمغرب، غير أن ما كتبه في مقدمته، وعقد له فصلا وسماه علم التصوف، وأخر عن الرؤيا، ومثله عن أصناف المدركين للغيب، وبين في فصل أخر أسرار الحروف.

ففي هذا كله نجده يلتمس الأعذار للصوفية، ويبرر ما صدر عنهم من أقوال، ويحمل كلامهم على المتشابه، ويعزوه إلى غيبتهم عن الحس. نراه في "كتاب شفاء السائل" ينقلب على ذلك ويحظر الخوض في المكاشفة، وإيداعها الكتب، وذكر أن هذا نشأ عنه علم أسرار الحروف مع أنه تحدث في مقدمته عن ذلك. لكن يعتبر ابن خلدون من الذين قدموا بطريقة علمية تحليلية التصوف من نشأته، وأحاط به إحاطة ووصفها بأنها ظاهرة حادثة في الملة.

ومن الكتب التي أسعفت بحثي، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية لمحمد بن ميمون الزواوي الجزائري، الذي تناول فيه سيرة الداي محمد بكداش خوجة، والمعارك التي خاضها ضد الإسبان الاستخلاص مدينة وهران؛ من تحقيق محمد بن عبد الكريم. وفائدته تكمن في وصف الأحداث السياسية، والعسكرية غير أنها من المؤلفات التي تعنى بالمدح، وليس فيها أي قدح، أو إشارة إلى أطراف أخرى كدور الطرق الصوفية في ذلك، أما كتاب طلوع سعد السعود احتوى على قسم كبير في وصف الصراع بين الطريقة الدرقاوية والعثمانيين في الجزائر، وما نجم عنها، وهو مهم في هذا الجانب لان له علاقة بالمغرب الأقصى، كذلك دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، أتى على ذكر ماجري من أحداث مماثلة، وخص الطريقة الدرقاوية بصفحات، والتي تفرعت عنها الهبرية.

وقد أفادنا كونه خص الغرب الجزائري، وأرخ لفترة مهمة منه. وكذلك كتاب نزهة الهادي في أخبار ملوك القرن الحادي لصاحبه محمد الصغير بن الحاج الإفراني (1511–1670م) الذي تحدث عن أخبار

الملوك، والوقائع والأحداث في تلك الفترة، كما جاء خبر ذكر العياشي في جزء منه. غير أن اهتمامه بذكر فضائل الملوك والاستغراق في ذلك جعله يعكس لنا صورة تمثل جانب خاص، ولم يتناول عموم الناس وخاصة الحياة الصوفية، وهي الطابع المميز للفترة الحديثة. ومن المصادر كتاب تاريخ الدولة السعدية لمؤلف مجهول تقديم وتحقيق عبد الرحيم بنحادة، وفائدته تاريخية تمثلت في ذكر أخبار ملوك الدولة السعدية مثل المؤلف السابق.

إلى جانب الكتب التاريخية، كتب وصفية أهما وصف إفريقيا للوزان، المشهور بليون الإفريقي الذي أتى على ذكر جانب من حياة الصوفية، كما فعل أيضا مارمول كاربخال في كتابه إفريقيا، وفائدة هذين الكتابين تتمثل في وصف المدن، والحياة الاجتماعية، والعادات، والتقاليد في حياة المؤلفين مع اختلاف في تقديم ذلك باعتبار الانتماء. وما يهم في هذا المقام معرفة الأوضاع بصفة عامة في الفترة المدروسة كما أنه بهما إشارة إلى التصوف من خلال ذكر قدسية الأولياء واعتقاد الناس فيهم.

أما فيما يتعلق بالتصوف، فالكتب المصدرية متنوعة مشرقية، ومغربية. منها الرسالة القشيرية في علم التصوف، واللمّع للسراج الطوسي، والإحياء للغزالي، وقوت القلوب لأبي طالب المكي؛ التي شرحت الظاهرة، وبينت نسبتها، وفرقت بين التصوف السني، وغيره مما ادخل عليه؛ لتشويهه.

كما بين أحمد زرق قواعد هذه الظاهرة في كتابه "قواعد التصوف". وتناول الشيخ عبد الكريم بن عبد المجيد عليوات، وهو من علماء القرن الحادي عشر؛ هذه الظاهرة في المغرب مع شرح أبيات الجنيد الثلاثة المتعلقة بالتصوف الحق. واعتمدت أيضا على كتب التراجم الخاصة بمشايخ الطرق الصوفية والصلحاء؛ منها سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أُقبر من العلماء والصلحاء بفاس. ترجم لمشايخ التصوف، وكذلك مؤلف درة الحجال، ونيل الابتهاج، والبستان لابن مريم، والضوء اللامع للسخاوي وغيرها من كتب التراجم في متن هذا العمل، والتي حوت ذخائر، ونفائس الصلحاء، وأرباب الطرق الصوفية، وعلماء كان لهم دور في انتشار التصوف في أنحاء المعرب العربي، وغيره من الأقطار.

أما كتب الرحالات فهي ذات فائدة كبيرة في مناحي عديدة أدبية، ودينية، وتاريخية. وقد اعتمدت في هذا العمل على جملة منها: كشف الحجاب عمن تلاقى مع الشيخ التجاني من الأصحاب للعلامة أحمد بن الحاج سكريج . ورحلة ابن أبي المحلى المسماة "الأصليت الخريت"، وقد ورد فيها ما حلّ بالبلاد من

قحط، وأزمات المخزن، وجذور ثورته، وأبعادها، وكذا كتاب الرحلة العياشية المشهورة "بماء الموائد" وهي من الرحلات الحجازية، والتي تمثل جانب من الصراع في المغرب مثل ثورة ابن أبي المحلى.

وكذلك رحلة القلصادي؛ الذي ارتحل إلى تلمسان، وكذلك وهران، ووصفهما، وسجل من التقى بهم من المشايخ وذكر شيوخه بهما. كذلك من كتب الرحالات التي أفادتني؛ روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحاضرتين مراكش، وفاس، لأحمد بن محمد المقري، وهي وصفية، بدأ فيها بذكر مآثر السلطان أبي العباس أحمد المنصور السعدي، وجاء فيها أخبار شتى تؤكد الأوضاع التي كان عليها المغرب في الفترة الحديثة، كما أن رحلة ابن زاكور الفاسي المتوفي 1120هـ / 1708م والمسماة " نشر أزهار البستان فمن أجازني بالجزائر، وتطوان من فضلاء وأكابر الأعيان " وهذا يدل في شق على التواصل الصوفي؛ ويذكر أنه طلب الطريقة الناصرية من شيخه اليوسي.

كما أننا اعتمدنا على مؤلف رحلة ابن الناصر الدرعي، التي حملت أخبارا شتى، و بغضلها تشكل جسر بين الزوايا والطرق الصوفية. وما يهم في هذه الرحلة، هي المحطات الرئيسية للشيخ ابن الناصر الدرعي وإقامته بزاوية " إكوز " بسجلماسة أياما، بالإضافة إلى بلدان أخرى كطرابلس، وتجوراء، والقاهرة ، وصولا إلى مكة، ثم المدينة المنورة. فسجلت أخبار، وتركت آثارا ذهابا و إيابا.

أما المراجع فهي كثيرة فالتاريخية منها كالاستقصا للناصري، والمغرب عبر التاريخ لإبراهيم حركات والمغرب الكبير لجلال يحي، وكذلك صلاح العقاد تاريخ المغرب العربي، ومن الكتب الثقافية، تاريخ الجزائر الثقافي لأبي القاسم سعد الله، ورابح بونار المغرب العربي تاريخه وثقافته، وعبد الرحمن الجيلالي في مؤلفه تاريخ الجزائر العام، وهذه مراجع مهمة لاحتوائها على الجانب الديني ، وبالخصوص التصوفي في فترات متلاحقة من تاريخ المغرب العربي والجزائر. كما أننا استفدنا من أجزاء معلمة التصوف لعبد العزيز بن عبد الله لتناوله أغلب، وأهم الطرق الصوفية.

أما فيما يخص المراجع التي تناولت بالدراسة الطرق الصوفية، وزواياها فهي كثيرة، غير أننا اعتمدنا على ما يقتضيه موضوع الدراسة، ولو أننا وجدنا في الأخير هذا الفعل– التواصل– خاصية شملت معظم الطرق باختلاف مشاربها، فكان انصرافنا إلى أقربها منها " أحمد زروق والزورقية" تناول فيها علي فهمي خشيم حياة، وفكر، ومذهب، وطريقة الشيخ زروق الشاذلية. وهي مهمة في كونها دلت على جانب من التواصل

الصوفي، غير أنها تفتقد إلى المعلومات الخاصة بحياة زروق الصوفية بالمغرب الأقصى، ولم تشر إلى الدوافع الحقيقية وراء انتقاله من فاس إلى ليبيا، واستقراره بها.

إلى جانب هذه الدراسة رسالة محمد حجي المستفيضة، التي طبعت في كتاب والمعنونة بـ: " الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي " تتبع من خلالها المؤلف هذه الزاوية، وعبر عن تواصلها بالعلاقة بينها، وبين الطرق الصوفية المتزامنة معها، ولاسيما العياشية، والناصرية، والشرقاوية. وأيضا من المؤلفات الخاصة بالطريقة الصوفية الصرفة؛ كتاب " المزايا فيما أحدث من بدع بأم الزوايا " – الزاوية الناصرية – لصاحبها محمد بن عبد السلام بن عبد الله الناصري، دراسة وتحقيق، عبد المجيد خيالي حيث قدم صورة لما كانت عليه الطريقة الناصرية، وينتهي إلى ما أصبحت عليه، وفائدته تكمن في علاقة الطريقة الناصرية، وتواصلها مع غيرها من الطرق المعاصرة لها كما أسلفنا، وخصوصا زوايا، وطرق الجنوب الصوفية.

هذه الدراسات لها من الأهمية بمكان، لكن ما يؤخذ عليها؛ مواقف من أرخوا لها، حيث نلتمس تأويلات للدوافع، وليس تحقيقا في علاقتها بالمخزن من جهة، وعلاقتها بالأجانب من خارج المغرب الأقصى سواء الجزائر العثمانية، أو دول الصراع في الحوض الأبيض المتوسط من جهة ثانية. وترصدوا مواقف جعلتهم يطلقون أحكاما على دورها السياسي، وفي هذه الحالة تجاوزوا ذلك الخط الرفيع بين الموضوعية، والمسؤولية الأخلاقية، التي يقع فيها المؤرخ مجبرا، في ظل نظام معين لا يسمح إلا بقدر ضئيل في ممارسة الكتابة الموضوعية العلمية، إذا كان الأمر له علاقة بمواقفه منها.

ورغم هذا فهذه الدراسات تحوي جانب مهم من تاريخ الطرق الصوفية، وأهميته تكمن في العمق التاريخي لها، والأهمية التاريخية المتمثلة في الأدوار التي لعبتها في مساق زمني معين، في حالة السلم والحرب، ولاسيما التواصل فيما بينها. إلى جانب هذا؛ هناك مرجع خص طرقا صوفيةً بالترجمة، وفائدته تكمن في رصد أهمها. لكنه أجاز في ذكرها، ومنها من لا تتجاوز ترجمتها الصفحة، والصفحتين صاحبها هو : صالح مؤيد العقبي بعنوان :" الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر – تاريخها ونشاطها – " لكن هذا المرجع يذكر معظم الطرق الصوفية بالتراب الوطني، كما أنه يتضمن الطرق النشيطة بغرب الجزائر، مع ترجمة لبعض المشايخ ودورهم في تلك المرحلة من تاريخ الجزائر.

إلى جانب هذه المراجع هناك مؤلفات تمثلت في الرسائل؛ وهو نوع من المؤلفات، أفادني في معرفة الصراع الذي كان بين الفقهاء، والصوفية ككتاب مجموع الرسائل والمسائل لابن تيمية، وهو تقريبا يشبه في تصديه للمتصوفة تلبيس إبليس لابن الجوزي، وغيرها من الكتب التي الفت لتعبر عن موقف الفقهاء من المتصوفة منها كتاب " موقف علماء المغرب ومقاومتهم للبدع والتصوف والقبورية والمواسم لمصطفى باحو، وما يؤخذ عليه هو التدليس على التصوف من بداية العنوان فجعل المقاومة للبدع وأردف التصوف بعد ذلك ليجعل تلك الواو للتسوية بين التصوف، وما ذكر، وسار كثير على منواله بالتدليس، وسأذكر ذلك في الدراسات السابقة، وهو يشبه إلى حد ما كتاب الشرك ومظاهره للميلي، والحق أن التصوف بعيد عن تلك المظاهر كبعد الإسلام عن المسلم في كثير من الحالات.

إضافة إلى المصادر، والمراجع بالعربية كونها تغني عن غيرها من المراجع الأجنبية إلا أن هناك مصادر باللغة الأجنبية تاريخية وصفية، وبالخصوص حول الجهة الغربية مثل " (تاريخ وهران قبل وأثناء وبعد تحت الحكم الإسباني) للضابط " هنري ليون فاي " والذي كتبه سنة 1772، وطبع سنة 1850، ونشر سنة 1899. وقد تناول جوانب مهمة من هذه الفترة كما تعرض لثورة درقاوة في الشرق والغرب، بالإضافة إلى الأوضاع العامة في تلك الفترة، وكذلك كتاب تاريخ الجزائر تحت حكم الأتراك لمؤلفه. دوڤرامون (H-D.DE GRAMMONT)، الذي تحدث عن الغزو الاسباني واحتلاله للمرسى الكبير سنة 1505 ثم احتلال وهران سنة 1509، وما جرى من أحداث، وعبر عن المأساة الحزينة التي حلت بالإسبان وتمثلت في هدر الأرواح، والمال من أجل مناطق ساحلية دون باقي مناطق البلاد، ويشبهها بما حلّ بالفرنسيين بعد ثلاثة قرون، وفائدة المؤلف تتمثل عرض الأحداث، ووصف الأحوال، والمعارك، وما يهم الناحية الغربية خصوصا تلمسان، ووهران، ومستغانم.

إلى جانب مراجع مهمة لكونها محققة تحقيقا علميا بالرغم مما تحمله من تحامل على الإسلام عامة، والتصوف خاصة كتاب التصوف لنكلسون، وهو مترجم للعربية، وهو يتعلق بالظاهرة ذاتها، وعن أصولها ومشاربها. أما باللغة الأجنبية منها الطرق الدينية الإسلامية "لأوكتاف ديبون واكزافي كابولاني"، وهو مهم لتعرضه للطرق الصوفية بالتفصيل، وكذلك كتاب"لويس ريين المرابطون والأخوان " وفيه أيضا تتبع للطرق الصوفية أفادت هذا العمل لتناولها جوانب مهما تخص الطرق الصوفية في نشأتها، وتأسيسها، وتنظيماتها.

أما محل المعاجم في هذا العمل هو شرح وبيان مصطلحات الخاصة بالتواصل الصوفي وألفاظ تجري بها ألسن أرباب التصوف، وتأويلها مأخوذ من كتب شتى كالرسالة القشيرية، والفتوحات المكية ، وغيرها من الكتب الصوفية منها معجم اصطلاحات الصوفية لعبد الرزاق الكشاني المتوفي سنة 730هـ تقريبا وأيضا اصطلاحات الصوفية مع رشح الزلال في شرح الألفاظ التداولة بين أرباب الأذواق والأحوال ومعجم ألفاظ الصوفية لسحن الشرقاوي، وكذلك قاموس المصطلحات الصوفية؛ وهو دراسة تراثية مع شرح اصطلاحات أهل الصفاء من كلام خاتم الأولياء ويقصد به الشيخ التجاني رحمه الله، بالإضافة إلى موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي لرفيق العجم. وكلها تصب في بسط وشرح المصطلحات المتدوالة بين أهل التصوف والصوفية .

ج–الدراسات السابقة

بالنسبة للتصوف منها رسائل أغلبها أخذت موقف العداء الصريح للتصوف، وأنكرته جملة وتفصيلا.

منها رسالة ماجستير الموسومة " موقف الإسلام من التصوف " ومن خلال العنوان يتضح فصل التصوف عن الإسلام، ونوقشت برحاب معهد الدراسات الإسلامية بالمملكة السعودية بإشراف محمد عاطف العراقي وإبراهيم إبراهيم الهلال. وكذلك رسالة لنيل درجة الدكتوراه بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية الموسومة " موقف ابن تيمية من التصوف " تقدم بها الطالب محمد بن عبد الرحمن العريفي وطبعت لأول مرة سنة 1430هـ. وفيها أيضا تحامل على المتصوفة بجعل الظاهرة غير إسلامية، كما تعبر عنه رسالة أخرى على نفس النهج، مقدمة أيضا لنيل درجة الدكتوراه في العقيدة الإسلامية، والمتعلقة بتلميذ ابن تيمية الموسومة " موقف ابن القيم من التصوف " تقدم بها الطالب عبد الرؤوف محمد عثمان خيري بإشراف محمود أحمد الخفاجي بكلية الدعوة وأصول الدين، قسم العقيدة بجامعة أم القرى 1417هـ/1996م، وهذه الدراسات تقدم لنا الوجه الأخر، والنظرة المناقضة، أو الطرف النقيض الذي يمثل عداء الفقهاء للمتصوفة الذي يمتد منذ ظهور التصوف إلى اليوم.

والامتداد الأخير يشكل حلقة تواصل العداء في إجازات علمية تنشر فيما بعد تمثل تيارا ظل وفيا لموقفه من التصوف.

ونختم المواقف برسالة أخرى قدمت لنيل درجة دكتوراه في العقيدة، والمذاهب المعاصرة، تقدم بها الطالب جمعة بن خالد بن غضيب العنزي، إشراف محمد بن عبد الله السمهري برحاب كلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الرياض 1423هـ، والموسومة " جهود علماء السلف في الرد على الصوفية " جمع فيها المواقف التي ذكرتها في الأطاريح السابقة، وسجل فيها موقف خط السلف من ابن تيمية إلى محمد بن عبد الوهاب. هذا فيما يتعلق بموقف الفقهاء من التصوف.

أما فيما يتعلق بالطرق الصوفية، وبالأخص ما يتعلق بموضوع الدراسة فإلى حد علمي لا يوجد موضوع مستقل بذاته يعالج الطريقة الهبرية وتواصلها. بل هناك أطاريح قدمت بخصوص طرق صوفية تفرعت منها الطريقة الهبرية ومنها: أطروحة دكتوراه تقدم بها الطالب كريم جيلالي في الآداب، شعبة تاريخ ، وحدة التكوين والبحث " الرباطات والزوايا في المغرب "، الموسومة " مدرسة سوس في التيار الصوفي الدرقاوي " بإشراف محمد المازوني، نوقشت بقاعة عبيد الكبير الخطيبي، الجمعة 24 ماي 2012م. تناول فيها الطالب دور هذا التيار، وأثره في مدرسة سوس، ما ترتب عنه انتشار التصوف الدرقاوي. كما صدرت دراسة عن ساسيوي الفيلالي بعنوان " الطريقة الدرقاوية الشاذلية في القرن 13هـ/19م.

وما يهم فيها ما تعرض له من أستاذ الشيخ الدرقاوي على تلامذته في نشر مبادئه منهم: محمد البوزيدي الغماري التلمساني المتوفي 1229هـ/1794م، وأحمد بن عجيبة شارح الحكم العطائية المتوفي 1224هـ/1809م، ومحمد الحراق المتوفي 1265هـ/1845م، وكذلك تلميذه أحمد البدوي زويتن المتوفي 1275هـ/1858م، ومحمد العربي المدغري المتوفي 1309هـ. وتلامذة هؤلاء مثل عبد الرحمن بن هاشم، وأحمد السبعي، وبذلك انتشرت الطريقة الدرقاوية التي تفرعت منها الطريقة الهبرية بفضل جهود هؤلاء. وكذلك رسالة ماجستير التي تقدم بها مختار بونقاب، خصصها للطريقة الدرقاوية الشاذلية نوقشت بجامعة وهران، كلية الحضارة الإسلامية والعلوم الإنسانية، قسم التاريخ (1999-2000)، تناول فيها بالدراسة مشرب الطريقة وتأسيسها، ودورها في تلك الفترة.

فيما يتعلق بموضوع الدراسة، والخاص بالطريقة الهبرية أفادتني مؤلفات منها:السلسلة الذهبية في التعريف برجال الطريقة الدرقاوية لشيخ مصطفى العشعاشي. كذلك كتاب" مساهمة في البحث عن زوايا بني يزناسن، القادرية البوتشيشية نموذجا ". تناول فيها الباحث المغربي أحمد غزالي؛ الطرق الصوفية بالمغرب الأقصى والدور الديني للزوايا، وما يهم هو دراسته حول الطريقة الهبرية، وعلى الرغم من جهوده

في هذا العمل، إلا أنه لم يقدم سوى ما هو معلوم الحال في البحوث، والمقالات وما هو منشور على المواقع الالكترونية، لكن لقاءاته وتنقلاته لاستقاء المعلومات من القيميين على الزوايا يعطيه البعد الميداني لواقع الطريقة الهبرية، ويضفي المصداقية على هذا الانجاز.

كذلك استفدت من كتاب " اللمحة البدرية في التعريف بالطريقة الهبرية " لسيدي الهبري سيد أحمد، حيث يقدم تعريف قيم للطريقة الهبرية وانتقالها من المغرب الأقصى إلى غرب الجزائر، ويترجم لمشايخها وكل ما له علاقة بهذه الطريقة وأيضا كان عمله ميداني لافتقار المعلومات عنها في الكتب.

وأفدت أيضا من مؤلف " تأملات في الطريقة البلقايدية " لصاحبه لكحل محمد بوجلال. مع تقديم للشيخ عبد اللطيف ابن الشيخ بلقايد الهبري. عرف بالطريقة وصاحبها ومناقبها، كما جمع الشيخ مولاي التهامي غيتاوي " جملة من حياة وفضائل وكرامات الشيخ محمد بلقايد " في كتاب قيم أفادني في معرفة جهود شيوخ الطريقة في نشر التصوف، ودورهم في حفظ كتاب الله، وتعليمه.

إلى جانب هذه المراجع مؤلف له علاقة بمشرب الطريقة الدرقاوية بعنوان " همم الملوك العالية لصاحب الوقت وسيرته المحمدية "، ترجم فيها للشيخ الحاج محمد الحبيب المشرقي وللطريقة.

بالإضافة إلى بحوث، ومقالات حول الطريقة مكنتني من تقفي دورها؛ وتواصلها الصوفي ومعرفة فروعها إضافة إلى الزيارات الميدانية سواء بالمغرب الشقيق كالزاوية الهبرية بوجدة، أو لبعض فروع الطريقة الهبرية بالجزائر كالزاوية البلقايدية، وزاوية سيدي البودالي التي زرتها أكثر من مرة في صغري مع الوالد رحمه الله وقضينا بها وقت، وزرتها ونحن نعد هذا العمل ومقرها الآن بولاية سعيدة. وكذا الزاوية البلقايدية بسيدي معروف بولاية وهران، وكذلك زاوية سيدي بن عودة الهبرية بتيارت.

وتبين أن الغرب الجزائري على خط تلمسان، ووهران، سيدي بلعباس، سعيدة، تخمارت وفرندة، ثم غليزان إلى غاية تيارت؛ سيطرت فيه فروع الطريقة الهبرية وزواياها إلى غاية العشرية السوداء، حيث تعرضت إلى التخريب، وهجرت طيلة تلك الفترة. ثم عادت إلى سابق عهدها بعد استتباب الأمن وميثاق الصلح الذي انهي تلك المجازر التي ارتكبت باسم الدين.

د- خطة البحث

وبناء على المادة التي قمنا بجمعها ودراستها جاءت خطة البحث على النحو التالي:

قسمنا هذا العمل إلى مقدمة وخمسة فصول، ففي المقدمة عرفنا بالموضوع وأسباب اختياره وإشكاليته وذكرنا مصادر مادتنا ودراستها، كما تطرقنا إلى الدراسات السابقة، ثم خطة العمل، وذكرنا ما صادفنا من صعوبات. الفصل الأول تناولنا فيه ضبط وتحديد المصطلحات، حيث تضمن شرحا لمفهوم التواصل والذكر والمقام، والحال، والشيخ، ثم تناولنا مصطلح الصوفي والتصوف،كما تناولنا بعد ذلك التصوف في الحضارات السابقة، ثم تعرضنا إلى مفهوم الزهد والفرق بينه وبين التصوف، ثم عرجنا على الرباطات بالمغرب الإسلامي وبينا فضلها، ثم أوجه الجهاد وأقسام الصوفية وأنواع المجاهدين. وانتقلنا إلى أقطاب التصوف السني والفلسفي. وبينا بعد ذلك انتقال التصوف إلى المغرب الإسلامي وموقف علماء المغرب منه وختمنا الفصل ببعض الاستنتاجات.

وخصصنا الفصل الثاني للأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية لغرب الجزائر منذ مطلع القرن السادس عشر ميلادي، كما تطرقنا إلى أوضاع المغرب الأقصى في نفس الفترة ودور الطرق الصوفية في كل من القطرين سواء في الصراعات الداخلية أو الخارجية في ظل تكالب القوى المسيحية عليهما البرتعال والاسبان وختمنا الفصل باستنتاجات عامة حول مهمة الطرق الصوفية حسب ما تقتصيه الظروف العامة حيث يتغير نشاطها تبعا لتلك الظروف.

أما الفصل الثالث فقد خصصناه للتصوف في المغرب ونشأة الزهد فيه ثم عرفنا بالطريقة الصوفية وتاريخ تشكل الطرق بالمغرب، وانتقلنا إلى أهم الطرق الصوفية التي ظهرت في الجزائر، كالقادرية وفروعها، والشاذلية، وفروعها ، كما تناولنا أهم الطرق الصوفية بغرب الجزائر، وخاصة منها ذات المشرب الشاذلي، السنوسية، والدرقاوية، والعلاوية، والطريقة الهبرية موضوع الدراسة.

والفصل الرابع تناولنا فيه أهم الطرق الصوفية بالمغرب الأقصى كالطريقة الشاذلية العبادية، والشاذلية الجزولية، والشاذلية الزروقية، والطرق الأخرى المتفرعة عنها كالناصرية، والدلائية، وعلاقتهما بالطرق الصوفية ذات المشرب الشاذلي كالعياشية، والفاسية، والشرقاوية والتي سيطرت على الحياة الروحية الصوفية بالمغرب الأقصى. كما تطرقنا إلى تواصلها وختمنا ذلك باستنتاجات.

الفصل الخامس خصصناه لتواصل بين الطرق الصوفية في المغرب الأقصى، وغرب الجزائر، ونموذج الطريقة الهبرية موضوع الدراسة ، حيث تطرقنا إلى مشرب الطريقة الهبرية، وسندها في الدرقاوية، وتناولنا الطريقة الهبرية بالتعريف: نسبها، ونشأتها، وشيوخها، وزواياها، وتحدثنا عن حضور الطريقة الهبرية الديني والفكري، والعلمي، والاجتماعي، ثم انتقالها إلى تلمسان، ومن ثم إلى غرب الجزائر، وفي مساق تطورها التاريخي، تناولنا الطريقة الهبرية بغرب الجزائر الممثلة في الطريقة البلقايدية، حيث تحدثنا عن نسبها وظروف نشأتها، وفروعها وزواياها، وكذلك أدوارها الفكرية، والدينية، والاجتماعية، وإسهاماتها في التربية والسلوك.

وختمنا ذلك بخاتمة عامة تخص التواصل الصوفي بين الطرق الصوفية، وخصوصا الطريقة الهبرية وألحقنا هذا العمل بملاحق،فيها؛ الورد العام، والوظيفة الزروقية، وقصيدة للشيخ محمد الهبري وأخرى في رحاب الطريقة الهبرية، وقصيدة للشيخ محمد متولي الشعراوي، إضافة إلى أسانيد الطرق الصوفية من الشاذلية إلى الهبرية بالسلسلة وأضفنا جداول لأهم الطرق الصوفية والزوايا، وأخرى لأهم الأحداث والمناسبات. بالإضافة إلى صور، وخرائط. أما الفهارس عامة؛ فتمثلت في فهرس للأعلام، وأخر للزوايا والطرق الصوفية، ثم ألحقنا ذلك بقائمة المصادر والمراجع، وفهرس للموضوعات.

هـ–المنهج المتبع

اتبعنا المنهج التاريخي التحليلي كلما اقتضى الأمر ذلك من أجل إثبات الوقائع، والأحداث لأن الفترة المدروسة فيها من السرد للأحداث ما يستدعي وقفة لتمحيصها، وتحليلها، واستنتاج ما هو مدرك للحقيقة المقبولة بربط النتائج بالمقدمات، كما أن المنهج السردي له مجال في هذا العمل؛ وذلك لتقديم بعض الأخبار التي لا تحتاج إلى تعليل وهي متواترة، ومعلومة الحال، وكذلك استندنا إلى المنهج التاريخي الوصفي وهذا يتعلق بالطرق الصوفية، وكل ما يخص نشاطها الذي لم يتغير إلا في بعض الشكليات المتعلقة بالتطور الذي عرفه القرن التاسع عشر، وانتشار الزوايا، وهذا مرتبط بالتقدم على جميع المستويات، وتطور الأدوات. كما اعتمدنا على المنهج التاريخي المقارن في بعض الحالات التي ورد فيها الخطأ، وشاع تداوله والإحالة إليه منها؛ ما ذكره السخاوي في ترجمته للجزولي، وهو الخطأ المتداول.

هذا على سبيل المثال لا الحصر. لذلك قمنا بمقارنة بعض الأخبار والأحداث، وأثبتنا ما اتفق عليه الأغلبية مع ترجيح الأنسب في حالة التضارب. كما اعتمدنا على المنهج التاريخي التركيبي، وذلك لصياغة حائق كانت منعزلة كعلاقات المغرب الأقصى بالجزائر في تلك الفترة معتمدين على المؤلفات ذات الطابع السياسي الديني وخاصة في الفترة العلوية وقبيل الاحتلال الأجنبي.

و–الصعوبات

أول صعوبة واجهتني؛ هي موضوع التصوف بحد ذاته ، لأنه طريق سرعان ما تتشعب سبله، وروافده وإن كانت من مشرب واحد، لما طرأ عليه من تطور، وانتقاله من مرحلة إلى أخرى. بالإضافة إلى ما فيه من أمور تحير العقل، ورفضها لأول وهلة يكون عائق أمام التقدم في التفتيش، والتنقيب عما يسعفك لتتجاوز ذلك الجدار الأصم.

والصعوبة الثانية؛ تمثلت في تشكل الطرق الصوفية، وهي في صعوبتها مثل ظهور التصوف، فإذا تتبعت التحليل العلمي لتشكل أي نظام، وأسقطته على التصوف، تكون بذلك تعديت على ما أقره مشايخ التصوف، وجعلت منه جهاز يمكن لأي كان لو توفرت لديه الشروط النظرية، والعلمية والأدوات اللازمة لأنتج طريقة صوفية، وبالتالي يصبح لا فرق بينه وبين أي تنظيم. في حين أن له تنظيم لكن يختلف في بنيته عن كل تنظيم وهيئة، ولا يستمد ذلك من الواقع كغيره بل يخضع إلى مقاييس دقيقة وصارمة.

أما الصعوبة الثالثة فهي المصادر المعتمدة في هذا العمل، فبالقدر الكبير الذي ألف حول التصوف والطرق الصوفية؛ قلة من المصادر التي يمكنك استنتاج منها التواصل، الذي نتج بينها. والصعوبة الرابعة تمثلت في الطريقة الهبرية، وقلة المصادر التي بينت نشأتها، وليس هناك من المصادر التي تابعت مسارها سواء في المغرب الأقصى، أو الجزائر منذ نشأتها إلى غاية الاحتلال الأوربي، وفي سفري إلى المغرب من أجل الاستقصاء عن وجود هذه الطريقة، ظهر لي أنها منزوية والقلة القليلة من يعلم بوجودها. ولو أن هناك بعض الأعمال التي أنجزت حولها، غير أنه بعد الاستقلال، وخاصة بغرب الجزائر ذاع صيت هذه الطريقة وأصبحت معروفة، ومألوفة لدى الجميع ليس على مستوى الغرب فحسب، بل على المستوى الوطني والدولي.

والصعوبة الخامسة في تواصل هذه الطريقة مع غيرها من الطرق، وما نتج عن ذلك، وما هي الطرق التي نستدل عليها بالهبرية من خلالها في المغرب الأقصى أو غرب الجزائر، وأخيرا وليس آخرا صعوبة الحصول على المخطوطات الخاصة بالطريقة أو من أشار إليها وهذا شكل عائقا كبيرا، لأن هذا يتطلب صبرا وأناة وفي نفس الوقت جهدا ماديا ونفسيا، واتخاذ كل الوسائل وانتهاج كل السبل الوعرة والمشروعة للحصول على ذلك. كما أن من يحزون هذه المخطوطات المتعلقة بالطريقة الهبرية، يظهرون فقط ما تعلق بسندها، أو وظيفتها أو أورادها وغير ذلك. أما علاقتها وتواصلها توصلنا إليه من خلال انتقالها أو رسائل شيوخها، والأحداث التي نعتقد أنها كانت السبب البعيد في انتشارها من خلال التواصل، المرتبط بمرامي الشيوخ وغاياتهم وأهدافهم الدينية، أو غيرها.

وفي الختام؛ فأول كلمة شكر فلله لمّنه، وفضله، وتوفيقه. كما أنه واجب ملزم أن أتقدم بالشكر الجزيل إلى المشرف الأستاذ الدكتور محمد مكحلي على صبره، ومتابعته، وتذكيره لتحيين المكتوب كلما جد أمر، وعلى توجيهه، وتسديده للرأي في المشورة، ومتابعته لهذا العمل رغم شغله، وانشغالاته، وسؤاله عنا كما كان يفعل دوما، وإن تعذر عليه الأمر جعل بيننا واسطة من يحمله أمانة السؤال، والشكر موصول إلى كل من ساعدني بأي طريقة أو كيفية لانجاز هذا العمل المتواضع المقل، وأنا على يقين بأن العمل ليس كاملا أو قريب من الكمال، ولكن آمل أن أكون أضفت بذلك شيئا يستحق، وأن أتقدم في هذا المضمار أكثر فأكثر في المستقبل. ويبقى كل عمل ناقص وهذا للنقص الذي جبلنا عليه وما الكمال إلا لله، والله من وراء القصد.

عبد القادر مداح

وهران في 2015/03/29

الفصل الأول

1-مفهوم التواصل

2-مفهوم الذكر

3-مفهوم المقام

4-مفهوم الحال

5-مفهوم الشيخ

6-مصطلح الصوفي

7-مفهوم مصطلح التصوف

أ-المعنى اللغوي

ب-المعنى الفني

8-المعنى الاصطلاحي (الاشتقاقي)

أ-التصوف من الصوف

ب-التصوف من الصفة

ج-التصوف من الصفاء

د-التصوف من منظور صوفي

9-نشأة التصوف

10-التصوف في الحضارات السابقة

أ-التصوف الهندي

ب-التصوف اليوناني (الأفلاطونية الحديثة)

ج- الاتحادية

د-الإشراقية

هـ-الوصولية

و–التصوف الفارسي

ز–التصوف المسيحي

11–التصوف الإسلامي

أ–الزهد

ب–الفرق بين الزهد والتصوف

ج–الجهاد عند الصوفية

12–الرباطات بالمغرب الإسلامي

أ–فضل الرباط والمرابطة

–جهاد النفس

أ–المظهر الأول (الجماعي)

ب–المظهر الثاني (الفردي)

ج–أوجه الجهاد

–مجاهدة الطلب

–مجاهدة النفس

مجاهدة المؤمن

–جهاد المؤمن

13–أقسام الصوفية

–أصحاب السوابق

–أصحاب العواقب

–أصحاب الوقت

–أصحاب الحق

هـ-أنواع المجاهدين

-العارف

-المسلم

14-أقطاب التصوف السني

أ-أبو القاسم الجنيد

ب-نبذة عن سيرة الجنيد العلمية

15-أقطاب التصوف الفلسفي

أ-ابن عربي

16-انتقال التصوف إلى المغرب

أ-موقف علماء المغرب من التصوف

17-استنتاجات

أهمية ضبط وتحديد المصطلحات

بدأ التصوف شفويا ويتلقاه المريد كذلك، وبعد أن أصبح منظما أفردت له مجلدات عنى بها أربابه وبسطوا فيها الكلام عنه، حتى تشعبت الآراء واتسعت مجالتها بكثرة المفاهيم والمصطلحات. وجاءت دراسات فيما بعد لتتمسك بزواياه وتسبر أغوراه محاولة الكشف عن كنهه ومعناه؛ من أجل إبراز دوره في المجتمع. غير أنه لا يمكن بأي حال من الأحوال معرفة السبب، وذلك للغموض الذي يعتريه كونه تجربة ذوقية فلابد بل من الضروري أن نعتمد التجربة والتأويل معا؛ لا للإجابة عن السبب، وإنما بيان كيفية انتشاره واستمراره.

فكل الدراسات التي تناولت ظاهرة التصوف، سواء اجتماعية أو أدبية أو فلسفية ،وحتى أنثروبولوجية بدأت بفك الظاهرة من خلال مصطلحاتها ومفاهيمها. فمفتاح التصوف يكمن في مصطلحاته التي بدأت بالتخاطب أو نقل المعرفة الصوفية التي يعبر عنها بالتواصل الصوفي. ومن ثم معرفة كيفية عمل هذه الآلية من حيث الأثر والتأثير على المستوى الفرد والجماعات، أو الطوائف التي يطلق عليها اليوم بالإجماع الطرق الصوفية. وحتى نعرف كيفية وطرق تواصل الطرق الصوفية بين الجزائر والمغرب الأقصى فإنه من الضروري التعرض لضبط وتحديد المصطلحات الواردة في عنوان هذا العمل.

1-مفهوم التواصل

قال الراغب الأصفهاني في مفرداته: (وصل: الاتصال اتحاد الأشياء بعضها ببعض كاتحاد طرفي الدائرة ويضاد الانفصال، ويستعمل الوصل في الأعيان، وفي المعاني ويقال وصلت فلانا. قال تعالى((ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ)) * وقوله تعالى((إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٌ أَوۡ جَآءُوكُمۡ حَصِرَتۡ صُدُورُهُمۡ أَن يُقَٰتِلُوكُمۡ أَوۡ يُقَٰتِلُواْ قَوۡمَهُمۡۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمۡ عَلَيۡكُمۡ فَلَقَٰتَلُوكُمۡۚ فَإِنِ ٱعۡتَزَلُوكُمۡ فَلَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ وَأَلۡقَوۡاْ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا

*سورة البقرة الآية 27

جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ سَبِيلٗا))*. أي ينسبون. يقال فلان متصل بفلان إذا كان بينهما نسبة، أو مصاهرة، وقوله عز وجل ((وَلَقَد وَصَّلۡنَا لَهُمُ ٱلۡقَوۡلَ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ))* أي أكثرنا لهم القول موصولا بعضه ببعض ومَوْصِل البعير، كل موضعين حصل بينهما وصلة نحو ما بين العجز والفخذ. وقوله ((مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٖ وَلَا سَآئِبَةٖ وَلَا وَصِيلَةٖ وَلَا حَامٖ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ وَأَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ))* وهو أن أحدهم إذا ولدت له شاته ذكرا وأنثى قالوا وصلت أخاها، فلا يذبحون أخاها من أجلها، وقيل الوصيلة العمارة والخصب، والوصيلة الأرض الواسعة، ويقال هذا وصل هذا، أي صلته[1] وقال ابن منظور: (وصل: وصلت الشيء وصلا وصلة، والوصل ضد الهجران. ابن سيده: الوصل خلاف الفصل، وقال أيضا الوصل ضد الهجران، والتواصل ضد التصارم. يقال وصل رحمه يصلها وصلا وصلة، ما بينه وبينهم من علاقة القرابة، والصِّهر، ووصل الشيء إلى الشيء وصولا وتوصل إليه انتهى إليه وبلغه).

أما في اصطلاح الصوفية فهو ملاحظة العبد عينه متصلا بالوجود الآحدي قطع النظر من تقيد وجوده بعينه، وإسقاط إضافته إليه، فيرى اتصال مدده، ونفس الرحمان إليه على الدوام بلا انقطاع، حتى يبقى موجودا به[2]. وقيل أيضا معنى الاتصال أن ينفصل بسره عما سوى الله، فلا يرى بسره معنى التعظيم غيره،ولا يسمع إلا منه؛ قال النوري: الاتصال مكاشفات القلوب ومشاهدات الأسرار، مكاشفات القلوب كقول حارثة كأني أنظر إلى عرش ربي بارزا، ومشاهدات الأسرار كقوله عليه الصلاة السلام: "اعبد الله كأنك تراه"[3]. وقيل هو مكاشفات القلوب، ومشاهدات الأسرار، فإذا سلك المريد الصادق طريق الله مجاهدا صابرا مخلصا، فإن الله سبحانه وتعالى يكاشفه ببعض الحقائق، ويشهد له بعض المغيبات؛ الثمرة

---

*سورة النساء الآية 90

*سورة القصص الآية 51

*سورة المائدة الآية 103

[1]–الأصفهاني الراغب، مفردات ألفاظ القرآن، تح، صفوان داوودي، دار القلم، دشق، سوريا،ط4،دت، ص873

[2]-القشاني عبد الرزاق، معجم اصطلاحات الصوفية، ضبطها وصححها وعلق عليها، عاصم إبراهيم الكيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2005، ص11

[3]–العجم رفيق، موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط1، 1999، ص53

من تمار توكله وفقره، ومحبته لله تعالى، فيكون اتصالا بالله ومع الله، فينفصل السالك بسره عما سوى الله فلا يرى غير الله حبيبا ولا يسمع من غيره تعالى حديثا. فهو ينظر إلى عرش الله.

ويقول بعض أئمة الصوفية: الاتصال هو ألا يشهد الصوفي في الاتصال، فيشعر بنعمة كبرى، ولذة عظمى، فيزيد الله إجلالا وفي طلبه خشوعا وإذلالا، وفي حبه تعظيما. حبه طاعة وإخلاص[1]. فكما للتصوف قصائد ففي التواصل قصيدة تبين كيفيته وثمرته حيث جاء فيها:

سطعت أنوار العين " " في تجلي الحضرتين

من عهد قاب قوسين " " أوترت شفع الهوية

وخـــــذ منك وإليك " " ما لك وما عليـك

كل كائن لديك " " في ظروف الأحـــــدية

هنيئا لمن تحـقق " " وبنفس الجمع فرق

ونور ذاته أشرق بالصفات الأحدية

تلك رتبة الكمال وهمة الاتصال

عبد بلا انفصال " " عن حناب الـــــــــربوبية

يا ذكي الفهم بادر " " هاك أنفس الجـــــــواهر

فكن حازما وحاذر " " غير منهاج العبـــــــودية

هاك معنى القرب فافهم " " وطب واطرب وترنم

بالمقامات العلية[2]

من خلال هذا البيان يتضح أن التواصل هو اجتهاد السالك المريد في التقرب إلى الله بعد أن علم من الدين الذي جاء وحيا إلى الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم، أن الاتصال بالله يكون بذكره لأنه يكون في كل العبادات، وبذلك يحقق ركن الإحسان بأن تعبد الله كأنك تراه.

[1]– الشرقاوي حسن، معجم ألفاظ الصوفية، مؤسسة مختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1987، ص ص 26–27

[2]– العجم رفيق، المرجع السابق، ص53

2- مفهوم الذكر

قيل أدنى مراتبه أن ينسى ما دونه، وأعلاه هي أعلى مراتب الإصطلام[1] أن يشهد نفسه عين ذلك الوجود وهو المعبر عنه بالسحق والمحق. وحقيقة الإصطلام أوله ذهول عن الأكوان وهو المعبر عنه بالسكر ووسطه فناء عن الأكوان مع علمه بفنائه، وأعلاه فناؤه عن الأكوان وفناؤه عن فنائه، والمرتبة العليا أن يشهد نفسه عن ذلك الوجود، وهو المعبر عنه بالسحق والمحق، وحقيقة السحق والمحق عبارتان مترادفتان، وهما فناء العبد بالكلية[2]. وفي هذا الوضع وهو في مقامه المعلوم يرد عليه الحال

3- مفهوم المقام

عبارة عن استفاء حقوق المراسم الشرعية مما تعين عليه بأمر الشارع من المعاملات، وصنوف العبادات على التمام والكمال بحيث لا يفوته شرط ولا لازم من لوازمها. والمقامات على أقسام:

منها: ما يثبت شروطها، و يزول بزوالها كالورع[3] مثلا، فإنه في المحظورات والمتشابهات، فحيث فُقِدت فُقِد الورع، وكذلك التجريد، إنما يكون بقطع الأسباب مهما فقدت التجريد.

ومنها: ما يثبت إلى الموت ثم يزول، كالتوبة والتكاليف المشروعة.

ومنها: ما يثبت إلى حين دخول الجنة، كالخوف والرجاء.

ومنها: ما يثبت مع الداخل فيها إلى الأبد. كالأنس، والبسط، والظهور بصفات الجمال[4]. والمقام بعكس الحال، فهو يتم بالمجاهدة، والحال من الواردات من الله سبحانه على عبده.

---

[1]-((نعت وَلَهِ، يرد على القلب. فيسكن))القلب ((تحت غلبته وسلطانه))، ولا يقوم هذا النعت بالقلب إلا إذا تجلى الحق له في صورة الجمال، وإذا تجلى فيها اشتعلت فيها الهيبة، فإن الجمال مَهُوبُ فيخاف القلب سطوتها فيسكن تحت اشتعالها سكون المذعور. وعلامة صحة هذه الحال، الحذر في الجوارح والموت فيها، فإن تحرك مَنْ هذه صفته فحركته دورية حتى لا تزول عن موضعه، حيث خيّل إليه أن تلك النار محيطة به. ولا مُخلص له منه إلا في محله. القشاني عبد الزاق، رشح الزلال في شرح الألفاظ المتداولة بين أرباب الأذواق والأحوال، ضبطها وصححها وعلق عليها، عاصم إبراهيم الكيالي، دارت الكتب العلمية، لبنان، ط1، 2005، ص238

[2]-حمدي أيمن، قاموس المصطلحات الصوفي، دار قباء للنشر والتوزيع، القاهرة، 2000، ص62

[3]-حدثنا اسحاق بن خلف قال: الورع في المنطق أشد منه في الذهب والفضة، والزهد في الرياسة أشد منه في الذهب والفضة لأنك تبذلهما في طلب الرياسة. القشيري أبو القاسم،الرسالة القشيرية في علم التصوف، تحقيق وإعداد معروف زريق وعلي عبد الحميد أبو الخير، دار الخير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق-بيروت، ط2، 1416هـ/1995م، ص110

[4]-القاشاني عبد الرزاق، رشح الزلال، المرجع السابق، ص193

4-مفهوم الحال

هو عبارة عن أمر يرد من حضرة الحق بصورة قهرية أو جمالية، يكيّف العبد بصورة ما هو منطبق عليه[1]. وإذا بلغ المتصوف بالاتصال مرتبة الفتح يصبح شيخا ومفهوم الشيخ عند الصوفية ليس بكبر السن وإنما هو أيضا مصطلح له مفهومه الخاص

5- مفهوم الشيخ

لقد ورد في اللوائح الفاسية ثلاثة ألفاظ في حكم الشيخ والمشيخة ومعنى الشيخ.

أولها: حكم الشيخ، هل هو شرط صحة أو شرط كمال أو لا يحتاج إليه أصلا؟ والثاني: في حكم المشيخة ومعنى الشيخ، أي إثبات رتبهم وتحقيق حكمها في الجملة، وذلك راجع للذي قبله. وقد قال صاحب الإبانة إن الصوفية يجمعون (الشيخ) على (مشايخ) و(مشيخة) والمحدثين والفقهاء يجمعونه على (شيوخ)، والقراء والنحاة يجمعونه على (أشياخ). الثالث: في معنى الشيخ، يعني وصفه المعتبر فيه حتى يتعين إتباعه ويصح الاقتداء به، والصفة التي يكون بها شيخا. وإن فقدت فلا يجوز الاقتداء به وضمن ذلك في قصيدة حيث قال:

وإنما القــوم مسافرونا " " لحضرة الحق وظـاعنونا
فافتقــروا فيه إلى دليل " " ذي بصر بالسير والمقيل
قد سلك الطريق ثم عاد " " ليخبر القوم بما استفاد[2]

فالشيخ هو الذي رُفعت له جميع الحجب عن كمال النظر إلى الحضرة الإلهية نظرا عينيا، وتحقيقا يقينيا[3]، وبذلك يحق له التواصل الأفقي، أي يصبح مرشدا للناس ومن يسلك طريقه حتى يوصله إلى الله عز وجل، وهذا ما عبر عنه أنور الجندي في مقارنة بين النظم المختلفة والطرق الصوفية حيث

[1]- حمدي أيمن، المرجع السابق، ص54

[2]- الفاسي أحمد زروق، اللوائح الفاسية في شرح المباحث الأصلية على جملة الطريقة الصوفية، تح، محمد عبد القادر نصار، وعبد الله جمال حمدنا الله، دار الإحسان للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط2015، ص ص125،126

[3]-حمدي أيمن، المرجع السابق، ص74

يقول:(الطريقة في النظم الاجتماعية هي تجسيد المنهج في المجال الديني، تحت توجيه وإشراف رائد ملهم، يدين له أتباعه بالتعظيم، والتبعية الفكرية والروحية، ومن أشهرها في الثقافة الإسلامية؛ الطرق الصوفية، التي تعد بمثابة مدارس فكرية تجمع بين أتباعها أوراد ومناهج سلوكية، وأساليب تعبدية يصعد عن طريقها المريد على سلم المقامات والأحوال[1]). فإن كان مفهوم التواصل النازل أي تواصل الخالق مع عبده بأوامره ونواهيه عن طريق رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، وتواصل العبد مع خالقه بالاجتهاد في طاعته والقرب منه فإن التواصل الأفقي بين الصوفية وبقية الناس من أجل إرشادهم إلى طريق الله ومعرفته،لأنهم أدلاء على ذلك من حيث مقاماتهم. وقد أُذن لهم في ذلك عن طريق ما يسمى بالفتح. ولا يمكن فهم هذا التواصل إلا في سياق التصوف وعليه لابد من التفصيل في هذا المفهوم الذي يعتبر التواصل ميزته الخاصة وآلياته من وضع شيوخ الطرق الصوفية.

6-مفهوم الصوفي

المعنى الظاهري للكلمة، هو ذلك الشخص الذي يلبس الصوف، سواء دل ذلك على الضيق أو السعة. أما فيما يتعلق بالمعنى الدلالي المعبر عن الحال فلا يمكن فهمه إلا في سياق التصوف الإسلامي ولذلك فمن الضروري التطرق إلى مصطلح التصوف.

7-مفهوم مصطلح التصوف

كلمة من أربعة حروف (ص، و ، ف ي)[2]، أُلف ما لا سبيل إلى إحصائه أو عده من المؤلفات، وفي هذه الكلمة تبارت الأقلام، وأُنجزت الدراسة تلو الأخرى سعيا وراء الإثبات، أو تحقيقا للذات. فالبداية واحدة انتهت إلى نهايات شتى. عنوانها وموضوعها التصوف. فأختلف بشأن اسمه، وأصله، وحتى مدلوله، ولا يزال هذا الاختلاف مستمرا. وكل ما في الأمر بعد شدة عناء، وطول بحث، وتنقيب ووصف، وتحليل ومقارنة، وتصويب؛ ينتهي كل دارس للتصوف إلى ترجيح أقوال على أخرى حسب مرام، وغاية كل من عنى بدراسته. غير أن كل عمل لبنة للأخر. وهذا إن دل على شيء إنما يدل على شساعة هذا الحقل وعمقه.

---

[1]-الجندي أنور، الفكر والثقافة في شمال إفريقيا المعاصرة، الدار القومية للطباعة والنشر،القاهرة، 1965،ص51

[2]- أحرف: صاد، و واو، وفاء، وياء. فالصاد: صبره وصدقه، وصفاؤه. والواو : وجده، وودّه، ووفاؤه، والفاء : فقده ، وفقره، وفناؤه. والياء: ياء النسبة فإذا تكمّل فيه ذلك فقد أُضيف إلى حضرة مولاه. الجزائري، محمد عبد الكريم، التصوف في ميزان الإسلام، مطبعة النهضة، وهران، د ت، ص 22.

لذلك لا يمكن أن تبدأ من حيث انتهوا، ولابد أن تبدأ كما بدءوا، لكن عليك أن تناقش، وتحلل وتقارن وتمحص، وتبرهن على ذلك عسى أن تضيف شيئا كما أضافوا.

لذلك اقتضى الأمر أن نتعرض لمصطلح التصوف، ولو أن الأمر يحدث مع كل من تعرض للتصوف سواء مؤالفته أو مخالفته، ولو على سبيل التنويه أن يشير إلى هذه الظاهرة بقدر حاجته إليها في بحثه فضلا عن أنه يعالج التصوف، والتواصل الصوفي، والطرق الصوفية ؟! والأكثر من ذلك أن كل من تعرض إلى تاريخ الإسلام، والمسلمين لا يمكنه أن يغفل هذه الظاهرة بل يستغرق فيها أكثر من غيرها دون أن يخرج منها بطائل.

فكلمة التصوف مشتقة من الصوف بحيث يكون المعنى المباشر الذي تدل عليه هذه الكلمة الكساء المعروف الذي يغطي جلد الشاة، كما تدل في بعض الاستعمالات على الميل، والعدول، حيث يقول صاف[1]. و هو تعبير معلوم في اللغة العربية؛ كثير الاستعمال للدلالة على المجانبة، وفي غالب الأحيان عن كل أمر منكر فيه غواية. وقد يكون العزوف عن العوائد، والأعراف سلبا ظاهريا، غير أنه في الحقيقة إقبال بقوة، وتحمس على الذات التي حجبتها هذه العوائد، كاللذات الباطنية. ولا يمكن تفسير انتشار هذه الحركة إلا في ضوء هذا المناخ من الأخلاق الذي كان سائدا، والذي غلب عليه المجون والإلحاد وانحلال الأخلاق[2]، وكثر فيه الخلط، واللغط. ولذلك لابد من بحث المعنى اللغوي، والمعنى الفني والمعنى الفلسفي، ثم نختم بالمعنى الاصطلاحي.

أ- **المعنى اللغوي**: هو تكلّف لبس الصوف: يقال تصوّف الرّجل يتصوّف تصوفاً؛ إذا تكلّف لُبس الصوف، وما مثاله: تقمّص يتقمّص تقمُّصاً؛ إذا تكلّفِ فعل لُبس القميص.

ب- **المعنى الفني**: ومعاني التصوف كثيرة، وسنبحث بموضوعية ما يعبر عن الغرض الذي نتوخى منه الوقوف على سلامة السياق، الذي انعكس على أربابه، وتقمصوه في أفعلهم أو اتبعوا سيرة إن صدقت عليه، قد تصدق على من كانوا قبلهم، ولم يتسمّوا بالمتصوفة. ونذكر من انحرف بتأويل المعنى، ولم يثبته بإتباع السنة. وقد يدل الجانب الفني على أن التصوف لامس كل الفنون، ومنها ما قرره كل من جرجي زيدان، وتوفيق البكري من أنه كان في زمن المهدي رجل صوفي اشتهر بالتقوى، والصلاح وكان يخرج كل

[1]- صاف: مال وعدل. ينظر مادة صف في لسان العرب لابن منظور

[2]- ضيف شوقي، تاريخ الأدب العربي، ج4 العصر العباسي الثاني، دار المعارف، مصر، ط2، سنة 1975، ص 105

اثنين، وخميس إلى مكان خارج بغداد، ويجتمع حوله الناس فيصعد إلى مرتفع، وينادي: "ما فعل النّبيون ؟ أليسوا في أعلى عليّين ؟ فيقولون: نعم، ثم يأتي برجل يجلسه بين يديه يمثل أبا بكر ويأخذ في إطراء أعماله، ويأمر به إلى أعلى عليّين، ثم يأتونه بعثمان فيصف أعماله ، ثم بعلي بن أبي طالب فيثني عليه ويأمر به إلى أعلى عليّين[1] ". وقد يصير بهذا المعنى تطلع إلى مقعد الصوفي، ومرتبته ليجازى بجنة الوراثة، وهي جنة الأخلاق الحاصلة بحسن متابعة النبي صلى الله عليه وسلم[2]، فبهذا المعنى فإن الصوفي يتمثل حاله من غيره، ليحمل الحضور على تمثل حالهم إن هم تابعوا الرسول صلى الله عليه وسلم بعد العلم، والعمل كما فعل الصحابة رضي الله عنهم قبلهم .

8-المعنى الاصطلاحي (الاشتقاقي)

أ-التصوف من الصوف

أصل الكلمة مصدر للفعل الخماسي المصوغ من الصوف للدلالة على لبسه، ومن ثم كان المتجرد لحياة الصوفية يسمى في الإسلام صوفيا[3]، ومن هنا ؛ يرجع سبب التسمية إلى اشتهار أهلها بلبس الصوف في الظاهر، غير أن المهتمين بشأن التصوف يختلفون في قراءتها، فمنهم من يجعلها صفة للزهد والفقر وهي أحوال الصالحين وصفاتهم، ومنهم من جعل التصوف مرتبط بالرهبانية المسيحية، وهذا ما عرف به السيد المسيح عليه السلام بزهده، ولبس الصوف[4] .

كما أن لهذه الظاهرة قراءة سياسية إذا أنها تدل على المعارضة السياسية لمملكة الغنى الفاحش، هذا ما جرى عند بني أمية الذين جعلوا من الحرير رمز للنعمة، والتباهي[5].

---

[1]- زيدان جرجي، تاريخ آداب اللغة العربية، راجعها وعلق عليها، شوقي ضيف، دار الهلال، طبعة جديدة، ج4، دت، ص138

[2]- القاشاني عبد الرزاق، اصطلاحات الصوفية ويليه، رشح الزلال في شرح الألفاظ المتداولة بين أرباب الأذواق والأحوال، ضبطها وصححها وعلق عليها، عاصم إبراهيم الكيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2005، ص20

[3]- دائرة المعارف الإسلامية ن ع، المجلد الخامس، ص 265

[4]- السهروردي، عوارف المعارف ،من كتاب إحياء علوم الدين ، الملحق، ج5، دار المعرفة، بيروت، لبنان د ت، ص64

[5]-كامل مصطفى الشيبي ، الصلة بين التشيع و التصوف،ج1 دار الأندلس، بيروت، ط1، 1982، ص 3

ب–التصوف من الصفة

يعود هذا الوصف إلى جماعة رجال أقاموا بمسجد النبي (ص) في المدينة بعد الهجرة، وقد هاجر هؤلاء وتركوا الأهل، ولم ينالوا من حظ أهل المدينة[1]. فأقاموا في المسجد، واعتزلوا الدنيا اضطرارا،فأصبحت بعد ذلك صفة العزلة، والزهد خاصة بهم، وإن كانت عامة في المسلمين على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، فكانوا لا يجتمع لهم لباسان، ولا من الطعام لونان. فكان الرسول صلى الله عليه وسلم يتردد عليهم لما عهدوا من حبه لهم، وبذلك ارتبطت تسمية التصوف بأهل الصفة؛ لوجود قرينة تكمن في كون المتأخرين من الصوفية لم تخل مجلسهم من التذكير بأهل الصفة، وشرف النسبة إليهم، مع اشتراكهم معهم في حب الله ورسوله، وملازمة الفقر في الحياة.

ج– التصوف من الصفاء

يرى القشيري[2] رحمه الله أنه من الصفاء حين ذكر الحديث النبوي "خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم متغير اللون فقال: ذهب صفو الدنيا، وبقي الكدر، فالموت اليوم تحفة كل مسلم[3]، لأن التصوف يأخذ طابع أخلاقي يتميز بالأصالة، إذ هو نزعة أصيلة في النفس البشرية[4]، فالمنبع الأساسي الذي يقتضي التصفية باستمرار هو النفس، حيث ذكر أحد الصوفية قوله:

إنِي بُلـيتُ بِأربـَـعٍ يـــــَـرمِينَنِي " " بِالنُيــلِ مِنْ قــَوْسٍ لَهَا تَوتِير

إِبْلِيس، والدُنيَا ونَفسِي والهَـــــوَى " " يَا رَبُ أَنتَ عَلَى الخَلاَصِ قَدِيْر[5]

والنفس باعتبارها المقصد، فهي العدو، وسبب البلايا، وأنها بالرغبة مجبولة على التعلق والاستقرار عند المطالب القريبة، والكونية. فإذا أراد الإنسان التوجه إلى المكّون يحتاج إلى تطهير توجهه من التعلق

[1]– السهروردي، المرجع نفسه، ص65

[2]– ولد في شهر ربيع الأول 376هـ /986م ببلدة استوا، وقال شجاع الهذلي: توفي الأستاذ الشيخ في نيسابور، صبيحة الأحد 16 ربيع الآخر 465هـ /1017م، وقد بلغ من عمره آنئذ سبعة وثمانين عاما. القشيري ،المرجع السابق، ص7

[3]– نيكلسون، في التصوف الإسلامي وتاريخه، ترجمة أبي العلاء العفيفي، لجنة الترجمة والنشر، القاهرة، ط1، 1947 م، ص 28

[4]– محمد بن بريكة، الموافقات، زاد عياش للطباعة والنشر، الأبيار، الجزائر، السنة الرابعة، محرم 1416هـ / جوان 1995، ص 98

[5]–القشيري أبو القاسم، المرجع السابق، ص 279

الكوني، وهنا يدخل في صراع مع نفسه، ويفكّها في كل لحظة عند الكون الذي تستقر فيه لتصفو من العلائق، والأدران، والرذائل التي ركبتها. وفي ذلك يقول أبو الفتوح البستي:

تَنَازَعَ النَّاسُ فِي الصُوفِي واختَلَفُوا " " وَظَنُــوه مُشتَقًّا مِنَ الْصُــوف
ولَسْتُ أَنْحَل هَذاَ الإِسْمِ غَيرَ فَتىَ " " صَافيَ فَصُوفِيَ حَتىَ لُقِبَ صُوفِي[1]

يتتبع بعض المؤرخين الظاهرة الصوفية قصد الوصول إلى القرائن التي تمكنهم من إيجاد مسند لها ويرتسمون ظاهر اللغات محاولين مطابقة التشابه منها في المخارج الصوتية، ووجدوا للتصوف شقيق في اليونانية و هي الحكمة (صوفيا)[2] (تيوسفيا)[3] ، غير أن هذه المماثلة لا تخلو من العداء الصريح للصوفية.

إذا تدارسنا هذه التأويلات لمصطلح التصوف، فقد لا نجد صعوبة، وخاصة من الناحية اللغوية، لأنه علم له قواعد علمية ثابتة يرجع إليها المختلفون، وخصوصا، وأن مادة صوف (ص،و،ف) لا علاقة لها بالصفة، والصفاء ماعدا تماثلها مع العلامة المشار إليها بالغطاء المعروف لدى الشاة وهو الكساء الطبيعي الذي يغطي جلد الشاة.

يقال للرجل صوفي، وللجماعة صوفية، كما يقال((كوفة وكوفية)) ، ومن يتوصل إلى ذلك يقال له متصوف، ورغم أن القوم لم يختصوا بلبس الصوف، فكذلك لا يوجد لهذا الاسم قياس في اللغة العربية ولا اشتقاق. و ينطبق الأمر أيضا على من نسبهم إلى صفة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فالصفة لا تجيء على نحو الصوفي، وكذلك الصفاء بعيد عن ما تقتضيه اللغة[4]. فالبحث في الاشتقاق اللفظي للتصوف هو في أغلبيته عمل استشراقي منذ أواسط القرن الماضي، وبيان تأثيراته الأجنبية التي آثرت في

[1]– عبد الغني قاسم عبد الحكيم، مذاهب الصوفية ومدارسها، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، ط2، 1989 – 1999م، ص 22

[2]– ضيف شوقي، المرجع السابق، ص106

[3]– حسب القرائن اللغوية، فان تطابق حرف السين والصاد في اللغة العربية لا يسع لا من حيث النطق، أو الدلالة، فضلا عن إسقاطها على لغة لأخرى.

[4]– ضيف شوقي، المرجع السابق، ص 106.

نشأته، وتطوره[1]، وهو مجرد استطلاع شكلي، والذي يركز بحثه على الجانب التاريخي الفيلولوجي، فيتبع أدنى القرائن ليصل في الأخير إلى تعميم حكم ما، وهو الأمر الذي لا يمكن بحال من الأحوال أن ينطبق على موضوع مثل التصوف.

سموا صوفية، لان الصوفية لم ينفردوا بنوع من العلوم دون نوع، ولم يترسموا برسم من الأحوال والمقامات دون رسم، وذلك لأنهم معدن جميع العلوم، ومحل جميع الأحوال المحمودة، والأخلاق الشريفة سالفا، ومستأنفا.[2] وحتى وإن قال ابن خلدون أن التصوف ظاهرة حادثة في الملة الإسلامية[3] ويرى أن التصوف ظهر بعد الصحابة؛ فهو بهذا لم يحدد بصفة مطلقة زمن حدوثها لأنه يوجد من الأقوال ما يدل على أنها كانت قبل الإسلام وقد ذكر أبو نصر السراج الطوسي في كتابه اللُّمع أنه زمن الحسن البصري رحمه الله كان يعرف هذا الاسم، وكان الحسن البصري قد أدرك جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، و قد روي عنه أنه قال: رأيت صوفيا في الطواف، فأعطيته شيئا فلم يأخذ وقال: معي أربعة دوانق فيكفيني ما معي[4].

وقد روي عن سفيان الثوري رحمه الله أنه قال: لولا أبو هاشم الصوفي ما عرفت دقيق الرياء[5]، وهو يقصد بذلك ما جاء في حديث أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم يروي عن ربه عز وجل أنه قال: ((أنا خير الشركاء فمن عمل عملا فأشرك فيه غيري فأنا بريء منه وهو للذي أشرك))[6] .

---

[1] – ابن الجوزي أبو الفرج، تلبيس إبليس، تحقيق ماهر عبد الغني، دار الحديث، 1425هـ/2004م، ص155،ينظر أيضا: عوارف المعارف، المرجع السابق، ص65

[2] – السراج الطوسي أبو نصر، اللُّمع، حققه وقدم له وأخرج أحاديثه، عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور، دار الكتب الحديثة، مصر، 1380هـ / 1960م، ص 40

[3] – ابن خلدون عبد الرحمن، مقدمة ابن خلدون، ض، م، و، ح، ف، خليل شحادة مر، سهيل زكار، دار الفكر، ط، ن، ت، بيروت، لبنان، 1431هـ/2001م، ص611

[4] – السراج الطوسي، المرجع السابق، ص 42

[5] –الرياء: هو الشرك الأصغر، وسمي بالشرك الأصغر لا يحبط إلا العمل الذي أشرك فيه، ولا يخرجه ذلك عن الإيمان مادام يعتقد أن الله واحد لا شريك له في الملك. بن عبد المجيد عليوات عبد الكبير، سراج الغيوب في أعمال القلوب، تحقيق ودراسة، عبد الله شريف وزاني، كتاب ناشرون، لبنان، ط1، 1434هـ/ 2013م، ص 196

[6] – رواه أحمد في مسنده (301/2)

د–التصوف من منظور صوفي

يكاد جمع الصوفية يتفق في إعطاء مضمون علم السلوك الباطني أو النفس لظاهرة التصوف، ويعني بعمل القلب في مقابل عمل الجوارح، كموضوع للفقه إذ يقول الشيخ أحمد زروق في شرحه على الحكم في تعريف التصوف ، انه بمنزلة الروح والفقه جسده إذ لا ظهور له إلا فيه،كما لا قيام للجسد إلا به. ثم قال إن نظر الصوفي أخص من نظر الفقيه والأصولي[1].

لقد أفرد الصوفية متونا، ونصوصا لا تحصى في طرق معالجة الباطن، وتزكية النفس، ذلك أنه إذا انشغل غيرهم بحكومة الظاهر على المستوى الفردي مثل التشريع لعمل الجوارح، أو على مستوى الجماعات كسياسة المدن، فإنهم انشغلوا في سياسة حكومة الباطن، ولعل ما يؤكد هذا الاتجاه ما وردت من تعريفات للتصوف نذكر منها:

قول محمد على الكتاني:

التصوف خلق فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في الصفاء[2] .

أبو القاسم الجنيد[3] حيث قال:

"التصوف عنوة لا صلح فيها ".

سئل سمنون عن التصوف فقال :

"ألا تملك شيئا ولا يملك شيء[4] .

وقال : بشر الحافي لسري السقطي رحمهما الله:

" إن الله خلقك حرا ، فكن كما خلق خلقك ".

---

[1]– القشيري أبو القاسم ، المرجع السابق، ص 279

[2]– العلاوي ابن مصطفى، رسالة الناصر معروف في الذب عن مجد التصوف. المطبعة العلوية، مستغانم، الطبعة الثانية، 1990، ص47

[3]-سنتعرض لترجمته ودوره في التوفيق بين علم الشريعة، وعلم الحقيقة، وقبول ما قاله من طرف الفقهاء، وغيرهم.

[4]– دائرة المعارف الإسلامية، ن ع، المجلد الخامس، ص 292

9-نشأة التصوف

أ-التصوف في الحضارات السابقة

علم التصوف، أو علم سلوك النفس، لا يمكن أن تختص به حضارة دون أخرى، مادام هذا العلم متعلق بالإنسان. والاسم لا يتغير فعله في مجتمع إلا بقدر تعلق الإنسان بالدين الذي يدين به، أو العقيدة التي يعتقد بها. وليس الاسم مدار الخلاف إلا بنسبته إلى الدين في العقيدة الإسلامية، وإلى جذور عميقة في حضارات قديمة تدرس ضمن ثقافة تلك الشعوب، قد تكون صلات بينها عبر طرق مختلفة أقواها الحروب، والهجرات.

وكل دارس لهذه الظاهرة يعزوها لأصل معين محاولا الإلمام بها والتدقيق في أصلها. فكلما ظهرت دراسة منذ – أن لفتت هذه الظاهرة المهتمين بها بشتى انتماءاتهم – إلا و زادت هوة الاختلاف واتسعت رقعت الإصاف. فلا يمكن الجزم بأي حال من الأحوال، وفي أي شكل من الأشكال ماهية التصوف في دلالة الاسم، وأعمال الرسم. فكلمة واحدة في اللغة العربية تشكل من حروفها بالبناء عدة كلمات تفيد معنى واحد[1]، أو من حروفها بالنظم عدة كلمات تفيد معانٍ مختلفة[2]. ووضع عبد القاهر البغدادي[3] ما يزيد عن ألف تعريف لكلمة التصوف. لذا قد يعتبر ضرب من العبث أن يحاول مهما كان تحديد تعريف شامل مانع لهذه الظاهرة، ووصف دقيق حقيق بمعناه في أي ديانة سابقة سماوية كانت أو وضعية، أو وثنية. غير أن الإسلام جاء بأوامر لعبادات بعينها ظاهرة وغيبية هي مقتضى الشريعة الإسلامية وأخرى ذوقية عرفانية هي مقتضى الحقيقة كلاهما يسير على نهج واحد هو السنة أو الطريقة.

وحتى لا نخرج عن الطريقة العلمية في دراسة هذه الظاهرة لابد من التعريف بالتصوف في الديانات والحضارات السابقة مع مراعاة الترتيب الزمني، ثم نعرفه بخصوصياته في الإسلام كونه انتشر بقدر انتشار

---

[1]– الجنة: الجِنة، الجَنة، الجُنة، وهي التواري، والاختفاء، معجم مقاييس اللغة، حرف الجيم.

[2]– قمر: قمر، رمق، رقم، مقر، قرم، مرق. ذكره محمد بن تومرت في باب (الاختلاف في التأليف للشروط الدالة على المعاني)، محمد بن تومرت، أعز ما يطلب، تقديم وتحقيق، عمار طالبي، دار كراردة للنشر والتوزيع، الجزائر، طبعة خاصة، 2013م، ص58.

[3]– هو الأستاذ الإمام أبي منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي ، المتوفي عام 429هـ / 1037م. البغدادي عبد القاهر، الفرق بين الفرق الإسلامية، وبيان الفرقة الناجية منهم، وآراء كبار علمائها، دراسة وتحقيق، محمد عثمان الخشت، مكتبة ابن سينا للنشر والتوزيع والتصدير، مصر، د ت، ص7 وما بعدها

الدين في العالم الإسلامي، وشكل تراثا ليس إسلاميا فحسب بل إنسانيا بكل ما تدل عليه الكلمة من معنا، ونتتبع تطوره تاريخيا، وانتقاله من المشرق إلى المغرب الإسلاميين.

ب–التصوف الهندي

كان للحضارات الشرقية العريقة خاصة الحضارة الهندية أثرها في التصوف الإسلامي في استعمال السبحة ولبس الخرقة، وبناء المقامات. كانت عادات هندية شائعة، ومستعملة لدى كهان البوذية والبراهمة، فقد ظهرت البوذية في الهند، وهاجرت إلى الصين، ومن هناك عبرت إلى اليابان، وتلونت تلك البوذية بألوان ثقافات الشعوب التي اعتنقتها. ومن الطبيعي أن تنشأ طوائف، واتجاهات في سياق التاريخ[1]. غير أن التاريخ لا يسجل صراعات بين تلك الطوائف بالرغم مما حدث في الشرق الأقصى من حروب بين دوله فالعلاقة الحميمة استمرت بين تلك الطوائف الدينية. ففي القرن الثالث الهجري، كان التصوف الإسلامي مشبعا بالأفكار الهندية هذا ما يؤكده هورتين **1927**م–**1928**م،حيث كتب مقالتين حاول أن يثبت فيهما أن التصوف الإسلامي هو بقية مذهب الفيدنتا الهندية[2]، وأن الإيمان بالحلول، والفناء كانت الأفكار الشائعة لدى الهنود، ولقد وصلت هذه الأفكار من بلاد الأندلس، وفارس بعدما اصطبغت بالصبغة الإسلامية، فحملها بعض المتصوفة من أصل غير عربي، وأغلبهم كانوا من الفرس. وهذا في القرن الثالث والرابع الهجريين. مثل إبراهيم بن أدهم، وأبي يزيد البسطامي، ويحي بن محمد الرازي[3].

ج–التصوف اليوناني (الأفلاطونية الحديثة)

إن اتهامات الرهبان المسيحيين، وخاصة السريان ذات أهمية من ناحية نشر الفلسفة اليونانية والأفلاطونية الحديثة في المدارس التي كانوا يشرفون عليها، ويبثون الحكم بواسطتها، ويمكن اعتبار الكتب التي ألفوها منذ القرن السادس الميلادي، والتي ترجمت إلى العربية لها أثر في المتصوفة المسلمين ونلمس ذلك في شيوع الكثير من أفكارها لدى العديد من المتصوفة.

---

[1]– د.ت سوزوكي، التصوف البوذي والتحليل النفسي، ترجمة ثائر ذيب، تقديم وفيق خنسة، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ط2، دت، ص12

[2]– عبيد بوداود، التصوف في المغرب الأوسط مابين القرنين السابع والتاسع الهجريين، رسالة ماجستير. كلية الحضارة الإسلامية، قسم التاريخ وهران، 1999 ص 21. وللتفصيل أكثر ينظر: دائرة المعارف الإسلامية، النسخة العربية المجلد الخامس، ص 274

[3]– عبد الرحمن خالق، الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة، مكتب الكويت، الطبعة الثانية، دت، ص 34

بدأ هذا التيار ينتشر مع النصف الثاني من القرن الرابع الهجري. حيث يرى نيكلسون، أن الثقافة الهيلينية أثرت بشكل كبير في التصوف، بالنظر إلى تأثيرها العام، في الثقافة الإسلامية خلال النصف الثاني من القرن الثالث الهجري، وتتمثل هذه المؤشرات في توليد أفكار الإتحاد، والحلول، وذلك عن طريق الإيمان: "إن العقل عاجز عن إدراك الله، وإن طريق المعرفة الصحيحة هي التفلت من قيود المادة بالتقشف، وقهر الجسد، والتحرر من الدنيا "، وكان من آثار الأفلاطونية؛ كل من مذهب التجلي ونظرة الشمول، ومذهب المعرفة الممزوج بالإشراق، وترويض النفس حتى الذهول[1]، وكذلك تسربت الفلسفة اليونانية إلى العالم الإسلامي، واخذ سلطانها يزداد باطراد منذ أيام الآدرية، والقرامطة القدامى، والرازي الطبيب إلى عهد ابن سينا ، وكان نتيجة ذلك ظهور مصطلحات ميتافيزيقية ، واختلطت هذه الأخيرة باللاهوت المنحول على أرسطو، ويمثل أفلاطون، وفيوضات أفلوطين.[2]

وهذا ما جعل التصوف ينتقل إلى طور آخر، وجعل الصوفية يذهبون في تفسير الإتحاد الصوفي تفسيرا فلسفيا [3].

د– الإتحادية

من ابن مسرة، وإخوان الصفا إلى الفرابي[4]، وابن قسى يقولون : إن الاتحادية هو تأليف معان بتأثير العقل الفعال، والعقل الفعال هو الفيض الإلهي. الفيض الإلهي هو النور المحمدي عند القرامطة والسالمية [(5)] على النفس المنفعلة.

هـ– الإشراقية

من السهروردي الحلبي، والجلدكي إلى الدواني، وصدر الدين الشرازي في كتاب الأسفار[1] يقولون بتجوهر النفس، وتألق النور الإلهي في إشراقات العقل الفعال.

---

[1]– عبيد بوداود، المرجع السابق، ص 52 .

[2]– دائرة المعارف الإسلامية، المرجع السابق، ص 271.

[3]– يركز بركهارت في دراسة التصوف على نظرية ابن عربي في وحدة الوجود، والحلول في تنائية، الناسوت، واللاهوت مستشهدا بالحديث القدسي " قرب النوافل " مستبعدا تصوفه السني . Burckhardt Titus , Introduction to Sufi Doctrine , Foreword by - Cataloging –in - wiliam . c – Library of Congress

[4]– محمد حسن تبرائيان، مقارنة حول التصوف الإسلامي في إيران وإفريقيا، نشأته، تاريخه، طرقه والعلاقة بينهما ،أعمال الملتقى الدولي للزاوية التيجانية، عين ماضي، الأغواط، الجزائر، 23–25 نوفمبر 2006، ص 4 .

[5]– ابن تيمية تقي الدين، مجموعة الرسائل والمسائل، نشر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1412هـ/1992م، ص118

و– الوصولية

من ابن سينا إلى ابن الطفيل، وابن سبعين يلتزمون القول بأن النفس تصل إلى موافقة الحق، ومن ثم تشعر لوجود جامع لأكثر فيه، ولا تعدد، ولا تفرقة بأي وجه من الوجوه.

ز–التصوف الفارسي

إن أعلام التصوف، جميعهم بلا استثناء في القرنين الثالث، والرابع الهجريين،كانوا من الفرس، وبالرغم من ذلك ظل المتصوفة يواصلون نشره في أرض فارس، على الخصوص ثم العراق. وقد أقام رجل اسمه أبو سعيد المهني نظاما خاصا للخانقات، الذي أصبح فيما بعد مركزا للصوفية، في بلاد فارس، وسرعان ما انتشر في العراق، ثم في الشمال الإفريقي. فالبيئة الفارسية أنتجت لنا الجديد في التصوف، مشاهير التصوف في عصر المغول، والعصر الذي سبقه هم: نجم الدين الكبرى، نجم الدين داية، وقطب الدين حيدر، وفي العهد التيموري، ظهر علاء الدين السمناني، وعبد الرزاق الكاشاني، ونعمة الله ولي. ويعد هذا الأخير من أكثر مشايخ المتصوفة إنتاجا نظما، ونثرا، حيث وهب التصوف الفارسي نكهة و روحا[2].

ومع حلول القرن السابع الهجري توسعت جغرافية التصوف لتبلغ آسيا الوسطى، وقد برز في تلك المنطقة شيوخ عظام مثل صدر الدين القونوي، وجلال الدين الرومي، جهدوا في إبقاء التصوف يخبو فلا ينطفئ، وتأسست طرق صوفية كثيرة من أبرزها البكتاشية، والمولوية اللتان أصبحتا من أشهر الفرق الصوفية في آسيا الوسطى، وأصبح لها نفوذ واسع، وتظهر سيطرتها في العهد العثماني[3]. وفي نفس الفترة بالتقريب،ظهر في الهند أيضا متصوفة أعلام منهم: بهاء الدين أولياء، وبهاء الدين زكريا، وبعد ذلك جاء العهد الصفوي 906–1135هـ نسبة إلى الشيخ صفي الدين الأردبيلي المتوفي 735هـ، والذي انكمش في فترة حكمه التصوف، وانعزل نظرا لتقريبه الفقهاء، والعلماء الذين كانوا خصوما للصوفية، وبذلك تخلخل نفوذ مشايخهم، وتضعضعت مكانتهم. وهذا لم يمنع بقاء الفكر الصوفي، وتأثيره؛ وخاصة ابن عربي الذي ترك بصمات واضحة على التصوف الإيراني من خلال كتابه فصوص الحكم.

---

[1]– تبرائيان محمد حسن ، المرجع السابق، نفس الصفحة

[2]– تبرائيان محمد حسن، المرجع السابق، ص 4

[3]– سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي، ط1، ج1، 1998، ص 25

وتظهر بوضوح نظرية وحدة الوجود في الفص الإدريسي، وهو أبلغ نصوص الكتاب تعبيرا عن مذهبه في التصوف حيث يقول في هذا الفص:"ومن أسمائه الحسنى العلي من ثم هو فهو العلي لا علو إضافة إلى العيان التي لها القدم الثابتة فيه شمت رائحة عن الموجود فهي على حالها مع تعداد الصور في الموجودات، والعين واحدة من مجموع في المجموع فوجود الكثرة في الأسماء، هي النسب، وهي صورة عدمية، وكيس إلا العين الذي هو الذات، فهو العلي لنفسه لا بالإضافة، فما في العالم في هذه الحيثية علو إضافة لأي الوجوه الوجودية متفاضلة، فعلو الإضافة موجود في العين الواحدة من حيث الوحدة الكثيرة لذلك نقول فيه هو لا هو أنت[1]. وهذا الكلام أثر في التصوف الفارسي أيما تأثير، ومع زوال الدولة الصفوية **1135**هـ[2]، مر التصوف بأحلك فتراته، وذلك في ظل حكم نادر شاه **1148-1160**هـ، وكذلك كريم فان زند، حيث تعرض المتصوفة، ومشايخهم إلى أقصى الضغوط، والمضايقات، مما دفع الكثير منهم إلى الهروب أو العزلة.

غير أن الأمر اختلف مع حكم القاجاريين **1210-1344**هـ. وخاصة في عهد ناصر الدين شاه القاجاري، وعلى كل؛ ففي بلاد فارس لعبت البيئة دورا في محاولة إخراج الزهاد من عزلتهم إلى القيام بدور فعال في المجتمع، وبالأحرى أن يعلوا مركز الخلفاء ليوازي مكانة النبي صلى الله عليه وسلم.

ح-التصوف المسيحي

والبداية مع إبراهيم ابن الأدهم[3]؛ أوائل أئمة التصوف، وكثيرا ما نجد حضوره في الكتب الصوفية، سواء عن سيرتهم، أو مكانتهم الاجتماعية، والسياسية، وشأنهم الرفيع حيث أنه كان من أبناء الملوك، وملكا لبلح[4]، فترك الملك، والزوجة، والأولاد، وكل ما كان يملك؛ للنداء الغيبي مثلما ترك ملاذ الدنيا وزخارفها.

---

[1]-ابن عربي محي الدين ، الفتوحات المكية، ض، ث، و، ح، أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1،ج4، 1420هـ/1999، ص 110

[2]- تبرائيان ،الرجع السابق ،ص5

[3]- هو: أبو إسحاق، إبراهيم بن أدهم بن منصور (توفي 161هـ/778م)، القشيري، المرجع السابق، ص391. ابن الجوزي أبي الفرج عبد الرحمن، سلوة الأحزان، المرجع السابق ، ص51

[4]- إحسان إلهي ظهير، التصوف المنشأ والمصدر، إدارة ترجمان، فلسفة شاحمان لاهور، باكستان، الطبعة الأولى سنة 1406هـ /1986م، ص 52

كما نسبت إليه بعض الأقوال منها: "إذا تزوج الفقير فمثله مثل رجل قد ركب سفينة إذا ولد له ولد غرق[1].

وبهذا نجد مدحا للعزوبة، وذما للتزويج، وهذا نجد له مكانا خاصا عند رهبان النصارى، ونساك اليهودية، وهذا يعارض قوله عز وجل:" ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون[2] ".

وقوله صلى الله عليه وسلم :" تزوجوا الودود الولود فإن مكاثر بكم الأمم يوم القيامة"[3]، وفي رواية مباهي بكم الأمم يوم القيامة ". فهذه هي تعاليم الشريعة التي يأمر بها القرآن وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتلك هي أقوال الصوفية المأخوذة من رهبان المسيحية التي من مميزاتها ترك الدنيا، والتجرد من المال، والتّجوّع، والتعري من مفاخر الثياب، والأغراض عن زينة الحياة المباحة، باسم الانقطاع إلى الآخرة.

وهذه هي تعاليم الإسلام؛ إلا أنه يراعي فيها، عدم الغلو، ويحذر فيها من التشديد في الدين. ويمكن القول أن الإسلام أنتج الصوفية كفرقة إسلامية، يمكن القول كذلك أن التصوف ضمن نزعته الأولى المعتدلة كان فكرة إسلامية خالصة، إلا أن التطورات التي عرفها خلال القرن الثالث الهجري توحي بأن أفكارا جديدة بدأت تطرأ عليه مما أفقده شيئا من خصوصيته الإسلامية الأولى.

هذه الأفكار التي غالبا ما كانت ممزوجة بالفلسفة، وخصوصا على عهد الترجمة، والعصر الذهبي للدولة الإسلامية أي القرنين الثالث، والرابع الهجريين. كما ولّد هذا الاحتكاك بالحضارات المغلوبة لدى التصوف ظاهرة مخاطبة الوجدان والقلب[4].

وإذا كانت هذه المصادر الخارجية بمثابة الغذاء الذي طور، وأنمى التصوف فلا يمكن أن يعزي أهله إليها، إذ لابد من وجود مصادر داخلية بنى عليها التصوف ركائزه. لأن التصوف الإسلامي وليد البيئة المحلية العربية، والدين الإسلامي، والتاريخ الإسلامي الذي ساهمت أحداثه في بلورة، وتعميق الفكر الصوفي لدى المسلمين، ووسع في أفق الثقافة الإسلامية إضافة إلى دور المؤثرات الأجنبية التي قد تكون

---

[1]–ابن الجوزي، المرجع السابق، ص51

[2]– سورة الروم، آية 21

[3]– رواه بخاري ومسلم

[4]– عبيد بوداود، المرجع السابق، ص 21

من بين العوامل المسؤولة عن الانحراف الذي شهده التصوف أثناء مراحله على مستوى الأفكار، وتعدى ذلك حتى على مستوى الممارسة. فكان هناك نظام وقد أصلحوا ما أمكن إصلاحه، وهناك ممارسون بنوا قواعده وأسسه.

10–التصوف الإسلامي

من تأمل التصوف، وربطه بالزمن وجده على أنه مسألة بين إرادة الله الخالق، وإرادة العبد المخلوق،فمشيئة الله تتمثل في معرفة الله، ومعرفته تقتضي العبودية، وحسب. قال تعالى: "وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون " وفي الحديث القدسي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تعالى: " كنت كنزا مخفيا فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق ليعرفوني". فأضاف المحبة إلى المعرفة. وإرادة الإنسان هو معرفة الله، وقد نستدل عليها بالحس، والعقل معا، فكل المخلوقات دالة على وجود الخالق، كما أنا العقل يصل إلى حقائق تثبت ذلك. لكن هناك طرق أخر لمعرفة الله، وهو حب الله الذي نبادله معه. ومن هذا فمفهوم التصوف، وليس المفردة، يتزامن مع وجود الإنسان الذي يريد أبدا التقرب إلى خالقه. ولما بعث الله نبيه الكريم جعله عبدا رسولا، وأمره بالإسلام، والإيمان، والإحسان. أي بالأوامر في الأعمال الظاهرة. وأخرى غيبية[1]. ودرجة أخرى هي مقام المراقبة الذي اتخذ منه الصوفية مسلكا للتقرب إلى الله، وأولهم نبيه محمد صلى الله عليه وسلم. فالمفهوم وجد متى وجد الإنسان من لدن أدم إلى يوم يرث الله الأرض ومن عليها. متى ظهرت كلمة التصوف ؟

بالعودة إلى التسلسل التاريخي للأحداث، لابد من سياق تتجمع فيه مؤثرات عامة، وخاصة تصلح لأن نجعلها مرتكزات نتتبع استنادا عليها بالتحليل الأشياء المدركة لسيرورة ظاهرة مثل التصوف، لذلك لابد أن تكون هذه المرتكزات تاريخية، وسياسية، وجغرافية. هذا في شق، وفي شق ثاني أقطاب هذه الظاهرة وتأثيراتهم التي خلقت ذلك التباين، والتمايز بالرغم من المصدر الذي يجعلونه واحدا، والمشتركات العديدة. فمصادر التصوف الإسلامي أجنبية حسب بعض المستشرقين، وبعض المسلمين من الفقهاء كابن تيمية، وابن الجوزي، لكن في رأي الآخرين فهو إسلامي خالص، وسنرى مرتكزاته التي تنبع من تعاليم الدين الإسلامي .

[1] – ((إنما أنا بشر مثلكم يوحى إليّ))، سورة الكهف، الآية 110

أ– الزهد

بغض النظر عن المصادر الخارجية لبروز التصوف، فهناك مصادر داخلية لها دور كبير في ظهور هذه الحركة، وتطورها، أو بالأحرى كان لابد من وجود مكامن تمثلت في عوامل داخلية لبروز التصوف.

يعتبر الصوفية أن تعاليمهم خالصة من أي تأثير أجنبي خارجي عدا القرآن، وسيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم، و أن منابع التصوف هي القلب، الكشف، والشهود، والمواهب الإلهية.

لقد تجلى التصوف الإسلامي عبر تاريخه الطويل في ثلاثة وجوه:

–التمسك بالشريعة، وعدم ترك ضرورياتها .

–الاستناد إلى الذوق، والشهود القلبي، والروحاني دون التقيد بالحدود الشرعية المتعارفة.

–الجمع بين الصورتين، ومراعاة الاعتدال في الالتزام بالشريعة، وطلب الحقيقية.

إن دليل المتصوفة في زهدهم هو زهد الرسول صلى الله عليه وسلم، بحيث يعتبرونه قدوة لهم حيث كان صلى الله عليه وسلم، عاكفا على العبادة معرضا عن زخرفة الدنيا، يعيش عيشة تقشف، وكان يخلو بنفسه، ويكثر من المجاهدات، والانقطاع إلى الله، والإعراض عن الدنيا، وزينتها، والتعلق بالحياة الآخرة وهذه الصورة الأولى لحياة الصوفية، فالمجتمع العربي الإسلامي على عهد الخليفة عثمان ابن عفان رضي الله عنه، امتاز بطابع اجتماعي أدى إلى نشوب حرب أهلية بين المسلمين، انتهت بفتنة كبرى عرفها المسلمون. ففي هذه المرحلة تفتحت النزعة الصوفية، وولدت مواقف تميزت بطابع سلبي اتجاه الصراع وهي الزهد[1].

إن النزوع إلى التصوف – وما خلا منه قطر من الأقطار، أو الأمة من الأمم – لم يكن يعوز البلاد العربية الإسلامية في القرنين الأولين للهجرة، فإذا ما استبعدنا الأساطير المتأخرة. فإننا نجد الجاحظ وابن الجوزي وهما من القصاص[2]، قد حفظا لنا أسماء ألف وأربعين زاهدا[3] عاشوا حقا في ذلك العهد، وكان إبطانهم العبادات دلائل بينة على حياة التصوف، وبهذا يمكن اعتبار التصوف خرج من صلب الحركة الإسلامية، وأن الرسول الله صلى الله عليه وسلم كان قدوة للصوفية في زهده. كما يجوز للمتصوفة

---

[1] – مروة حسين، تراثنا كيف نعرفه، مؤسسة الأبحاث العربية، لبنان، د ت، 1985، ص 355

[2] – دائرة المعارف الإسلامية، المرجع السابق، ص 267

[3] – جاء في كتاب ابن الجوزي، سلوة الأحزان بما روي عن ذوي العرفان ترجمة لمائة وأربعة عشر علم.

المسلمين أن يعدوا بين الصحابة؛ رجلان يعدان بحق السابقين إلى التصوف هما: أبو ذر وحذيفة رضي الله عنهما. وجاء بعد هؤلاء، النساك، والزهاد، والبكاؤون، وهذا كرد فعل للوضع الذي كان سائدا بعد مرحلة الفتنة الكبرى، وبالتالي الانصراف عن العمل الاجتماعي، وتفضيل الاعتزال السياسي، والانقطاع لعبادة الله خشية من عذابه، وتحت تأثير العوامل السالفة الذكر، برز آنذاك أول متصوف اعتزل، وانصرف عن الوضع السائد هو "الحسن البصري" المتوفي عام 110هـ(728م)، وهو شيخ المتصوفة من العرب الذين استوطنوا البصرة[1] من بني تميم، مفطورين على النقد لا يؤمنون إلا بالواقع، كلفوا بالمنطق في النحو، والواقع في الشعر والنقد في الحديث. فكان الحسن البصري أشد ما يكون في الخوف من عذاب الله كأن النار خلقت له، وكان ينأى بنفسه عن السياسة، ويؤثر العزلة .

ولما سئل عن الفتنة الكبرى رد قائل: "حرب لم أغمس فيها سيفي فكيف لي أن أغمس فيها لساني". وهنا بدا الانعزال واضحا، والتقوى، والعناية بأخبار آخر الزمان، وأن الأرض سوف تمتلئ قسطا، وعدلا بعد أن ملئت جورا وظلما. فتميزت هذه المرحلة بالإخلاص، ومحاسبة النفس، والإعراض عن زينة الحياة.

فمنهم من أعرض عن العلم شغلا بالزهد، ومنهم من ترك المباح الحلال، فلا يزيد في طعامه على خبز الشعير، ولبس أحقر اللباس من الصوف، والزهد في النوم ، وفي الحديث، لا يتحدثون إلا فيما يرضى الله ويتجلى ذلك في الذكر، مستشهدين بذلك في طريقة الرسول صلى الله عليه وسلم، وأصحابه، باعتبارهم يمثلون النواة الأولى لحركة الزهد في الإسلام، وكانوا أرهاصا للصوفية في عهدهم الزاهر منهم: أبو الدرداء، وأبو ذر الغفاري، وحذيفة[2]، وجاء بعدهم الحسن البصري و تلاميذه رضي الله عنهم جميعا.

لقد شهد الزهد[3] تغييرا خلال القرن الثاني للهجرة، وأهم مميز هذا العهد بروز شخصية إبراهيم بن الأدهم، وعبد الله بن مبارك (ت 181 هـ)، وهؤلاء اعتبروا الزهد ليس اعتكافا للعبادة فقط، وإنما معرفة الله، وعدم الإشراك به[4]، ومع اقتراب نهاية القرن الثاني للهجرة ظهر الزهد في حلة أخرى، وبرزت هناك

---

[1] – ابن الجوزي ، المرجع نفسه، ص 41

[2] – زهد المبتدئ هو ترك الفضول من الحلال، وزهد المتوسط هو ترك ما لا يعنيه، وزهد المنتهى هو ترك ما يشغل العبد عن الله تعالى. الرازي أبو بكر عبد الله بن شاهاور، منارات السائرين ومقامات الطائرين، تح، تق، سعيد عبد الفتاح، دار سعاد الصباح، الكويت، ط1 1993، ص 198

[3] – يعتبر الزهد هو التصوف، غير أن الأقوال في التصوف تختلف عما قيل في الزهد. ابن الجوزي أبي الفرج، تلبيس إبليس، المرجع السابق ص157

[4] – ابن الجوزي ،المرجع نفسه، ص51

رابعة العدوية (185هـ-801م) بتقريبه إلى حدود التصوف كما أن معروف الكرخي (200هـ-815م) سار على نفس المنوال، فرابعة امتازت بالزهد الذي يعبر عن الأخلاق (العشق الإلهي)، والانتقال من عامل الخوف عند الحسن البصري إلى عامل الحب عند البغداديين. أما معروف الكرخي فمن صفاته التي عبر عنها بزهده أنه أراد أن يتصدق بثوبه الوحيد ليخرج من الدنيا كما دخلها أول مرة.

وطبقا لما ورد في المصادر أن مع هؤلاء المذكورين آنفا ظهرت بعض المصطلحات من قبل العشق الإلهي. ووحدة الوجود، الفناء، والبقاء.

فقد رأت هذه المصطلحات النور في عصر رابعة العدوية، مما يعني أن المتصوفة الأوائل، لم يكونوا يعرفون النظام الفكري، والهيكل الاجتماعي للتصوف، والذين أنشئوا لاحقا مثل الخناقاه، وعلاقة المريد بالمراد، والطقوس الأخرى الخاصة بهم حتى منتصف القرن الثالث الهجري، حيث بدأت المفاهيم بالتبلور شيئا فشيئا، ونضجت الظاهرة بظهور مشايخ كبار حملوا راية التصوف، واثروا التراث الصوفي بمؤلفاتهم ومن هؤلاء مشايخ مدرسة بغداد، وأبرز أعلامها "الجنيد" رضي الله عنه المتوفي (295هـ).سيد الطائفة، وإمامهم.

فكان كلامه مقبولا على جميع الألسنة، واقتدوا به فهو أول من نادي بالتمسك بالكتاب والسنة، وجعل من أخلاق الأنبياء مقامات للتصوف، ومظاهر خاصة بالصوفية[1]، فمن الزهد والعبادة، والشك انتهينا إلى التصوف. يقول ابن الجوزي في هذا الصدد: " أن التصوف طريقة كان ابتداؤها الزهد الكلي[2] " ويقول ابن عجيبة عن الزهد في كتابه : "معراج التشوف إلى حقائق التصوف"، هو خلق القلب عن التعلق بغير الرب[3] أو برودة الدنيا في القلب، وعزوف النفس عنها. فزهد العامة ترك ما فضل عن الحاجة في كل شيء، وزهد الخاصة ترك ما يشغل عن التقرب إلى الله في كل حال، وزهد خاصة الخاصة ترك النظر إلى ما سوى العالي في جميع الأوقات، وحاصل الجميع برودة القلب عن التّسوي، وعن الرغبة في غير الحبيب.

[1] – جلاء شرف محمد، دراسات في التصوف الإسلامي شخصيات ومذاهب، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1406هـ/ 1984 ص 241

[2] – ابن الجوزي تلبيس إبليس المرجع السابق، ص 156

[3] – ابن عجيبة عبد الله أحمد، معراج التشوف إلى الحقائق التصوف، تقديم وتحقيق عبد المجيد خيالي، مركز التراث الثقافي المغربي، الدار البيضاء، د ت، ص 8

وهو سبب المحبة كما قال عليه الصلاة والسلام، أزهد في الدنيا يحبك الله " الحديث وهو سبب السير والوصول. إذ لا يسير القلب إذا تعلق بشيء سوى المحبوب[1].

إذن هذه الأفكار بدأت تنسجم مع ظهور المؤلفات مع الطبقة التي يتقدمها الجنيد[2]، وأبو سعيد الخراز المتوفى 277هـ، وأبو الحسن النوري (المتوفي 295هـ)، حيث بدأت تصانيفهم تحتل موقعها في المكتبة الإسلامية، بل في الثقافة الإسلامية، وفي هذه المؤلفات، قوت القلوب لأبي طالب المكي المتوفي (386هـ) واللّمع في التصوف لأبي نصر السراج الطوسي. والتعرف لمذهب أهل التصوف لأبي بكر الكلاباذي ، وتهذيب الأسرار لأبي سعيد النيسابوري، وازدهرت حركة التأليف عند المتصوفة فيما بعد، وانتعشت كما، ونوعا مع دخول القرن الخامس الهجري، الذي عرف تدوين أمهات المنابع الصوفية مثل "كشف المحجوب للهجويرى، وإحياء علوم الدين للغزالي، وعوارف المعارف لشهاب الدين السهروردي[3].

في حين أن هذا التطور تسارع إلى حد بلغ فيه التأليف إلى وضع الترجمة لطبقات الصوفية، وتوثيق تاريخهم بدءا من منتصف القرن الرابع الهجري، ومن رواده؛ أبو عبد الرحمن السلمي النيسابوري الذي استعرض في كتابه طبقات الصوفية حوالي 103 من رؤوس المتصوفة مع ذكر بعض أقوالهم، وفيه صنف الصوفية إلى خمس طبقات[4].

إن أقدم صورة للتصوف الإسلامي هي الزهد، والتقشف، الذين كانا أساسا لرد فعل، وانقلاب، ومد بظهر للدنيا، وحبها، والانهماك في الملذات. وهذا يمكن اعتباره في الأمل ثورة داخلية، وهيجان فكري ضد المفارقات الاجتماعية في وجود الأفراد.

وأهم من هذا وذاك؛ أن الزهد رد فعل للخطايا، والمعاصي الشخصية الخاصة، والإقبال على تصفية الباطن كي يكون موضعا لرضى الله بكل الوسائل الممكنة. وهذا ما يمكن أن نلتمسه في أسلوب حياة الصوفية، وأقوالهم في العصر الأول أو زهاد فجر الإسلام.

---

[1] – نفس المرجع، نفس الصفحة

[2] – تبرائيان محمد حسن المرجع السابق ، ص1. القشيري، المرجع السابق، ص430

[3] – يشتمل على نيف وسين بابا ،للتفصيل أكثر ينظر: الغزالي أبو حامد ، الملحق، ج5، المرجع السابق، ص43

[4] –السلمي أبي عبد الرحمن محمد بن الحسين، طبقات الصوفية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1424هـ/2002، خمس طبقات؛ ويبدؤه من المائة الأولى للهجرة.

لقد زاد التطور الثقافي الإسلامي قدر اتساع رقعته الجغرافية وورث الزهاد مفاهيم جديدة ظهرت في تاريخ الحياة الإسلامية تحت اسم واحد هو التصوف. من بينها علم الأصول، وعلم المكاشفة وعلم الحقيقة. ولما نشأ البحث في العقائد، والتماس الإيمان من طريق النظر أو النصوص المقدسة، وتوجهت همم المسلمين إلى التماس المعرفة على أساليب المتكلمين، أصبح الكمال الديني، التماس الإيمان والمعرفة من طريق التصفية، والمكاشفة[1] المسمى بعلم الباطن، وهو التصوف ؛ الذي هو عبارة عن نور يظهر في القلب عند تطهيره، وتزكيته من صفاته المذمومة فينكشف بذلك النور أمورا كثيرة، وتحصل المعرفة الحقيقية بذات الله سبحانه وتعالى، وصفاته الباقيات، وبأفعاله، وبحكمته في خلق الدنيا والآخرة، ولا يأتي ذلك إلا بالزهد الذي أصبح يعرف فيما بعد بالتصوف. بل علم من علوم التصوف[2].

لا عجب إذا قلنا بأن التصوف هو الزهد، بالنظر لما قيل في ذلك، ولست أدري فيما التحرج إذا وصف الزهد بالتصوف لدى البعض أو العكس!

فقد قال الجنيد في الزهد: خلو الأيدي من الأملاك، والقلوب من التتبع، وسئل الشبلي عن الزهد؟ فقال: لا زهد في الحقيقة، لأن إما أن يزهد فما ليس له، فليس ذلك بزهد، أو يزهد فيما هو له، فكيف يزهد فيه وهو معه وعنده، فليس إلا ظلف النفس، وبذل مواساة. ويستشف من هذا القول أنه – الزهد–لا وجود له غير، أن الشبلي يقصد بذلك عدم الاعتزاز. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "إذا رأيتم الرجل قد أوتي زهدا في الدنيا، ومنطقا فاقربوا ا منه فإنه يلقى حكمة[3]. كما أننا نجد القرآن يشير إلى العلماء بالزهاد في قوله تعالى:"وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير"[4]. وقيل هم الزاهدون و يقول سهل بن عبد الله[5]: للعقل ألف اسم، ولكل اسم منه ألف اسم، وأول كل اسم منه ترك الدنيا. وفي موضع

[1] – دائرة المعارف الإسلامية، المرجع السابق، ص 84

[2] – نشر المحاسن الغالية، المرجع السابق، ص 142

[3] – الغزالي أبي حامد، المرجع السابق، ص 233

[4] – دائرة المعارف الإسلامية، المرجع السابق، ص 276. وقال أيضا: أن الله تعالى سلب الدنيا عن أوليائه، وحماها عن أصفيائه، وأخرجها من قلوب أهل وداده لأنه لم يرضها لهم. نشر المحاسن الغالية في فضل مشايخ الصوفية، ص 141

[5] – هو أبو محمد بن عبد الله التستري ،(283/200هـ)،ينظر ترجمتهفي: القشيري ،المرجع السابق، ص400. ابن الجوزي، سلوة الأحزان،المرجع السابق، ص48

آخر،يقول:" أعمال البر كلها في موازين الزهاد، وثواب زهدهم زيادة لهم ". وقال سري[1]: " الزهد ترك حظوظ النفس من جميع ما في الدنيا ". وهذا يشمل كل ماله علاقة بالإنسان من نصيب. وسئل الشبلي عن الزهد فقال : " الزهد غفلة لأن الدنيا لا شيء، والزهد في لا شيء غفلة ". وقال بعضهم : " لما رأوا حقارة الدنيا زهدوا في زهدهم في الدنيا، لهوانها عندهم ". وهذا ما يفسره ظهور الاسم الذي يوصف به جماعة من الخواص ممن لهم شدة عناية بأمر الدين فكانوا يسمون الزهاد، والعباد.

غير أن الزهد عرف قبل ذلك ؛ إذ ورد عن سفيان الثوري رحمه الله أنه قال :" لو لا أبو هاشم الصوفي[2] ما عرفت دقيق الرياء".

وبعد هذا العرض الموجز لعلاقة الزهد بالتصوف – وكيف كان للزهد من تأثير على تطور ثقافة أخرى بغض النظر عن أوجه المخالفة، والمؤالفة؟ – نتعرض إلى الفرق بين الزهد والتصوف.

ب–الفرق بين الزهد والتصوف

كثيرا ما نجد الزهد مقرونا بالتصوف غير، أن التصوف يختلف عن الزهد إذا وضعنا مقابلا، من نواح ثلاث:

– المنهج

–الفكر

–الغاية

فالتصوف ليس فكراً أو مذهباً ابتدعه العقل، بل هو خبرة داخلية لا خيار فيها لمختبرها [3]، وهو ذو شخصية شبه مستقلة، فإن أوّل وخرج، ولم يخرج عن الأصول، كان متصوفا إيجابيا، وان أوّل وخرج، ولم يهتم بالوسيلة في التكاليف الدينية كان متصوفاً سلبياً، يرى أنه من الخواص، من أصحاب العرفان[4].

---

[1] – هو أبو الحسن سري بن المغلس السقطي توفي (253هـ/867م)، القشيري المرجع نفسه ،ص417. ضيف شوقي، المرجع السابق ، ص109

[2] – دائرة المعارف الإسلامية، المرجع السابق، ص447

[3] – خياطة نهاد، دراسة في التجربة الصوفية، دار المعرفة، دمشق، ط1، 1414هـ / 1994م، ص121

[4] – عثمان حجازي عبد الرحمن، التربية الإسلامية في القيروان في القرون الهجرية الثلاثة الأولى، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 1417هـ/ 1997م، ص290

ومن هذا فإن علامة الصوفي الصادق أن يفتقر بعد الغنى، ويذل بعد العز، ويخفى بعد الشهرة. والصوفي الكاذب؛ أن يستغني بعد الفقر، ويعز بعد الذل، ويشتهر بعد الخفاء[1]. وقال رويم : كلٌّ الخلق قعدوا على الرسوم، وقعدت هذه الطائفة على الحقائق، وطالب الخلق كلهم أنفسهم بظواهر الشرع، وهم طالبوا أنفسهم بحقيقة الورع، ومداومة الصدق[2]. هذا فيما يتعلق بالمنهج بالنسبة للتصوف. أما الزهد من الناحية المنهجية فحدوده الشرع، ووسيلته التكاليف الدينية. يقول: أبو يزيد البسطامي ((لو نظرتم إلى رجل أعطي من الكرامات حتى يرتقي في الهواء فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهي وحفظ الحدود وأداء الشريعة))، وهو برودة وقع الأشياء على القلب، وعدم التعلق بها، والإيثار بها على النفس ولو كان بها خصاصة[3]. أما فكريا فالزاهد محوط بجلال الله وقوته وسلطانه وإرادته. لكن الصوفي إما أن يكون مطمئنا إلى رحمته ولطفه. وإما أن يحيا قلقا معذبا ساعيا لتحطيم حجاب الآنية، وهو في المعنى الأول إيجابي، وفي المعنى الثاني سلبي.

أما من الناحية الغائية، فالزاهد يعرض عن لذائذ الحياة ويتحمل مشاقها طمعا في الكسب الأخروي.

وأما الصوفي فيفعل ذلك؛ إما لغاية معرفة الله ومعاينته، والسعادة بمطالعته، والقرب منه والعودة لصحو الحياة، والعمل لها وترقيتها فيكون متصوفا إيجابيا. وإما لصعق الفناء والاتحاد بالله أو السعي للحلول فيه أو توكيدا لهذه المذاهب، وما تولد منها فيكون متصوفا خارجيا.

أما المجاهدة في مفهوم الصوفية لا تعني اجتثاث الشهوة فهذا، في المنهج المخالف للفطرة البشرية ولكن إعداد النفس بالضوابط، والقدرة على توجيه الشهوات، فيرضى الله ويتفق مع الشرع، ولذلك كانت الأهداف تتمثل في:

_ تهذيب النفس: حيث تعلم النفس أنها مربوبة متعبدة، ثم بعد هذا تبدأ الطاعة لمولاها، ولن تجد ذلك إلا في كتاب الله وسنة نبيه، لأن الطاعة سبيل النجاة، والعلم هو الدليل على السبيل، فأصل الطاعة الورع[4]

[1] – القشيري أبو القاسم، المرجع السابق، ص 279

[2] – الجوزية ابن القيم، تلبيس إبليس، المرجع السابق، ص155

[3] – المحاسبي الحارث، المسائل في الزهد، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الشهاب للطباعة والنشر، الجزائر، د ت، ص6

[4] –الورع، في المنطق أشد منه في الذهب والفضة، والزهد في الرياسة أشد منه في الذهب والفضة لأنك تبذلهما في طلب الرياسة، وقال أبوسليمان الدراني: الورع أول الزهد، كما أن القناعة طرف من الرضا، القشيري، المرجع السابق، ص110

وأصل الورع التقوى، وأصل التقوى محاسبة النفس[1]، وأصل محاسبة النفس الخوف، والرجاء، وتهذيب النفس يكون بصفاء القلب. فالقلب محل الإيمان، ومخافة الله في السر والعلن. واليقين بأن الله عزّ و جل مطلع على القلوب والسرائر، وما تخفي الصدور، وكذا إتباع الحق ما يراه حقا آ كان موافقا للناس أم مخالفا متماشيا مع القوانين الاجتماعية البشرية أم لا. وكذلك الاستشعار بمراقبة الله، والتدريب على تحمل المشاق، والانقطاع عن الخلق وصولا إلى الله. قال الجنيد: ((من أراد أن يسلم له دينه ويستريح بدنه وقلبه ليعتزل الخلق))، ولهذا هرع بعض أقطاب الصوفية إلى الفيافي والتُرب، والكهوف، والجبال حتى تكتمل لهم الخلوة، والانقطاع عن الخلق . وهذا جعلهم ينقطعون إلى الرباط. والرباط أخذت تسميته من مرابطة المجاهدين في سبيل الله. ومن هنا نفهم بأن الفكر الصوفي هو ذاته الذي ولد منهجا في الجهاد والمقاومة بناءً على الانفراد كجهاد النفس إعدادا للجهاد الجماعي، حيث كان المجاهدون يرابطون بالرباط فترة من كل عام للجهاد، والدراسة وتدريس العلم احتسابا لوجه الله.

ج- الجهاد عند الصوفية

إن بعض الفقهاء يرون بأن الجهاد واجب على المسلمين في حين يرى بعضهم الأخر أن قتال المشركين لا يفرض إلا أن تكون البداية من المشركين ، فحينئذ يجب على المسلمين القتال دفاعا عن أنفسهم لظاهر قوله ((وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة)) ، لكن إذا تتبعنا فكر مشايخ الصوفية ونهجهم في الجهاد وجدناه مرتبا بالتدرج كما صدر من الله عزّ وجل في كتابه العزيز. وبذلك هم ينتهجون هذا على أساسه. وفي البداية كان النبي صلى الله عليه وسلم مأمورا بتبليغ الرسالة والإعراض عن المشركين بناءً على ما أمره به الله في الآية الكريمة ((فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين)) ثم بقي على هذا الأمر، حتى أمره الله سبحانه بمجادلتهم في طريق الدعوة وهو سبيل من سبل الجهاد، حيث قال تعالى: ((ادع إلى سبيل ربك بالموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن))، وفي مثل قوله تعالى: ((ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقالوا أمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا واحد ونحن له مسلمون))، وبعد هذا جاء الإذن للمسلمين بالقتال بعد صبر طويل على الظلم والأذى في

[1]- ألفَ ابن عربي الحاتمي كتابا سماه: رسالة روح القدس في حاسبة النفس وتحدث عن كل ما يعتري النفس وكيفية محاسبتها حتى تتغلب عليها.

قوله تعالى لرسوله الكريم: ((أُذِنَ للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وأن الله على نصرهم لقدير))، وهذا منهج الصوفية في الرباط وسنعرج على ذلك.

وتلا هذا الأمر أمر أخر في باب القتال لكن على أن يكون ذلك خارج الأشهر الحرم حيث قال تعالى: ((فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين كافة))، وهذا أيضا يدل على أن أمر القتال يكون في وقت معين من السنة إما لعظمة، وحرمة تلك الأشهر، أو فراغ المسلمين من شؤونهم، أو لحكمة يعلمها الله، ثم تلا ذلك القتال مطلقا لقوله تعالى: ((وقاتلو في سبيل الله واعلموا أن الله سميع عليم)). وهذا ما كنت قد أشرت إليه في البداية أن القتال في فكر، ومنهج الصوفية دفاعا عن سنة الله الكونية، وما جاء به الأنبياء والرسل وما نسخ[1] به الرسول سنن من جاء قبله من الرسل. وكل مرحلة من هذه المراحل التي جاءت متدرجة كانت تمهد للتي بعدها، غير أنه يفهم من سياق التتابع أن الجهاد كما هو في فكر الصوفية من مشايخ، وأولياء مقصودا لإعزاز الدين وقهر المشركين، وليس المقصود منه مغنم دنيوي واحتلال أرض واغتصابها بفرض تشريع الجهاد، والقتال في سبيل الله. ولذلك لو اعتمد الدين في انتشاره على القهر والقوة، والعنف لما تسنى له ذلك، ولكن فرض بمنطق الدفاع، ولا إكراه. وهو يمثل في هذا مقاومة كل أشكال الإرهاب، وعلى هذا النهج سار مشايخ الزوايا والأولياء. وحركة الإسلام الجهادية حركة دفاعية وهو دفاع عن الإنسان ذاته ضد جميع العوامل التي تقيد حريته، والمتمثلة في المعتقدات والتصورات، كما كانت تتمثل ولا تزال في الأنظمة السياسية القائمة على الحواجز الاقتصادية والطبقية، والعنصرية التي كانت سائدة. ومن هنا نجد أن الجهاد الباعث عليه هو الاعتداء وليس الكفر.

11- الرباطات بالمغرب الإسلامي

أقام الصوفية في الرباطات، فكانوا مرابطين يدافعون عن شواطئ إفريقيا والمغرب، كما أن الرباط ملجأ يلتجئ إليه السكان المجاورون له في حالة هجوم العدو، وكان أيضا نوع من الخانقاه[2] يحيا أصحابه بإرشاد شيخ زاهد[1] حياة التقوى، ويتلقون تعليما إسلاميا، وكان الرباط يستخدم لهداية البربر.

---

[1]- يطلق النسخ في اللغة على معنيين: الإزالة، والنقل ، والنسخ بمعنى الإزالة نحو نسخ الشيب الشباب، ونسخت الشمس الظل، ونسخت الريح لأثر أي أبطلته، والنسخ بمعنى النقل كقولك نسخت الكتاب، إذا نقلت ما فيه إلى كتاب أخر، ومنه قوله عز وجل ((إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون))، الجاثية: 29. يريد نقله إلى الصحف، ومن الصحف إلى غيرها. الخطيب محمد العجاج، أصول الحديث علومه ومصطلحاته، دار الفكر، بيروت، ط1، 1419هـ/ 1998، ص 176

[2]- الخناقاه تعني الزاوية في المغرب الإسلامي، والتكية في بلاد فارس وما جاورها .

وكان الرباط هو مقام الصوفية فيه للجهاد، وتعليم الناس الإسلام، وبالإضافة إلى ذلك كانوا يمتهنون الحرف والزراعة. ويذكر بل ألفرد في كتابه الفرق الإسلامية ذلك عن ابن سحنون[2]، عن جهاده، وعن عمله في الزراعة. وكذلك أبو محمد عبد الرحيم بن عبد ربه الربعي. الذي أقام في رباط يعرف "بقصر زياد" وكان عنده سبعة عشر ألف شجرة زيتون ينفق غلالها في سبيل الله. كان العلماء يزورونه ويجلونه.

ومنهم أيضا أبو السري واصل بن عبد الله اللّخمي (ت 252ه/ 866م)، والذي كان يقيم في رباط يعرف "بقصر الرباط" بالمهدية وكان له حانوت يتجر به فتركه، ونبذ الدنيا وتجرد لقيام الليل وصيام النهار.

فغدا الرباط للعباد والنساك، ومدرسة يدرس فيها العلم من قبل مشايخ يرابطون في سبيل الله، ومكان يتلقى فيها المسلمون البربر وأبناؤهم أصول الدين الإسلامي، والتربية الروحيه ومفهوم المقاومة، والمرابطة والجهاد، لما لهذا الرباط من فضل في مدحه من قبل الله ورسوله.

أ- فضل الرباط والمرابطة

المرابطون جمع مرابط، وهو من يلزم الثغر مدة لحراسة المسلمين، وذلك من المطالب الشرعية التي عين الملك الوهاب للقائم به أكبر الأجر والثواب. ترغيبا فيها وحض عليها. قال تعالى: ((يا أيها الذين أمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون)). وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها، وموضع سوط أحدكم في الجنة خير من الدنيا وما عليها والروحة يروحها العبد في سبيل الله، أو الغدوة خير من الدنيا وما فيها " وفي بعض الآثار: من رابط فوق ناقة حرمه الله على النار . وقال صلى الله عليه وسلم " الرباط يوم في سبيل الله محتسبا من غير شهر رمضان أعظم أجرا من عبادة مائة سنة صيامها وقيامها، ورباط يوم في سبيل الله من وراء عورة المسلمين محتسبا في شهر رمضان أفضل عند الله، وأعظم أجرا من عبادة ألفي سنة صيامها وقيامها، فإذا رده الله إلى أهله وكلت له الحسنات ويجرى له أجر الرباط إلى يوم القيامة " رواه بن ماجه . وقال عليه الصلاة

---

[1] – الزهاد الصوفية، الذين أبصروا فاقصروا واختبروا، واعتبروا، ورضوا بالمقدور، وقنعوا بالميسور، وعلموا أن السمع، والبصر، والفؤاد كل أولئك مسؤول عن الخير، والشر، ومحاسب على مثاقيل الذر، فأعدوا خير الإعداد ليوم المعاد، وجرى كلامهم في طريق العبارة، والإشارة. البغدادي عبد القاهر، الفرق بين الفرق، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت، دت، ص317

[2] – محمد بن سحنون (204ه–256ه) (817م–869م)، هو أبو عبد الله محمد بن أبي سعيد سحنون بن سعيد بن حبيب بن حسان بن هلال بن بكار بن ربيعة التنوخي. المالكي، رياض النفوس، حققه بشير البكوش، وراجعه محمد العروسي المطوي، دار الغرب الإسلامي ج1، ط1، 1403ه/ 1973م، ص345

والسلام " رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه. وإن مات فيه جرى عليه عمله الذي كان يعمل وأجرى عليه رزقه وأمن من الفتان " رواه مسلم وزاد الطبراني (وبعث يوم القيامة شهيدا).

وقال صلى الله عليه وسلم. فإنه ينهى له عمله إلى يوم القيامة ويؤمن من فتنة القبر). رواه أبو داود والترمذي، وكل موضع طرقه العدو، ولو مرة في العمر فهو ثغر يصح فيه الرباط[1].

12-فكر ومنهج الأولياء وأصناف المجاهدين

عند الصوفية كغيرهم من المسلمين العبادات المفروضة معروفة، ولكن في المنهج هناك عبادات حتمية منها الجهاد، ومنهج الجهاد عندهم، جهاد الأعداء وجهاد النفس.

– جهاد الأعداء: قتال المسلم لأهل الكفر بالله مع جيش المسلمين.

– جهاد النفس: جهاد المرء لنفسه بمخالفة الهوى وفعل ما أمر الله به، وحتى نعرف المقصد بأن الجهاد والمقاومة فرض وهي ما أوجبه الله على عباده من شرائع.

أ– المظهر الأول (الجماعي)

حركة الفرد المسلم مع جيش المسلمين، وقتاله للكافرين بالله ذودا عن سنته ومناصرة لنبيه الذي يبلغها للناس.

ب– المظهر الثاني(الفردي)

يظهر صراع الفرد ضد أهواء نفسه ليكون مستقيما على سنة الله، وسنة نبيه فيحافظ على فعل ما أمر به الله ورسوله إجمالا وتفصيلا، ويتخلص من المعاصي والمحذورات.

ج– أوجه الجهاد

– مجاهدة الطلب لعلم الحق نفسه على رفض المألوفات، وترك الشهوات، وتصفية النفس من العقائد الفاسدة، والخيالات الكاذبة، واجتهاده في خدمة المؤمنين.

[1]– أحمد بن محمد بن علي بن سحنون، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تحقيق وتقديم المهدي البوعبدلي، منشورات وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، ج1، دت، ص 195

– مجاهدة النفس: مجاهدة العارف لأهل بيته وعشيرته وجيرانه بإظهار التقية لهم والتمسك بما هم عليه وان خالفهم باطنه في إتيان ذلك الفعل، والمحافظة على المشروعات الظاهرة بعد معرفة حقائقها، يسلم له بذلك دينه ونفسه من أهل الميل عن رأيه وعقيدته.

– مجاهدة المؤمن بين يدي إخوانه بماله ونفسه، وقد قال الله تعالى:((والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا[1]))، وصبره على مكروه ما يسمع من أهل الشقاق، واجتهاده في الأفعال التي تنقله من عالم الحس إلى عالم القدس.

– جهاد المؤمن بلسانه في إيضاح براهين أهل الحق، والتنبيه على ضعف معانيهم، والتبرؤ بالقلب واللسان من مخالفتهم، وإذاعة محاسن أوليائهم[2]

ويتضح من هذا أن الصوفية كلمة جامعة لأفراد تتباين مراتبهم من خلال جهادهم، ويستلزم من هذا أن لهم أقسام قد تجتمع في أفراد دون غيرهم.

12– أقسام الصوفية

الصوفية أربعة أقسام، أصحاب السوابق، وأصحاب العواقب، وأصحاب الوقت، وأصحاب الحق.

أ– أصحاب السوابق

فقلوبهم أبدا فيما سبق لهم من الله بعلمهم أن الحكم الأزلي لا يتغير باكتساب العبد، ويقولون من أقصته السوابق لم تدنه الوسائل ففكرهم في هذا أبدا، ومع هذا فهم يجدّون في القيام بالأوامر واجتناب النواهي، والتقرب إلى الله بأنواع القرب غير واثقين بها وملتفتين لها، ويقول قائلهم: من أين أرضيك إلا أن توفقني بها هيهات هيهات، ما التوفيق من قبلي إن لم يكن في المقدور سابقة فليس ينفع ما قدمت من عملي.

ب– أصحاب العواقب

فهم متفكرون فيما يختم به أمرهم فإن الأمور بأواخرها، والأعمال بخواتمها والعاقبة مستورة كما قيل:

لا يغرنك صفو الأوقات " " فإن تحتها غوامض الآفات

---

[1]– سورة العنكبوت، الآية 29.

[2]– المكزون السنجاري، معرفة الله، تحقيق ودراسة، أسعد أحمد علي، دار الرائد العربي، بيروت، امجلد1، ط2، 1981، ص132

فكم من ربيع نورت أشجاره، وتفتحت أزهاره، وزهت ثماره، لم يلبث أن أصابته جائحة سماوية فصار كما قال عزّ و جل: ((حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها ... إلى قوله يتفكرون)).

فكم من مريد كبابه جـواد عزمه" " فخر صـريعا للـــــدين وللـفم
أحسنت ظنك بالأيام إذا حسنت " " ولا تخفي ما يأتي به سـوء القدر
وسالمتك الليالي فاغتررت بها " " وعند صفو الليالي يحدث الكدر

ج- أصحاب الوقت

فلم يشتغلوا بالسوابق، ولا بالعواقب بل اشتغلوا بمرعاة الوقت، وما يلزم من أحكام. وقالوا العارف ابن وقته، ولا ماضي له، ولا مستقبل، ورأى بعضهم، الصديق رضي الله عنه في منامه فقال له أوصني، فقال له كن ابن وقتك[1].

د- أصحاب الحق

فهم مع صاحب الوقت، والزمان، ومالكهم، ومدبرهم مأخوذون شهوده عن مشاهدة الأوقات، لا يتفرغون لمراعاة وقت، ولا زمان كما قيل:

لَستُ أَدرِي آ طَالَ لَيلِي أَمْ لاَ " "كَيْـــفَ يَدرِي ذَاكَ مَنْ يَتَقلَى
لَو تَفَـــرَغتُ لِاستِطَالَة لَيلي " " ولِرَعي النُّجُوم ، كُنت مُخَلى
إذْ لِلْعَاشِقينَ عَنْ قِصَر اللّيلِ " " و عَـن طـُـولِهِ مِن العِشْقِ طُول

- سماح المؤمن بنفسه وعرضه في حفظ إخوانه أعراضهم، والصون لأسرارهم.
- قتال المؤمن لأهل الشرك بالسيف عند قيام الداعي في نصرة الحق.
- معرفة شخص الجهاد، وإتباع الأوامر، والانتهاء عن نواهيه، وهو الرتبة العالية والأنوار العلوية .

[1]- الجوزية بن القيم، مدارك السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي، بيروت، ج3، دت، ص 131.

13-أنواع المجاهدين

من يطالب بالحق لنصرة الحق تسليما وطاعة فيما تلقى من أوامر في حكمة للوجود وبقاء واستمرار للموجود، ونوال في الأخرى بثمرة الانصياع والقبول برضا مما قضاه الله عز وجل يكون طالبا بعلم الحق وهم أنواع.

((طالب علم الحق: الحق ضد الباطل وهو أحد الحقوق الواجبة.)

أ-العارف

هو من أشهده الرب نفسه فظهرت عليه الأحوال، ولمعرفة حاله، ومعرفة الشيء أدركه بحاسة من حواسه وعرف فلانا الأمر، أعلمه إياه ويجاهد أهل بيته، وعشيرته، وجيرانه بإظهار التقية لهم، وهذا يعتبر من الجهاد الباطني، وهذان الصنفان يشتركان في ذلك.

ب-المسلم

أربعة أصناف يشتركون فيه ظاهريا، ومجاهدتهم في المحافظة على فعل ما أمر الله به وفرضه والمحافظة على سنة النبي الكريم أمرا ونهيا، ثم العلاقة بين الباطن والظاهر تفضي إلى مفهوم لجهاد عند الأولياء، والمقاومة أصل من أصول الجهاد في الدفاع عن الله ورسوله والناس.

لقد كان في الصوفية حسنات جمة، والانتقاد الذي وجه للصوفية عامة على اعتبار أنها كانت موجودة قبل الإسلام، وأنها ليست دينا فإنها تبعث على القلاقل، وتضعف المجتمع، وتشل طاقة أصحابها عن النشاط. وأنها تصل بالتنامي، والتطور من عبادة الله إلى عبادة البشر. هذا من قصر نظره على هذا الاعتبار.

لكن عندما تتدارسها العقول النبيلة على أنها نوع من النظر إلى الأخرويات فهما عن مراد الله في ما فرضه على عباده؛ فقد نجد الصوفية وعلى رأسهم المشايخ والأولياء قد ساروا على السنة الإلهية والشرعة النبوية، والطريقة الصوفية في الذود عن سنة الله بالجهاد، والمقاومة تحقيقا لمقاصد الشريعة وليس تحقيقا لشهوات الغريزة، ذلك أن جهاد النفس يفضي إلى جهاد الأعداء بتلك النية وذلك الفكر السليم والمنهج القويم في مراتب المجاهدين كل من موقعه.

من هذا المنطلق قاوم المشايخ تارة بأنفسهم وتارة أخرى بمساعدة قادة المقاومات. والجزائر أنموذج في هذا الفكر الصوفي في منهج الجهاد والمقاومة. وجسّدته المقاومة الشعبية في الجزائر شرقا، وغربا ضد الاحتلال الفرنسي مقاومة بالسلاح وجهاد ضد الكافر المحتل من جهة وحفاظا على الدين الإسلامي والثقافة العربية الإسلامية وصيانة الشخصية الوطنية بفكر فريد ومنهج صوفي منبعه القرآن والسنة.

14-أقطاب التصوف السني

لقد كانت الطبقة الأولى[1] على الوصف من حال التصوف، حين طغت الأهواء، وأهمت الدنيا الناس وتغير حال المجتمع الإسلامي، وكثرت الاضطرابات السياسة، ومال البعض إلى الترف لسعة أصابت المسلمين في الرزق، والمتاع. لكن رجالات الطبقة الأولى اتصفوا بأخلاق التصوف فكان منهم النساك، والعباد، والزهاد، والبكاؤون، وكانوا أول أمرهم متفرقين لا رابط بينهم، ثم تجمعوا فرقين شأنهم في ذلك شأن بقية المتفقهين في سائر العلوم الإسلامية[2]. وباعتبار بغداد مركزا للدولة الإسلامية، فكانت أبرز مدنها البصرة و الكوفة.

فأما في البصرة فتصدرهم الحسن البصري[3] رحمه الله، ومالك بن دينار ، وفضل الرقاشي ، ورباح بن عمرو القيسي، وعبد الواحد بن زيد وغيرهم. وأما الكوفة فكانوا متشيعة[4]، ومن أبرزهم جابر ابن حيان[5] وأبو العتاهية، وغيرهم. وكان الصراع في أول الأمر بين الشيعة، والسنة، ثم أصبح بين الشيعة والمتصوفة، وكانوا أشد عداءا لهم لما توجبه عقيدتهم في الإمامة، لكن الصراع مع فقهاء السنة كان الأبرز مع بداية النصف الثاني من القرن الثالث الهجري، سيق كثير من الصوفية إلى المحاكمة، وقتل منهم ما تذكره المصادر التاريخية[6] بتهمة الزندقة، أو البدعة في الشريعة، أو الكفر، حيث التهم التي تستوجب القتل.

غير أن هناك من المتصوفة من لم يتركوا لخصومهم مجالا لاتهامهم، أو الحط من شأنهم، بل عظموهم وعدوهم من الأكابر، ومنهم سيد الطائفة الجنيد البغدادي ، وقد خصصته في هذا المبحث كون طريقته

---

[1] – صنفت كتب في طبقات الصوفية، كالسلمي عبد الرحمن، والشعراني، وما جاء في الحلية، حيث ذكروا أوائلهم، وما كانوا عليه من علم وتقوى، وزهد، ومخالفة الأهواء، ومغريات الشهوات الدنيوية، غير أن مفهوم التصوف تبلور مع أصحاب الطبقة الثانية، وعلى رأسها الجنيد البغدادي.

[2] – ماسينيون وعبد الرزاق مصطفى، التصوف، لجنة الترجمة، إبراهيم خورشيد وآخرون، دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة، لبنان، ط، ن، ت، ط1، 1984، ص30

[3] –هو الحسن بن يسار البصري، أبو السعيد: تابعي، كان إمام أهل البصرة، وحبر الأمة في زمنه. توفي في البصرة سنة 110هـ. ابن الجوزي أبو الفرج، سلوة الأحزان، المرجع السابق، ص41،42

[4] – في بداية الأمر كانوا يسمون شيعة على كرم الله وجهه، ثم لما تطورت، وتعددت فرقهم أصبح يطلق عليه كلمة شيعة، وهي جامعة لكل فرقهم بالرغم من الفروق المختلفة على مستوى الاعتقاد، أو الغلو، والاعتدال .

[5] – هو أبو موسى جابر بن حيان الأزدي، صاحب كيمياء عربي مشهور عرف عند نصارى القرون الوسطى باسم جبر (Geber)، ونسبته الطوسي أحيانا، والطرطوسي أحيانا أخرى. موجز دائرة المعارف الإسلامية، مركز الشارقة للإبداع الفكري، ط1، 1418هـ/1998م، ص2589

[6] – منهم الحلاج الذي يعتبر شهيد الصوفية.

معتمدة لدي أهل المعرب العربي كما كان للغزالي شأن بين الرفض والنقد زمن المرابطين والرضا والقبول على عهد الموحدين بسبب إحيائه.

أ-أبو القاسم الجنيد[1]

لا نجد أحدا ممن ترجموا له إلا، واثنوا عليه بما هو أهل له. يقول صاحب الحلية[2]: واصفا له بالمربي بفنون العلم، المؤيد بعيون الحلم، المنور الخالص الإيقان، وثابت الإيمان، العالم بمودع الكتاب، والعامل بحلم الخطاب، الموافق فيه للبيان، والصواب، أبو القاسم الجنيد محمد بن الجنيد. كان كلامه بالنصوص مربوطا، وبيانه بالأدلة مبسوطا، فاق أشكاله بالبيان الشافي، واعتناقه للمنهج الكافي ولزومه للعمل الوافي. وغيره من الأئمة الذين وصفوه بالعلم، والتقوى، واستحق أن يكون سيد الطائفة الصوفية، وهو عمدة الطرق الصوفية بالمغرب كما جاء في متن ابن عاشر، لأنه متبع لسنة الرسول صلى الله عليه وسلم في القول، والعمل.

ومن أقواله: "الطريق إلى الله مسدودة على خلق الله عزّ وجل إلا المقتفين آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم، والتابعين لسنته[3] "، كما قال الله عزّ وجل: "قد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة[4]". ويقول أبو علي الروذباري[5]: سمعت الجنيد يقول لرجل ذكر المعرفة، وقال: أهل المعرفة بالله يصلون إلى ترك الحركات من باب البر، والتقوى إلى الله عزّ وجلّ، فقال الجنيد: "إن هذا قول قوم تكلموا بإسقاط الأعمال، وهو عندي عظيم، والذي يسرق، ويزني أحسن حالا من الذي يقول هذا ". فإن العارفين بالله

---

[1]– هو: الجنيد بن محمد بن الجنيد أبو القاسم الجزاز القواريري؛ كان أبوه يبيع الزجاج، وكان هو جزازا، وأصله من نهاوند، إلا أن مولده، ومنشأه ببغداد، لقي خلقا من العلماء، وكان في أول أمره يتفقه على مذهب أصحاب الحديث، مثل أبي عبيد، وأبي ثور، فأحكم الأصول، وصحب خاله السري السقطي، والحارث بن أسد المحاسبي، فسلك مسلكهما في التحقيق بالعلم، واستعماله. توفي الجنيد يوم السبت في شوال سنة 298هـ. وقيل 297هـ، وغسّله أبو محمد الحريري، وصلى عليه ولده، وحرزوا الجمع الذي صلى عليه، فكانوا نحو ستين ألفا . الكلاباذي أبي بكر محمد بن إسحاق، التعرف لمذهب أهل التصوف، ضبطه وعلق عليه وخرج آياته وأحاديثه، أحمد شمس الدين، منشورات، محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1413هـ / 1993م، هامش، ص19

[2]– الأصفهاني الحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الفكر، ط، ن، ت، مكتبة الخانجي، القاهرة، ج10، 1416هـ/ 1997م، ص255

[3]– القشيري، المرجع السابق، ص430

[4]– سورة الأحزاب، الآية21

[5] – هو: أبو علي أحمد بن محمد الروذباري توفي 322هـ/934م، ببغداد أقام بمصر ومات فيها . صحب الجنيد، والنوري، وابن الجلاء، والطبقة، وكان أعلم المشايخ في الطريقة. القشيري أبو القاسم، المرجع نفسه، ص416

تعالى أخذوا الأعمال عن الله تعالى، وإليه رجعوا فيها، ولو بقيت ألف عام لم أنقص من أعمال البر ذرة إلا أن يحال بي دونها[1]. لذلك كان محل ثقة في قبول أقواله، وأحواله، حتى قال عنه تلميذه جعفر الخلدى[2]: لم نرى في شيوخنا من اجتمع له علم، وحال غير الجنيد، إذا رأيت علمه رجحته على حاله، وإذا رأيت حاله رجحته على علمه. ويقول: قال الجنيد ذات يوم: ما أخرج الله علما، وجعل للخلق إليه سبيل إلا جعل لي فيه حظا، ونصيبا.

وقال أبو القاسم الكعبي المعتزلي المتكلم: ما رأت عيناي مثله، كان الكتبة يحضرونه لألفاظه والفلاسفة لدقة معانيه، والمتكلمون لعلمه[3]. وقال عنه إسماعيل بن النجيد فيما يرويه عن صاحب كتاب بغداد، كان يقول : " إن في هذه الدنيا من هذه الطائفة ثلاثة لا رابع لهم: الجنيد ببغداد، وأبو عثمان بنيسابور، وأبو عبد الله بن الجلاء بالشام. كما شهد له ابن عاشر بقوله الزاهد المشهور ... وكان شيخ وقته، وفريد عصره، وكلامه في الحقيقة مشهور مدون. وروى الجامي[4]، عن عبد الله بن خفيف قوله : اقتدوا بخمسة من شيوخنا، والباقون سلموا أقوالهم: الحارث المحاسبي ، والجنيد، ورويم، وابن عطاء وعمرو بن عثمان المكي رحمهم الله جميعا. وبهذا استحق الجنيد أن يلقب: "طاووس العلماء، وسيد الطائفة، وتاج العارفين، وشيخ الشيوخ، ومقدم الجماعة ".

أما خصوم التصوف، فقد أثنوا عليه، وينطبق عليه قول ابن الجوزية تلميذ ابن تيمية، وأشد خصوم الصوفية قال: قال الجنيد : مذهبنا هذا مقيد بالأصول: الكتاب والسنة . من لم يحفظ الكتاب ويكتب الحديث ولم يتفقه لا يقتدى به. وقال أيضا: ما أخذنا التصوف عن القيل والقال ، لكن عن الجوع وترك الدنيا، وقطع المألوفات، والمستحسنات، لأن التصوف من صفاء المعاملة مع الله سبحانه وتعالى، و أصله التفرق عن الدنيا كما قال حارثة: عرفت نفسي في الدنيا فأسهرت ليلي و أظمأت نهاري[5].

---

[1]–القشيري أبو القاسم، المرجع السابق، ص430

[2]– هو: الشيخ الإمام القدوة المحدث أبو محمد جعفر بن محمد بن نصير بن قاسم البغدادي المعروف بالخلدى، توفي سنة 348هـ . الخلدى جعفر بن محمد بن نصير البغدادي، الفوائد والزهد والرقائق ، تحقيق مجدي فتحي السيد، دار الصحابة للتراث، ن، تح، ت، ط1، 1409هـ/ 1989م، ص7

[3]– الجنيد أبو القاسم، رسائل الجنيد، تحقيق، علي حسن عيد القادر وبرعي وجداي، القاهرة، 1988، ص 1

[4]– ينسب إلى هذا الراوي كل من يدعو إلى السمع، والطاعة لولاة الأمور في المعروف، ويدعو لهم بالصلاح، والعافية، والتوفيق، وحسن البطانة سواء في مجالسه الخاصة، أو في خطب جمعة، أو في محاضرة، أو في مقالة.

[5]– ابن الجوزي، تلبيس إبليس، المرجع السابق، ص 159،169

وقال عنه ابن تيمية[1] في معرض حديثه عن الصوفية : الجنيد رحمه الله تكلم بكلام الأئمة العارفين فإن كثير من الصوفية وقعوا في نوع من الحلول، والاتحاد، كما ذكر ذلك أبو النعيم في ((الحلية)) ، وكما ذكره القشيري في ((رسالته))، والشيوخ الأكابر الذين ذكرهم أبو عبد الرحمن السلمي في ((طبقات الصوفية))، وأبو القاسم القشيري في ((الرسالة)).كانوا على مذهب أهل السنة، والجماعة، ومذهب أهل الحديث، كالفضيل بن عياض، والجنيد بن محمد، وسهل بن عبد الله التستري، وعمرو بن عثمان المكي، وأبي عبد الله محمد بن الخفيف الشيرازي، وغيرهم، وكلامهم موجود في السنة وصنفوا فيها الكتب[2].

وإن قلنا بأن كتب ابن القيم الجوزية كُتِب لها القبول وانتشرت أكثر من كتب شيخه ابن تيمية، فكذا هو الحال بالنسبة للجنيد الذي كتب له ذلك في الخاصة، والعامة، وبلغت شهرته الآفاق، وذاع صيته في الشرق، والغرب. ولذلك عده أهل المغرب من الأئمة، وآثروا طريقته على سواها إجماعا لما أجمع عليه الصوفية، والفقهاء وأصحاب الحديث، وغيرهم من أنه ممن يقتدي بالكتاب، والسنة. هذا من جهة، ومن جهة أخرى فالبدايات الأولى لظهور الطريقة الصوفية إنما كانت على يد الجنيد، وذلك من أقواله، ورسائله إلى إخوانه، ومنها ما كان يحدده لجماعته، وملازميه، وما خصهم به دون غيرهم.

لقد استطاع الجنيد أن يجعل التصوف مقبولا لدى الفقهاء، وذلك بفضل ابتعاده عن صوفية الحلول والاتحاد[3]، وتوفيقه بين الفناء، والبقاء، أي الغيبة ثم الصحو. وهذا التوجه الشرعي، والتمسك بالسنة تلقاه المغاربة بالرضا، حيث كانوا لا يرضون من الدين إلا ما كان على السنة، وقد اعتبروا قول الجنيد وخصوصا أبياته الثلاثة شاملة للتصوف كله، وتبارت الأقلام في شرحها قديما، وحديثا وهي :

تَوضَأ بِمَاءِ الغَيبِ إنْ كُنتَ ذاَ سِرّ "" وإلاَ تَيَمَمْ بِالـــــصَعِيدِ أو الصَّخْــر

---

[1] – هو : تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن محمد بن خضر بن علي بن تيمية النميري الحراني ثم الدمشقي. ولد يوم الاثنين العاشر – وقيل الثاني عشر – من شهر ربيع الأول إحدى وستين وستمائة ببلدة حران، وتوفي ليلة الاثنين، عشرين ذي القعدة من سنة ثمان وعشرين وسبع مائة معتقلا بقلعة دمشق. العريفي محمد بن عبد الرحمن، موقف ابن تيمية من الصوفية، مكتبة دار المنهاج، ن، ت، الرياض، السعودية، ط1، ج1، 1429هـ، ص27،69

[2] – المرجع نفسه، ص248

[3] – يفصل ابن تيمية تقي الدين في الأصول التي بنا عليها ابن عربي، والعفيف التلمساني، والغزالي، وغيرهم، ويفرق بين الاتحادية، والحلولية، لكن لا يفهم من كلامه سوى أنه يردد أقوال ابن عربي، و يستدل بآيات من القرآن، وأحاديث ثم يركبها على الفرق الضالة، مجموعة الرسائل و المسائل، المرجع السابق ، ص ص، 4–113

وقَـــدِمْ إمَامًا كُـنتَ أنْتَ إمِـامَهُ "" وصَلِ صَلاَةَ الفَجْرِ أوَلَ العَصْـــر

هـَـذِهِ صَلاَةُ العَـــــارِفِينَ بـــرِبِّهِمْ "" فَإنْ كُنْتَ مِنّهُمْ فَانْضَحِ البِرَّ بِالبَحْر

ويقول في شرحها سيدي عبد الكبير بن عبد المجيد عليّوات: فاعلم أن الناظم[1] رحمه الله تعالى كأنه جرد من نفسه شخصا[2]، وجعل يخاطبه بما ينتفع به من تمسك به من المؤمنين، أو من تأمل معناها من العارفين، ويرحم الله عوام المسلمين إذ يقولون : ((الكلام للسّارية والجواب للجارية))، و هو موافق لما ذكرناه، ومَثلُ لما صورناه، واعلم أن ظاهر هذه الأبيات، يشير لجميع علم التصوف في كل الحالات فهو رضي الله عنه قد حصر جميع علم التصوف في هذه الأبيات الثلاثة[3]. وقلّما حظيت شخصية صوفية باهتمام المؤرخين بمثل ما حظيت به شخصية الجنيد. كيف لا وهو الجامع بين الشريعة، والحقيقة والواضع للمريدين أصول الطريقة، وهو أول من صاغ المعاني الصوفية تعبيرا، وشرحها، وتفسيرا، وحررها تحريرا".

وهذا ما يفسر ذيوع طريقته الصوفية في المشرق، والمغرب، فهي مبنية على كتاب الله تعالى وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام، متمسكة بالأصول الشرعية من توحيد كامل، وإيمان راسخ، ويقين ثابت، ساعية إلى تحقيق أعلى المراتب الخلقية الرفيعة، التي نادى بها ديننا الحنيف. فكانت من أسسه ومقوماته المحققة للمعرفة الإلهية، والقرب من الحضرة الربانية. فلا غرابة أن يكون المغرب ككل متخذا منه سبيلا في طريقة تصوفه. وبذلك فالمغرب الإسلامي ينهج، وينهل من معين الكتاب، والسنة إذ اتخذ من طريقة الجنيد مسلكا في التصوف[4]، وكان كذلك الشاذلي[5] حيث ورد عن ابن تيمية أنه قال : حدثني كمال الدين أنه

---

[1]– يقصد به أبو القاسم الجنيد رحمه الله.

[2]– هذا دأب العارفين في شرح، وبيان السلوك الصوفي كما فعل الحارث المحاسبي في كتاب الزهد الذي هو عبارة عن إجابات عن أسئلة وجهها تلميذ إليه، ولكنه تواضعا منه، وإخفاء لأمره جعل من نفسه سائلا، وجرد أستاذا يجيبه. المحاسبي الحارث، المسائل في الزهد، المرجع السابق، ص9

[3]– عليّوات عبد الكبير بن عبد المجيد، المرجع السابق، ص91،92

[4]– يقول ابن تيمية رحمه الله: فالمشروع هو الذي يتقرب به إلى الله تعالى، وهو سبيل الله، وهو البر والطاعة والحسنات والخير والمعروف، وهو طريق السالكين، ومنهاج القاصدين والعابدين، وهو الذي يسلكه كل من أراد الله وسلك طريق الزهد والعبادة، وما يسمى بالفقر والتصوف ونحو ذلك . ابن تيمية تقي الدين، مجموعة الرسائل والمسائل، المرجع السابق، ص245

[5]– هو أبو الحسن علي بن عبد الله بن عبد الجبار الشريف الزرويلي صوفي مشهور، مؤسس طريقة صوفية إسلامية تعرف بالشاذلية نسبة إليه. ولد في غمارة سنة 593هـ/ (1196–1197م)، ومات في الحجة الأخيرة سنة 656هـ/1258،في حميثرة، وهو يجتاز صحراء مصر. ينظر: موجز دائرة المعارف الإسلامية، المرجع السابق ، ص2062،2061

اجتمع بالشيخ أبي العباس الشاذلي تلميذ الشيخ أبي الحسن فقال عن التلمساني: هؤلاء كفار يعتقدون أن الصنعة هي الصانع[1]، مبينا أن أتباع الشاذلي كانوا على السنة النبوية المطهرة، وأن طريقهم على أثرها حبا في الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم .

ب–نبذه عن سيرة الجنيد العلمية

لقد كان رحمه الله مثلا للاقتداء في التربية، والسلوك، وعالما بخبايا النفس، فسلك في ذلك بطريقة حققت التصوف بكل معانيه، وقدم أنصع البراهين، وأقوى الحجج على أن التصوف يُمثِّل ركن الحقيقة من الإسلام، تقتضي شريعته المراقبة، والمحاسبة لتكتمل معاني العبودية لله.

كان أبو القاسم، سيِّد من سادات الصوفية وعلَمٌ من أعلامهم، يعود مسقط رأسه إلى نهاوند كما سبق ذكره، أما مولده، ومنشأه، ووفاته ببغداد. صحِب جماعة من المشايخ، واشتهر بصحبة خاله السّري السقطي[2]، والحارث المحاسبي، درَس الفقه على أبي ثور أحد تلامذة الإمام الشافعي[3]. وكان قد سمع الحديث عن الكثير من الشيوخ، واجتمع بالصالحين وأهل المعرفة، ورُزِق من الذكاء، والكياسة والفطنة، وبديهة الجواب في فنون العلم ما ليس عند غيره في زمانه. ولا حتى ممن كانوا يكبرونه سنا، وما أوتي من خير، وهو ممن حباهم الله، استقاموا وهم شباب.

وكان يُفتي بحضرة شيخ أبي ثور وهو ابن عشرين سنة، ولما بلغ الثلاثين من عمره طلب منه السري السقطي أن يجلس للتدريس، وإدارة حلقات العلم بالمساجد، فأبى تواضعا منه، أو أنه كان ينتظر إشارة أو علامة، أو رؤية صالحة على عادة العارفين بالله[4]. حتى رأى ليلة في المنام رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت ليلة جمعة، فقال له صلى الله عليه وسلم :" تكلّم على الناس، فانتبه من نومه وأتى باب السري

---

[1] – موجز دائرة المعارف الإسلامية، المرجع السابق، ص85

[2]–هو : هو أبو الحسن السرّي السقطي (توفي 253هـ/867م)، خال الجنيد، وأستاذه، وتلميذ معروف الكرخي. القشيري أبو القاسم، المرجع السابق، ص417، ينظر أيضا: السلمي عبد الرحمن، طبقات الصوفية، ج3، المرجع السابق، 1424هـ/2003م، ص51 وما بعدها.

[3]–هو: محمد بن إدريس الإمام الشافعي، قال محمد بن عبد الله بن عبد الحكم: ولد الشافعي سنة خمسين ومائة، ومات في أخر يوم من رجب سنة أربع ومائتين، وعاش أربعا وخمسين. ابن الجوزي، صفة الصفوة، حققه وعلق عليه، محمود فاخوري، وخرج أحاديثه، محمد رواش قلعه جي، دار المعرفة، ط، ن، ت، ج2، ص258

[4]– يذكر الجنيد رحمه الله قصته مع المحاسبي لما رآه يتضور جوعا، وعمد إلى إلى بيت عمه، وقدم بين يديه طعاما فأخذ لقمة، وأخذ يلوكها، ولا يزدريها، ثم قام مسرعا، في الغد سأله عن ذلك فقال:يا ولدي فأما الفاقة فكانت شديدة، ولكن بيني وبين الله علامة إذا لم يكن الطعام عنده مرضيا، ارتفعت منه إلى أنفي زمنة، أو زفرة فلم تقبله نفسي، فقد رميت بتلك اللقمة في دهليزكم، وخرجت. المحاسبي الحارث، المرجع السابق، ص7

السقطي قبل أن يصبح...، فقال له السري: لم تُصدِّقنا حتى قيل لك...، وكان أمرُ رسول الله صلى الله عليه وسلم حاسما، فقعد الجنيد في الغد للناس بالجامع ".

وكانت مجالسه هي جامع بغداد، وكان بمثابة جامعة كبيرة يحضرها أهل العلم، وأكابرهم، وعُشّاق الأدب، ويحُف مجلسه الفقهاء، والفلاسفة ليتفقهوا دقائق الحكمة، وأسرار النفوس والأكوان، وكذا أصحاب الكلام ليأخذوا عنه طرائق البحث وفنون الحديث، وحظ أهل التصوف كان الأوفر، فهو إمامهم في الطريق إلى الله.

وتصدر الجنيد رحمه الله للتدريس، والوعظ، في حلق المسجد منذ وقت مبكر، مكنّه من إرساء قواعد العلم الصوفي، وتأسيس طريقة على منهج السلف مقتديا بسنة الرسول صلى الله عليه وسلم، يضاهي مجالس الفقهاء في ذلك فذاع صيته، حتى أصبح المرجع الديني الأكبر للعامة، والخاصة في بغداد. وامتد إشعاعه إلى المغرب الإسلامي، ومنذ ذلك الحين بدأت بوادر الصراع تطفو إلى الأفق، واشتدت بين الفقهاء والمتصوفة. لكن حضوره بالمغرب شكل فصلا أخر حيث صفا مشربه، وامتد إلى يومنا هذا.

ولما كان مشرب المغرب بالأساس من المشرق فرافده الأخر من الأندلس، وكما ذاع صيت الجنيد ذاع صيت ابن عربي في المغرب.

15-أقطاب التصوف الفلسفي

أ-ابن عربي

لئن مثل الجنيد قطبا من أقطاب التصوف السني فإن تلميذه الحلاج[1] غاير شيخه في ذلك، وكذا فعل ابن العربي[2]، ومن نحا نحوهم، ولغموض كلامهم الذي له شبيه في الثقافات السابقة – وخاصة عند فلاسفة اليونان، والمسحيين في القرون الوسطى – وسياحة بعضهم إلى بلدان اشتهرت بالسحر كسفر الحلاج إلى الهند. جعل الفقهاء يرتكزون عليها ليدللوا على كفر هؤلاء. بينما يلتمس له الصوفية الأعذار والتأويلات لما بدر عن شطحاتهم، أو ما سطروه في كتبهم، ككتاب الطواسين للحلاج، أو الفتوحات المكية لابن عربي، وفصوص الحكم له، وختم الولاية، والإنسان الكامل للحكيم الترمذي، وغيرها من

[1]-الحلاّج أي حلاّج الصوف، أبو المغيث بن منصور بن محمّى البيضاوي، متصوف من علماء الكلام المتحدثين بالعربية (244هـ – 309هـ)/ (857 – 922م): دائرة المعارف الإسلامية، ن ع، ص4229

[2]- ستأتي ترجمته في هذا المبحث مع التفصيل في دوره الروحي.

المؤلفات، التي شكلت مادة دسمة للفقهاء، ومن جاء بعدهم ليطعنوا على التصوف، والصوفية على حد سواء. لكن نشأة الزهد، والتصوف حدث بالأندلس، وتحول إلى ظاهرة اجتماعية بعد أن كان سلوكا فرديا نتيجة العزلة الدالة عليه[1]، وقد عرف ابن عربي التصوف في شبابه قبل أن يرحل إلى المشرق، واحتك بكبار الصوفية هناك، وهذا ما يؤكد اتجاهه السني من خلال مؤلفات منها الرسائل: كالتحفة، ورسالة الأمر، ورسالة التدبيرات؛ وهي خلاصة موجزة في قواعد الزهد وفصلها في رسالة الأمر[2]، وحتى أتجنب الخوض في مؤلفاته المشهورة ؛ فصوص الحكم، والفتوحات المكية التي شكلت كما قلت سابقا مادة خصبة سُلطت عليها معاول الفقهاء، وركزوا على أنها مذهبه الذي جاء بكل ما هو منافي للدين. فقد ركزت على الجانب الروحي، والتربوي لدى هذا الشيخ، وأن نتبين بوضوح تصوفه السني، بعيدا عن دراسات المستشرقين المعروفة بالعلمية من جهة، والتركيز على إثارة الشكوك حول كل ما هو إسلامي من جهة أخرى .

فمن ضمن هذه الرسائل، والتي لها أثر، ومظهر يدل على مشربه التصوفي، والزهدي من صوفية الأندلس قبل غيرهم: كتاب:"رسالة القدس في محاسبة النفس[3] " لمحي الدين بن عربي(560هـ-63هـ)[4]. يحمل بين دفتيه منهج فريد في التربية والسلوك، لو عملنا على نشره لأفدنا منه أعظم فائدة. من منطلق أن التصوف قاعدة فعالة لقدرته على استثمار التجربة الدينية على نحو منظم. وهو ينشأ كعلم الكلام في مرحلة راقية من مراحل التطور الديني[5]، والشيخ الأكبر[6]، سلك أحد الاتجاهات الصوفية

---

[1]-لقد ظهر القول بالاعتزال في الأندلس في القرن الثالث الهجري، ودخل مذهبهم من ضمن ما دخل الأندلس من كتب العقائد، وعلوم الأوائل من فلك، ورياضة، وطب.خميسي حميدي، المرجع السابق، ص33

[2]-باثيوس أَسِيس، ابن عربي حياته ومذهبه، ترجمة عن الاسبانية، عبد الرحمن بدوي، مكتبة الأجلو مصرية، 1965، ص 106

[3] - العنوان الأصلي هو : رسالة روح القدس في مناصحة النفس .

[4]- هو محمد بن علي بن محمد ابن أحمد بن عبد الله الطائي الحاتمي المعروف بالشيخ الأكبر محي الدين ابن عربي توفي بدمشق ليلة الجمعة، الثامن والعشرون من شهر ربيع الأخرة سنة 638هـ ، ودفن بسفح قاسيون، وقد أرخ الكلشني محمد بن سعد بقوله :

إِنمَا الحَاتِمِي فِي الْكَـــونِ فَرْدُ * * هُوَ غَـــوثُ وَسَيدُ و إِمَـــام

كَـــمْ عُلُـــومٍ أتَى بهَا مِنْ غُيـــوبِ * * مِنْ بِحـــارِ التَـــوحِيدِ بِاس

إِنْ سَأَلْتُـــمْ مَتىَ تُوفِي حمَيِـــداً * * قُلتُ أَرَختُ مَاتَ قُـــطْبٌ هَمَام

.ابن عربي محي الدين، مختصر رسالة القدس في محاسبة النفس، اختصار وتقديم وتعليق، أحمد الرفاعي شرفي، دار الهدى، عين مليلة الجزائر، ص 25 . ابن عربي محيي الدين ، الفتوحات المكية، دار صادر، المجلد الرابع دط، دت، ص 561

[5]- هاملتون جيب، دراسات في الحضارة الإسلامية، دط ، دت، ص275

[6]-أحد الألقاب التي يعرف بها.

الكبرى، وهو التصوف السني[1]، الذي عرف تعريفات بلغت الألف، وأكثر، وكلها تعني بالنفس، وسلوكها مع خالقها، وعلاقتها به من جهة، وتصرفها في حياتها الاجتماعية وعلاقتها بغيرها من الناس، كما قال محمد بن علي القصاب: " التصوف أخلاق كريمة، ظهرت في زمن كريم، من رجل كريم، مع قوم كرام[2] ".

وهو يقصد بأن التصوف مبني على القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وقد جعله ابن عربي منهجا أراد من خلاله توجيه رسالة روحية في التربية الصوفية والسلوك، وهو في مقام شيخ تربية بكل ما تدل عليه الكلمة من معنا. والاعتبار الثاني أن التصوف نزعة زهدية تصوفية، وما فيها من تأمل، وسعي لإدراك التجربة الدينية محكوم، ومضبوط بقوة القبول للوحدانية المنزهة، وبمبدأ الواجبات في القرآن[3]، وهو عند ابن عربي عقيدة كما بينها في رسالته ، وإن كان للتصوف ثلاثة اتجاهات كبرى وهو نفسه له أول، ووسط وأخر[4] فهناك شيخ تربية، وشيخ ترقية، وشيخ تعليم، فلابد أن يكون لأهله ثلاثة أصناف من المريدين مريد طالب، ومتوسط سالك، ومنتهى واصل.

والشيخ محيي الدين، وجه رسالته للصنف الثالث، يريد تربية الصنف الأول، وهذا دأب العلماء ومشايخ الصوفية في التربية عن طريق النصح لإخوانهم، حيث يريدون تربية غير هؤلاء المقصودين، وقد كتب إبراهيم بن أدهم إلى أخ له " بسم الله الرحمن الرحيم "أما بعد: فإني أوصيك بتقوى الله من لا تحل معصيته ولا يرجى غيره، ولا يدرك الغنى إلا به، فإنه من استغنى عز وشبع، وروى، وانتقل عندما أبصر قلبه كما أبصرت عيناه من زهرة الدنيا، فتركها، وجانب شبهها. فارض بالحلال الصافي منها، أي ما لابد منه من كسرة يشد بها صلبه وثوب يواري به عورته، أغلظ ما يجده، وأخشنه، والسلام". ورسالة ابن عربي جاءت من موقع تجربة، وهذه التجارب تبدو في الحالات المرضية التي تحل بالمجتمع، كالاضطرابات

---

[5]– يعتقد الكثير أن تصوف ابن عربي، تصوف فلسفي، من خلال كتبه، وخاصة فصوص الحكم غير أن الحكمة تقتضي الحِجاج بالتأويل. من يقرأ لابن عربي يجده يفرق في كتباته بين التصوف يستثمر فيه التجربة الدينية كرسالته هذه، والتصوف تأويلا يقتضيه الحال، وعليه لابد لنا من التمييز بين التصوف ذوقا، أو تجربة، وبين التصوف أدباً وفكراً، يترجم فيهما الصوفي معاناته ، وما يكابده في طريقه إلى الله . خياطة نهاد، دراسة في التجربة الصوفية، دار المعرفة، ن، ت، ط، تر، دمشق، ط1، 1414ه/1994م، ص 29.

[6] القشيري المرجع السابق، ص280

[7]– هاملتون جيب، المرجع السابق، ص 277.

[1]– في معنى التصوف، وأحوال الصوفية، وأدبهم مع الحق، والخلق قال الأئمة: أول التصوف علم، وأوسطه عمل، وأخره موهبة، فالعلم يكشف عن المراد، والعمل يعين على المطلوب، والموهبة تبلغ غاية الأمل. المكي أبو طالب، سراج القلوب وعلاج الذنوب، دار الفكر للطباعة والنشر، والتوزيع، ج1، دت، ص 267.

والثورات، والفتن، والانقلابات، وهذا لم يغب عن ابن عربي حيث شخص الحالة الاجتماعية، وجعل لها مقارنة[1] في ما يصيب النفس من أمراض باطنية علاجها المحاسبة المرحلية، التي تقتضي التدرج مع المريد الطالب إلى المتوسط السالك وغالبا ما تنتهي إلى المنتهى الواصل. المعروف عن الرسائل أنها تحتوي على مسائل يجيب عنها السائل على هذا الشكل، ولكنه وضع منهاجا لمحاسبتها، بحيث يمكن لكل إنسان وبالخصوص المسلم أن يحاسب نفسه وفقه. لأن حديث النفس لا ينقطع ورخصها لا تنتهي حتى توقعك.

والذي يقرأ هذه الرسالة يكتشف أموراً غفل عنها علماء النفس ورواد النظريات السيكولوجية في العصر الحديث. فكان منهاج ابن عربي في التربية السلوكية للنفس في حوارها ولم يكن على شكل خطبة، أو محاضرة أو درس، ولكن على شكل رسالة. ومن سمة الرسالة العود إليها للذكرى، وخاصة إن اشتملت على النصيحة، والأخص من ذلك، النصيحة في الله التي لا يراد منها الجزاء والشكر.

وهو في منهاجه ناصحا لنفسه راجيا بها غيره، ويبين لنا الشيخ المنافذ إلى النفس حتى تقبل النصيحة بل وتطبق ما جاءت به ويبدأ بإدانة نفسه المقصرة، وفي المقابل يعدد مناقب، وخصال المراد نصحه، وفي ذات الوقت يشير إلى الزمان وما يحدث فيه من مغريات، وشهوات، ومعاصي ومنكرات، وآفات أصبحت أدوات تعين الشيطان، ويتقوى بها. والنصيحة من مقتضيات الدين وواجبات المسلم كما جاء عن عطاء بن يزيد الليثي قال: سمعت تميم الداري يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " إن الدين نصيحة " ثلاث مرات، قالوا يا رسول الله لمن، قال: لله وكتابه وأئمة المسلمين وعامتهم. ومن طريق أخر، عن زياد بن علاقة الثعلبي قال : سمعت جرير بن عبد الله يقول: بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على النصح لكل مسلم، وقال سفيان وزاد مسعود عن ابن مسعر عن زياد أو عن أخر إن جريرا قال وأنا لكم ناصح. وقالها هذا المسلم منفردا ووردت عن جماعة. فعن قيس عن جرير بن عبد الله قال: بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم[2].

---

[2] – إن أوجست كونت لم يكن يقصد بالتجربة تلك التي تتم في المخبر، التي تجرى على علومٍ، كالطبيعيات، والكيمياء، والحياة، وإنما كان يرمي من وراء ذلك إلى تلك التجربة التي تقوم على المقارنة بين حالتين مختلفتين في ظروف معينة، ولكنهما متشابهتان في الطبيعة، والأصل. خضير إدريس، التفكير الاجتماعي الخلدوني وعلاقته ببعض النظريات الاجتماعية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983م، ص69.

[1] – ابن القيسراني المقدسي، صفوة التصوف، تحقيق عادة مقدم عدرة، دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1416ه/ 1995م، ص495

يشخص ابن عربي ظواهر اجتماعية وطبقات من حكام جور وعلماء سوء[1]، وصوفية صوف[2] ويستشهد بذلك بسادة الطائفة الصوفية، وهو يصف زمنهم بتلك الصفات الشنيعة، ثم يعود إلى وصف أهل زمانه فيقول ((... وأما أهل زمانك فوا لله لو اطلعت عليهم لرأيت إن نظرت إلى وجوههم عيون جامدة متحركة غير هامدة، وان نظرت إلى نفوسهم رأيت نفوسا سامدة [3]، وان نظرت إلى قلوبهم رأيت قلوبا من العمارة العلوية، والقدسية خالية على عروشها خاوية آجاماً لأسود ضارية، ومرابض لذئاب عاوية، نسأل الله سبحانه وتعالى عند رؤيتهم العافية ..)) وهذا الوصف لا يتركه بل يأتي بعكس ما هو كائن وليس كالذي تقع عيونه على المساوئ ولا يرى أي محاسن. فيذكر صفات الصفوة من خلق الله ويستشهد بقول ذي النون المصري[4]، حيث قال: إن لله لصفوة من خلقه وان لله لخيرة، قيل له يا أبا الفيض ما علامتهم قال: إن خلع العبد الراحة وأعطى المجهود في الطاعة أوجب سقوط المنزلة ، ثم قال

مَنَـعَ الْقُرآنُ بِوَعْـدِهِ ووَعِيـدِه " " مُقْلَ العُيُـــونِ بِلَيَالِهَا أَنْ يَهْجَعُوا

فَهِمُوا عَن المَلِكِ الكَرِيمِ كَلاَمَه " " فَهْماً تُذَلُ لَهُ الرِقابُ وتَخْضَع

هذا المنهج عند ابن عربي فريد من نوعه، يعتمد على المقارنة ومقارعة الحجة بالحجة، حيث يبين طرق النقد التي تعتمد على الهوى، ولا تتصف بالعمق، ويبين أن الغرور ينتج عن استعمال مقاييس وموازين دنيوية يمكنه من خلالها وضع نفسه في المقام الذي يرغب فيه جميع الخلق. وهذا منهج قل ما يُلتَفت إليه. لان الألقاب تنسيهم أنفسهم وخاصة ما تعلق منها بالحق والواجب والمصلحة العامة. غير أن ابن عربي في منهجه يحاصر النفس من كل المداخل حتى تقر بالواقع، وتعترف بصدق الأحوال. لان النفس من شأنها العدول، والميل إلى المراوغة. وفي نفس السياق نجد الشيخ ينفرد بمنهجه في التربية الصوفية حيث لا يتخذ سبل الوعظ مثل ما نراه اليوم، فبدل البحث عن من تعظه، تنتظر منه أن يأتيك ولا تنزل إليه

---

[2]– دور علماء الدين هو العمل على إطفاء نار الفتنة لا تأجيجها كما هو الحال في الثورات العربية التي وضعوا فيها خطبهم، وأقلامه وألسنتهم فزادوا لهيبا بدل إخمادها، وسئل الحسن البصري رحمه الله عن الفتنة الكبرى فقال : فتنة لم أغمس فيها سيفي فكيف أغمس فيها لساني .فشتان بين قول هذا الصوفي ، وما قاله علماء السوء وهؤلاء من قصدهم ابن عربي .

[3]– من يتزي بزي الصوفية وهو ليس منهم في شيء.

[4]– ابن عربي، رسالة روح القدس في محاسبة، المرجع السابق، ص 12

[5]– هو أبو الفيض ذو النون ثوبان بن إبراهيم المصري (توفي245هـ /859م) : من أقواله : مدار الكلام على أربع: حب الجليل، وبغض القليل، وإتباع التنزيل، وخوف من التحويل " وهو قريب من قول علي بن أبي طالب عندما سئل عن التقوى فأجاب : الرضا بالقليل والخوف من الجليل والاستعداد ليوم الرحيل ". القشيري أبو القاسم، المرجع السابق، ص433.

ولذلك فالفائدة عقيمة. فيبدأ بالمناصحة لكن، معايب النفس كثيرة، وكيف تنصحها. لأنها تداهنك مثلما يداهنك الصديق، يقول ابن عربي: " لما لزمت البحث والتحقيق لم يَتْرُكَا لي في الأنام صديق " . ذلك أن الدعاة اليوم يشبهون الملوك في الملبس، والمأكل والمركب، وفي الدعوة بأهل التقوى، والتصوف.

والتربية عند ابن عربي عملية تواكب كل تطور، وليس نظرية كما يراها علماء الغرب، وان كانت ناتجة عن دراسات نمطية بطابع مادي .

وقد نجد في بعض المذاهب السياسية تصوف، فأصحاب((هتلر)) هم اليوم صوفية، والصادقون من أنصار((موسيليني)) صوفية، وأولئك وهؤلاء لهم أشباه في التاريخ الإسلامي، فالخوارج في حقيقة الأمر سياسيون ولكنهم في صدقهم[1] إلى ابعد غايات التصوف، ولهم أخبار هي نهاية النهايات في الروحانية كما يقول، زكي مبارك[2] ، وكذلك نقول فيمن تشيعوا لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، وقدموه على سائر الخلفاء، فهم في حقيقة الأمر سياسيون، وما حاربهم الأمويون، والعباسيون إلا خوفا من سيطرتهم على المنافع الدنيوية، وصدق أولئك وهؤلاء في الثبات على مبادئهم السياسية، وهو نفحة من التصوف، وذلك الصدق هو الذي سجل أخبارهم على جبين الزمن[3]. إن التربية الصوفية والسلوك الصوفي هما السبيل إلى تهذيب النفس كما قيل، غير أننا لا نحتاج معه إلى تأسيس نظرية في الأخلاق، ولا نحتاج إلى رأس مال ثقافي ننفق فيه بقدر.

فالتصوف علم يعرف به كيفية السلوك إلى حضرة ملك الملوك، أو تصفية البواطن من الرذائل. فأوله علم، ووسطه عمل، وآخره موهبة[4]، ولكل فريق طريق، فللعامي، تصوف حوته كتب المحاسبي، ومن نحا نحوه، وللفقيه تصوف رحاه ابن الحاج في مدخله، وللمحدث تصوف حام حوله ابن عربي في سراجه ،وللعابد تصوف، دار عليه الغزالي في منهاجه. وللمتريض تصوف، نبه عليه القشيري في رسالته، وللناسك

---

[1]– العجاج محمد الخطيب، أصول الحديث، علومه ومصطلحه، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1419ه /1998م، ص 278.

[2]– هو أديب مصري ولد بقرية سنسريس بمصر ، في صيف 1892م، ويقول عن نفسه :

وفي آب مِيلادِي تَعَلَتْ صَبَابَةً * * لَهَا آب في دُنيَا الصَبَـــابَة

ولِدتُ مَعَ الأَعْنَاب و النَسِيلَ ثَائِر * * يَجُورُ بِأَرجَاءِ البِلادِ فَيَعْدِل

فاصل خلف ، زكي مبارك، بين رياض الأدب والفن، عرض ونقد وتحليل، مكتبة الآداب ومطبعتها دط، ص 26

[3]– مبارك زكي ، التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق، المكتبة العصرية للطباعة والنشر والتوزيع، صيدا، بيروت، ج1، دت، ص24

[4]– عبد الله أحمد بن عجيبة، معراج التشوف إلى حقائق التصوف، تقديم و تحقيق، عبد المجيد خيالي، مركز التراث الثقافي المغربي، الدار البيضاء دت، ص 4

تصوف، حواه القوت، والإحياء. وللحكيم تصوف أدخله الحاتمي في كتبه. وللمنطقي تصوف نحا إليه ابن السبعين في تأليفه. وللطبائعي تصوف جاء به البوني في أسراره وللأصولي تصوف، قام الشاذلي بتحقيقه، فليعتبر كل بأصله من محله[1]. وفي اختلاف المسالك راحة للسالك.

ومناهج الصوفية تختلف في التربية لان التصوف وليد لعوامل اجتماعية وسياسية، ودينية، وثقافية، ساعدت على ظهوره فكان له سلطان كبير على النفوس، ولكن الروح الصوفية قد وجدت مع الإسلام منذ اليوم الأول وفي حياة الأئمة الصحابة[2]، والتابعين وتابعيهم، وها هو عبد الرحمن السلمي رحمه الله يكتب في التربية والسلوك بل، ويقصد النفس مباشرة في رسالة في التربية الروحية[3] وهو عمل لم يسبقه إليه سوي المحاسبي في مؤلفه ((الرعاية لحقوق الله))، وقد اتخذ من الأوضاع الاجتماعية والسياسية في تلك الحقبة من التاريخ مُنطلقا لإيجاد العلاج الحقيقي، والتي شهدت انتشار الفساد العارم؛ تمثل في حروب السلاطين والأمراء وانعدام الأمن والاستقرار، وكثرة الاضطرابات التي أشعلت الفتن، وبعد أن شخص الداء وعرف العلة، وليس كما يراه الغرب كمًا ونظريات، بل سلوكًا وممارسةً، ولا تخلو رسالته من تشخيص الداء ووصف الدواء فحسب، ولكن أيضا يتفق منهاجه مع منهاج ابن عربي في التربية الصوفية والسلوك فهو يستخلص العلاج من القرآن والسنة النبوية، وبالرغم من وصفه الدقيق للعلاج وكأنه يعيش هذا العصر بل، وكأنه يعنيه لما يحدث فيه من فتن.

ولو أننا طبقنا عمليا ما جاء في هذه الرسالة وعملنا على بثه في أوساط الخاصة والعامة وتنبهنا لها كما تنبه السلمي إلى الحالة المرضية التي أصابت المجتمع الإسلامي منذ أن دب الخلاف بين المسلمين لأمسينا في وضع يسوده الأمن والرخاء ، ومطية لحاضر يحمل السلام والاستقرار، فمستقبل هذه الأمة رهن بعودها إلى منابع الثقافة الإسلامية وفهم غاية التصوف وأدوات الصوفية[4] في تربية الناس، وجعلهم

---

[1]– أبي العباس أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى زروق الفاسي البرنسي، قواعد التصوف، تقديم وتحقيق، عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط3، 2007، ص51

[2]– ابن القيسراني المقدسي، المرجع السابق، ص56

[3]– المؤلف الثاني في مناهج الصوفية في التربية الصوفية والسلوك للإمام أبي يزيد عبد الرحمن السلمي، وهي رسالة في التربية الروحية بعنوان (عيوب النفس ومدواتها).

[4]– هذا عنوان كتاب ((غاية التصوف وأدوات المتصوف))، لمؤلفه، ضياء مجيد الموسوي، يعرض فيه الغاية المأمولة للمتصوف، كما بين بشرح مستفيض أدوات المتصوف لبلوغ هذه الغاية، وكلها تحوم حول رياضة النفس، أي تربيتها لتحصل على السعادة. مجيد الموسوي ضياء، غاية التصوف وأدوات المتصوف، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، 1432هـ /2011م

قادة في الأخلاق وهداة للناس ودعاة سلام. فعبد الرحمن السلمي يشحذ رسالته بأقوال الصوفية، وكأنه يشخص الأوداء ويصف الأدواء من خلال نصائح المتصوفة. ولا يمكن ألا يتضمن هذا المبحث ما ضمنه في رسالته وهو ينقل قول حكيم لأخر حيث أورد هذه النصيحة وكفى بها لو تضمنتها الرسالة دون سواه إذ يقول: ((كتب حكيم إلى حكيم: أما بعد فإن من حاسب نفسه ربح ومن غفل عنها خسر، ومن نظر إلى العقوبة نجا، ومن أطاع هواه ضل، ومن لم يحلِم ندم، ومن صبر غنم، ومن خاف أمن، ومن اعتبر أبصر ومن فهم علم، ومن استعجل أخطأ، ومن تأنى أصاب، وزارع البر يحصد السرور، والتقوى نجاة، والطاعة ملك، والجاهل الصادق متعوب، فإذا جهلت فأسأل الناس، وإذا غضبت فأمسك، ومن أسلف المعروف كان ربحه المحمدة[1] ومن كفأ بلا شكر فقد أَحَياءَ الحق، ومن أقرضك فاقرضه الصنيعة، ومن بدأك بالخير فقد شغلك بشكره، ومن جفاك فمكافأته الصفح والإعراض، ودونك أن تتدبر ما وجهته، إليك واجعله مثلا بين عينيك والسلام[2].

فهذه نصائح ينقلها إلينا السلمي تربية وتوجيها، وإرشادا؛ منهاجا إسلاميا صوفيا سلوكيا خالصا.

وهي كثيرة من أقوال الحكماء من الصوفية وأهل التربية والسلوك، فهذه قرأة في مناهج الصوفية وغيرهم نخلص منها إلى الطرق القويمة التي تجمع الروح والمادة دون طغيان أحدهما على الأخر، في قالب تربوي سلوكي صوفي، الغاية منه غرس في أنفس المجتمع من يؤمنون بالقيم الروحية، والوطنية ويحافظون على التقاليد، ويتمسكون بالمبادئ التي لا تقبل الجدال في مقابل طائفة اتخذت من مناهج الغرب في التربية التي تنشد أحيانا المادة وتميل أحيانا أخرى إلى الروح صرفا، ففي كلتا الحالتين تجعل من هذه الطائفة متنكرة لذواتها، ولقوميتها، ودينها، باسم التقدمية، حيث تجعلهم في حل من القيود الأخلاقية والاجتماعية باسم الحرية فأفسدوا ما أصلح الدين باسم التطور، وشددوا وغالوا باسم الأصالة فهدموا ما أقامه الدين من دعائم تحدد المسافات بين البشر كيفما كانت جنسياتهم ولا نجد ذلك التصديق، والتفصيل، والتربية، إلا عند أهل التصوف.

16-انتقال التصوف إلى المغرب

[1]- قيل: الحمد على الأنفاس والشكر على نعم الحواس، وقيل: الحمد ابتداء منه، والشكر افتداء منك، القشيري، المرجع السابق، ص187

[2]-السلمي أبو زيد عبد الرحمن، عيوب النفس ومداواتها، تحقيق وتعليق، أحمد الرفاعي شرفي، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2006، ص149

انتقل التصوف إلى المغرب في شكله القوي المنظم في القرن الخامس الهجري من جهتين: الأندلس على اعتبار أن هذه الرقعة من أوربا كانت تابعة للمسلمين، والتي كانت حلقة وصل بين العالم المسيحي والعالم الإسلامي، وبذلك يكون قد انتقل التصوف إلى شمال إفريقيا، ومنه إلى بقية مناطقها. والجهة الثانية هي المشرق، حيث انتشرت تصانيف المتصوفة، وعلى رأسها مؤلفات الغزالي، وأشهرها كتاب الإحياء دون انتشار عقائد التصوف في عصر المرابطين (447–541هـ)، حتى ظهر مشايخ متصوفة كبار، في تلك الحقبة وبالأخص في عصر الموحدين (515–668هـ)، وفي هذه الفترة بالذات حظي المتصوفة بنفوذ كبير بين المسلمين، ولدي السلطة الموحدية في بداية الأمر، وما قيل حول لقاء ابن تومرت بالغزالي، وملازمته ثلاث سنوات، والدعاء له بأن تكون نهاية الدولة المرابطية على يده[1]، غير أن الأمر تغير فيما بعد إثر مواقف الفقهاء المغاربة من التصوف، ومن كتاب الإحياء للإمام الغزالي على وجه الخصوص.

أ–موقف علماء المغرب من التصوف

نعلم أنه بعد ظهور التصوف، وانتشاره، وظهور المصنفات، رافق ذلك قبول ورفض، تمثل في مواقف سواء في المشرق أو المغرب. وقد تعرض كبار الصوفية، والعلماء خاصة منهم إلى التشنيع من البعض الفقهاء. مما شكل عداءا صريحا استمر إلى الآن . فمن الذين وقفوا موقف المضاد من المغاربة أبو بكر الطرطوشي[2] محمد بن الوليد الفهري الأندلسي المالكي المتوفي سنة 520هـ ، الذي ألف رسالة بعنوان: "الأسرار والعبر في الرد على الإحياء "، بل وردت قصة إحراقه على عهد المرابطين، وكان ذلك في أول عام ثلاثة وخمسمائة هجرية. عزم علي بن يوسف – عن إجماع قاض قضاة قرطبة (عبد الله بن علي بن حمدين وفقهائها – على إحراق كتاب أبي حامد الغزالي رحمه الله المسمى ((الإحياء))، فأحرق، ومنها كتاب ابن عربي حمله بنفسه إلى الجزيرة الخضراء، ثم أمر بحله في الماء، فحل معظمه، وفُت سائره وتوالى الإحراق على ما انتشر منه ببلاد المغرب بقية ذلك العام. غير أن هناك من نافح عن الإمام الغزالي ومن بينهم "القباب" عندما سئل عن جماعة من الطلبة يطعنون في الإحياء، ويشددون في الإنكار على من

[1]– يروي صاحب المعيار رواية ابن القطان في علاقة ابن تومرت بالغزالي، وإحراق الإحياء. تفاصيل الرواية في. المعيار. الونشريسي أبي العباس أحمد بن يحي. المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقيا والأندلس والمغرب، خرجه جماعة من الفقهاء، إشراف، محمد حجي، نشر، و، س، م، غ، ج12، 1401هـ/1981م، ص185

[2]–المعيار، المرجع نفسه ، ج12، ص186

أراد قراءته فأجابهم بقوله: إنكار المنكر لقراءة الإحياء، وقوله أنه إماتة علوم الدين لا إحياؤه فهذا قول منكر، وكلام مبتدع، وغبّي جاهل بحق الرجل، وبحق كتابه، وأبو حامد إمام من أئمة المسلمين، قال فيه المازري إنه لا يشق غباره في الفقه، وأصول الفقه[1].

غير أن أمر كتاب الإحياء كتب له الانتشار رغم حرقه، كما قضى كتابه تهافت الفلاسفة[2]. وقد تباينت الآراء في شخص الغزالي، وعلمه، حيث ذكر صاحب المعيار أنه وجد بخط الشيخ أبي عبد الله السطي ما نصه: " حدثني أبو محمد عبد المهيمن عن أبيه عن شيخه أبي الحسن المنتصر أنه قال : الغزالي إمام في الفقه، متوسط في أصول الفقه، ضعيف في الاعتقادات "، وذكر بعضهم تدليسا أن تلميذه أبو بكر بن العربي المعافري في كتابه " العواصم من القواسم " انتقد الغزالي، وشنع عليه، ولا يوجد هذا الكلام في الكتاب المذكور على التحقيق كما أورده مصطفى باحو[3]. وممن شددوا على الغزالي، وأقذعوا فيه تشنيعا أبو عبد الله محمد بن حمدين القرطبي المتوفي 508هـ. ويكفي ما قاله الشيخ أبي مدين شعيب عن الغزالي: " طالعت أخبار الصالحين من زمن أويس القرني إلى زماننا فما رأيت أعجب من أبي يعزى وطالعت كتب التذكير فما رأيت كالإحياء للغزالي[4] ".

ومن الجزائريين الذين كان لهم موقف من أشباه المتصوفة عبد الكريم الفكون[5]، وكان لاذع النقد للمبتدعة من الصوفية، ويعرف بانتصاره للدين الإسلامي السليم، والطريق القويم، الخالص من الشوائب وإن جاز لنا تحكيم قوله، فهو يثبت للغزالي مكانته بذكر قوله، ويطيل فيه، حيث يقول: ولله در أبي حامد الغزالي – رحمه الله – حيث قال: " متصوفة أهل الزمان إلا من عصمه الله تعالى، اغتروا بالزي، والمنطق والهيأة من السماع، والرقص، والطهارة، والجلوس على السجادات، مع إطراق الرأس، وإدخاله في الجيب

---

[1]– المعيار، المرجع السابق، ص184

[2]–رغم رد ابن رشد على كتاب تهافت الفلاسفة للغزالي بمؤلف ((تهافت التهافت))، إلا أنه بعد كتاب الغزالي قيل أنه لم تقم للفلاسفة بعده قائمة.

[3]– باحو مصطفى، علماء المغرب ومقاومتهم للبدع والتصوف والقبورية والمواسم، منشورات السبيل، جمادى الآخرة 1428هـ /يونيو، ط1، 2007م ، ص58

[4]– القسنطيني ابن القنفذ، أنس الفقير وعز الحقير، اعتنى بنشره وتصحيحه، محمد الفاسي وأدولف فور، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، مطبعة أكدال، الرباط، المغرب، 1965، ص21

[5]–هو عبد الكريم الفكون بن محمد بن عبد الكريم الفكون التميمي القسنطيني المتوفي سنة 1073هـ/1662م. الفكون عبد الكريم، منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم و الولاية، تق، تح، تع، أبو القاسم سعد الله، دار الغرب، ط1، 1408هـ/1987م، ص7

كالمتفكر، ومن تنفس الصعداء، وخفت الصوت في الحديث إلى غير ذلك[1]. وكذلك ابن الفكون ينقل عنه كلاما مطولا، فهو دليل على أن التصوف في الفترة الحديثة، وخاصة من أمثال الغزالي، والشيخ زروق هو طريقهم وما أوصوا به. ويعتبر الغزالي صاحب الفضل في بيان التصوف السليم الذي كان عليه الزهاد الأوائل والمتصوفة أمثال الجنيد، ومعروف الكرخي، وبشر الحافي، وسري السقطي في المشرق، وأبي مدين شعيب، وابن مشيش، والشاذلي في المغرب.

لقد كان للمغاربة موقف من التصوف، ومن الغزالي شأنهم في ذلك شأن فقهاء المشرق، لكن مع مرور الوقت، وتغلغل التصوف في المجتمع، وانتظام طوائفه، واشتداد عضده، واستقواء ساعده حتى أصبح يشارك السلطة في الهيبة. وعظم شأن مشايخ المتصوفة فما كان على السلطة إلا استمالتهم. رغم ذلك لم ينجح الموحدون في السيطرة على التصوف، وجعله رسمي، ليخدم مصالحهم، ويدعم استمرار بقائهم، فسرعان ما مالت الدوائر، وساند المتصوفة، وأرباب الطرق بني مرين، مما أدى إلى القضاء على الموحدين. ولذلك فالتصوف الذي بدأ بالأفراد، والانعزال انتهى إلى طوائف، وطرق صوفية امتازت بخاصية التواصل حتى انتشرت في كامل التراب المغربي، وامتدت جنوبا إلى إفريقيا جنوب الصحراء في الفترة الحديثة. وتشكلت بذلك طرق تفرعت عنها أخرى، ولا تختلف من حيث الأهداف إلا نادرا، كما أنها في كل الأحوال واكبت المتغيرات السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية، والثقافية في المغرب العربي الإسلامي إلى اليوم.

17-استنتاجات

مما يمكن أن نستخلصه من خلال هذا العرض المبسط لتطور التصوف خاصة في المغرب الإسلامي أن هذه الظاهرة استمرت في التوسع والانتشار، والتغلغل في المجتمع المعاربي على مختلف مستوياته، حتى عمّ، وأصبح الرجوع عنه ضرب من المستحيل، وبين الرفض، والقبول لكل ما هو جديد، وفي ظل الصعوبات التي واجهت المتصوفة سواء من الفقهاء، أو من الحكام. كان مشايخ الصوفية صامدين، بالرغم من قتل بعضهم، ونفي آخرين، وتكفير من واراه التراب، والتحذير من مقالاته، وما ترك من مأثور .

[1]- المرجع نفسه، ص193

وفي الفترة الحديثة على عهد الدولة العثمانية سيطرت روح التصوف في مجالس التعليم، وحياة المجتمع، ويدل على ذلك كثرة التصانيف في مختلف فروع التصوف كالأذكار، والأوراد، والمواعظ وغيرها، وهذا بسبب ما خلفه الأوائل من إنتاج غزير في هذا الميدان، ولا يمكن بأي حال من الأحوال الإلمام بهذه الذخائر، المبثوثة في كل مكان.

ثم أن التصوف لا يزال يلقى من المنكرين عليه إلى اليوم؛ ويمكن أن نتبين أثر التصوف من خلال موقفين منذ ظهوره، وعبر عصوره الكبرى: فالأول تمثل في الدور السلبي للمنتحلين له، وكان أثره جليا وهو القضاء على الفكر العربي الإسلامي، والفلسفة الإسلامية على خد سواء؛ مما أدى إلى الانحطاط والتخلف، وعدم مواكبة المتغيرات الحاصلة في العالم المسيحي. ونتيجة شيوع البدع، والخرافات استغل بعض المشعوذين التصوف للاستيلاء على أموال العامة، وأصبح بالنسبة لهم مصدرا للكسب، والغنى، والثراء، ولا يراد به وجه الله، وجانبوا به الطريق المستقيم. و لذلك ظهر من يدعو إلى التصوف السني الحقيقي، ويحذر من هؤلاء الدجالين الذين كانوا من أكبر الأسباب التي غمرت المجتمع في بحر من ظلام الجهل، والاعتقاد الفاسد، والاتكال، والخمول.

أما الموقف الثاني، فيتمثل في متصوفة مخلصين؛ عملوا جاهدين على نفع الناس، وزهدوا فيما عندهم وعبروا عن ذلك في حالهم، ومقالهم، بل تكفلوا بالمعوزين منهم، والزّمنى، والفقراء، وساعدوا المحتاجين ومن أصحاب الطرق الصوفية من كان له الدور الفعال في حياة الناس في العهد العثماني، فملؤوا فراغ السلطة في مجال التعليم، وخاصة في الأرياف، وكانوا بمثابة المحاكم التي تقضي في نزاعات القبائل ونشر السلم، والآمان بينها. وقد كسبت بذلك الهيبة، والوقار، والتأييد، وانضم إليها الشعب في كثير من المرات في صراعها مع العثمانيين. وفي المغرب كان لها نفس الدور في الحياة الاجتماعية، والعلمية ووقوفها ضد الظلم، والطغيان، وأعانوا المجتمع في أحلك الأزمات التي عصفت بالمغرب طيلة الفترة الحديثة، وخصوصا على العهد العلوي. فالتصوف له من الايجابيات ما يجعله ملاذ المجتمع الأخير في حال طغت فيه المادة، وتشوّف الناس إلى متاع الدنيا، وانغمسوا في ملذاتها، وما ينجر عنها من محرمات قد تؤدي إلى انحلال أخلاق المجتمع، وابتعاده عن الإسلام، إذا استدارت حياة التنعم، وألقت الأزمات الاقتصادية بظلالها على فئات واسعة منه.

ومن خلال هذين الموقفين يتضح جليا أن التصوف ليس هو الداء بقدر ما هو الدواء، فقط إن اخلص فيه أصحابه، وحققوا غايات أهدافهم التي تسعى إلى جلب المصلحة، ودفع المفسدة، والموازنة بين الروح، والجسد، وإقامة الدين القويم على نهج السلف الصالح، لتتحقق الغاية الجامعة؛ هي السعادة في الدارين والفوز بالجنان يوم الدين. وسنعرف بعد انتقال التصوف إلى المغرب كيف تشكلت الطرق الصوفية السنية وما تفرع عنها، ودور رجالاتها في الفترة الحديثة.

الفصل الثاني

أولا: الأوضاع العامة في غرب الجزائر منذ القرن 16م

1-الأوضاع السياسية

أ-باي الغرب ونوابه وموظفوه

2-الأوضاع الاجتماعية

أ-علاقة حكام بايليك الغرب بالطرق الصوفية

أ-علاقة حكام بايليك الغرب بالطرق الصوفية

3-الأوضاع الاقتصادية

أ-وضع الزراعة والأراضي الزراعية

ب-أنواع المحاصيل

4- الأوضاع الثقافية والدينية

أ-الوضع العلمي والإنتاج الفكري

ب-التعليم و انعكاساته

ج-التصانيف في أقسام التصوف

5-العلاقات بين الجزائر والمغرب الأقصى في الفترة الحديثة

ثانيا: الأوضاع العامة في المغرب الأقصى منذ القرن16م

1- علاقة الطرق الصوفية بالأوضاع في المغرب الأقصى

2- دور الطرق الصوفية في قيام الدولة السعدية

3- نظرة عامة حول الثوابت والمتغيرات في الفترة العلوية

أ-دور السلطان الرشيد وعلاقته بالطرق الصوفية وأرباب الزوايا

ب-عهد الاضطرابات وبداية الضعف

ج-المولى عبد الرحمن و علاقته بالجزائر(من الألفة والوئام إلى الجفوة والخصام)

4- استنتاجات

أولا:الأوضاع العامة في غرب الجزائر منذ القرن 16م

جاء العثمانيون بهدف حماية الجزائر، وهو الحال بالنسبة لتونس، والتوسعات العثمانية تحمل راية الإسلام في الشرق، والغرب، وتمثل دورا جديدا من الصراع الصليبي في حقيقته بين الإسلام كدين عالمي،والمسيحية كديانة سماوية سابقة تحاول إعادة سيطرتها على العالم الإسلامي. وكان مسرحه المغرب العربي الإسلامي. وفي مقدمة هذا؛ الاعتماد على التصوف في الجهاد. ولذلك كانت الدولة العثمانية تدعم رجال التصوف، والطرق الصوفية ليقينها بالدور الذي تلعبه والتقدير الذي تحظى به في الأوساط الشعبية.

وليس من الغريب أن تجد الدولة العثمانية المغرب الإسلامي يقوم على هذا الأساس فتغذيه، وتدفع به شر الصليبين، ويكون سندها في الاستقرار واستتباب الأوضاع.

تنتشر الطرق الصوفية في المغرب الإسلامي ككل، لكن بقوة وكثرة في المغرب الأقصى، وغرب الجزائر، وفي مقدمة هذه الطرق الطريقة القادرية الوافدة من المشرق، والطريقة الشاذلية المغربية الأصل اللتين كانتا موجودتين قبل قدوم العثمانيين إلى الجزائر.

وما يزيد من افتراض دعم العثمانيين للطرق الصوفية أنه تكاثر عددها، وأسماؤها بشكل ليس له سابق، وزادت الزوايا بالقدر نفسه، وأكثر، وانتشرت في الريف بعد أن كانت تقتصر على الحواضر لعوامل سنتحدث عنها لاحقا. ويعتبر غرب الجزائر من أكثر المناطق التي عرفت انتشارا واسعا للطرق الصوفية، وعدد الزوايا، واتصالها بالطرق الصوفية بالمغرب الأقصى، بسبب القرابة البيئية، والاختلاط، والتنقل الذي كان يحدث بين سكان المغرب الأقصى، وبخاصة المناطق المجاورة لتلمسان، ووهران. وكذا العلاقات التجارية التي كانت تربط بينهم. ضف إلى ذلك المصاهرة، وتماثل العادات، والتقاليد، والأعراف، إلى التشابه في أنماط المعيشة واللهجة (لغة المعاش) التي إن دلت على شيء إنما تدل على الوحدة البشرية التي كانت تدفع بقبائل نحو الشرق. كما تدفع بأخرى نحو الغرب، وفي خلال ذلك تكتسب كل منها ما للأخرى.

وبذا يمكن أن نعتبر أن الحدود السياسية لم يكن لها الأثر في فصل الناس، وبخاصة الدور الذي اضطلعت به الطرق الصوفية في جانبها الاجتماعي الإنساني. فغرب الجزائر يمكن تحديده جغرافيا في مطلع العصر الحديث، من واد ملوية إلى غاية شلف طولا، وهذا الحزام يزداد عرضا، ويتقلص إلى

الجنوب خلال مراحل من التاريخ العثماني، والسيطرة التي تتبع فترات القوة، والضعف إلى جانب التحالفات القبلية. والطرق الصوفية بالقدر الذي ساندت فيه الدولة العثمانية، ثارت عليها. وكان لها معها خطوب سنأتي على ذكرها في مواطنها من هذا العمل.

إن الامتداد الشاسع لمنطقة غرب الجزائر من شرق مدينة شلف إلى الحدود المغربية غربا، إلى أقاصي الصحراء جنوبا[1]، وهي الحدود المتعارف عليها، والتي ثبتت باتفاقيات فرنسا مع دولة المغرب الأقصى وهي الحدود ذاتها التي تفرضها التركيبة الاجتماعية على واقع هذه الأرض، التي تحتل مناقشاتها جدلا واسعا في كتب المؤرخين المغاربة، والتي ستظهر في سياق حديثنا عن الطرق الصوفية. كان لها دور في تحديد ملامح الحدود المذكورة وفق تموقعها، ووفق تواصلها مع الطرق الصوفية بالمغرب الأقصى. إذ أن الأمر متعلق بالإنسان كما ذكرت أنفا أكثر مما هو متعلق بالأرض، والرمال.

وكل ما كان تعيشه الجزائر في ظل أوضاع تختلف من منطقة إلى أخرى سياسيا، واقتصاديا، واجتماعيا إلا أنها تعيش أوضاعا دينية تكاد تكون نفسها في كل المناطق، وعلى وجه الخصوص غرب الجزائر. ويمتاز هذا الأخير بظروف سياسية خاصة، لما مرت به المنطقة من اضطرابات يتخللها شبه استقرار في أحايين أغفلها المؤرخون لعدم أهميتها في مجريات الأحداث البارزة. وسنعرج على الأوضاع السياسية لنعرف متغيراتها وتأثيرها على باقي مناحي الحياة الأخرى. وسنقتصر على أهم المدن التي عرفت تقلبات

[1]–Vallérie Assan, Les Consistoires Israélites D'Algérie XIXe Siècle – Armand Colin, 2012, p 10, Carte De L'Algérie coloniale. P10

ينظر:المدني أحمد توفيق، كتاب الجزائر، المطبعة العربية، د ت، ص 159. ينظر أيضا: آثار الدكتور يحي بوعزيز، الجزائر، طبعة خاصة، 2009، ص 19. أيضا محمود علي عامر ومحمد خير فارس، تاريخ المغرب العربي الحديث، المغرب الأقصى – ليبية، منشورات جامعة دمشق، د ت، ص12. شارل أندري جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية ج1، تعريب، محمد مزالي والبشير بن سلامة، د ت، ص20. أيضا، الوزان حسن، وصف إفريقيا، ت، محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، ط2، ج1، 1983، ص31، و أيضا، كربخال مرمول، إفريقيا، ج م ت ن، مطابع المعارف الجديدة، ج2، 1408/ 1409هـ– 1989/1988م، ص 125، أيضا، الميلي مبارك بن محمد، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، تق،، تص، محمد الميلي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، دت، ص 440

واضطرابات جراء الحروب الخارجية والداخلية[1]، نظرا لأهميتها الاقتصادية، والإستراتيجية، وتداول مدنها مراكز تسيير الإقليم، والأسباب الداعية لذلك[2].

1- الأوضاع السياسية

كانت منطقة الغرب الجزائري، وعاصمته وهران تشمل كل من تلمسان، وسعيدة، ومعسكر، وسيدي بلعباس، وتيارت، وغيرها من الحواضر، ولكن تميزت وهران بوضع سياسي مضطرب يختلف عن باقي مناطق الجزائر الأخرى، ومن المؤسف أن نستهله بسقوط وهران تحت الاحتلال الإسباني، بعد أن مكن لهم يهودي، ويسر لهم ذلك[3]، على عهد السلطان أبي قلموس الزّياني الذي قال فيه أبي راس في سينيته:

خَـامِس عَـشَـر مـَن أَنـاخَ بِهـــا " " الإسْبَانِيونَ أَهلَ الشِركِ والـرِجسِ
جَحَافِلَ الكُفرِ قَد حَمَوا جَوَانِبَها " " وعَـنْ دِفَاعِهِمْ عَجَـزَ أَبُو قَلمُـوس

وقد دانت للإسبان الونازرة، وقيزة، وشافع، وحميان، وأولاد علي، وأولاد عبد الله، وغيرهم من بني عامر الذين أصبحوا جواسيس للحاكم الإسباني "دك". وفي ظل ذلك توالت محاولات استرداد وهران وضمها إلى الجزائر. وبعد جهد، ومشقة، وتضحيات جسام حصل المراد، وكان ذلك سنة 1792م.

كانت الجزائر على العهد العثماني مقسمة إلى ثلاث بايليكات، أولهم بالشرق، وقاعدته قسنطينة وثانيهما تيطري، وقاعدته المدية، وثالثهما بالغرب، وقاعدته وهران.

---

[1] – مثل ثورة درقاوة، وبعض القبائل الثائرة

[2] –شملت تلمسان عاصمة المغرب الأوسط، كما كانت في فترة عاصمة الغرب الجزائري، وكذلك كل من مازونة، ومستغانم، ومعسكر ووهران.

[3] – يقال له الزَّاوي بن كيسة، أتى بجيش النصارى للمدينة، وأدخله بها سرا بالحيلة، فقام الجيش لباب المدينة ففتحه، وأخذ العسَّاسَين الذين كانا يعسان، وهما: عيسى بن الغريب الغريُّ، والغناش كبيرا. الزياني محمد بن يوسف المرجع السابق، ص ص 187–188 أما في طلوع سعد السعود يقول: أتى واحد منهم يقال له زاوي بن كبيسة المعروف بابن زاهو بجيش النصارى للمدينة غفلة، وأدخلهم لها سرا بالحيلة، فقام الجيش لباب المدينة الموالي للمرسى فتحه ليلا، وأخذ العساسين وهما عيسى بن غريب العريبي، والغناس بن طاهر العبدلاوي، وصار الجيش يدخل، ويخرج، ونكبوا المسلمين قتلا وسبيا، وكان ذلك على وقت أبي قلموس الزياني.كما أنه يورد في سينية أبي راس اسم قلمس بدل قلموس. الأغا بن عودة المزاري، طلوع سعد السعود، تحقيق ودراسة بوعزيز يحي، دار الغرب الإسلامي، ج1 دت، ص211

وميزة بايليك الغرب انه كان مقسما إلى قسمين أحدهما مازونة والأخر تلمسان، ثم جمعا في الثامن عشر من القرن الثاني عشر لواحد، وصارت القاعدة قلعة بني راشد تم أم عسكر، ثم صارت وهران في الفتح الأول ثم صارت مستغانم، ثم صارت معسكر، ثم صارت وهران في الفتح الثاني. واستمر الحال على ذلك إلى انقطاعهم[1]. ويصف صاحب دليل الحيران السلطة المطلقة لهؤلاء البايات من طرف الباشا في مقاطعاتهم بخصوص الرعية وذلك بالضرب، والسجن والقتل في حق العرب، بينما يستشير في ذلك إذا تعلق الأمر بالأتراك.

وقد تولى الإيالة الغربية ثلاثة وثلاثون بايا أولهم حسن بن خير الدين الذي تولى بمازونة سنة 971هـ قبل أن يصبح باشا للجزائر، وأخرهم الباي الحسن بن موسى المعروف "باهج الحسن" تولى في منتصف ذي الحجة الحرام سنة 1232هـ ، وهو اليوم الذي مات فيه الباي علي[2].

أ- باي الغرب نوابه وموظفوه

للباي خليفتان من الترك، أحدهما ينوب عنه في الخروج للرعية بالجهة الشرقية خاصة لتحصيل المال وله مطلق الحرية في التصرف فيه. والثاني يجلس مكانه على كرسيه حالة غياب الباي لشأن ما، كما له كاتبان عربيان أحدهما يسمى باش تافتار، وهو الكبير، والثاني خاص بكتابة الرسائل، وهو الصغير، كما يساعده أيضا وزيران من العرب، أحدهما يطلق عليه القائد "أغا"، ويكون من أعيان الدوائر يتولى قبائل الغرابة والمجاهر، وفليتة، ورعية خليفة الشرق، واليعقوبية. والثاني من أعيان الزمالة، ويسمى القائد الكبير له الزمالة، واليعقوبية، ومجاهر، وحميان؛ فله دائرة صغيرة لكون "أغا" على يده الدوائر، وبني عامر وجميع الجهة الغربية إلى وجدة ما عدا تلمسان، وحوزها. كما على يده قبائل بني وعزان، وأولاد ميمون، وأولاد بالغ، وبني مطهر، والجعافرة، والغرابة، وسائر الحشم. وارزيو، وبني شقران، والبرجية جْبَلا، ووطاء، وزدامة، والحوارث، وخلافة، وفرندة، والكسانة[3]، والأحرار في بعض الأحيان، وأولاد الشريف الأكرد، وأولاد

[1]- الزياني محمد بن يوسف، المرجع السابق، ص249. ينظر أيضا: المزاري الأغا بن عودة، المرجع السابق، ص271

[2]- الزياني محمد بن يوسف المرجع السابق، ص309

[3]- الكسانة منطقة تقع شمال بلدية تخمارت على بعد 17كم، ويطلق عليها اسم (السار قديما، السركلة)، وبونوال حديثا.

خليف، وسائر السويد، وأولاد عايد، وأولاد عياد، وبني أمديان، سائر من بالجبال، وفي المجمل إلى غاية ثنية الحد، وهذه دائرة كبيرة مقارنة بأغا الزمالة.

ومما سبق يظهر أن لهذان الوزيران تنفذا كبيرا لدى الباي، وهذا ما يدل على استشارتهما في سائر ما يتولونه من الأمور المعروضة عليه من طرفهما سواء منفردين أو مجتمعين.

كما للباي ثمانية شواش، أربعة عرب، وأربعة من الترك.

الترك يتولون تنفيذ الأحكام، وأسمهم كذلك ماداموا في الخدمة. أما الشواش العرب فعملهم على ضربين؛ منهم من يتولى أوامر الباي، وأحواله، ويطلق عليه شواش بني عرب، ومنهم من يتولى داره، ويقال له قائد الدار. أما ما يخص السلاقة؛ يقال له قائد السلاق، والسبسية يقال له قائد السبسي، والخاص بالظليلة يسمى قائد الظليلة، والقائم بشؤون الكرسي يسمى قائد الكرسي، وطابعه يقال له قائد الطابع.

أما الجنان، والمتنزه يتولاه قائد الجنان، والخاص بالمكاحلية؛ يطلق عليه قائد المكاحلية، والخزنة يتولها الخزناجي[1]، وقاطع الرأس يدعى طزبير[2].

هذا عن الباي، ونوابه، وموظفوه في الجهة الغربية، وهو الحال بالنسبة للوسط، والجهة الشرقية غير أن الجهة الغربية تختلف أوضاعها لظروفها السياسية الداخلية، والخارجية. فتحرير وهران شغل الحيز الأكبر في تحقيق بسط النفوذ بالنسبة للعثمانيين على الجزائر ككل. والصعوبة كانت على جهتين الثورة الداخلية التي تزعمتها الطريقة الدرقاوية من جهة، والوجود الاسباني على أهم المدن الغربية، والذي استنزف قوة العثمانيين من أجل تحريرها، وبسط نفوذها، وطرد الغزاة الأجانب؛ والذي استمر إلى غاية 1792م والتحرير النهائي قبل أن تعود في قبضة الاحتلال الفرنسي من جديد بعد احتلال الجزائر سنة 1830م الذي استمر القرن وربع القرن.

[1]– الخزناجي هو المختص بالإشراف على الخزينة، وإيداع مصادر دخل الدولة بشكل نقود، ومقتنيات ثمينة، يساعده كاتب الدولة، وأمين السكة فضلا عن أجيرين من اليهود، أحدهما يدعى العيار للتحقق من النقود المشكوك فيها، والثاني الوزان لوزن أنواع النقود التي يتسلمها. مجلة الدراسات التاريخية والحضارية، المرجع السابق، ص9

[2]– المزاري الأغا بن عودة، المرجع السابق، ص 272

2- الأوضاع الاجتماعية

لم تدخل مدينة وهران في حوزة الجزائريين بصفة نهائية، طيلة الحكم العثماني إلا سنة 1792. يتشكل سكانها من أهل معسكر، والمغاربة، وبني مزاب، والبربر. وضعها الجغرافي جعل من سكانها أهل تجارة، وذلك لما في التجارة من منافع، ولأن الباي مهتم بها[1].

أما تلمسان كانت إلى وقت استرجاع وهران عاصمة المغرب الأوسط. وضعها متميز عن وهران إلا أن القلاقل، والاضطرابات، والصراعات حولها أنهكت سكانها. فالإسبان، والأتراك من جهة، وخطر الدولة السعدية التي بادرت هي الأخرى للتدخل في شؤونها من جهة أخرى، حيث حاصرها محمد المهدي السعدي لمدة تسعة أشهر، واحتلها يوم 5جوان 1550م[2]، ثم احتلت مستغانم بعدها، لكن حسن قرصو تصدى للجيش المغربي بحوض شلف، وأعاده أدراجه.

لقد عانى سكان تلمسان، وكذا سكان وهران من الصراعات، والحروب الدائرة في هذه المنطقة، التي أهلكت الحرث، والنسل، ولولا أن ظهور الإخوة بربروس بالجهة الغربية لكان الحال ذاته في الجهة الشرقية ولكن شاءت الأقدار أن تكون هذه الجهة على هذا الترتيب الكرونولوجي. حتى الاستعمار الفرنسي بدأ بالوسط قبل الغرب.

أما معسكر؛ التي ستلعب دورا هاما سواء الصراع الدرقاوي التركي، أو ما خرج من الطريقة القادرية وحربها ضد الاحتلال الفرنسي بقيادة الأمير عبد القادر ابن محي الدين. سكان هذه المنطقة من الأتراك والعرب، والبربر، وأكثرهم كراغلة[3]، والجهة الغربية من تلمسان إلى معسكر لسكانها عادات، وتقاليد متشابهة، فعملهم يقتصر على الفلاحة، وتربية المواشي، والتجارة، كما تشتهر هذه الجهة بصناعة البرانس السوداء ذات اللون الطبيعي، بالإضافة إلى الأقمشة التي كانت تصدر إلى كل من مصر و تركيا .

بالرغم من أن معسكر أقل شأنا من تلمسان، إلا أنها كانت عاصمة الباي عندما كانت وهران تحت السيطرة الإسبانية . يقول حمدان خوجة: ((كانت معسكر هي مقر الباي وكانت المقاطعة عندئذ غنية

---

[1]- خوجة حمدان، المرجع السابق، ص58

[2]- آثار الدكتور يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص 58

[3]- خوجة حمدان، المرجع السابق، ص59

وشاع الترف في معسكر؛ يظهر ذلك من خلال منازلها، وهندستها. إنها مدينة أكثر تقدما من مدينة تلمسان ...)). وحسب ما يفهم من وصفه أن باقي قرى الجهة الغربية شبيهة بما في مدنها من عادات وتقاليد، وظروف معيشة.

على هذا الحال كانت الأوضاع الاجتماعية التي ساءت فيما بعد إثر الأمراض المتفشية، والأوبئة الفتاكة بالإضافة إلى الزلازل التي ضربت مناطق منها. ثم الحروب التي أنهكت حياة الحضر، والبدو، وما قام به الإسبان من فرض إتاوات على المناطق التي خضعت له في هذه الناحية.

إنما يؤكد هذه الحال هجوم الشاعر سعيد المنداسي، وهو من شعراء القرن الحادي عشر، الذي ثارت فيه تلمسان على قوادها الأتراك عدة مرات[1]، لقد اتهم الأتراك بالفحش، وحب المال، وارتكاب الجرائم وبين ما عانت تلمسان منهم حيث قال في الأتراك:

فما دب فوق الأرض كالترك مجرم "" ولا ولدت حواء كالترك إنسانا

في حين نجد أن الحافظ أبو راس في سينيته يمدح الأتراك في محاولتهم لفتحها رغم فشلهم في ذلك فيقول:

وقيض الله الأتـــراك بمـزغنـة " " لحرب وهران دار الكفـــر والالس
أتاها باشا إبراهيم وسط حادي " " من القرون من بعـد الألف للوطس
قـــــام بالمائدة حـــينا يزاولـــها " " ثـم قـفا درجـه من فتحهـا آيس[2]

لاشك أن الحياة الاجتماعية كانت تدعو إلى السخط ليس فقط على الأتراك، وإنما على الحكام خاصة منهم، كما فعل الحاج عثمان ويقال له؛ عصمان بن الحاج إبراهيم، حيث كان على الإيالة الغربية ومكر بأهل تلمسان، وأوقع بهم إيقاعا شديدا، ومكر بهم مكرا عنيدا، ثم توجه إلى المحال، وصال عليهم

[1]– سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ش، و، ن، ت، الجزائر ج2، 1401هـ/1981م، ص275

[2]– الزياني محمد بن يوسف، المرجع السابق، ص193

إلى أن أفناهم، وأجلاهم لتلمسان ثم لوهران ثم رجعهم على أن لا يرفعوا رؤوسهم[1]. ومنهم من اشتغل باللهو والترف، ولم يولي شؤون رعيته العناية اللازمة، وهذه هي السيئة التي ذكر المؤرخون أنها سبب في التفاف الشعب وراء الطريقة الدرقاوية التي كبدت الأتراك خسائر في الجهد، والأنفس، والمال، والوقت معا. وقد بدأ أمر الطريقة الدرقاوية مع ابن الأحرش[2]، في الشرق؛ وألحق هزائم نكراء بالباي، وجيشه بوادي الزهور. إضافة إلى وباء الطاعون الذي حل بتلك المنطقة في ذلك الظرف بالذات فهلك كثير من الناس، ومن بينهم ثلة من العلماء كالشيخ سيدي عبد القادر بن السنوسي ابن دح بن زرفة، وأخيه الفقيه السيد الهاشمي، وابن عمهما الفقيه الأديب صاحب تأليف (فتح وهران) السيد المصطفى بن عبد الله، وما زاد الوضع مأساة ظهور الجراد فأفسد الزرع والثمار[3].

أما في الغرب، فقد جرت أول معركة عندما غزى الباي مصطفى أهل أنقاذ فهزموه شر هزيمة، حيث مات فيها جملة من أعيان المخزن منهم الأغا بن عودة بن خدة.

أ–علاقة حكام بايليك الغرب بالطرق الصوفية

يذكر الأغا بن عودة المزاري في مؤلفه صفات السيد عبد الله بن الشريف في أول أمره فيقول: (وكان هذا القائم في أول حاله عالما متفننا في سائر العلوم، محققا لها بقيودها، والمنطوق، والمفهوم ورعا زاهدا متعبدا راكعا ساجدا صائما قائما، حنينا راحما، أستاذا يقري القرآن، ويعزّ أهله، ويزيل بتعلمه لكل جاهل جهله، والناس يشيرون إليه بالصلاح، والنسك، والنجاح). وهذا إن دل على شيء إنما يدل على أن تبدل حاله رأسا على عقب، عقب رجوعه من المغرب. بعد أن ذكر لشيخه محمد العربي الدرقاوي أن في الجزائر قوم يقال له الترك غير مسلمين، ويظلمون الناس، ولا يعبؤون بالعلماء، والأولياء فأذن له بمحاربتهم في بداية الأمر ولكن لما اطلع على الحال وعاينه تبرأ من فعله.

أما التجانيين فلم يختلف معهم الأمر، حيث تدل حملة الباي محمد بن عثمان الكبير على نواحي لغواط مركز نشاط التجانيين لتوسيع نفوذه، وتطويع القبائل المجاورة على وقوف التجانية بوجهه، وما

---

[1]– المزاري الآغا بن عودة، المرجع السابق، ص283

[2]– فتى مغربي مالكي مذهبا، درقاوي طريقةً درعي نسبا. الزياني محمد بن يوسف، المرجع نفسه، ص271. ينظر أيضا: المزاري الأغا بن عودة، المرجع نفسه، ص299. (والقول متطابق حرفا بحرف).

[3]– المزاري الآغا بن عودة المرجع السابق، ص272

حدث بينهما من خطوب. لقد تخوف الباي من التجانية نتيجة ما حدث له مع درقاوة من قبل، وما تكبدوه من خسائر جراء الحرب معها، وما أحدثه الدرقاويون من قلاقل، واضطرابات، وخلخلة للناحية الغربية. تلقت التجانية دعما من عرب الضواحي، وأصبحت ذات قوة، وصيت، بعد عودة ولدي التجاني محمد الكبير ومحمد الصغير، واستقرارهما بعين ماضي، وقويت شوكتهما رغم تعرضهما لضربات المبعدين في الجوار ومن التجئوا إلى جبل عمور، حيث طلبوا الدعم من باي وهران، غير أن مساندته باءت بالفشل، وهو الحال بالنسبة لباي تيطري[1] في الانتصار على التجانيين وتحطيم تحصيناتهم.

ظهر للتجانيين فيما بعد أنهم من القوة بمكان للانتقال إلى دور الهجوم، وخاصة دعم قبيلة هاشم بمعسكر، كما كان جيشهم يتكون من قبائل أولاد نايل، وقبيلة لرباع، وسكان القصور، ومن معسكر اتجهوا إلى وهران للاستيلاء عليها، وكان يقود التجانيين الابن الأكبر الذي خلف والده بعد ما توفى، لكنه قتل هو أيضا في معركته ضد باي وهران.

لقد عانى الغرب الجزائري ويلات الاحتلال الاسباني، وسوء سياسة بايات الغرب، وكذا حروبه مع الدرقاوية وأخيرا ما أقلقت مضجعه التجانية. فعلى الصعيد المحلي قلاقل، واضطرابات، وعلى الصعيد الخارجي الغزو الاسباني، وما أحدثه من فرقة بين قبائله، واستيلائه على خيراته. أما من ناحية المغرب الأقصى أدى التواصل الصوفي في الشق السياسي إلى أوضاع متردية سياسيا، واقتصاديا. أما على المستوى الصوفي هو انتقال التجانية إلى المغرب الأقصى، وانتقال الدرقاوية إلى غرب الجزائر، كما اتسع مجال الطريقة التجانية إلى أن بلغ تونس في الشرق. كما كان للتجانية في المغرب الأقصى في المرحلة اللاحقة دور في علاقة المغرب بالحركة الوهابية بالمشرق .

كل هذه المتغيرات حدثت بسبب التواصل الذي كان يحدث بين المغرب الأقصى، وغرب الجزائر وخاصة، وأنه في المغرب كان المجال أمام التصوف ليسود بامتياز، خصوصا على العهد السعدي، وما بعده.

[1] – هو مصطفى بوزراق.

3- الأوضاع الاقتصادية

أ-وضع الزراعة والأراضي الزراعية

رغم الاضطرابات سياسية، والصراعات، ومعارك الضارية، فإن الاقتصاد عرف نوع من التطور، والانتعاش وخصوصا في مجال الزراعة. لقد قدرت ملكيات بايليك الغرب الزراعية في نواحي وهران بـ 11250 هكتار أغلبها يقع بسهول قريبة من المدية أين توجد قبائل الدوائر، والزمور التي استقرت بالامحال المعادية للأتراك، وفليتة، وبني عامر التي كانت تقيم علاقات ودّ، وصداقة مع الإسبان[1]. وقد وجه إليهم الشاعر ابن محلى خطابا بعد أن أخذته العزة والغيرة على بنات المسلمين ونظم في ذلك قصيدة منها[2]:

فمن مبلغ عني قبائل بني عامر "" ولاسيما من قد ثوى تحـــت كافر
أيا معشر الإسلام أين فحولكم ؟ "" أما أبصروا في السبت عبد الحرائر
وتحـت اليهودي غادة عـــربية "" يعالجـــها الـخنزير فـوق المزابر

كان يتم استغلال الأراضي الزراعية من طرف الحكام بنظام الخماسة[3] بالنسبة للأتراك، والسخرة بالنسبة للإسبان. لقد استعمل الإسبان قبيلة شافع من بني عامر، وأجّرتهم أرضا، وعند تحرير وهران الأول[4] استولى عليها الباي مصطفى، وغرس بها الزيتون، وأنواع أخرى من الأشجار المثمرة، وجعل فيها حوضا (بركة) لسقي القمح والشعير. وأنشأ بعده الباي شعبان مزرعة في أراضي أولاد علي، وفرع الهبرة في إقليم سيراط أو سيرات، واتبع نظام الري مثل سابقه، وبعد موته آلت إلى البايات دون أن يعيدوها إلى أصحابها إلى غاية 1745م منحوهم أراضي بعين الماء، وزيدور.

---

[1]- التر عزيز سامح، الأتراك العثمانيون في شمال إفريقيا، تر، محمود علي عامر، دار النهضة العربية للنشر والتوزيع، بيروت، ط1 1409هـ/1989م، ص458.

[2]- سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص272

[3]- سعيدوني ناصر الدين، الجزائر في تاريخ العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ج4، 1984، ص52

[4]- فتحها الباي مصطفى بوشلاغم بن يوسف المسراتي، ثم الهواري، فتحها صبيحة الجمعة سادس عشرين شوال 1119هـ، فنقل كرسي المملكة من المعسكر لها. الزياني محمد بن يوسف، المرجع السابق، ص253

كان أيضا في حدود مدينة تيارت أراضي للباي منزوعة من أصحابها، وهناك مزرعة بتخمارت[1] لا زالت تسمى إلى اليوم بـ : (جنان البايليك)، وهو عبارة عن مساحة شاسعة كلها مغروسة بأشجار الزيتون يتوسطها مسكن القائم بأمر المزرعة.

أما الباي إسحاق إبراهيم الذي كان بمعسكر الفترة ما بين 1756– 1762م فقد استولى على قطاع واسع من الأراضي في سهل وادي شلف بدوار الجليدة وتسمى إلى اليوم بـ : (بلاد الباي إبراهيم) . هذه الأراضي تم استغلالها بالسخرة والخماسة[2] .

هذا بالنسبة للملكيات العامة، أما الملكيات الخاصة يقوم أصحابها باستغلالها مع دفع فريضة العشر والزكاة، وهذه الضرائب غير مستقرة نظرا لصغر المساحة من جهة، وانتقالها بالوراثة من جهة ثانية، ومكان تواجدها بالمناطق الجبلية، أو بجوار المدن، حيث يسعى موظفو الدولة، والأغنياء من سكان المدن إلى شرائها، ومثال ذلك: الملكيات الواقعة بوهران امتلكها الأتراك، والكراغلة، والميسورين من سكان المدن منها بايات الغرب بمسرغين، والدار البيضاء الواقعة بالقرب من وهران.

رغم الاهتمام بالزراعة إلا أنها لم تتطور كما ينبغي، وخاصة إذا قارناها بما يحدث بأوربا لاقتصار العاملين بها على الآلات البسيطة مثل المحراث الخشبي، والمنجل[3]. في حين أن الأراضي الخصبة تحتاج إلى آلات حديثة، وعناية، وتوفير المخازن، وإنشاء السدود. وهذا لم يكن موجودا عدا ما أنشأه الفلاحون بجهدهم الخاص من سدود بسيطة على حافة الأودية مثل مينا، وسيق، والهبرة، وشلف، هي غير كافية. كما أن المطامير، وهي من إنشاء الفلاحين لا تخزن القدر الكافي من الاحتياط اللازم من الحبوب.

ب– أنواع المحاصيل

أما المحاصيل فكانت بالدرجة الأولى متمثلة في الحبوب من قمح، وشعير باعتبارها الغذاء الأساسي المعاشي، ويمكن تصديرها، وجني الأرباح منها، لذا عملت الدولة بجهد للسيطرة على المساحات

---

[1]– هي مدينة صغيرة تتوسط ثلاث ولايات: سعيدة باتجاه الجنوب الغربي، وتيارت باتجاه الجنوب الشرقي، ومعسكر باتجاه الشمال الغربي، تتوفر بها أراضي خصبة مع وفرة المياه سواء وادي العبد الذي يتخللها أو العيون، والمنابع المنتشرة بجهات كثيرة في ضواحيها . معاينة ميدانية.

[2]– عباد صالح، الجزائر خلال الحكم التركي، 1519– 1830، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر، ط2، 2007، ص390.

[3]– آلة بسيطة مقوسة ذات مقبض خشبي تستعمل في الحصاد، وخصوصا القمح، والشعير.

المخصصة لهذا النوع من المزروعات، وخصوصا بالسهول، كسهل غريس، ومستغانم، وتلمسان، وقلعة بني راشد. وقد قدرت مساحات أراضي الحبوب التي يمثلها بايليك الغرب بما يناهز 3500جايدة[1] بالإضافة إلى 5212 جايدة موزعة على موظفي الدولة مقابل الأجور. بخصوص مزروعات أخرى ذات طابع تجاري أكثر منها استهلاكي نجد القطن، والكتان، والأرز، والتبغ. ينتج الأرز بنواحي مليانة المتاخمة لنهر شلف ونواحي مستغانم. أما العسل، والشمع كان بالأقاليم الجبلية لبايليك الغرب الممتدة من رأس فالكون إلى الحدود المغربية، فجزء من هذا المحصول للاستهلاك والباقي يباع لوكلاء البايليك.

تعتبر الثروة الحيوانية مورد هام، وكانت تشمل الأغنام، والماعز، والأبقار، والبغال، والحمير وهذين الأخيرين استعملا للجر، والنقل، وفي مجال الزراعة. في حين شكلت الصناعة موردا أخرا في مجال الاقتصاد بالجهة الغربية، وتمثلت في صناعة الأسلحة بقلعة بني راشد، وقلعة بني عباس، وقرية فليتة.

وبخصوص الصناعة التحويلية، ومعالجة الملح، فكان مركزها بأرزو، وتلمسان، واشتهرت ندرومة بصناعة الأواني الخزفية بالإضافة إلى تجفيف الفواكه، والمربى من عصير العنب، واللوز الذي يمكن استهلاكه طيلة السنة؛ نظرا للإقبال الذي يحظى به من طرف السكان. يضاف إلى ما ذكر من صناعات: الأنسجة الصوفية المحلية؛ فالأغطية، والجلابيب، والأحزمة بتلمسان، ومعسكر، وامتازت هذه الأخيرة بالبرانس ذات الجودة العالية، حيث كانت تصدر إلى المشرق العربي، وإسطنبول[2].

في مجال التجارة كانت تلمسان مركزا تجاريا هاما، نظرا لارتباطها بتجارة المغرب الأقصى، وقد ساعدها على ذلك نشاط تجارها، ضف إلى ذلك صلاتها القديمة بالسودان عبر الساورة، وإقليم تافيلالت. وظلت أسواق تلمسان تتحكم بالتجارة، وخاصة مادة القطن بقدر أكبر، وكذا التوابل والأقمشة، والجلود والأخشاب، والبنادق، وريش النعام، والعاج، والعلك، وتجلب هذه المواد عبر جبل طارق، ومن فاس حيث تعتبر هذه الأخيرة مدينة تجارية مثل تلمسان[3]، وتتصل معها بطريق تجاري عبر تازة؛ طريق أخر هو

[1] – جايدة: وحدة قياس الأراضي، والواحدة منها تساوي ما بين 8 إلى 9 هكتارات. سعيدوني ناصر الدين، المرجع السابق، ص53

[2] -Alfred Roux, La civilisation Ottomane , Ed ,Oriental, Paris , 1997, p33

[3] – سعيدوني ناصر الدين، المرجع السابق، ص72

إقليم الجنوب. في المقابل كانت تصدر الإنتاج المحلي من الحبوب، والبلاغي والزيت[1]. هذا بصفة موجزة فيما يتعلق بأوضاع الاقتصادية، وكما لاحظنا أن انتعاش الاقتصاد عرف مع البداية لكنه تراجع وبقي يتذبذب تبعا للأوضاع العامة، ولم تكن الأحوال الثقافية بأحسن حال من الأوضاع الاقتصادية .

4- الأوضاع الثقافية والدينية

ثقافة المجتمع هي هويته، وقد طبعت الحياة الثقافية بغرب الجزائر بطابع إسلامي بالإجمال، رغم التسلط الاستعماري على هذه الجهة لفترة أطول. ورغم الطراز العمراني الأوربي الذي يطغى على بعض المدن الغربية كوهران ومستغانم، إلا أنها إسلامية في الصميم. غير أن الفترة العثمانية عرفت فيها الحياة الثقافية ركودا مثل باقي المناطق الإسلامية الخاضعة للدولة العثمانية. ولأننا نصف الحالة الثقافية لهذه الجهة فنأخذها في سياقها التاريخي، وليس الأدبي.

أ-الوضع العلمي والإنتاج الفكري

فمن الناحية العلمية كانت متأخرة، وخصوصا في مجال الطب، والفيزياء، والعلوم العقلية الأخرى مقارنة بما كان يحدث من نهضة في أوربا. وقد ارتبط التعليم، والقضاء، والعلاقات الاجتماعية، والفكرية بالإسلام[2].

ساد التأخر العلمي، وخصوصا أواخر العهد العثماني في الجزائر، وعلى وجه الخصوص بغرب الجزائر وهذا ما نجده من وصف في الكتب التي أرخت لهذه الفترة، وحتى مؤلفيها كتبوا في السياسة، والدين والشعر؛ مثل الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني[3] لابن سحنون الراشدي الذي وصف فتح وهرن،وهو أنفس ما أُلف في هذا الفتح كما قال المهدي البوعبدلي خلال تحقيقه له[4]، أو مؤلفات أبي راس الناصري كعجائب الأسفار ولطائف الأخبار، أو الأغا بن عودة في طلوع سعد السعود. وكذلك عقد الجمان النفيس

---

[1]- عبد الحميد إسماعيل، الدولة العثمانية، طرابلس، ليبيا، ج2، 2002، ص52

[2]- الجميعي عبد المنعم، الدولة العثمانية والمغرب العربي، دار الفكر العربي، القاهرة، ج12، دت، ص25

[3]- هو أحمد بن محمد بن علي بن سحنون الراشدي وترجمته فقط ما ذكر من اسمه، وبعض الأوصاف التي عادة ما يوصف بها العلماء وهي بثنايا مؤلفه الثغر الجماني.

[4]- الراشدي ابن سحنون، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تح، تق، المهدي البوعبدلي، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، مارس1973، ص67

في ذكر الأعيان من أشراف غريس لعبد الرحمن بن عبد الله التوجيني، وكذلك ما كتبه محمد بن ميمون الجزائري بشان الفتح الأول لوهران على عهد محمد بكداش باشا، وباي وهران مصطفى بوشلاغم، وهو فيه الكثير من المدح لشخص محمد بكداش، وسماه: "التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية "، وغيرها من التصانيف بشأن الجهة الغربية.

وفي الرحالات؛ رحلة الأغواطي، ورحلة أحمد بن محمد المقري التلمساني التي سماها "روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحاضرتين مراكش وفاس"، وغيرها من المؤلفات التي تصف الأحوال السياسية، والاجتماعية؛ وهذه المؤلفات من جملة الإرث التاريخي للمغرب العربي ككل. غير أن أغوار الحياة الثقافية في جهة معينة كغرب الجزائر تحتاج إلى تقصي، وبحث ضنين للكشف عن الحالة التي كان عليها مجموع سكانها بالحاضرة، والريف.

ب–التعليم وانعكاساته

إن التأليف تعكس الوجه الحضاري لغرب الجزائر، والمتعلق بالحياة السياسية، والاجتماعية.

فالثقافية فهي ما سجلته الأشعار، والنثور. أما التعليم كان منتشرا في أوساط القرى، والأرياف؛ يقوم به في أغلب الأحيان الزوايا، ودور مخصصة لذلك. كما انحصرت مواده في تحفيظ القرآن، والحديث الشريف واللغة العربية، وما تفرع منها، أما المساجد فهي قليلة، وكانت تدعى " المسيد " ووجودها يكاد يقتصر على المدن دون الأرياف. وبالجملة فإن المستوى الثقافي عرف انحدارا في ظل غياب التعليم، وانتشار الأمية، وسيادة الإقطاع. وهذا سجلته لنا القصيدة الشعبية، ووصفت لنا الحالة العامة التي سادت في تلك الفترة، وخصوصا في غرب الجزائر، وباتت لسان حال المجتمع للتعبير عن رغباته، وحاجاته، وطموحاته.

طبيعيا أن نجد موضوعات طاغية على أخرى، والشعر المقاوم أخذ نصيب الأسد من ذلك، نظرا لما عرفته الجهة الغربية للجزائر من حروب سواء محلية أو أجنبية، بالإضافة إلى استبداد الحكام.

وكانت إسبانيا قد احتلت عدة مواقع على طول الساحل الجزائري، ومنها وهران، وكانت لها وقائع وخطوب مع الإسبان مثل موقعة مازغران[1]، وعبر الشعراء عن تلك المعارك. يقول الشاعر الأخضر بن خلوف في قصيدة:

[1]– قرية على بعد أربعة كلم من مستغانم على طريق وهران فيها حدثت المعركة التي خلدها الشاعر في منظومته.

طل الكافر حين شاف الناس "" حقق في الجبهة أمشي مجدوب

قالوا أهل التدبير للـفرطاس[1] "" اذا انغـدوا ايجـونا بركـــــوب

ثم نقتل الرأس بعـد الرأس "" حـق الحـق ولا بقات كـــذوب

باتـوا الكفـرة حارمين النوم "" ومزاميـــر المقت محمومـــة

جيش بلا سلطان غير ايهم "" ضـاقت به اجنـاح معـدومـــــة

قصة مازغران معلومة

ولا شك أن هذا الشعر يتضمن موضوعات دينية لأن الباعث على المقاومة هو الحماس الديني.

هناك موضوعات أخرى منها ما هو مسجل، ومنها ما ذكر في الكتب، وليس له أثر. منها نصوص في المدح والتصوف، والوصف، والغزل، والرثاء. والحال أن بكاء المدن، ورثائها عبر عن ما آلت إليه الأوضاع، وقد عبر ابن المسايب عن لوعته، وأسفه على تلمسان، وما أصبحت عليه في القرن السادس عشر حيث قال:

أَكَبِارهَا بِـــوادِي وحَـــضَر "" مَتَفْـقِين عَـلَى الـــــــــــــدُونِية

هُمَـا أسْبَابْ كُـــل فْسَـــــادْ "" وأخَلاَهَا تَهْوى ولا أرض أوجَد فِيها حَدْ أَمَان

طَلَقُوا لَبْلاَدْ فَسْدَتْ حتَى عَفْنَاهَا "" وابْقَات لَا حُكْـــمْ فِيهـَا لاَ دِيْـــوَان[2]

بالإضافة إلى ذلك استتر الحكام الأتراك بالدين لتحقيق أغراضهم؛ لما عرفوا أن الشعب الجزائري يهب هبة رجل واحد كلما حركت مشاعره الدينية، أو انتهكت أعراضه. رغم وجود المصلحين من الأمة الذين تفطنوا إلى مثل ذلك إلا أن مكانة الدين، وقدسيته لدى الجزائري من جهة، والأمية التي سادت

[1]– الفرطاس: لقب به المسلمون قائد وهران الكنت دالكادوت الذي قتل على أبواب مستغانم بواقعة مزغان التي سجلها الشاعر الشعبي الأخضر بن خلوف وذلك سنة 965هـ . دليل الحيران، المرجع السابق، ص189

[2]– دحو العربي، الشعر الشعبي ودوره في الثورة التحريرية الكبرى، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ج1، 1989، ص46

الأوساط كانت الغالبة على الفطنة، والتعقل. مما جعلت المجتمع يلبي النداء في الجهاد. والغريب أن طاعة الحكام في ذلك كان من أجل رفاهيتهم، وبقائهم، وإفقار المجتمع، وإخضاعه ليس إلا.

يصور الشعر، والنثر معا الحالة الثقافية في غرب الجزائر، يعبر فيها عن واقع فترة عرفت ركودا في الإنتاج. هذا عما نعرف. أما دواوين الشعر المذكورة للمنداسي، وابن علي، وابن عمار، والمقري، وابن حمادوش، والمانجلاتي، وابن سحنون، وابن شاهد، وأضرابهم لم تنشر[1]. ضف إلى ذلك أن قضايا عدم التدوين من جهة، وقضية علاقة الشعر الفصيح بالملحون، وعلاقة الشعر بالحياة عوما من جهة ثانية شكلت صورة عامة عن الأوضاع الثقافية في عهد العثماني بالجزائر، وبالجهة الغربية على وجه التحديد نظرا لما ذكرناه من خصوصية سياسية، وطول فترة بقاء الأجنبي ببعض سواحلها، ومدنها.

هذا هو الحال بصفة عامة في الجهة الغربية، وقد ارتبطت اطرادا مع الأوضاع السياسية، والاقتصادية.

ج–التصانيف في أقسام التصوف

في ظل هذا المناخ؛ نجد التصوف قد سيطر على الحياة العلمية، والروحية معا، والتصانيف التي تزُكت لدليل على ذلك، ولأن تفرعات التصوف، وما لهذه الظاهرة من غناء، وثراء؛ فقد صنف في كل أقسامه. فمنهم من صنف في الأوراد، وترتيبها، ومنهم من صنف في الأذكار، وأوقاتها، ومنهم من صنف في المناقب، والمواعظ، وغيرهم في الحِكم، ومنهم من اعتني بقصائد المديح النبوي. ولأن التصوف في هذه الفترة أصبح شعبي فقد يصدق القول بأن العصر الحديث بالمغرب ككل هو عصر التصوف بامتياز.

وبما أننا تعرضنا مفهوم مصطلح التصوف في عرض بحثنا في الفصل الأول نستعرض الأوضاع بالمغرب الأقصى في هذه الفترة، لنرى ما كانت عليه، وهل المناخ العام لها شكل أرضية للتواصل بين الجهتين،وتحديدا التواصل بين الطرق الصوفية على المستوى الثقافي الديني، لنرى فيما تمثلت العلاقات بين غرب الجزائر والمغرب الأقصى؟.

[1]– سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، المرجع السابق، ص247

5-العلاقات بين الجزائر والمغرب الأقصى في الفترة الحديثة

كانت العلاقات بين أقطار المغرب تتسم أحيانا بالصراعات، والحروب، وأحيانا أخرى بالسلم والتعاون والمهادنة. هذا منذ تشكل الدول المستقلة بالمغرب الإسلامي.

وبما أن المغرب الإسلامي عرف دول مستقلة في فترات من تاريخه، وأخرى موحدة، -بسبب الصراع على الخلافة في المشرق واتساع رقعة العالم الإسلامي، بعد الفتوحات الإسلامية، وصعوبة السيطرة على الأقاليم من طرف عاصمة الخلافة- فإن العلاقات خفت حدتها مع مطلع العصر الحديث، بسبب التحرشات الاسبانية، والبرتغالية بسواحل بلاد المغرب، وظهور الدولة العثمانية على مصرع الأحداث.

لكن مع استسلام العثمانيون في الجزائر للاستعمار الفرنسي، وبعد الفراغ الذي تركته، -استلزم الحال التفاف الشعب حول مقاومة الأمير عبد القادر بن محي الدين- تغيرت العلاقات، عندما أحس المغرب بخطورة الموقف مع الجزائر ضد المحتل على أراضيها، والتاريخ يسجل الأحداث لكن وجهات النظر تختلف، حول طبيعة العلاقات في تلك المرحلة الحاسمة من تاريخ المغرب العربي؛ لأن واقع ما حصل أن خضع المغرب العربي تحت المحتل الأجنبي.

ويعود ذلك إلى العداء الذي نتج عن تهديدات بيجو لسلطان المغرب، لكن ما محصله من كل ما كتب حول العلاقات بين الجزائر والمغرب[1] أنها اتسمت بالنزاع حول طموحات كل طرف منذ الفتح الإسلامي للمغرب، واستقلاله عن الخلافة بالمشرق. واستعراض تدخلات كل طرف في الأخر مبثوثة في كتب التاريخ بالتفصيل، ولكن ما يهمنا في هذا المقام، الأدوات التي وظفها المغرب، والحال كذلك بالنسبة للأتراك العثمانيين.

لقد كانت الطرق الصوفية الأكثر انتشارا في المغرب، وحتى تلمسان؛ هي الطريقة الشاذلية، وعلى أكتاف أتباع هذه الطريقة، والطريقة الجزولية المتفرعة عنها، قام السعديون في المغرب، وتسلموا السلطة فيه[2]، ولأن مدينة تلمسان القريبة من فاس انتشرت بها الطريقة القادرية المشرقية الأصل خلق تنافس وُظف

[1]- تحدث عن ذلك بالتفصيل؛ بن خروف عمار، العلاقات بين الجزائر والمغرب، 923-1069هـ / 1517-1659م، رسالة لنيل درجة ماجستير في التاريخ، مطبوعة، جامعة دمشق، كلية الآداب، قسم التاريخ، دمشق، 1403هـ/1983م.

[2]- بن خروف عمار، المرجع السابق، ص152

على أساس الولاء، ودعّم هذا التنافس الصراع، وأصبح وقوده الذي يشعل الفتن، والصراعات، وأصبحت سياسة، تعبر عن المواقف سواء بالنسبة للتدخلات فيما بينهما، أو صراعها مع القوى الأجنبية، واسمرت تلك الأوضاع إلى غاية الاحتلال الفرنسي.

إن القرائن، والدلائل على تأزم العلاقات بين الجزائر، والمغرب مردها إلى الأطماع من جهة، وإلى الاحتواء من جهة أخرى. غير أن الطرق الصوفية كانت الأداة للدعم، أو إثارة القلاقل سواء بالنسبة للدولة العثمانية بالجزائر أو المغرب الأقصى، وسنرى ذلك عند الحديث عن الطرق الصوفية، وتواصلها في المغرب الأقصى، وغرب الجزائر تحديدا. فدور الطرق الصوفية تعدى أحيانا مجاله إلى السياسة ولعبت دورا أسياسيا في مسرح الأحداث في الجهتين.

ثانيا: الأوضاع العامة في المغرب الأقصى منذ القرن16م

1-علاقة الطرق الصوفية بالأوضاع في المغرب الأقصى

في الفترة الممتدة من 1420 إلى 1553م في ظل الحكم المريني الوطاسي ،كان الإسبان قد استردوا الأندلس، وفوق ذلك احتلوا عدة مراكز بالساحل الغربي، ولم يتمكن بنو الوطاس من دفاع البرتغاليين.

ففي عهد السلطان أبي سعيد الثالث بدأ عهد التفكك السياسي، حيث سقطت سبتة ، وهو منشغل في لهو منصرف إلى الاستمتاع في مجالسه غير مكترث لما يدور حوله، تاركا تسيير شؤون الدولة للوزراء والحجاب، وكانت دولته تعاني من خراب إثر فتنة السعيد بن عبد العزيز مدعوما بالنصريين للاستيلاء على الحكم، وانتهى أمره بمقتله على يد حاجبه عبد العزيز المليانى.

وفي ظل هذه الظروف انفرد الوطاسيون بالحكم، غير أن الأوضاع زادت تفاقما، وتتابعت الثورات، وتمردت قبائل الشاوية[1]، سنة 846هـ/ 1442-1443م، وقضى فيها أبو زكريا يحي الوطاسي على يد عرب أنكَادْ سنة 852هـ/1448م، وظل الصراع بعد موته بين علي بن يوسف (ت 863هـ/1459م) وأبو زكريا الثاني من جهة، والسلطان عبد الحق المريني من جهة أخرى، مما زاد الحال سوءً، والوضع تدهوراً. ورغم أن السلطان عبد الحق استطاع أن يقضي على الأسرة الوطاسية، إلا أن سياسته التي انتهجها في تولية اليهوديين (هارون وشاويل) في الإشراف على تسيير شؤون الدولة بغية تفادي ما حدث سابقا فإن أمره آل إلى نفس المآل[2]، وقضى مع اليهوديين على يد نقيب الشرفاء بفاس، وهو محمد الحفيد الشريف الإدريسي الجوطي الذي اعتلى الحكم سنة 869هـ/1465م، وثورة فاس كانت بمثابة المخاض الذي تولد عن عصر جديد، بعد أن ظهرت الحركة الدينية، وذاع صيتها اثر مدافعتها للبرتغاليين .

---

[1]- لفظة الشاوية نسبة إلى الشاء التي هي جماعة الغنم مثلا. قال الصحاح : ((والنسبة إلى الشاء شاوي قال الراجز:

لا ينفع الشاوي فيها شاته "" "" ولا حماراه ولا علاته

وإن سميت به رجلا قلت شائي، وإن شئت شاوي. السلاوي، الناصري، الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق، جعفر الناصري ومحمد الناصري، الدار البيضاء، المغرب، ج4، 1418هـ/1997م، ص ص 66-67

[2]- ضربت عنقه يوم الجمعة السابع والعشرين من رمضان سنة تسع وستين وثمانمائة، ودفن ببعض مساجد البلد الجديد ثم أخرج بعد سنة ونقل إلى القلة فدفن بها، وانقرضت بمهلكه دولة بني عبد الحق. الناصري، المرجع نفسه، ص100

تعتبر ثورة فاس إحدى القضايا التي كثرت التأويلات بشأنها؛ ويركز الباحثون في تاريخ المغرب على وقوف الجزولية[1] تحديدا وراء بيعة الجوطي، إلا أن أي ثورة تكون نتيجة تضافر عدة أسباب. وثورة فاس أهم أسبابها الصراع الوطاسي، والسلطان عبد الحق، ومن يساند كل منهما، بالإضافة إلى المنافسة الشديدة بين الفقهاء، والجزولية. فالتيار الفاسي كان يتزعمه الورياغلي الداعم لقيام الجوطي، والتيار الثاني ممثلا في القوري، والشيخ زروق المتمسك بالمشروعية السنية. كما كان للأقلية اليهودية دور في ذلك.

وهذه الاضطرابات جعلت الجوطي ينشغل بتهدئة الأوضاع بمنطقة تامسنا[2]، والحصار الذي ضُرب على فاس من طرف بني الوطاس لمدة سنتين أدى بأعيان المدينة إلى الاختلاف بشان هذا الأخير واضطروا إلى الاتصال بمحمد الشيخ، وعلى اثر ذلك تم نفي الجوطي إلى تونس بعد سبع سنوات من حكمه.

أما بالنسبة للشيخ محمد بن سليمان الجزولي في ظل هذه الأوضاع اهتم بتنظيم أتباعه، وبناء الزوايا في الجنوب لإصلاح الدولة، وجعلها دولة جهاد قائمة على الشرف، والولاية. غير انه اغتيل في نفس السنة التي نفي فيها الجوطي، وهي 875هـ / 1471[3].

اتسمت مرحلة الحكم المريني الوطاسي بالمعاناة الشديدة، وبالخصوص في مرحلتي الوصاية، والحكم ضف إلى ذلك المشاكل الصحية التي سببها الطاعون الأسود، الذي امتد طيلة هذه الفترة، واستمر فتكه بالسكان، وقوى الإنتاج طوال الفترة الموالية دون انتعاش الاقتصاد، ونمو السكان. خصوصا في السنوات التالية: 1442، 1452، 1467، 1468، 1491، 1492، 1520م. هذه الظروف المضعفة جعلت الوطاسيين يعترفون بالسيادة الحفصية من جهة – لما أصبحت فاس مهددة مرة أخرى بالسقوط في أيدي أبي فارس الحفصي، ومن جهة أخرى الاعتراف بالسيادة الروحية للدولة العثمانية–، وبالرغم تفكير أحمد

---

[2]– طريقة صوفية نسبة إلى القبيلة جزولة، أو غزولة، أو كزولة.

[2]– هذا الإقليم هو أقصى مملكة فاس من ناحية الغرب يبتدئ عند أم الربيع، ويمتد نحو الشرق إلى إقليم أبي الرقراق الذي يصب في البحر بين سلا، والرباط. كربخال مارمول، المرجع السابق، ج2، ص126

[1]– هناك اختلاف بشان اغتيال الشيخ محمد بن سليمان الجزولي على أراء: فمنهم من يرى انه اغتيل سنة 869هـ /1465م، ومنهم من يرى اغتياله كان سنة 874هـ /1470م. السلاوي الناصري، الاستقصا المرجع السابق، ج4، 1418هـ/1997م، ص122

الوطاسي الذي أراد اكتساب نسب شريف بزواجه من الحرة سليلة أسرة بني راشد الشريفة [1]، وتقربه من صوفية الشمال من خلال علاقته من أبي عبد الله محمد بن يحي البهلولي، وكذا استمالت أغلب شيوخ الزوايا كالشيخ عبد الله الخياط الزرهوني، وبالأخص مشايخ الملامتية[2]، لم يتمكن بنو الوطاس من القضاء على البرتغاليين، ولذلك اتجه الشعب إلى السعديين الذين ظهروا من بلاد السوس فجأة وسط الساحة السياسية.

أول عمل قام به السعديون هو مدافعة البرتغاليين، والقضاء عليهم، وإجلائهم عن مراكش، وجمعوا ما أمكنهم، وحرضوا ما استطاعوا من شعب لجهاد البرتغاليين. وبالفعل تمكن السعديون من طرد البرتغاليين من أسفي، وأجدير، والجديدة. هذا العمل سهل مهمتهم في القضاء على الوطاسيين بالرغم استغاثتهم بالنصريين من جهة، والعثمانيين في الجزائر من جهة أخرى .

لقد بدأ الصراع السعدي الوطاسي، بداية بوقعة أنماي التي عقد بعدها الصلح مع السعديين إلى فترة، ثم حدثت وقعة أخرى بوادي العبيد، وما جرى فيها من قتال شديد، ثم وقعة درنة بتادلا، التي أسر فيها الأمير أبي زكريا الوطاسي، وهلك. تم الاستيلاء على فاس من طرف السعديين غير أن أبا حسون عاد إليها مدعوما بالأتراك العثمانيين بالجزائر، واستولى عليها سنة إحدى وستين وتسعمائة[3]، وما لبث إلا فترة قصيرة حتى عاد محمد الشيخ السعدي بعد وقعة الأتراك ، وهزم أبا حسون وقتله وتربع على عرش فاس، وبذلك انتهت هذه الدولة إلى الأبد.

---

[1]- القبلي محمد وآخرون، تاريخ المغرب تحيين وتركيب، منشورات المعهد الملكي للبحث في تاريخ المغرب، الرباط، 2011، ص305

[2]- قال بعضهم الملامتي: هو الذي لا يظهر خيرا، ولا يضمر شرا، وشرح هذا؛ هو أن الملامتي تشربت عروقه طعم الإخلاص، وتحقق بالصدق، فلا يجب أن يطلع أحد على حاله، وأعماله .الغزالي أبو حامد، إحياء علوم الدين، كتاب عوارف المعارف للسهروردي، الملحق، دار المعرفة، بيروت، دت، ص69

[3]- السلاوي الناصري، الاستقصا، المرجع السابق، ص161

2- دور الطرق الصوفية في قيام الدولة السعدية

لقد تعاون أرباب الزوايا، وقبيلة بني سعد الصحراوية[1]، لطرد البرتغاليين من مرافئ المغرب، فمن الذين تعاونوا مع شيوخ الزوايا؛ محمد المهدي[2]، لكن بمجرد وفاته انقلب خلفه؛ وهو محمد المتوكل على أرباب الزوايا الذين عاضدوا والده من قبل بعد دخوله إلى مراكش، وطالبهم بأداء بعض الضرائب كغيرهم من الرعية. أراد بذلك تقوية نفوذه، وعدم خضوعه؛ والحال أن الأتراك بالجزائر بالجوار، وهذا في نظره خطر محدق. فكان عليه أن يكّون جيشا يستطيع بفضله حماية هذه الدولة الفتية في المقام الأول، ويعيد تنظيم الدولة من جديد.

تشير المصادر إلى أن الأمر لم يستتب لمحمد المتوكل، فبمجرد دخوله فاس انقلب عليه عميه أحمد، وعبد الملك، وسعيا لخلعه معتمدين في ذلك على معونة الأتراك بالجزائر. استطاع عبد الملك من الدخول عنوة فاس ومراكش، في حين أن المتوكل طلب معونة البرتغال حيث لبى " دون سبستان " طلب المتوكل على أن تبقى بيده المراكز الساحلية بالمغرب.

لقد انتظم الحال على ما كان من تمزق، وتشرذم في المغرب بين سلطة مركزية، وحرب وشيكة طرفاها أبناء العمومة، كل منهما مدعم من طرف الأجانب. كان القصر الكبير على موعد مع وقعة على ضفة وادي المخازن راح ضحيتها ملوك ثلاثة[3] : قائد الجيش "دون سبستيان"، وعبد الملك، والمتوكل[4].

---

[1]- استقر السعديون في وادي درعة، في بداية القرن الرابع عشر في تاجمدارت في منطقة من أغنى مناطق درعة بالسكان، وظلوا حتى مطلع القرن السادس عشر يعيشون حياة بسيطة كعلماء، وكان نسبهم يكسبهم شيئا من الاحترام. عامر محمد علي و خير فارس محمد، المرجع السابق، ص31

[2]- بعد تغلبه على الوطاسيين تألب عليه عميه أحمد، وعبد الملك، وجعله ذلك يستغيث بجيش البرتغال، وخاض من أجل عودته معركة اشتهرت بـ: وادي المخازن، التي انتهت سنة 1587م.

[3]- تفاصيل هذه الوقعة في كتب التاريخ، ومنها على طريقة الوصف الدقيق، في نزهة الهادي، ص 73 وما بعدها. اليفرني محمد الصغير بن عبد الله، نزهة الهادي بأخبار القرن الحادي، صحح عباراته التاريخية السيد هوداس ، تم طبعه على يد بريدن صاحب مطبعة أنجي سنة 1888

[4]- كان محمد ولي العهد نائبا بفاس فجددت له البيعة بمراكش، ثم فاس ،ولقب بالمتوكل، 981-983هـ / 1574-1576م، وهو المعروف بالمسلوخ. بنعبد الله عبد العزيز، معلمة التصوف الإسلامي، دار المعرفة للنشر والتوزيع، الرباط، المغرب، ط1، ج1، 2001، ص33

هذه المعركة قيل أنها كانت الفيصل لعهد جديد، يُبوع فيه أحمد المنصور الملقب بالذهبي الذي يعتبر أعظم ملوك المغرب، وكان في طليعة أعماله العسكرية غزو السودان، وقرر الاستيلاء على مناجم الملح من أجل انجاز ما خطط إليه من مشاريع.

لقد عاد جيشه محملا بكنوز من الذهب مع عدد كبير من العبيد، وبعد هذه الحملة لقب بالذهبي.

حاول أحمد المنصور الذهبي تنظيم الدولة تنظيما جيدا فجعل القبائل تخضع للمخزن[1]، السعدي وتؤدي ما عليها من ضرائب، وجعل الجيش المكون من العبيد الذين جاء بهم من السودان، والبربر، والأتراك أيضا وهو يشبه في تنظيمه الجيش التركي بالجزائر. كما نشط العلاقات الخارجية، وخاصة مع الدول الأوربية بشقيها السياسي، والتجاري، واكبر انجاز خلد ذكره هو قصر البديع بمراكش؛ ويعبر بحق عن فترة الفن المعماري السعدي. وحدث لأولاد المنصور نفس الأمر من التصارع، والاقتتال على الملك، وتجدد انقسام الدولة بين مراكش، وفاس، وعمت الفوضى، وظهر أدعياء العرش، وجزّء أمراء الطوائف المغرب إلى إقطاعيات.

كما ظهرت زعامات دينية لمشايخ الصوفية أقواها أهل دلاء، وقد كان بدء أمرها بجبال الأطلس المتوسط. تلك الحركة الدينية السياسية ازدادت قوة يوما بعد يوم في مقابل تقهقر، وضعف الدولة السعدية نتيجة النزاعات على الحكم. استولى الدلائيون على مدينتي فاس، ومكناس بقيادة محمد الحاج وفتحوا بعد ذلك مدينة سلا، وبذلك بسطوا نفوذهم على ناحية المغرب الشمالي بالكامل.

في ذلك الحين كان زيدان[2] مركزا سلطته على مملكة مراكش، حيث سالم البرتغاليين في (الجديدة) واستنجد بالباب العالي كما استعان بالقراصنة الإسبان، وضاقت به الأحوال السياسية، قام بتهريب ذخائره، وخزانة كتبه إلى آكادير[1]، غير أنه توفى سنة 1037هـ /1628م. وجاء بعده ولده أبو مروان عبد الملك.

---

[1]– المخزن: مكان خزن البضائع، والمؤن، ثم أصبحت تطلق للدلالة على القوة التي يستعملها الداي لفرض سلطانه، وتتألف من المليشيا التركية، ومن بعض أفراد قبائل العرب، والبربر المتعاونون معه. الأشرف مصطفى، الجزائر الأمة والمجتمع، تر، حنفي بن عيسى، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، هامش ص81

[2]– قال صاحب درّة الحجال: اختلف هل بويع زيدان هذا بعد وفاة أبيه؛ أبي العباس أم لا؟ وقال صاحب زهرة الشماريخ: كان ولده زيدان بسجلماسة فبويع بها، فلم يتم له الأمر، وتوفى سنة ستين وتسعمائة . اليفرني محمد الصغير بن الحاج بن عبد الله، المرجع السابق، ص311

أما العياشي[2] فقد فرّ من آزمور، وانضمت إليه القبائل من تامسنا إلى فاس، وتازة، مؤيدا بالعلماء والفقهاء، والسادة الصوفية منهم سيدي العربي الفاسي، وأبو بكر الدلائي، ومحمد بن الناصر الدرعي والحال أن قوة نفوذ المشايخ، والصلحاء أدت به إلى التدخل في شؤون الحكم. وما قام به الشيخ محمد بن أبي بكر الدلائي من دور في وساطته في بعض النزاعات، وكذلك هو الحال بالنسبة لأبي المحلى الذي كان يجاهر بالدعوة إلى النهي عن المنكر، والأمر بالمعروف، ووجوب تغيير الأوضاع، وما شاع بين الناس من تردي الأخلاق، وأيضا الحاحي الذي اشتهر بالصلاح، وأصبح قبلة الزوار .

لقد استطاع العياشي من قهر البرتغاليين في طنجة سنة 1050هـ/1640م، وبسط نفوذه على الغرب غير أن خصومه الأندلسيين تحالفوا مع الدلائيين. واستطاع محمد بن أبي بكر الدلائي احتلال مكناسة، ثم فاس بعد مقتل العياشي.

ومن ناحية أخرى استولى أبو الحسن علي بن محمد بن محمد الصوفي ، نجل أحمد بن موسى السملالي على السوس (تارودانت)، غير أن يحي الحاحي؛ وهو أيضا صوفي حاربه، وانتزع منه المدينة. ومات بها سنة 1035هـ/1626م، واستمر أبو الحسن في سجلماسة إلى قيام الدولة العلوية.

3- نظرة عامة حول الثوابت والمتغيرات في الفترة العلوية

قيام هذه الدولة نتيجة لما حدث للدولة السعدية من اضطرابات، وعدم استتباب الأمن داخليا، ودول شبه الجزيرة الإيبرية التي احتلت عدة مدن ساحلية، وأنشأت على أراضي المغرب أخرى ، وظهور زعامات هنا، وهناك، وأدعياء العرش من حين إلى أخر.تنتمي الدولة العلوية في نسبها إلى الإمام علي بن أبي طالب[3] رضي الله عنه، وكرم وجهه، وقد تم استقدام جد الشرفاء العلويين المولى الحسن[1]، للتبرك به من

---

[1]- هذه المدينة حديثة البناء، تقع في سفح رأس صغير لجبل الأطلس بين مدينتي ماسة وتفتنة، وكان يسمى قديما الرأس الصغير.كاربخال مارمول، وصف إفريقيا، المرجع السابق، ج2، ص32

[2]- هو محمد بن احمد المالكي الزياني رضي الله عنه، واشتهر بالعياشي، نزهة الهادي، المرجع السابق، ص262

[3]- هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه، واسم أبي طالب عبد المناف- بن عبد المطلب- واسمه شيبة- بن هاشم، واسمه عمرو بن عبد المناف، واسمه المغيرة بن قصي، واسمه زيد بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن نضر بن كنانة أبو الحسن، أبو تراب، كناه بها النبي صلى الله عليه وسلم، وأمه فاطمة بنت أسد بن هشام، وهي أول هاشمية، ولدت هاشميا، قد أسلمت، وهاجرت. السيوطي جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، تاريخ الخلفاء، دار الغد الجديد للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1434هـ / 2013م، ص168

طرف وفد الحجاج المغاربة. فبعد ضعف وتقهقر السعديين نتيجة الظروف التي اشرنا إليها من قبل، سنحت الفرصة للعلويين للقضاء عليهم والبداية كانت بناحية وجدة على يد مولاي الرشيد ، ثم حارب قبيلة بني يزناسن، وبعد اتجه صوب الدلائيين، والحال أن المولى الرشيد قد أقام بهذه الزاوية بعد أن فرّ من أخيه محمد، فيقال: إن بعض أهل الزاوية أشار عليه بالخروج منها خوفا عليه من الفتك به، لأن الدلائيين كانوا يزعمون، فيما عندهم من العلم أن خلاء زاويتهم يكون على يده[2]. وقد قتل أخاه محمد بأنكاد، ودفنه ببني يزناسن.

وكان الأمر كما أخبروه، فقد قام بإخلائها، وهدمها، ونقل شيخها، وأهله إلى فاس ثم نفيه إلى تلمسان إلى أن توفى بها رحمه الله. وبعد ذلك دخل مراكش، وسلا، واستمر في حروبه إلى أن بسط نفوذه على المغرب.

أ–دور السلطان الرشيد وعلاقته بالطرق الصوفية وأرباب الزوايا

عمل المولى الرشيد على تنظيم الجيش، وبنى القصبة بفاس، وضم إليها قبائل الشراقة، التي كانت بمحاذاة وجدة، وجعله في عسكره، وبعد أن استتب الأمر، انتعش الاقتصاد بعض الشيء، بفضل الضرائب التي كانت تجبى من تزكية رؤوس الأموال، كما سمح لرعاياه بربط علاقات تجارية من اجل تنشيط حركة التجارة، وقام بضرب السكة باسمه, وفي عهده تم ترميم المؤسسات العلمية القديمة، كما شيد مدراس حديثة كمدرسة الشراطين بفاس، ثم أقام عدة قناطر بنفس المدينة، وأعاد ترميم سور فاس القديم.

غير أن البناء لم يكن بالجمال الفني المعماري الذي خلفه بنو مرين، وقد مات بمراكش بينما كانت عاصمة ملكه في فاس. وخلفه المولى إسماعيل، واتسم عهده بسفك الدماء. وقد خلف أخوه الرشيد على مكناس. من أعماله استحداث جيش لا علاقة له بالقبائل المغربية حتى يمكنه الوثوق به فجمع ما بقي من جند العبيد الذين جلبهم احمد المنصور من السودان، وأضاف إليهم من نفس المكان جند آخرين وخصهم بتربية تهدف إلى الولاء الخالص للملك بقسمهم على صحيح البخاري.

---

[1]– كان أول من دخل منهم المغرب المولى حسن بن القاسم، وكان دخوله إليه في أواخر المائة السابعة، وكان يومئذ من أبناء الستين ونحو ذلك، وتوفى رحمه الله قبل انقضاء المائة المذكورة. الناصري، ج7، المرجع السابق، ص ص 4،5

[2]– الناصري، ج7، المرجع نفسه، ص29

توجه بعد ذلك بهذا الجند إلى القبائل العربية البربرية في جنوب الأطلس، والمغرب الشرقي لإخضاعها، وتطويعها وبنى بتلك النواحي حاميات، ثم توجه إلى مراكش، وفتحها، وبها قام بهدم القصر البديع الذي بناه احمد المنصور. كما توغل في غرب الجزائر إلى غاية وادي الشلف متعديا على الجزائر وأراضيها، ووجه حربه أيضا إلى البرتغاليين، حيث انتزع منهم المهدية، ثم استولى على طنجة بعدما تخلى عنها الانجليز للمسلمين.

عرف المجتمع المغربي على عهد المولى اسماعيل بعض الاستقرار، والأمن، وتمكن الشعب من ممارسة الحياة اليومية كما عمل بالسياسة ذاتها التي كان عليها الرشيد في ربط علاقات تجارية مع الأجانب، والسماح لأهل المغرب بتصدير منتجاتهم من حبوب، وجلود، وغيرها التي اشتهرت بها منطقة تافيلالت. أما عن وارداتها فتمثلت في الأقمشة، والأسلحة، وما هم بحاجة إليه. والحال أن فاس عُرفت بالنشاط التجاري في تلك الفترة، وما بعدها. لقد اتسمت علاقاته بالدول الأجنبية بالودية، ولاسيما فرنسا في عهد لويس الرابع العشر[1]. وكل ملك من ملوك المغرب خلف غيره؛ غير عاصمته فاتخذ المولى إسماعيل مكناس عاصمة له، وحصنها بمباني جديدة؛ شيدها نصارى أتى بهم إليها؛ منها القصور،والحمامات، والفنادق، ومستودعات أسلحة، وغيرها؛ وكما فعل سلفه أحاط المدينة بأسوار ذات أبواب مزينة.

ب–عهد الاضطرابات وبداية الضعف

ثم خلفه المولى محمد بن عبد الله بعدما كان على مراكش قبل وفاة أبيه . اضطربت على عهده الأحوال نتيجة الإرهاق الذي أصاب الجنود في حروب سلفه ؛وتمرد عليه جيش العبيد؛واستطالت أيديهم إلى الحكم يولون ما يشاؤون؛ ويعزلون، وأراد أن يواجه ذلك بالقوة، وفي نفس الوقت أن يستخلص من الإسبان مدينة مليلية فلم يفلح. أما العلاقات مع الدول الأجنبية فكانت السمة الغالبة على عهد هؤلاء الملوك. ومن أعماله العسكرية؛ بناء الأسطول لما له أهمية في تلك الفترة، وفي المجال العمراني قام بتشييد مدينة الصويرة، غير أن العهد عرف تضعضع في الاقتصاد رغم ما استحداثه من تغييرات مثل ضريبة المكس، التي أستحدثها على التجار مقابل ما يجلبون من بضائع أجنبية.

[1]– من أجل توطيد وتمتين علاقته بفرنسا سعى المولى إسماعيل إلى مصاهرة لويس الرابع عشر، وذلك بطلب يد ابنته الأميرة دوكنتي .

اهتم المولى محمد بالتعليم؛ والفضاء؛ وكذلك بالعمران فبنى قصرا بمكناس سماه "الدر البيضاء" وأقام بعض الأضرحة مثل ضريح سيدي سعيد، وسيدي بن عيسى بمدينة مكناس؛ وجدد مدرسة باب عجيسة.

أما المساجد فأهم عمل هو توسيع مسجد الشرابليين بالعاصمة فاس. وجاء بعده مولاي إسماعيل 1792–1822م. في هذه الفترة شهد المغرب انتشار الوباء الذي قضى على الكثير من الناس، بالإضافة إلى الفتن، والاضطراب الذي حدث بالسوس، وتوالت الأحداث، وتأزمت الأمور، لأن التغيير الذي كان يحدث لم يقتصر على المغرب وحده بل المغرب العربي ككل، والدولة العثمانية، وبوادر الضعف كانت جلية .

ج–المولى عبد الرحمن وعلاقته بالجزائر (من الألفة والوئام إلى الجفوة والخصام)[1]

تولى المولى عبد الرحمن أمور الحكم في 1822م، وكانت البلاد لا تزال تعصف بها الاضطرابات، مع ظهور جلي لنوايا الاستعمار الحديث، وشكلت الجزائر أول محطة له سنة 1830م. عندها بادر المولى عبد الرحمن إلى تمديد حدود المملكة في أراضي الجزائر، ووصل إلى المدية[2]، وعين عليها واليا له، وكذا الحال بالنسبة لمليانة. وبذلك أراد نصيبا مما ترك العثمانيون. غير أن المقاومة بقيادة البطل الأمير عبد القادر قلبت الموازيين في الفترة الأولى من الصراع الفرنسي الجزائري رافعا راية الجهاد، وفي مرحلة ضعف دولة الأمير عبد القادر لجأ إلى المغرب من أجل ترتيب الأمور، والحصول على المعونة ، وحصل على مرافقة جيش عبد الرحمن على رأسه ابنه محمد ، وفي موقعة شهيرة التقى الجيش الفرنسي بالقوات المؤلفة من جيش الأمير وقوات من جيش المغرب بمكان على ضفة وادي أسلي[3] بالقرب من مدينة

---

[1]– أصل العبارة لعنوان مداخلة تقدم بها المرحوم مولاي بلحميسي في الملتقى الوطني الأول ((العلاقات الخارجية لدولة الأمير عبد القادر)). بلحميسي مولاي، الأمير عبد القادر والسلطان مولاي عبد الرحمن من الألفة والوئام إلى الجفوة والخصام، أعمال ملتقى الأمير عبد القادر، دار الحكمة للطباعة والتوزيع، الجزائر، 1998،ص44

[2]– كانت عاصمة لبايليك التيطري في الفترة العثمانية.

[3]– بدأت المواجهة في 22 ماي 1844م، بمطالبة الجيش المغربي على لسان بن القناوي الفرنسيين بالجلاء عن لا لا مغنية، وفي يوم 11جوان تطورت الأحداث بوصول بيجو إلى لا لا مغنية، وكانت الهزيمة، وإجبار الجيش المغربي على الفرار. معريش محمد العربي، المغرب الأقصى في عهد السلطان الحسن الأول، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1989م، ط1، ص31

وجدة، انهزم الجيشان أمام المحتل الفرنسي[1]، كما سحب ممثليه من المدية، وملیانة، وعقدت معاهدة لا لا مغنية لضبط الحدود بين الجزائر، والمغرب الأقصى بصفة نهائية سنة 1845م.

بعد هذا يبدو أن المغرب سيدخل في دوامة لا تنتهي إلى بسقوطه تحت الحماية الفرنسية على عهد المولى حفيظ بعد الأزمة المغربية 1904م، وتدخل الدول الأجنبية في شؤون المغرب نتيجة تدهور الأوضاع الاقتصادية. كما لم يشهده المغرب الأقصى في وقت من الأوقات. وبعد مؤتمر الجزيرة الخضراء 1906م، فما هي إلا مسألة إيجاد ذريعة، وما كانت سوى مقتل الدكتور موشان، وحوادث الدار البيضاء حتى أرغمت فرنسا المولى عبد الحفيظ على توقيع صك الحماية يوم 30 مارس 1912م، وبهذا ينتهي فصل من فصول تاريخ المغرب الأقصى، واستكمال فرنسا لسيطرتها على المغرب العربي ككل.

كان المجتمع المغربي ممتزج العناصر السكانية، منها ما هو عريق، ومنها ما تجذّر فيما بعد، ففيه العرب والبربر، والأندلسيين، والزنوج، والأوربيين، واليهود، كما أن الاختلاف كان واضحا في التوزيع السكاني بين الأرياف، والمدن تبرزه العلاقات الاجتماعية القائمة على الحياة المعاشية.

فسكان الريف عبارة عن قبائل، وعشائر مثلما هو الحال في الجزائر، أما المدن فقد سيطرت فيها الفئة الأندلسية، وذلك بتقلدها لمناصب مهمة في الدولة، وتمكنها من تحصيل الثروات. كما أن اليهود احتلوا مكانة رفيعة بسبب الغنى من جراء امتهان الصناعة، وبالخصوص التجارة. أما عنصر الزنوج فقد تشكل في البداية من الجند بالإضافة إلى تجارة الرقيق التي كانت تدر أرباح كبيرة، وكانت نشيطة إلى فترة ما قبل الحماية.

من الناحية الإدارية تشكل المغرب من بلاد المخزن وأراضي السيبة ؛ فبلاد المخزن ترتبط بقائل موالية تستغل الأراضي مقابل حماية الدولة ومعاونتها ، وهناك قبائل ملزمة بدفع الضرائب مقابل ذلك عن طريق قبائل المخزن .

أما بلاد السيبة فهي مستقلة عن المخزن، ولا تخضع لسلطته. أما دينيا فالمغرب عرف انتشارا للطرق الصوفية مع نهاية القرن التاسع عشر لم يسبق له مثيل، لدورها الاجتماعي، والديني في ذات الوقت

[1]–يذكر مولاي بلحميسي رحمه الله أن الأمير عبد القادر لم يشارك في المعمعة، لكنه أبدى رأيه قبل القتال ولاحظ على مولاي محمد سوء الترتيب. بلحميسي مولاي، المرجع السابق، ص52. ينظر أيضا، الاستقصا، المرجع السابق، ج8، ص51

بالإضافة إلى النشاط السياسي الذي عرفه المغرب طيلة الفترة الحديثة، تساوقا مع تطور الطرق الصوفية منذ مطلع القرن السادس عشر.

هذه الطرق تفرعت عن الطريقة الشاذلية الجزولية، وأصبحت لها قوة، ومكانة في المجتمع المغربي؛ كالوزانية، والناصرية، والدرقاوية ،والكتانية، والبوعزاوية. وأخرى وردت عليه من المشرق كالقادرية، وأخرى نتيجة التواصل الصوفي كالتجانية، والسنوسية، والصقلية بالإضافة إلى غناوة، وغيرها من الطرق، حتى أصبح المغرب يعج بالطرق الصوفية من أقصاه إلى أقصاه، وهذا ناتج عن التواصل الصوفي بشتى الطرق التي سنتحدث عنها لاحقا بالتفصيل.

4-استنتاجات

من خلال عرضنا للأوضاع العامة في الجزائر، وغربها، والمغرب الأقصى في الفترة الحديثة، والتي امتدت من 1518 إلى 1830م بالنسبة للجزائر، و1912م بالنسبة للمغرب الأقصى؛ تبين لنا أن التأثير كان متبادل، سواء على المستوى السياسي في ظل الوجود العثماني؛ وذلك من خلال العلاقات التي كانت تتسم أحيانا بالتأزم، والصراع في ظل ممانعة المغرب في الدخول تحت راية الخلافة العثمانية منذ حدوث أول استقلال لدول المغرب على عهد الخلافة العباسية، وظل في استقلال إلى غاية الحماية الفرنسية. وكان الغرب الجزائري محل صراع لوجود قبائل مساندة للدولة العثمانية، ظلت وفية لذلك عند الاحتلال الفرنسي، وساندت الأمير عبد القادر الجزائري في مقاومته للاستعمار الفرنسي؛ مثل قبائل بني يزناسن المتاخمة للحدود الجزائرية من بلاد المغرب الأقصى.

في حين أن علاقة الجزائر العثمانية ببعض القوى المحلية بالمغرب، وبعض الطرق الصوفية، والحركات الدينية مثل – حركة العياشي وابن أبي المحلى والخضر غيلان – كانت علاقة تعاون وجهاد ضد الأعداء من برتغال وإسبان.

أما علاقة المغرب الأقصى بالقوى المحلية كانت من أجل خلق جو من الاضطراب، وتشتيت قوى الدولة العثمانية اتقاءً لامتدادها، خصوصا، وأن المغرب الأقصى عرف في تلك المرحلة من تاريخه اضطرابات على مناحي عديدة؛ سببها التحرش البرتغالي بسواحلها، وحركات ثورية داخلية من مختلف الجهات، وصراعات بين الأسر الحاكمة، وظهور أدعياء العرش. بالإضافة إلى الضعف الاقتصادي وسنين القحط، والجفاف، والأوبئة التي توالت في فترات متلاحقة. كما لا ننسى تأثير التركيبة الاجتماعية في النسيج العام لوجود عدد أكبر من اليهود، وخاصة بالحاضرة فاس، وسيطرتهم على التجارة، وموارد الاقتصاد الخارجية.

إن التحول الذي عرفه المغرب الأقصى مع بداية القرن السادس عشر للميلاد مع الدولة السعدية والذي مهدت له الدولة المرينية، أدى إلى بروز قوى دينية صوفية، ولعبها الدور الأساسي في الجهاد ضد التحرش الخارجي، وأعاد خلط الأوراق للنظام المغربي الذي ورثه من العصر الوسيط. فقد استشرى التصوف فيه بفضل نشاط مشايخ الطرق الصوفية، وانتقل من الحواضر إلى الأرياف، واتسعت رقعته وعم كامل مناطق

المغرب. غير أن فشل الطرق الصوفية في استكمال الدور، وتولي مقاليد الحكم نتج عن عدم قدرة الزوايا للتحول إلى طرق صوفية، بسبب الإرث التاريخي للدول الشريفية، وتلك شرعية وقفت دون وصولها إلى المطلوب. فصراع الأحقية استثنى الولي (Le Saint) الذي يمثل السلطة الروحية من خلال بركته، كما استثنى الصالح (Le Marabout) الذي بالرغم من نسبه الشريف في معظم الأحوال؛ أن يجعل من رباطه أو زاويته ارتكازية، ويحولها إلى طريقة، ثم إلى دولة مثلما حدث ذلك مع الزاوية السنوسية في ليبيا.

كما أن بعض الطرق ساندت، وأيدت بالبيعة، وقطعت بذلك خط التقدم لكل طريقة حاولت ذلك مثل الزاوية الدلائية. وهذا الأمر حدا بالدولة العلوية فيما بعد بالقضاء على الزوايا التي تكتسب مقومات الطريقة المبنية على أساس زاوية التي تكون قد أسهمت من خلال عملها، وكسبها للأتباع من مواردها من الأوقاف، وغيرها من المداخيل المختلفة، بالإضافة إلى انتساب أربابها إلى بيت الرسول صلى الله عليه وسلم. لقد عملت الدولة العلوية على إضعاف الطرق الصوفية، والزوايا من خلال احتوائها، أو القضاء عليها؛ والسبب في ذلك هو التقارب الذي عرفه الحكام العلويين مع السعوديين وخصوص على عهد مولاي محمد، ومن جاء بعده.

فقد عاصر المولى سليمان سيطرة السعوديين على الحجاز في الحكم، والوهابيين في تطبيق فكرهم الديني الداعي إلى محاربة كل الطرق الصوفية، خصوصا وأن الصدام بدأ بين الطرق الصوفية، والعلويين منذ بروز هذه الأخيرة. ضف إلى ذلك ضعف السلاطين الذين جاؤوا بعد مولى محمد، وركونهم إلى مهادنة الإسبان وإقرارهم على السواحل التي احتلوها. واستمر المولى سليمان على نفس النهج، وخصوصا أن الغرب المسيحي عرف نهضة جعلت ميزان القوى يختل بين الضفتين، فأصبح يفرض ما يريد من شروط.

وبهذا عرف المغرب الأقصى انعزالا عن العالم الخارجي، وضعفا في الداخل، وانزواء الطرق الصوفية بفعل ما تلقته من الدولة العلوية؛ فانعكس كل ذلك على المغرب بكامله على المستوى الاقتصادي، والسياسي، وحتى الثقافي. أما عمل الطرق الصوفية في تلك الفترة اقتصر على الخدمة الاجتماعية، وعلى التواصل، ومد جسوره بين مختلف الجهات، ولاسيما غرب الجزائر بحكم الجوار، والوشائج الأخرى.

وليس من المؤكد أن الدور الذي ستلعبه الطرق الصوفية عند الاحتلال الفرنسي كان ترقب، واستعداد لهذه اللحظة، وإنما عرف دور الطرق الصوفية عند كل نداء لواجب الجهاد.

أما بخصوص غرب الجزائر فالأمر مختلف حيث الصراع العثماني الإسباني عرف سلسلة من الحروب لتحريره من الإسبان، وفي ظل ذلك لعبت الطرق الصوفية دورا إيجابيا، وأخر سلبيا: فالإيجابي تمثل في الدور الاجتماعي، والتعليمي حفاظا على الدين الإسلامي، والثقافة العربية. أما السلبي فما قامت به الطريقة الدرقاوية في الشرق، والغرب الجزائريين، من حروب ضد الدولة العثمانية كان له تأثير – في فترة ضعف هذه الأخيرة – التي سنسلم الجزائر لفرنسا بعد صمود لم يدم أكثر من عشرين يوما.

فتأثير حرب درقاوة الذي دام عشر سنوات كان من الأسباب التي جعلت مشاركة الجهة الغربية في رد الاستعمار الفرنسي عن سواحل سيدي فرج غير ممكنة، وهو الحال بالنسبة للشرق حيث عاد أحمد باي ليتحصن في جهته بعد أن تبين له عدم جدوى ذلك. فبمقارنة وضع الطرق الصوفية بالجزائر، ومثيلاتها في المغرب الأقصى يتضح أن الدور الايجابي متماثل، أما السلبي فتلك تعرضت للمحاربة من طرف المخزن وتقويض نفوذها، وأما هاته فقد رفعت السلاح ضد الدولة الحامية، وتبقى الأسباب مجهولة على اعتبار أن الطريقة الدرقاوية مغربية، وأول من أشعل فتيل الحرب بالشرق الجزائري مغربي، ومن أشعل فتيل الحرب بالغرب الجزائري اتصل بالمغرب، وأخذ الإذن من الدرقاوي نفسه، الذي كان يحظى في تلك الفترة بالقرب من المخزن مكان الناصري الذي كان قبله.

ونحن لا نبني على احتمالات في البحث العلمي، غير أن المؤشرات تدل على وجود دافع خارجي ليحدث ما حدث. أما عن الدوافع الداخلية فلا يمكن أن نبني عليها تصور، وأن هذه الثورة، كانت ضد طغيان الحكام العثمانيين، والوضع الاجتماعي الذي كان سائدا في تلك الفترة. فهذه الأعراض ممكن أن تساهم في حدوث قلاقل، واضطرابات ظرفية ، مثل الفترات السابقة ضمن الصراع الذي كان بين القبائل حول مشيخة العرب، أو النفوذ بدافع المصلحة، ومساندة الدولة العثمانية لطرف على حساب طرف أخر بحسب ما تقتضيه المصلحة؛ يجعل ثورات تقوم هنا، وهناك و لكن ليس ما حدث مع الطريقة الدرقاوية؟!.

ومن بين الاستنتاجات التي خلصنا إليها من خلال بسط هذه الأوضاع في كل من المغرب الأقصى والجزائر، وغربها بالخصوص ؛ عدم إعطاء الوزن الحقيقي للطرق الصوفية، واستثمارها في خدمة الوطن واستثمار سلطتها الروحية في تماسك النسيج الاجتماعي، وهيكلتها لتنسجم مع التوجه العام لها، بدل

محاربتها، وتهميشها، وتضييق مجالها، وحصره في الممارسات التعبدية، والتعليم التقليدي، والتكفل بفقراء المجتمع.

والحقيقة من يتتبع دور الطرق الصوفية على جميع المستويات، يكتشف الدور الفعلي لها ولاسيما الجانب السياسي. فقد نوه بذلك دونوفو، وقال بأنه يجب سبر الاتصال السياسي بين الإخوان، مؤكدا أن اتصالها يكون بطريقة عجيبة للغاية، وهو يقصد أن تأثيرها السياسي أكثر من تأثيرها الديني، ودليل كلامه هو تلك المقاومات التي عرفها المغرب العربي ككل من طرف الطرق الصوفية، ولا يمكن أن يكون التواصل الصوفي وحده بين هذه الطرق، بل في تلك الظروف كان على المستوى السياسي، لأن قيادة المقاومة تحتاج إلى حنكة سياسية بالإضافة إلى العامل الديني، وقد جسد ذلك بطل الجزائر الأمير عبد القادر اسما، ورسما.

يبقى في أخير هذه الاستنتاجات أن نشير إلى أن الطرق الصوفية في المغرب في الفترة الحديثة، وحتى الآن تحمل فكرا جهاديا سلميا بخلاف الفرق الدينية الأخرى، فهي تمثل الجانب الإنساني بكل أبعاده وتجعل الوطن أرضية لذلك بحفظ السلم، ومراعاته، ونحن نستنتج هذا من خلال حفاظها عليه حتى لدى فروعها في الدول الأخرى، ولو كان غير ذلك لسيطرت دول المغرب العربي على تلك الدول بحكم ولاء فروعها للطرق الصوفية الأم. فهذا الفكر الإسلامي الذي يجعل من الطرق الصوفية جهادية جهاد السلم والأمن للإنسانية جمعاء. كما أنها لن تتوانى في الدفاع عن أرضيتها بكل ما لديها إذا حدث أمر يهدد أرضيتها بنفس المفهوم، وقد تطرقت إلى مفهوم الجهاد عند الصوفية في العمل، لأنه ركيزة أساسية في الإسلام بالمفهوم الصوفي.

وما الحرب التي تخوضها بعض التيارات الإسلامية المتطرفة ضد الصوفية إلا دليل واضح بين مفهوم الجهاد الذي يضع الإنسان محل اعتبار، وحقه في الحياة التي لا إكراه فيها على فعل شيء دون رغبته، ومفهومه في تطهير الأخر من على الوجود. أما التوظيف السياسي لتلك الجماعات المتطرفة ليس وليد اليوم في العالم الإسلامي، فهو يعود إلى فترة الخلافة العباسية مع حسن الصباح (الحشاشين) الذي قدمه عمر الخيام، والذي سببا مشاكل كبيرة أثناء الحروب الصليبية. وهناك طرف ثالث له مصلحة في تغذية التطرف، والغلو.

فنفس الأمر حدث مع الطرق الصوفية في المغرب الأقصى بمحاربتها من طرف المتعصبين من الفقهاء، وطرف كان يغذيهم. وبانتقال الفكر الوهابي إلى المغرب الأقصى، ولاسيما بعد أن تبناه السلاطين المتأخرين، وخصوصا المولى سليمان، حتى أنه ألف كتابا في الرد على الصوفية، ومنع زيارة الأضرحة، والاحتفالات، وغير ذلك مما كانت تدعو إليه الوهابية. و يرى بعض المؤرخين أن اتصال التجانية بالوهابية إنما تم في المغرب، وانعكس ذلك أثناء الاستعمار الفرنسي على مهادنته من طرفها. أما في الجزائر فقد كانت الطرق الصوفية تدفع على جهتين، من جراء ما حدث في النهضة الإصلاحية التي جاءت من المشرق، ولولا صمودها لكان أمر الجزائر في المجهول.

فالنتيجة أن الطرق الصوفية سايرت الأوضاع التي اختلفت باختلاف المؤثرات، والمتغيرات الخارجية، وواكبت التطورات، وفي ظل ذلك كان لها أدوار حسب ما تقتضيه الوضعية المرحلية، فأحيان التعليم والخدمة الاجتماعية، وأحيانا أخرى رفع لواء الجهاد في سبيل الله، والوطن. ونظامها لا يخضع إلى التغذية لاعتدالها في الأمور، وذلك هو سر استمرارها، وانتشارها، وميزتها، وخاصيتها بخلاف غيرها في علاقاتها عبر التواصل المبني على التقييد وليس التقليد.

How to Remember Vocabulary.mp3

الفصل الثالث

أولا: التصوف والطرق الصوفية بالجزائر

1-نشأة الزهد والتصوف في المغرب

2- تعريف الطريقة الصوفية

3-تاريخ تشكل الطرق الصوفية بالمغرب

4-أهم الطرق الصوفية بالجزائر

5-الطريقة القادرية

أ-نبذة عن مؤسس الطريقة

ب-سيدي بومدين الغوث

ج-عبد السلام بن مشيش

د-فروع الطريقة القادرية

ج-القادرية بالقيطنة

6-الطريقة الشاذلية

أ-نبذة عن مؤسس الطريقة

ب-تعاليم الطريقة الشاذلية

ج-الانتساب وسند الطريقة

د–مبادىء الطريقة

هـ–مصنفات الشاذلي

ح–فروع الطريقة الشاذلية

7–الطريقة الرحمانية

أ–نسب الطريقة و نبذة عن المؤسس

ب–انتشار الطريقة الرحمانية

ج–مميزات الطريقة الرحمانية

د–نشاط تلامذة الرحماني

هـ–الطريقة بين العهدين العثماني والفرنسي

8–الطريقة التجانية

أ–نسب ونشأة الطريقة التجانية

ب–رحلات الشيخ التجاني

ج–التجانية بين المغرب الأقصى والجزائر العثمانية

9–أهم الطرق الصوفية بغرب الجزائر

10–الطريقة السنوسية

أ–محمد بن علي السنوسي

ب–مولده وتنشئته ووفاته

ج–شيوخه في المغرب ومصر

11–الطريقة العلاوية

أ–الشيخ العلاوي

ب–انتشار الطريقة العلاوية

ج–انجازات الطريقة العلاوية

ج–استنتاجات

أولا: التصوف والطرق الصوفية بالجزائر

1- نشأة الزهد والتصوف في المغرب

إن المتتبع للإرهاصات الأولى، لظهور حركة الزهد في المغرب الإسلامي، نلتمسها في موطن أقدام المسلمين الفاتحين الأوائل، وذلك في العاصمة القيروانية التي أسسها عقبة بن نافع بإفريقيا، وتعتبر الأرض الخصبة التي انتشرت منها الثقافة العربية الإسلامية، ومن ثم الزهد، والتصوف عبر مختلف مناطقه. لأن القيروان في تلك الفترة شكلت نقطة عبور، وهمزة وصل بين المشرق، والمغرب، وبذلك أصبحت قبلة للتجار، والمهاجرين، والعلماء، وأقبل عليها سكان المغرب في طلب العلم المتعلق بالدين الإسلامي.

ولا غرابة أن ظهرت بها مذاهب فقهية كمذهب الخوارج، والشيعة، والمذاهب السنية كالمالكية، وقد بذل الإمام سحنون جهودا كبيرة في تثبيت دعائم المذهب المالكي. وبعد قيام دولة الأغالبة 184هـ قامت المواجهة من جديد بين فقهاء المالكية، والحكام الأغالبة، وقد تعرض الفقهاء، والعلماء إلى التقتيل والتنكيل، والتشريد، ولم يثنيهم ذلك عن الوقوف في وجه الظلم، والاعتصام بحبل الجماعة[1].

فانتظم العلماء، والعباد، وشكلوا جماعات، توحدت ضد المذاهب الخارجية، والظلم، والاستبداد واتخذوا المساجد لدعوتهم، ثم انتقل العباد، والنساك إلى الربط، أولا: اعتزال الظلم، والحفاظ على الدين الخالي من البدع، وثانيا: للتعبد، وترك مشاغل الدنيا.

وبهذا يمكن القول أن هذه البداية شكلت ظاهرة دينية، واجتماعية، وسياسية. فدينية ضد كل تطرف، وما يخرج عن الملة من بدع في الدين، واجتماعية تضامنا مع الضعفاء، والفقراء، والمحتاجين. وسياسية ضد الحكام المستبدين. بذا كانت النواة الأولى التي تحولت إلى زهاده في الدنيا، وتصوف؛ تشوف إليه المغاربة. والحال انه يناسب غاياتهم، وطموحاتهم الدينية والدنيوية. وبعد القرون الثلاثة الأولى تطور التصوف، وبدأ ينتشر، وانتظم أكثر من ذي قبل بعد ظهور المصنفات الخاصة بالتصوف، والتي تدعو إليه.

[1]- خميسي حميدي، نشأة التصوف الفلسفي في المغرب الإسلامي الوسيط، سحب الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2007م، ص19

هذا بالنسبة للتصوف الوافد من المشرق، أما التصوف العقلي؛ فقد دخل المغرب في القرن الخامس الهجري عن طريق الأندلس، ومن هذه المنطقة التي تربط العالم المسيحي بالعالم الإسلامي، وأقصد به الغرب؛ انتقل التصوف إلى شمال إفريقيا، ومنه إلى بقية مناطقها، وانتشرت تصانيف المتصوفة الممتزجة بين التصوف السني، والعقلي. وعلى رأسها مؤلفات الغزالي ومؤلفات ابن عربي. وأشهرها كتاب الإحياء دون انتشار عقائد التصوف في عصر المرابطين (447-541هـ)، حتى ظهر مشايخ متصوفة كبار، في تلك الحقبة، وبالأخص في عصر الموحدين (515-668هـ). وفي هذه الفترة بالذات حظي المتصوفة بنفوذ كبير بين المسلمين، حتى أصبحوا مراجع للتنظيم، والشفاعة، وكذلك لشفاء[1] المرضى، والكوارث الطبيعية، ونفذوا حتى أوساط الحكام بحيث، أصبحت لهم حظوة، ومكانة في أوساط المجتمع.

من البديهي، والمسلم به تاريخيا أن أصول التصوف الإسلامي تعود إلى المشرق، ولكن ممكن اعتبار الخصوصية المغربية أنها استمدت الإشعاع من جهتين: من جهة المشرق، وذلك بوجود التصوف المشرقي الممثل في الطريقة القادرية، والإشعاع الثاني جاء من الأندلس.

وكان يمكن أن يوأد التصوف في مهده، بعد أن زرع النفوذ السياسي لمشايخ الطرق الصوفية الشك والريبة في ذهن الحكام، ولاسيما حقد الفقهاء، وصراعهم مع الصوفية حتى بلغ الأمر إحراق كتبهم، فكان إحراق كتاب الأحياء بمحضر جماعة من أعيان الناس، وفقهائها بقرطبة، ووجه علي بن يوسف إلى جمع بلاده أمرا[2] بإحراقه، وتوالى إحراق على من اشترى منه ببلاد المغرب في ذلك الوقت. فكان إحراقه سببا في زوال ملكهم، وانتشار سكانهم[3]. فهذا الأمر أثار مشاعر علماء سجلماسة، وفاس مثل: أبي الفضل يوسف بن يوسف النحوي (المتوفي في 513هـ)، وأنكر أبو الحسن البرجي حرقها وأفتى بتأديب من يفعل ذلك.

---

[1]- ألفرد بل، الفرق الإسلامية، تر، عبد الرحمن بدوي، دار ليبيا، ن، ت، بنغازي، 1969، ص 391

[2]- المراكشي ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج4، تحقيق ومراجعة. إحسان عباس، دار الثقافة بيروت، ط2 1400 هـ / 1980م، ص 59

[3]- بنعبد الله بن عبد العزيز، معلمة التصوف الإسلامي، دار المعرفة، الرباط، المغرب، ط1، ج1، 2001، ص 18

وعلى الرغم من المعارضة التي كان يبديها الفقهاء، والعداء الذي أظهروه للصوفية، وخصوصا فيما يتعلق بتدريس متون الصوفية، إلا أن ابن بطوطة[1] يذكر أن علوم التفسير، والحديث، والفقه المالكي كانت تدرس في بلاط السلطان جنبا إلى جنب مع كتب الصوفية.

يمكن أن نشير إلى أن هذه الكتب التي كانت تدرس تتعلق بالدين، ولا نجد بها التركيز على لبس الخرقة. ولم تكن المرقعات صفة لازمة للصوفي المغربي إلا إذا كان ذلك عرضا عن طريق الزهادة. وبالنظر إلى ما كان يقوله الجنيد عن التصوف: "ما أخذنا التصوف عن القيل والقال، ولكن عن الجوع، وترك الدنيا، وقطع المألوفات، والمستحسنات". وهنا يقصد التعليم الديني بل تردد على لسانه كلمتا الطريق والمريد، مما يدل على أنه أخذ يشيع منذ العصر العباسي الثاني، نظام الطرق، والمريدين في التصوف فللإمام الصوفي طريقة يحملها عنه مريدوه من تلامذته وأتباعه، وينشرونها في موطنه وغير موطنه في العالم الإسلامي. و بالربط طريقة النشر، والتعليم لا يوجد هناك مكان أنسب من الرباطات التي كانت عبارة عن مجامع تلقي العلم، وتلاوة القرآن من جهة، وحماية الثغور، والجهاد من جهة أخرى.

لقد وضع الجنيد الصوفية في المقام الصحيح، إذا ما انتسبوا ا للتصوف حيث قال : "من لم يحفظ القرآن، ولم يكتب الحديث، ولم يتفقه لا يقتدي به". وهذا هو التصوف السني الذي يفرض على المتصوف الجمع بين التصوف، والفقه معا؛ أي بين الشرعة، والحقيقة.

وممن جمعوا بين هذين العلمين[2] في المغرب: ابن عباد الرندي؛ صاحب الطريقة الشاذلية العبادية والشيخ أحمد زروق صاحب الطريقة الشاذلية الزروقية، واحمد بن مخلوف الشابي التونسي مؤسس الطريقة الشابية بتونس في القرن 9هـ، واحمد بن قاسم، ومحمد بن سليمان الجزولي المتوفي 865هـ صاحب الطريقة الشاذلية الجزولية، ومحمد بن أبي بكر الدلائي الذي كان يتبع الطريقة الشاذلية.

---

[1]– أفرد عبد الرحمن ابن خلدون فصلا، سماه: علم التصوف، ويبين كل ما يتصل به في حين يرى الرازي أبو بكر عبد الله، أنه لا يمكن اعتباره علما، بل هو أحوال ومقامات. الرازي أبو بكر عبد الله بن شاهاو، منارات السائرين ومقامات الطائرين، تح، تق، سعيد عبد الفتاح، دار سعاد الصباح، القاهرة، مصر، ط1، 1993، ص 445

[2]– ابن الجوزي، سلوة الأحزان، المرجع السابق، ص28

ومن المحدثين محمد بن ناصر الدرعي المتوفي 1075هـ. ومما أدى إلى بلورة الفكر الصوفي هي العوامل الخارجية التي كانت تدفع إلى إيجاد شكل من أشكال الدفاعات عن الناس، والأقاليم، وخاصة أن المد الإسباني البرتغالي ازدادا تحرشا بالمغرب العربي هذا من جهة. ومن جهة أخرى العوامل الداخلية والذاتية التي تدعو إلى إيقاظ الهمم، والتمسك بالكتاب، والسنة، ونبذ التراخي، والتكاسل لإعادة مجد الإسلام، والمسلمين.

وهكذا امتازت بعض الأقاليم المغربية بروح صوفية قوية كما هو الحالة في حاجة سوس حيث تبلورت في ثورة عارمة موصولة ضد البرتغاليين، وتمثلت في بناء الزوايا مثل زاوية (أفوغال) على بعد (35) كلم من الصويرة؛ و هي زاوية سيدي محمد بن سليمان الجزولي، وزاوية (زداغة)، و زاوية سيدي سعيد الحاحي شمالي تارودانت؛ وهي زاوية عبد الله بن سعيد الحاحي[1]. كما أسس الشيخ سيدي عبد الرزاق الدرعي زاوية من أحفاد سيدي محمد بن موسى القادري النسب، وانتشرت الطرق الصوفية بالمغرب الأقصى من شماله إلى جنوبه. لأن التصوف التاريخي[2] ساد أوساط الشعب المغربي، وذلك بعد بروز المشايخ الذين كان لهم باع في انتشار الطرق الصوفية، ولا يختلف اثنان على أن مصدر كل الطرق الصوفية بالمغرب الإسلامي مرجعه إلى طريقتين: الأولى مشرقية الأصل؛ وهي القادرية، والثانية مغربية الأصل؛ وهي الشاذلية وعنهما تفرعت أغلب الطرق الصوفية.

2-تعريف الطريقة الصوفية

الطريقة من الطريق، قال تعالى: ((قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني))، وقال تعالى: ((إياك نعبد وإياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم))، وقال: ((ألّو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا))، وقال تعالى: ((والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا))، والسبيل هو الطريق والسبل هي الطرق؛ فكل حسب مجاهدته، واجتهاده في العبادات.

---

[1]- الإستقصا، ج3 المرجع السابق ، ص111

[2]- التصوف التاريخي: التصوف الذي أصبح يرتكز على نسيج اجتماعي واسع دخل به إلى ميدان العلاقات السياسية، والحضارية بالمعنى الواسع. لخضر لطيفة، الإسلام الطرقي، دراسة في موقعه في المجتمع ومن القضية الوطنية، المطابع الوحدة، مجموعة سراس، تونس، 1993، ص128

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا أبا ذر ((جدد السفينة فإن البحر عميق وخذ الزاد كاملا فإن السفر بعيد، وخفف الحمل فإن العقبة كؤد؛ واخلص العمل فإن الفاقد بصير))[1]. والطريق؛ و هو الدرب والمسلك[2].

أما لدى الصوفية في الأديان المختلفة هو صورة لتلك المراحل، والخطوات نحو التوجه إلى الله[3] .

أما في الديانة الإسلامية فقد نشأت من التقسيم الذي حدث فيما بعد[4]، وخصوصا ما تعلق منها بالكتاب والسنة باعتبارها مدار التفرعات التي نجمت عن دراستهما، فأصبح للحديث علم رواية ودراية[5] وكذلك الأمر بالنسبة للفقه، فكان كل فريق يبين عن فضل العلم الذي ينفع المسلم[6]، فظهر علم الشريعة والحقيقة، والطريقة أي الدرب الذي يسلكه الصوفي، والذي يتفرع من الشريعة لأن الشارع الواسع سمي شرعا، والفرع منه يسمى طريقا، وهذا الاشتقاق؛ يبين أن الصوفية يعتبرون طريقة التربية لديهم هو درب من الشريعة، الذي يجب على المسلم أن يسلكه. فالطريق عبارة عن مراسم الله تعالى المشروعة التي لا رخصة فيها[7]، من عزائم ورخص فيها أماكنها. فإن الرخص في أماكنها لا يأتيها إلا ذو عزيمة. فإن من يرى أن أهل

---

[1]– محمد الصقر حامد إبراهيم، نور التحقيق في صحة أعمال الطريق، مطبعة دار التأليف المالية، مصر، ط2، 1390هـ– 1970م، ص107

[2]– حنفي عبد المنعم، الموسوعة الصوفية، أعلام التصوف والمنكرين عليه والطرق الصوفية، دار الرشاد، 1412 ط1، هـ/ 1992، ص 72

[3]–أركان الطريق أربعة أشياء، الجوع، العزلة، السهر، وقلة الكلام، وإذا جاع المريد تبعه الأركان الثلاثة بالخاصية، الشعراني عبد الوهاب، الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية، قدم له، طه عبد الباقي سرور، والسيد محمد عبد الشافعي، مكتبة المعارف، بيروت، لبنان ج1، 1414هـ/1993 ص 56

[4]– متر (آدم)، المرجع السابق، ص313

[5]– الخطيب محمد عجاج، أصول الحديث، علومه مصطلحاته، دار الفكر، بيروت لبنا ، ط 1، 1419هـ/1998 م، ص 6

[6]– يقول الشيخ أحمد زروق: التصوف علم قصد لإصلاح القلوب وإفرادها لله تعالى عما سواه،و الفقه لإصلاح العمل وحفظ النظام، وظهور الحكمة بالأحكام، والأصول علم التوحيد لتحقيق المقدمات بالبراهين، وتحليه الإيمان بالإتقان، كالطب، وكالنحو لإصلاح اللسان. الشيخ عيسى عبد القادر، حقائق عن التصوف، 1421هـ/2001م، ط5، ص 08

[7]– العجم رفيق، موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي، مكتبة لبنان، بيروت، ط 1، 1999، ص 573

الطريق يقول بالرخص فهذا ليس من الحقيقة في شيء، وفي هذا تفصيل، والصوفية في ذلك درجات فالطريق هو القصد إلى الله تعالى بأربع:

فمن حازها فهو من الصديقين المحققين، ومن حاز منها ثلاثا فهو من الأولياء المقربين ، ومن حاز منها ثنتين فهو من الشهداء الموقنين، ومن حاز منها واحدة فهو من عباد الله الصالحين[1]، وأولها الذكر وبساطه العمل الصالح، وثمرته النور، والثاني التفكر، وبساطه الصبر، وثمرته العلم، والثالث الفقر، وبساطه الشكر، وثمرته المزيد منه، والرابع هو الحب، و بساطه بغض الدنيا، وأهلها، وثمرته الوصلة بالمحبوب.

المراد بالطريق عند الصوفية باختصار هو طريق السلوك إلى الله، ولها ظاهر، وباطن. فظاهرها ما يتعلق بإصلاح الجوارح، وباطنها ما يتعلق بإصلاح العوالم الباطنية [2]، فلأهل هذه الطريقة الخاصة كمال المعرفة والمراقبة للحق سبحانه في الحركات، والسكنات، والأنفاس، واللحظات، حتى يستولي سلطان الحق على القلوب فيضمحل ما تعلقت به، أو سكنت إليه من أحوال الدنيا، وحظوظها .

فإن الصوفية عبروا عن الطريقة بهذا السلوك الذي يتسم بالمحبة، والصدق، وحفظ أسرار الله.

نخلص مما ورد أن الطريق يقوم على أربعة أركان: محبة، وذكر، وفكر، وتسليم، والجامع لهذه الأركان كلها، المحبة الإلهية. لأنه القطب الذي تدور عليه أسس الطريقة، وتمنع الصوفي من التوجه إلى غير الله وبذلك فالصوفي إذا أحب الله ذكره، وإذا ذكره فكر فيه؛ أسلمه أمره كله، وهذا ما أمر به الله المسلم بالتسليم الكلي ، ومنه كان الإسلام.

هذا تصويب لمن حصر فرق الأمة، ولم يذكر الصوفية، لأن حاصل الفرق الصوفية[3]، ملازمة، وإتباع الطريق المستقيم، وهو الدرب المؤدي إلى معرفة الله ويتمثل في التصفية، والتجرد من العلائق البدنية وهذا لا ينكره أحد. وهم في ذلك فرق فمنهم أصحاب العادات، وهم قوم منتهى أمرهم، والغاية منه تزيين

---

[1]– العجم رفيق، نفس المرجع نفس الصفحة

[2]– العجم رفيق ، مرجع نفسه، ص 574

[3]– جلال محمد شرف، دراسات في التصوف الإسلامي شخصيات، ومذاهب، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1984، ص29، 30

الظاهر باللبس الخرقة، وتسوية السجادة. وأصحاب العبادات، وهم قوم يشتغلون بالزهد، والعبادة مع ترك سائر الأشغال. وأصحاب الحقيقة الذين إذا فرغوا من أداء الفرائض لم يشتغلوا بنوافلها، بل الفكر وتجريد النفس من العلائق، والأدران البدنية، وهم يجتهدون على أن لا يخلو سرهم، وبالهم عن ذكر الله، ولهم خير فرق الآدميين[1]

وقد وردت كلمة الطريق، والطريقة في القرآن الكريم في كثير من المواطن، وكلها تدعوا لإتباع الطريق القويم. قال تعالى: ((وألّو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماءا غدقا[2])) وقال أيضا ((إن الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا[3])) وقال تعالى ((مصدقا لما بين يديه يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم[4])) وقال عز من قائل ((ويذهب بطريقتكم المثلى[5])) وقال كذلك ((نحن أعلم بما يقولون إذ يقول أمثلهم طريقة إن لبثتم إلا يوما[6])) ولا شك أن مشايخ الصوفية استلهموا من القرآن، ومن السنة في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، واعتبروا ذلك؛ السيرة المختصة بهم في سلوكهم إلى الله عز وجل، وسفرهم إليه.

الطريقة عند القوم[7] عبارة عن مراسم الله تعالى، وأحكامه التكلفية التي لا رخصة فيها، وهي المختصة بالسالكين إلى الله مع قطع المنازل والترقي والمقامات.

---

[1]– الغزالي أبو حامد، المنقذ من الضلال والموصل إلى ذي العزة والجلال، اعتنى بطبعه، طبعة جديدة، مكتبة الحقيقة،1419هـ/1998م، ص 30

[2]– سورة الجن آية 168

[3]– سورة النساء آية 168

[4]– سورة الأقحاف الآية 30

[5]– سورة طه الآية 63

[6]– سورة طه الآية 104

[7]– جارودي روجيه، في سبيل حوار الحضارات، ترجمة، عادل العوا، منشورات دار عويدات، بيروت، ط،3 1986، ص7

أما الطريقة المؤسسة على قدم النبوة فهي الطريقة التي يروى عنها أن أولها جنون وسطها فنون وآخرها سكون. ولأن أولها جنون فإنها تأخذ بلب الفقير[1]، فمنهاج التصوف لا بد له من الطريق كما جاء في هذين البيتين:

وإن أردت نسبة للعارفين فلأريك الطريقة بعد حين

ذكر التصوف لحين سنة أذكره ختاما للرغبة فيه[2]

أما كون الإسلام فنون فالطريقة الصوفية إنما جاء لفهم عظمة العقيدة الإسلامية بتأكيدها الجذري على التعالي وفي الوقت ذاته ومن خلال القرآن، وعبر الشعر الصوفي الخارق[3]، على انفتاح وعلى قبول لا يقتصر على ستر الإيمان الإبراهيمي فحسب، بل يمتد إلى حوار خصيب مع الحكمة إنما دارت وإنما كانت. فالطريقة هي درب يسلكه المسلم حتى لا تتشعب به الطرق، ويظل، ولا بد له من قائد ومرشد يعينه في سفره إلى الله.

3-تاريخ تشكل الطرق الصوفية

لقد تمثلت الفترة الأولى من ظهور التصوف الإسلامي في تطور حركة الرباطات. وقد اهتم بذلك المؤرخون الذين عكفوا على دراسة تاريخ تشكل الخناقاه الصوفية مثل السيد سبنسر تريمجهام الإنجليزي

[1]– بن تونس عدة المستغانمي، مجالس التذكير، جمع وإعداد رشيد محمد الهادي بن تونس، تقديم وتصحيح يحي طاهر برقة، المطبعة العلاوية، مستغانم، ط2، 1995، ص36

[2]– العلاوي أحمد بن مصطفى، الرسالة العلاوية في بعض من المسائل الشرعية، المطبعة العلاوية مستغانم، ط2، سنة 1990، ص 83

[3]– جارودي روجيه، المرجع السابق، ص8

والسيد بول نويا. وأول خنقاه كان بالصالحية على عهد الأيوبيين سنة 659هـ، وأصبح رئيسه يسمى بشيخ الشيوخ[1].

تعتبر هذه الفترة العصر الذهبي للمتصوفة، الذين اشتهروا بالعلم، والتقوى، والزهد. فقد كان الشيخ ومريدوه يجوبون في الآفاق، ويتجولون في الطرقات بدون أن تكون لهم قاعدة متبعة، ولا نمط معين قار من السلوك، فقد كان تعليم الشيوخ منطبعا بالحماس، والعاطفة، وكانت رياضات الزاهد المتنسك لا تتعارض في شيء مع سائر أشكال الممارسات الفردية الأخرى[2]. ثم تلا بعد ذلك فترة أخرى تميزت فيها الطرق، وازدهر عصرها على عهد السلجوقيين[3]؛ من القرن الثاني عشر إلى الخامس عشر ميلاديين انطلاقا من إيران وسوريا إلى المغرب، والأندلس[4]، وفي أوساط يغلب عليها الطابع السني، وأحيانا الطابع الشيعي.

وبذلك كمل نظام الرباطات، والحناقاهات[5]، واتضحت المناهج، والمذاهب، وقواعد السلوك. واستقر نوع من المهادنة، والاتفاق بين روح التصوف، وبين احترام الشريعة ذات النزعة الفقهية، واقترحت مناهج ووظائف للرياضة الجماعية، تمتاز بكونها حيوية ديناميكية بغية الوصول إلى الوجد.

وافتتحت المرحلة الثالثة ابتداء من القرن الخامس عشر مع تأسيس الإمبراطورية العثمانية (سقوط القسطنطينية 1453م)، فكثرت الحركات الصوفية، وانبت على الولاء للشيخ الذي يرتبط شخصيا مع سلسلة من المريدين، فينظم جماعته مع تابعيه، ومستخدميه، ويقوم بإعطاء الدروس، ويفرض قواعد السلوك اليومي، ويعني بتعظيم الأولياء. ويظهر هذا التقسيم الذي يتم إسقاطه على هذه المراحل بجعل المرحلة الأولى أرستقراطية، والثانية بالبرجوازية، والثالثة بالشعبية. لكن هذا التقسيم قد يصدق على أي

---

[1]– ورد في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه و سلم ((والذي نفس محمد بيده لئن شئتم لأقسمن لكم، إن أحب عباد الله تعالى إلى الله الذين يحببون الله إلى عباده، ويحببون عباد الله إلى الله، ويمشون على الأرض بالنصيحة))، وهذا الذي ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم هو رتبة المشيخة. عوارف المعارف، المرجع السابق، ص73

[2]– جان شوقلي، إفريقيا الشرق، تر، عبد القادر قنيني، المغرب، سنة 1999، ص 51

[3] تبرائيان المرجع السابق، ص 3

[4]– نفس المرجع، ص 4

[5]– هي بمثابة الزوايا في المغرب الإسلامي.

ظاهرة عدا التصوف. في حين أن الرباط كما أشرنا في مقدمة بحثنا كان لازما. ولذلك يعد منشؤه القطيعة والتجديد.

4-أهم الطرق الصوفية في الجزائر

تدل غزارة المؤلفات في التصوف في المغرب مقارنة بالمشرق على الفرق بين تاريخهما، فيما تحويه كتب تاريخ المغرب، وما ذلك إلا للدور الذي لعبته في شتى المجالات، ولاسيما المجال السياسي، سواء في الجزائر أو في باقي قطار المغرب العربي الإسلامي. ففي المغرب الأقصى كانت الدعامة الأساسية لبعض الأسر المالكة نتيجة ارتباطها بالطرق الصوفية بفضل السلطة الروحية على الشعب. أما في الجزائر فمنها من ناوئ الدولة العثمانية، وفرضت عليها حروبا كبدتها خسائر معتبرة كالطريقة الدرقاوية. ومنها من حارب الاستعمار الفرنسي كالرحمانية. أما في تونس فالأمر لا يختلف مع الطريقة الشابية وكذلك الأمر بالنسبة لليبيا مع الطريقة السنوسية، وهي معلومة الحال. فالتاريخ المغربي على العموم فيه من التصوف أكثر من خبر من بين الأخبار الأخرى لذلك تحتل الطرق الصوفية مكانة بارزة في المجتمع المغاربي ولاسيما في الفترة الحديثة أين زاد نفوذها، واتسع انتشارها. ولنذكر أهم الطرق الصوفية بشيء من التفصيل في الجزائرو المغرب.

5-الطريقة القادرية

أ-نبذة عن مؤسس الطريقة

تنسب إلى الولي الصالح العالم العارف بالله عبد القادر الجيلاني أو الكيلاني ، كانت ولادته رضي الله عنه في الليلة الأولى من رمضان سنة أربعة مائة وسبعين من هجرة سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم ،ولله در من قال مشيرا لولادته، وعمره، ووفاته، حيث قال:

إن باز الله سلطان الرجال "" جاء في عشق توفى في كُمال[1]

[1]- القادري الشهابي السعدي محمد صادق، تفريح الخاطر في مناقب تاج الأولياء وبرهان الأصفياء الشيخ عبد القادر الكيلاني، ترجمة عبد القادر الأربلي القادري، مطبعة مصطفى الحلبي، القاهرة، ط3، 1369هـ / 1949م، ص12

وفيه العشق الذي جاء فيه؛ هو ولادته سنة 470هـ، وبضم العشق إلى الكُمال يكون 561هـ وتفصيله في البيت التالي:

لقد كان في عشق عمر به نما "" ولقياه للمولى تمام سيادة[1]

أما نسبه من طرف والده فهو: عبد القادر، بن أبي صالح موسى جنكى دوست، ابن عبد الله، بن يحي الزاهد، بن محمد بن داود، بن موسى الثاني، بن موسى الجون، بن عبد الله المحض، بن حسن المثنى، بن حسن، بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ورضي الله عنهم أجمعين.

وأما نسبه من طرف والدته، فهي أم الخير أمة الجبار فاطمة، بنت السيد عبد الله الصومعي الزاهد، ابن أبي جمال الدين السيد محمد، ابن السيد محمود ابن طاهر، ابن الإمام أبي العطاء السيد عبد الله، ابن الإمام السيد كمال الدين عيسى، ابن الإمام أبي العلاء محمد الجواد، ابن الإمام علي الرضا، ابن الإمام موسى الكاظم، ابن الإمام جعفر الصادق، ابن الإمام محمد الباقر، ابن الأمام زين العابدين، ابن أبي عبد الله الحسين، ابن الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ورضي عنهم أجمعين[2]. ومؤلفاته المذكورة لمؤرخي تاريخ التصوف تدل على صوفيته منها الفيوضات الربانية، وفتوح الغيب، والغنيمة لطالب الحق والفتح الرباني، وغيرها، وترجم له كثير من المؤرخين مسلمين، ومستشرقين، وشغف به الكثيرون، وبطريقته.

ما علمه، وورعه، ومناقبه فقد شاع ذكرهم في الغرب، والشرق، وأصبح محبوبا في كل مكان وإلى اليوم ومع هذا الورع، والتقوى، والزهد، فقد ذكروا أنه كان يتطيلس، ويلبس لباس العلماء، ويلبس الرفيع من القماش ويركب البغلة، وترفع بين يديه الغاشية، ويتكلم على كرسي عال.

وكان في كلامه سرعة، وجهر، وله كلمة مسموعة. إذا تكلم أنصت له، وإذا أمر بشيء ابتُدر لأمره.

[1] – لقد كان في عشق: هو مولده (سنة 470)، عمر به نما: هو (مدة حياته 91سنة)، ولقياه للمولى: هو (وفاته سنة 561)، تمام سيادة

[2] – القادري البشهابي السعدي محمد صادق، المرجع السابق، ص54

ومن صفات أخلاقه أنه كان سريع الدمع، شديد الخشية، كثير الهيبة، مجاب الدعوة، كريم الأخلاق، طيب الأعراق، أبعد الناس عن الفحش، أقرب الناس إلى الحق، شديد البأس إذا انتهكت محارم الله. لذا ذاع صيته في الأرجاء، وأقبل الناس عليه في حج أو غيره لزيارته، وانتقل اسمه فصار على كل لسان.

وهناك أوراد متواترة عنه رضي الله عنه سنذكرها في محلها، ونلحقها ببعض ما أثر عنه من دعاء. وسند الشيخ الجيلاني في التصوف، والخرقة إلى الحسن البصري إلى علي بن أبي طالب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. هناك شيء لابد من الإشارة إليه فيما يتعلق بالأولياء، والصلحاء؛ وهو الأمر الذي يقف عنده المنكرين على التصوف على العموم فيذكرون الحادثة ولا يلتفتون إلى أهلها[1]. وأنا اخذ من هذا ما وجدت أكثر العلماء، والفقهاء قد ذكروهم في ترجماتهم[2] بكل خير، وأنكروا في مواضع أخرى بل اتهموهم، ولنرى ما نقله حسن النقيب عن اجتماعهم فقال: ((حضرنا في مجلس الشيخ الكبير السيد احمد[3] مع جماعة من المشايخ الكبار ذوي القدر، والافتخار أصحاب الكرامات، والأسرار. منهم سيدي بائن بطو، ومنهم سيدي حماد الدباس ومنهم سيدي أبو سعيد الخراز علي المخزومي، ومنهم سيدي أحمد تاج الدين أبو الوفا، ومنهم سيدي عبد الرزاق الواسطي، ومنهم سيدي منصور بن الحسين الواسطي ومنهم عقيل المنيجي، ومنهم سيدي أحمد الأزرق، ومنهم سيدي عبدو، ومنهم سيدي عدي بن مسافر الشامي، وغيرهم من الأولياء والعظماء[4].

ويذكرهم المؤلف؛ وهو لا ينتبه لهؤلاء ليقرر شيء لا يمكن الجزم بأي حال من الأحوال بشأنه وهو الكرامة. في حين أنه لا يذكر مناقب هؤلاء الصلحاء فيما يبدو في ظاهر أعمالهم. والحديث عن الشيخ عبد القادر الجيلاني لا ينتهي، وقد افردوا له مصنفات، وكل علم من هؤلاء نهر لا ينضب معينه لما تركوه سواء من أحوال أو علم.

---

[1]– الكرامات التي هي محل الصراع بين المتصوفة والمنكرين عليهم.

[2]– كابن الجوزي في سلوة الأحزان، سبقت ترجمته.

[3]– يقصد به السيد أحمد الرفاعي.

[4]– إلهي ظهير إحسان، دراسات في التصوف، دار الإمام المجدد للنشر والتوزيع، ط1، 1426هـ /2005م، ص277

لذا ليس غريبا أن تنتشر طريقته في كل مكان، وبالخصوص في المغرب الإسلامي، وبالأخص في الجزائر، وأكثر أسماء أبنائها باسمه. خلف الشيخ الجيلاني نحو الأربعين ذكرا على ما قيل، وقيل ستة عشر ذكرا وثمان بنات، ومن أعقاب الشيخ عبد القادر الجيلاني، السيد إبراهيم شيخ شرفاء فاس.

فأول قادم منهم على فاس سيدي محمد الثاني[1]، وكان قدومه أواخر المائة التاسعة، ويشيد بنسبهم في هذه الأبيات فيقول:

والقادرون سمـــو النسب "" إلى سماء القطب أي منصب

ما غيرت أنسابهم إلا على"" بيت المجادة إلى بيت العلى

من عـالم لعـــالم وسيـــد "" إلى الســـماء الســـــــودد

ومن القادريين فرقة ببني سنوس يقال هم أولاد شعيب، ومن أولاد شعيب فرقة بولهامة يقال لهم أولاد محمد الأشهب، فمنهم أولاد عبد الرزاق. ومن أولاد لقمان فرقة بزمورة تعرف بأولاد أبي شيبة، ومن أولاد سيدي عبد الرزاق فرقة بعين الصفرة تعرف بأولاد سيدي محمد بودخيل، ومنهم شرذمة بتلمسان والدويرات بقصر أربا بإزاء أبيض سيد الشيخ، ومنهم فرقة ما بين الجلفة، وأبي سعادة بالجزائر يعرفون بأولاد سيدي علية.

ومن فروع سيدي عبد الوهاب فرقة بإزاء مدينة سعيدة من عمالة وهران[2] تعرف بالوهابة، ومن أولاد عبد القادر فرقة بإزاء تيارت تعرف بالقوادرية، وفرقة بالصحراء، وفرقة بوجدة، منهم أفراد بالبيض سيد الشيخ وفرقة بندرومة. هؤلاء هم القادريون لان سلفهم قدموا من بغداد في وقعة التتار[3] خوفا من الفضيحة، والعار، كانوا أولا بالكوفة، ثم انتقلوا إلى الجزيرة الأندلسية، فسكنوا منها وادي آش، ثم بدا

---

[1]– ابن محمد عبد الله بن الشارف بن سيدي علي حشلاف، سلسلة الأصول في شجرة أبناء الرسول، المطبعة التونسية، نهج سوق البلاط، عدد57، تونس، 1347هـ /1929م، ص121

[2]–كانت على العهد الثماني والفرنسي إلى غاية 1958

[3]– وقعة مشهورة كانت سنة 656هـ، قيل أن عدة من قتل في نوبة هولاكو يزيد على ألفي ألف وثلاثين ألف إنسان، وانقرضت الخلافة من بغداد بقتل المعتصم. الديار البكري حسين بن محمد ابن الحسن، تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس، دت،ج2، ص377

لهم في الانتقال، فسكنوا غرناطة، ومنها دخلوا فاس. فمنهم من استوطنها، ومنهم من بدا له في الانتقال والتجول وسكن غيرها. وهذا النسب انتشر، وتوزع على المغرب العربي، ومن هؤلاء انتشرت الطريقة القادرية. حتى وإن اختُلف في هجرة إبراهيم إلى الأندلس أو أنه جاء إلى المغرب مباشرة، ومنها انتقل إلى منطقة الأوراس؛ فهذا لا يمنع من انتشار الطريقة بداية بتأسيس أول زاوية بالمنعة على يد إبراهيم هذا.

وبالرغم من تفرعها إلى عدة طرق إلا أنها مرتبطة بالطريقة الأم في بغداد من حيث الممارسة المتمثلة في الحضرة والذكر الواحد. ويقوم المقاديم بزيارة الطريقة الأم من أجل أخذ التعليمات في تثبيت المقاديم الجدد أو إنشاء فروع أخرى في سرية تامة كالحج، والتجارة، وغيرها. ولا يفوت المقاديم إن تقدم بأحدهم العمر من ترك من يخلفهم، وإذا فجاءهم الموت اختاروا أثناء الحضرة من يتقلد هذا المنصب. وبعد ذلك يطلبون مصادقة شيخ الطريقة ببغداد.

فالطريقة القادرية لها أتباع لا يمكن حصرهم، وعلى وجه الخصوص بالجزائر، والمغرب الأقصى ودليل ذلك عدد الزوايا المنتشرة في كل ربوع الوطن، وبصفة اخص بغرب الجزائر؛ ومنها على سبيل المثال لا الحصر زوايا بكل من: زمورة، والشلف، وتيارت، والوادي، وورقلة، والأوراس، وكنتة . ففي إقليم وهران وحده يوجد أكثر من مائتي زاوية وقبة تحمل اسمه بغض النظر عن المساجد[1]. وقد توزع أبناء وأحفاد الشيخ عبد القادر الجيلاني في أغلب المناطق كما ذكرنا سابقا، ومن المشايخ الذين نشروا الطريقة القادرية سيدي بومدين الغوث وتلميذه سيدي عبد السلام بن مشيش.

ب–سيدي بومدين الغوث

هو شعيب ابن أحمد بن جعفر بن شعيب: أو ابن الحسين[2] الأنصاري البجائي، كنيته أبو مدين ولد رضي الله عنه سنة 492هـ / 1098م بالأندلس، لقب بالغوث. انتقل من الأندلس إلى فاس حيث قرأ

[1]– الطاهر فيلالي مختار، نشأة المرابطين والطرق الصوفية وأثرهما في الجزائر خلال العهد العثماني، دار الفن الڤرافيكي للطباعة والنشر، باتنة، الجزائر، ط1، دت، ص37

[2]– بلحيا بودواية، التصوف في المغرب العربي، دار القدس العربي للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر، ط1، 2009، ص28

على شيوخ عدة منهم الشيخ أبو الحسن علي بن غالب، والشيخ علي بن حرزهم، والشيخ أبو عبد الله الدقاق[1] السجلماسي، وأبي يعزى.

بعد أن مكث بفاس وقت غير يسير، انتقل إلى المشرق حيث التقى الشيخ عبد القادر الجيلاني في الحج وتعرف عليه، وصحبه، كما قرأ عليه الحديث الشريف، وألبسه الخرقة. وكان يفتخر بهذا الذي حدث له مع الشيخ عبد القادر الجليلالي رحمهما الله ورضي عنهما. بعد ذلك قفل راجعا إلى بجاية واشتغل بالتدريس، حيث كانت حاضرة علمية، ومركز العلماء. وفيها ذاع صيته، وبزغ نجمه، وشاع اسمه في الآفاق مشرقا ومغربا. لقد شارك في تحرير القدس من الصليبين وفيها قطعت يده اليمنى، ودفنت بمكان يسمى: "مقام أبو مدين".

إن الطريقة التي أسسها تفرعت إلى ثلاث في مصر، ورابعة بالقدس الشريف. وبذلك يكون هو أول من نشر الطريقة القادرية في تلك الأماكن، ولما علم الخليفة الموحدي أبو يوسف يعقوب بشأنه بعث إليه ليتحقق مما ورد أنه يشبه الإمام المهدي المنظر، وأوصى أن يحمل من بجاية في رفق، غير أن الأجل سبق رغبة الخليفة، ووافته المنية. دفن رحمه الله بقصر العباد. وقصته فصلت في كتاب "" أنس الفقير[2] "" ومن حِكَمه :

لا يصلح لسماع هذا العلم إلا لمن حصلت له أربعة: الزهد، والعلم، والتوكل، واليقين. وقال أيضا: أضر الأشياء؛ صحبة عالم غافل، وصوفي جاهل، وواعظ مداهن. وقال أيضا: بالمحاسبة تصل إلى درجة المراقبة. وغيرها من الأقوال في الخوف، والصدق، والمعصية وكلها حكم. وقيل انه تخرج على يده أكثر من ألف تلميذ، ومن أشهرهم، والذي لازمه، وصحبه، واتبعه حذو النعل بالنعل؛ الشيخ عبد السلام بن مشيش، وبفضله استمرت جذوة الطريقة القادرية، واتساع مجال رقعتها إلى أن انتقلت مبادئ الطريقة إلى الشيخ أبو الحسن الشاذلي، حيث ستصبح الطريقة الشاذلية تضاهي القادرية فيما بعد.

---

[1] – أحمد الخطيب أبو العباس ابن قنفذ القسنطيني، أنس الفقير وعز الحقير، اعتنى بنشره وتصحيحه، محمد الفاسي وأدولف فور، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، دت، ص21

[2] – أنس الفقير المرجع السابق، ص102،103

ج–عبد السلام بن مشيش

هو عبد السلام بن مشيش الحسني، الملقب بقطب الغرب، كما لقب الشيخ عبد القادر الجيلالي قطب الشرق. وبالرغم من هذا اللقب إلا أن المعلومات بشأنه شحيحة. مات رحمه الله سنة 625هـ / 1227م في صومعته بجبل العلم بناحية بني عروس الواقعة إلى الجنوب الشرقي من تطوان[1]، وقد قتله زنديق كان يدعي الرسالة[2]، اسمه محمد بن أبي التواجيني الكتامي من أهل قصر كتامة. كانت لهذا الدعي الكتامي أطماع خلال ثورة قبيلته على سلطان المرابطين، وادعاؤه للنبوة دليل على أطماعه في السيادة، والنفوذ فاغتال المرابط التقي السيد عبد السلام بن مشيش ليخلو له مراده، لأنه يمثل عقبة كبيرة أمامه. دفن الشيخ عبد السلام بن مشيش بقمة الجبل عند أصل شجرة البلوط. لم يذكر ابن خلدون في تاريخه حادثة اغتياله. وقيل أنه ولد على مقربة من جبل العلم في قبيلة بني عروس.

انتقل الشيخ عبد السلام بن مشيش إلى المشرق لطلب العلم، وهو في السادسة عشر من عمره، وعند عودته التقى بالشيخ أبا مدين الغوث فلازمه، وأخذ عنه التصوف، ويعتبر تلميذه، وتابعه المباشر. وبعد ذلك عاد إلى موطنه الأصلي، وبقي عابدا متنسكا زاهدا في صومعته الجبلية.

من تعاليمه: ((أد فرائض الشرع وتجنب الكبائر))، ويقال أنه نصح أحد مريديه، حين سأله أن يسن له سنة الحياة الكريمة فقال له: ((احفظ قلبك بعيدا عن مطامع الدنيا، واجعل حبك لله فوق كل ما سواه)).

ورغم قلة المعلومات عن هذا الولي الصالح إلا أن تلميذه أبا الحسن الشاذلي جعل شهرته تتعدى حدود قبيلته لما ارتبطت الشاذلية بالمرابطين، وأصبح قبره مزارا مشهورا، وتخصص الأيام الثلاثة التالية ليوم المولد النبوي[3] لزيارته كل عام.

---

[1]– موجز دائرة المعارف الإسلامية، المرجع السابق، ص7139

[2]– بلحيا بودواية، المرجع السابق، ص31

[3]– موجز دائرة المعارف الإسلامية، المرجع السابق، ص7140

إن فضل الشيخ عبد السلام بن مشيش برز في تلميذه أبي الحسن الشاذلي، حيث أصبحت طريقته من أكبر الطرق الصوفية، وأوسعها انتشارا وتفرعا، وصية من شيخه عمل بها وهذا ما سنتعرض له فيما بعد،عند الحديث عن الطريقة الشاذلية، ومؤسسها.

5–فروع الطريقة القادرية

من فروع القادريّة الّتي كان لها وجود في الجزائر الطريقة العيساوية، وهي أول فروع الطريقة القادرية تنتسب إلى الشيخ سيدي محمد بن عيسى السفياني. كان سيدي محمد بن عيسى يعيش بمكناس بمملكة المغرب في عهد السلطان المولى إسماعيل، وهذا قبل ثلاثة قرون[1]. عاش في القرن التاسع الهجري، ووفاته نحو 1523– 1524م، ودفن بمكناس بالمكان المعروف بباب البرادين. تلقى مبادئ القادرية أولا؛ كما اخذ المبادئ الشاذلية على يد الشيخ الجزولي[2]، غير أن أتباعه آثروا الطريقة القادرية مع تغيير، وإضافة في طريقة الصوفية في بعض الممارسات؛ كارتداء اللباس الأسود[3]، والظهور بارتداء الخرق المرقعة الملطخة بالدماء، وكذلك الشطحات، والأقدام حافية، يقهرون قدرتهم في الدّوس على الزجاج والجمر إلى درجة الهستيريا التي تؤدي إلى الإغماء. وتتفرع عن هذه الطريقة التي توجد في الأصل بمكناس زوايا بمناطق كثيرة من المغرب العربي كما هو الشأن بالنسبة للقادرية التي تعتبر الطريقة الأم ببغداد. ولها فروع في مختلف مناطق العالم الإسلامي ؛ منها الطريقة العمارية[4]، التي تعود أصولها إلى الولي الصالح سيدي عمار بوسنة المولود سنة 1712م. وفي سنة 1882 تمكن من وضع ذكرِ طريقتِه المستقل

---

[1]– هذه العبارة أوردها إدوارد دو نو ڤو، وهي غير مفهومة. إدوارد دو نوڤو، الإخوان، تر، تح، كمال فيلالي،دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، دت، ص49

[2]– دائرة المعارف الإسلامية، ن ع ،المجلد السادس ،ص47 ، وما بعدها. غير أن كبولاني يذكر في مؤلفه الطرق الدينية الإسلامية أنه تلقى مبادئ الشاذلية على يد أحمد الهرستي تلميذ سليمان الجزولي. ينظر:

Depont Octave Et Cappolani Xavier, Les Confréries Religieuses Musulmanes, Typographie et Lithographie, Adolphe Jourdan, imprimeur, Library, Editeur, Alger, 1897, p349

[3]– يدل اللباس الأسود على شعار التغيير، والمباينة، المسعودي المرجع السابق، ص345

[4]– هناك اختلاف بينها، وبين الزاوية العامرية التي تنسب إلى الصوفي التونسي المعروف، الشيخ عامر بن الحاج سالم المزوغي، وهو من مواليد قرية الساحلين التي تبعد عن مدينة سوسة بحوالي عشرة أميال جنوبا. وكانت ولادته سنة 920هـ . العقبي صلاح مؤيد، المرجع السابق، ص253

عن الذّكر القادري بإضافة بعض الأذكار مستقاة من ذكر العيساوية، وذكره هذا يتميز باختلافه حَسَب أيام الأسبوع؛ إذ منه:" لا حول ولا قوة إلا بالله " يوم الأحد ، و" لا إله إلا الله " يوم الاثنين، وهكذا. وهذا لا يدل على استقلاله عن الطريقة القادرية الأم بل هناك اجتهادات في ترتيب الأوراد، وهذا ما يعاب على القادرية من عدم صرامتها، وتساهلها في مراقبة فروعها بخلاف الطرق الأخرى. لكن هذه الطرقة الفرعية تستمد غطاءها الصوفي من الطريقة القادرية ببغداد، وتنتسب من حيث الولاء الروحي لها.

بلغت الزوايا التابعة له 26 زاويةً، كانت تستقطب 7 آلاف مريد إلى نهاية القرن التاسع عشر الميلادي غير أن فروع القادرية اكتسبت الشهرة ،والانتشار أولا من انتسابها، وثانيا كونها من طريقة لا تلزم الأتباع والمريدين بالولاء التام للطريقة، بل يسع المريد كما ذكرت أنفا من أن يأخذ عن طريقة أخرى مع إمكانية تمسكه بالطريقة القادرية، وهذه من ايجابيات الطريقة من جهة كما أنها من سلبياتها من جهة أخرى.

ومن سلبياتها العشوائية؛ عدم الإشراف الصارم الذي يجعل المريد يخضع إلى تعاليم الطريقة دون غيرها كما أن الطرق المنافسة لها، وخاصة بالمغرب من القوة بمكان، وعلى رأسها الطريقة الشاذلية[1] وفروعها.

ومن فروعها الطريقة البوعلية، نسبةً إلى البوعلي (ت:610 هـ) من "نفطة" في تونس، وكان لها أتباع في العهد الفرنسي في الشرق الجزائري، وزاوية لها مقدّم في خنشلة، وأيضا الطريقة البكائية التي تعود في الأصل إلى الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني التواتي (ت 940هـ/1533م) ، الذي زار السودان والنيجر .وعنه أخذ الطريقة الشيخ سيدي اعمر بن الشيخ أحمد البكاي بن سيدي محمد الكنتي الشنقيطي (ت 959هـ / 1552م)، وتفرعت الطريقة القادرية في بلاد شنقيط إلى شعبتين كبيرتين البكائية الكنتية والفاضلية[2]؛ ومؤسسها الثاني، هو: أحمد البكاي الكنتي في منطقة كنتة بتوات في نهاية القرن الخامس عشر ميلادي، وكان لولده اعمر دورٌ في نشر القادريّة في غرب إفريقيا، وبلغت أوجها مع

[1]– تنسب إلى أبو الحسن الشاذلي، التي سيأتي الحديث عنها بالتفصيل.

[2]– النحوي خليل، بلاد شنقيط المنارة والرباط، م، ع، ت، ث، ع، تونس، 1987، ص121

الشيخ سيدي المختار الكنتي (ت 1226هـ / 1821م) وينتسب أيضا إلى هذا الفرع الشيخ العلامة محمد المامي الشمشوي، وغيره من أهل الساحل. أما الفاضلية، فتنسب إلى مؤسسها الشيخ محمد فاضل بن مامين (1281هـ / 1879م)، الذي وزع أبناءه إلى المناطق المختلفة : الشيخ سعد بوه في الترارزة، والشيخ ماء العينين بآدرار، والصحراء، ووجه الشيخ الخَيّر إلى الحوض القريب من السودان وللإشارة؛ فإن ابرز هؤلاء وأوسعهم نفوذا الشيخ ماء العينين، الذي اخذ عنه الطريقة الشيخ المجتبى بن خطري البصادي وانتشرت الطريقة غاية الانتشار.

مهما قيل عن الطريقة البكائية عن استقلالها عن القادرية، واستحداث طريقة خاصة[1] شبيهة بالأم، إلا أنها تعود في الأصل إلى المشربين القادري، والشاذلي. يعتبر الشيخ سيدي عمر الكنتي صاحب الانطلاقة الثانية للطريقة القادرية، نظرا لرحلاته الدعوية التي اختلفت بين المشرق والمغرب الإسلاميين، وما بينهما من مناطق، ومحطات، ثم تنقلاته من الشمال إلى الجنوب طولا، بداية من حوض النيجر والسودان جنوبا إلى أقصى شمال بلاد المغرب، داعيا الناس إلى مبادئ الدين الحنيف، ومربيا للأجيال على مبادئ طريقته القادرية البكائية الكنتية. وظل كذلك حتى توفاه الأجل المحتوم رحمه الله. وفي رحلاته الدعوية تلك التي كانت بالقرب من (بلدة آقا) في الجنوب المغربي لها من الأهمية بمكان، حيث مكث هناك وقتا طويلا استطاع أن يثبت الطريقة، ويقوي نفوذها، ويجعل منطلقها من هناك أساسا لنشرها بإفريقيا. وما يدل على وزن الطريقة الكنتية، وما بلغته من مكانة – بعد أن تعزز وجودها ونمى مع مرور الأيام وتلاحق الأحداث ، وتعاظمها بصورة مطردة – هو دخولها في القصر الملكي نفسه خاصة في عهد الملوك العلويين في القرن التاسع عشر الميلادي.

واصل بعده المشروع الدعوي في إطار الطريقة الشيخ سيد المختار الكبير الكنتي الفهري (1730 – 1811م) والذي كان عهده الميمون من أزهى العهود التي عرفتها القادرية في المنطقة، فقد أثمرت جهود الشيخ سيدي المختار بانتشار الزوايا الكنتية في القطر المغربي كله. كما اشتهر بمؤلفاته العديدة

[1] – بلحيا بودواية، المرجع السابق، ص38

وأعماله التعليمية، ويرجع له الفضل في تأسيس زاوية في أزواد إلى الشمال من تمبكتو مع نهاية القرن الثامن عشر. ثم تأسست فروع أخرى لهذه الزاوية في تمبكتو وماسينا.

إن الطريقة القادرية كانت لها الصدارة في إفريقيا من حيث عدد الأتباع. والآن تأتي في المركز الثاني بعد الطريقة التجانية. وأيضا في غرب إفريقيا نتيجة الصراع الذي اشتد بين الطريقتين حتى انقسم الساحل إلى قسمين: قادريين وتجانيين، ولم تنته المعارك بين الطرفين إلا حوالي سنة 1877، حينما استقر خط التقسيم بينهما على ما يبدو؛ فقبل التجانيون بالمنطقة الواقعة إلى الغرب من خط يمتد طوليا على الحدود الشرقية لماسينا[1]. ويوجد للقادرية فرعان : الفرع الفاضلي والفرع البكائي

وانتشرت في منطقة جنوب الجزائر وجزء من المغرب ومنطقة الصحراء الكبرى ومالي وموريتانيا وامتدت إلى السينغال، ومن شيوخها الشيخ سيدي الكبير الذي عاش في منطقة بتلميت في موريتانيا وينسب الفرع الفاضلي إلى الشيخ محمد فاضل ولد مامين[2]. والقادرية الفاضلية لها فرعان كما ذكرنا سابقا، فرع في المغرب وشمال موريتانيا، وهو فرع أهل الشيخ ماء العينين، وأبناء الشيخ محمد فاضل بن مامين وإخوانه. والفرع الآخر في الجنوب على حوض نهر السينغال، منها مشيخة الشيخ سعد بوه ولد الشيخ محمد فاضل بن مامين سيدي محمد ولد الشيخ إمام الزاوية البكائية الكنتية القادرية في نواكشوط

ويتولى زمامها الآن أبناء مشايخها التاريخيين الكبار من أمثال الشيخ سعد بوه، وسيدي المختار الكنتي، ويتولى أحد أحفاد الشيخ مختار الكنتي، الشيخ سيدي محمد ولد الشيخ، إمامة زاوية سيدي المختار الكنتي في نواكشوط التي تقوم بلعب أدوار مهمة في موريتانيا .

لقد كان للطريقة القادرية السبق في غرب إفريقيا، وبعد أن وصلت الطريقة التجانية إلى هناك اشتد الصراع حول النفوذ، ورغم ذلك فمن حسنات الطريقتين هو نشر الإسلام، والتمكين له في كامل الغرب الإفريقي. وكان للطريقة القادرية بحكم أسبقيتها أتباع أكثر إلى غاية القرن التاسع عشر، حيث رجحت كفة

[1] – زبادية عبد القادر، الحضارة العربية والتأثير الأوربي في إفريقيا الغربية جنوب الصحراء، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989، ص94

[2]- Depont Octave, Et, Cappolani . op.cit, p317

التجانيين، بعد أن سافر الشيخ عمر الفوتي إلى الحج، ولما عاد في الأربعينيات من ذات القرن انتقل من الدعوة الدينية إلى الجانب السياسي، والإصلاحي. وكانت هذه النقلة كافية لسيطرة التجانية فيما بعد من حيث النفوذ، ومن حيث الأتباع . ومن فروعها أيضا الطريقة الهاشمية القادرية، وتنسب إلى مؤسسها العالم الفاضل الشيخ الشريف الهاشمي بن براهيم بن احمد الكبير دفين البليدة[1]. وقد ولد سنة 1840م، وتوفي عام 1922م، ودفن بالبياضة بواد سوف. ولهذه الزاوية فروع مختلفة من الوطن كسكيكدة والأغواط وتوقرت. ومما تفرع عن القادرية الطريقة البوتشيشية. فبرغم من أن الطريقة البوتشيشية حديثة عهد النشأة من جهة، ولم تكن قريبة عهد بالقادرية الأم من جهة أخرى، غير أنها عرفت صيتا ذائعا، وانتشارا واسعا يفوق كثير من طرق صوفية مثيلاتها في النشأة والتأسيس .

وتنتسب الطريقة القادرية البوتشيشية إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني[2] أما لقبها بالبوتشيشية، فهو حتما يتصل بالتشيش الذي هو عبارة عن القمح المجروش[3]، غير أن الروايات فيه تختلف باختلاف الرواة والمناطق[4]، والظاهر أن هذا النوع من الطعام عرف بالمغرب قديما وحديثا. وكانت تتميز به جهة دون أخرى و خاصة إذا تعلق الأمر بكثرة الجموع ودوام ضيق الحال مما يضطر الزوايا على أن تتكيف حسب قدرتها على الإطعام.

هذا من ناحية؛ ومن ناحية أخرى فالمعروف لدى العام أن الطعام في الأرياف يحضر من القمح، وعليه يختلف عن ذلك الذي يوجد بالحضر[5]، وخاصة في فترة ساد فيها القحط، وغلاء المعيشة، واستبداد

---

[1]– العقبي صالح مؤيد، المرجع السابق، ص560

[2]– سبقت ترجمته

[3]– يعد هذا النوع من القمح للطعام (الكسكسي)، ولا يصنع منه الخبز لأنه لا يطحن بالكلية ويطعم مع الحليب ،وهو مشهور بالبادية

[4]– في المغرب ترجع الرواية القائلة: بأن سيدي علي بن محمد كان يطعم الناس بزاويته طعام التشيش أيام المجاعة، ورواية مفادها أنها اكتسبت لقبها، من سيدي المختار محي الدين المتوفى 1914م، الذي زار شيخه أبا مدين، وامتثل لأمره في إتمام ما كان من تشيش المقدم لهم من قبل الشيخ دون غيره من المريدين، فأطلق عليه هذا الاسم. المجلة الصوفية، جمادى الأولى، 1429هـ/ ماي 2008م، العدد،8 ص30

[5]– الحضري لم يألف هذا النوع من الطعام فكان يقدم لهم ما ألفوه، مراعاة من شيخ الزاوية لهذا الاختلاف وحسب قدرة وقوة كل زاوية الاستعابية والمادية .

الاستعمار، وسوء الأحوال الاجتماعية مما ألجأ الكثيرين إلى البحث عن ما يسد جوعهم، ولو بكسرة خبز، فلا عجب أن نجد الغالب على الطعام هذا النوع. فلا يوجد حرج إن كان لقب هذه الطريقة جاء عن قصة أو كان في حادثة كإطعام الطعام أيام المجاعة، حيث يكون في العادة، أو هذا النوع الذي القليل منه يسد الجوع لقوته. وقد عرفت الطريقة البوتشيشية مرحلتين، المرحلة الأولى اعتبرت الزاوية مكان للتبرك كما كانت في تلك الفترة تقوم بالتكافل الاجتماعي، وكان شيخها سيدي علي بوتشيش يطعم الطعام بزاويته، وتابعه على ذلك المشايخ من بعده.

من مشايخ الطريقة القادرية البوتشيشية الذين ساهموا بقدر كبير في تطوير الطريقة بالمغرب سيدي المختار بن محي الدين (ب 1914) ، والشيخ سيدي أبو مدين بن المنور(ت 1955 م)، هذا الأخير في عهده عرفت الزاوية المرحلة الثانية، وهي تحولها من مجرد زاوية ذات ولي[1] للتبرك إلى طريقة لها منهاج، وسلوك في التربية الروحية. والمرحلة الثانية استطاع فيها الشيخ أبي مدين أن يحصل على الإذن بالتربية بعد مجاهدة روحية شاقة.

لقد استمرت الطريقة البوتشيشية القادرية في التطور، والتبلور على نهج الطريقة العلاوية بالتوثيق بين الأتباع والشيخ، وقد تابع هذا العمل الحاج العباس، ثم ابنه من بعده الشيخ حمزة البوتشيشي. وإلى عهد غير بعيد كان الشيخ الحاج العباس يرأس الطريقة، ويطور الزاوية حتى انتشرت انتشارا واسعا، وبلغ صيتها المشرق والمغرب.

ولو تتبعنا كيفية انتقال طريقة صوفية معينة من شيخ إلى مريد ليؤسس بدوره طريقة مستمرة من تعاليمه وجدناها سابقا لا تتوارث، غير أن الذي يمكنه ذلك لا بد وان يكون من النسب شريف، وقد خدم شيخه ولازمه كيفما اتفق حسب الطريقة، وشيخها حتى يؤذن له، غير أن التصوف تطور فتطورت الطرق الصوفية

[1]– الطريقة غاية شريفة، ومنقبة مزيفة، ولكن ينالها من له رابطة بها، وشعور لفوائدها. قال "سيدي شعيب أبو مدين دفين تلمسان في حكمة (الشيخ من أدّبك بإطراقه، وهذّبك بأخلاق في الشيخ فقط، وإنما يكون لكل منتسب نصيب مما للشيخ، إما من علم، وإما من أخلاق ، وإما من تنوير، ومن لم يحصل على شيء من ذلك، فهو ليس على شيء، ولا يغني عنه نسبه شيئا).

وكما هو الشأن بالنسبة للحضارة في شكلها المادي، والثقافة في شقها المعنوي[1]، فكذلك الطريقة بعد أن أصبحت ذات مقر، وهو الزاوية فكان مسكن الشيخ بحذائها، وعليه فإدارتها تعتمد عليه، وإن كان له أولاد فحتما سيسلكون ذات الطريق، ويقومون على خدمة الزاوية، ولذلك لا بد أن يرثوا المشيخة لتستمر الطريقة وتساهم مساهمة فعالة في المجتمع. تتجلى آثار ذلك في الممارسة العملية للقائمين عليها منذ انتقالها إلى الجزائر. إن الطريقة البوتشيشية حديثة النشأة غير أنها عميقة الجذور والمشارب وتتصل بالطريقة القادرية عن طريق؛ الطريفة العلاوية بالجزائر، وبالتحديد بمستغانم، ولذلك كان تأثيرها واسع النطاق على مستوى شرائح واسعة من المجتمع المغربي وحتى المغاربي، بل والإفريقي وما وراء البحر.

فتأثير هذه الطريقة يتم عن الحضور القوي لشيخ الطريقة، والدور الذي يلعبه في بقاء هذه الطريقة واستمرارها والحفاظ عليها كمكون من مكونات الحضارة الإسلامية والثقافة العربية. والشيخ حمزة البوتشيشي[2] كان معظما، وذا قدر عال، واحترام كبير من قبل مريديه ومحبيه.

يكون حال أي طريقة صوفية – باعتبار أن التصوف يعني الباطن – فقد يصيبها التغيير حسب الوضع مع ما يصيب الحياة الاجتماعية من الخروج عن جادة الصواب سواء تعلق الآمر بالبذخ، والترف[3] أو الغفلة والطغيان. ويمكن ملاحظة ذلك في جميع مراحل تطور هذه الظاهرة، كما أصاب العالم الإسلامي الضعف بعدة القوة.

---

[2]– عبد اللاوي موسى، الحضارة الإسلامية وآثارها على المدينة الغربية، دار العلوم للنشر والتوزيع، سنة 1429هـ/2008 م، ص15

[1]– هو أبو جمال حمزة بن الحاج عباس بن المختار القادري البوتشيشي، ولد سنة 1922 بقرية مداغ من إقليم بركان، حفظ القرآن الكريم، وتلقى علوم الشريعة الغراء بزاوية أسرته، فأخذ علوم الفقه واللغة والنحو عن الفقيه العلامة أبي الشتاء الجامعي، والفقيه العلامة سيدي محمد بن عبد الصمد التجكاني، على العروسي اليزناسي، والفقيه العلامة الحاج حميد الدرعي، تولى مشيخة الطريقة عام 1971 ،وقام بتطويرها شكلا، حيث زاد في بعض أورادها الجماعية والفردية. المجلة الصوفية، المرجع السابق ، ص31

[3]– قال بعضهم في متأخري الصوفية: كان التصوف حالا فصار كالا، وكان احتسابا فصار انتسابا، وكان استتار فصار اشتهارا ،وكان إتباعا للسلف فصار إتباعا للعلف، وكان تعففا فصار تكلفا، وكان سقما فصار لقما، وكان تخلقا فصار تملقاK وكان عمارة للصدور، فصار عمارة للقدور، وكان قناعة فصار فجاعة، وكان تجريدا فصار تثريدا. بطرس البستاني المعلم، دائرة المعارف، مطبوعات إسماعليان، نهران – ناصر خصروه ياسات مجيدي، المجلد 6 د ت، ص 136

وقد ترتب على انتشار الفكر الصوفي نتائج تراوحت بين الإيجاب والسلب، بقدر ما كان ذلك التيار الفكري يتبع تراجع أداء الحضارة الإسلامية[1]. سواء تعلق الأمر بالمشرق الإسلامي أو المغرب، وهو يعكس بصورة واضحة؛ الواقع الاجتماعي للمسلمين، وخاصة في المغرب الأقصى. فكان ولابد وتماشيا مع الظروف وما آلت إليه أخلاق الناس في الغالب أن تنهج نهج التربية الروحية لتهذيب الأخلاق، والعودة بالتصوف إلى الأوصاف الحقة التي تستمد أصولها من الكتاب والسنة، لأنه علم وعمل وموهبة[2]. وهذا ما عمل به مشايخ الطريقة البوتشيشية . في هذا المضمار يقول الشيخ حمزة البوتشيشي:

إن من أهل الله من يدعو إلى التحلي قبل التخلي، ومنهم من يدعوا إلى التخلي قبل التحلي. ودعوتنا تبدأ بالتخلي ثم التحلي[3]. ويقول أيضا :"إن دعوتنا تبدأ من القلب، فإن صح القلب هان ما يليه من الجوارح، وإذ بقى فساده، فلا عبرة بالمظاهر"، والقلب هو مدار المجاهدة الصوفية فينطلق منه الصوفية للتّدرج في الطريقة بناء على قول الرسول صلى الله عليه وسلم: (ألا و إن في الجسم مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله). لذا يحتل القلب الركن الأساسي في المنهاج التربوي الرباني ".

ويرجع سند هذه الطريقة إلى الشيخ أبي مدين في الطريقة القادرية، ويتسلسل حسب النسب إلى آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفا عن سلف، بالإضافة إلى الاستفادة من صلحاء زمانهم وشرفائه وهو الحال بالنسبة لأبي مدين البوتشيشي الذي أخذ عن ولي الله تعالى سيدي المهدي بلعريان، وولي الله

---

[1]– عبيد بداود، المرجع السابق، ص 180

[2]– التصوف: علم يعرف به كيفية السلوك إلى حفرة ملك الملوك، أو تصفية البواطن من الرذائل. فأوله علم، ووسطه عمل وآخره موهبة. عبد الله أحمد بن عجيبة، معراج التشوف إلى حقائق التصوف، تق، تح، عبد المجيد خيالي، مركز التراث الثقافي المغربي، الدار البيضاء، دت، ص 4

[3]– لكل فريق طريق، فللعامي تصوف حوته كتب المحاسبي، ومن نحا نحوه، وللفقيه تصوف رحاه ابن الحاج في مدخله، وللمحدث تصوف حام حوله ابن عربي في سراجه، وللعابد تصوف دار الغزالي في منهاجه، وللمتريض تصوف، نبه عليه القشيري في رسالته، وللناسك تصوف حواه القوت والإحياء، وللحكيم تصوف أدخله الحاتمي في كتبه، وللمنطقي تصوف نحا إليه ابن السبعين في تأليفه، وللطبائعي تصوف جاء به البوني، وللأصولي تصوف، قام الشاذلي بتحقيقه، فليعتبر كل بأصله من محله، وبالله التوفيق. زروق الفاسي، قواعد التصوف، المرجع السابق، ص51

تعالى محمد فتحا، ولحلو الفاسي، وقد تجد اختلاف في الأسانيد إما بحذف شخص أو تقديم أو تأخير أخر. ومن فروعها الطريقة البكائية أو البكاوية.

د–القادرية بالقيطنة

كان للقادرية دور كبير في مقاومة الاستعمار الفرنسي بداية بالشيخ محي الدين والد الأمير عبد القادر الجزائري[1]. وتعتبر زاوية القيطنة المكان الذي انطلقت منه راية الجهاد، وحدد فيه الواجب نحو الوطن وقد حمل الراية بعد الشيخ محي الدين بطل المقاومات المسلحة على وجه الأرض في القرن التاسع عشر والعشرين الذي فاقت شهرته حدود الوطن، وأصبح رمزا من رموز الوطنية، والإنسانية معا. لم يهادن إلا بعد سبعة عشر سنة من الكفاح. إن الزاوية التي أسسها الشيخ مصطفى الغريسي حوالي سنة 1200هـ/ 1785م عملت على تعليم القرآن، وإنصاف المظلوم. وكان حكام الغرب الجزائري العثمانيين يخشون الشيخ محي الدين الذي لا يخشى أحدا في إحقاق الحق، ورد المظالم، ومطالبة الحكام بالعدل في الرعية. وبذلك اكتسبت زاوية القيطنة حرمة وقداسة، ولذلك كانت لها حصانة في العهد العثماني ولا تخضع للقضاء التركي[2]، وكان الشيخ محي الدين زاهدا فاضلا وعالما، وقد حج ورافقه ابنه عبد القادر وكانت زيارته معه وهو في سن الثالثة عشر إلى بيت الله، وضريح الشيخ عبد القادر الجيلاني رحمهم الله جميعا؛ أبلغ الأثر في تكوين شخصيته.

يكفي الطريقة القادرية شرفا أن حمل احد أبناء شيوخها لواء الجهاد ضد المحتل الفرنسي فضلا عن الإعمال الأخرى التي قدمتها للناس. لكل الزوايا أوقاف عليها ومداخيل للقيام بدورها، وكان لزاوية القيطنة مداخيل من الزيارات الفردية، والجماعية سواء بمناسبة الحج أو السنة الهجرية أو غيرها من المناسبات، وكذا الهدايا وأوقاف الميسورين، وبذلك أصبح لهذه الزاوية شهرة واسعة امتدت من فاس إلى تونس.

---

[1]– يرجع نسبه إلى سيدي بن خدة؛ وسيدي بن خدة، وهو المدعو سيدي قادة، وهو: عبد القادر بن مختار بن احمد بن عبد القادر بن احمد بن محمد بن عبد القوي بن علي بن احمد بن عبدا لقوي بن خالد بن يوسف بن احمد بن بشار بن محمد بم مسعود بن طاوس بن يعقوب بن عبد القوي الأول بن احمد بن محمد بن إدريس بن إدريس بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم. السلسلة الوافية والياقوتة الصافية، المرجع السابق ص292. ينظر: عقد الجمان، المرجع السابق، ص15

[2]– العقبي صالح المؤيد، المرجع السابق، ص500

وبحكم استقلالها عن الحكم التركي تقلد الشيخ محي الدين إلى جانب الأمور الدينية الأمور السياسية والاقتصادية، والسعي في التوسط لإحلال السلام، والمصالحة بين المتنازعين في منطقته، وفي غيرها. انتسب إلى هذه الزاوية طلبة كثر، وتخرج منها عديد العلماء منهم أبي راس الناصري. بالإضافة إلى هذه الزاوية هناك زاوية الشيخ بلحول المتواجدة بقرية وادي الخير شمال شرق مستغانم التي أسسها الشيخ سيدي قاسم سنة 1784[1]. وهناك زوايا عديدة، وخاصة بغرب الجزائر سنتعرض لها في عملنا هذا بشيء من التفصيل.

[1] – بلحيا بودواية، المرجع السابق، ص32

2- الطريقة الشاذلية

أ-نبذة عن مؤسس الطريقة

تنسب إلى الشيخ القطب علي بن عبد الله بن عبد الجبار بن يوسف الحسن الهُذّليُّ الشاذلي نسبة إلى شاذلة[1] قرية بإفريقيا – الضرير، الزاهد – نزيل الاسكندرية، وشيخ الطائفة الشاذلية. وقد انتسب في بعض مصنفاته إلى الحسن بن علي بن أبي طالب، فقال: بعد ذكره يوسف:" ابن يوشع بن برد بن بطال بن أحمد بن محمد بن عيسى بن محمد بن الحسن بن علي بن أبي طالب. شريف نسيب ذو نسبتين طاهرتين الجسدية والروحية[2]. وجاء عن سعد القاضي قوله؛ وهو يصف مؤسس الطريقة الشاذلية: هذا شيخ مهيب الطلعة إنه كالشاب علما وحياة لو نظرتم إليه مثلما نظرت أنا إليه، ستجدونه نحيف الجسم من طول التمجيد، والتعبد والمناجاة[3]، ويذكر تصوفه على نحو تختلف عن غيره من متصوفة عصره يطابق قول الشاذلي عمله حيث قال: "ليس طريقتي بالرهبانية، وأكل الشعير، والنخال، وإنما هو بالصبر على الأوامر واليقين في الهداية".

وإذا تتبعنا سند الشاذلية من حيث الرجال وجدنا أن الشيخ أبو الحسن الشاذلي قد غير الكثير من المفاهيم بحيث أعادها إلى أصولها الأولى التي دعا إليها من القبل الجنيد؛ وهي الكتاب والسنة، وهذا ما دل على قوله بل ما كان عليه من ركوبه الدواب واتخاذ الجياد، والاهتمام بالهندام، وفي مقابل ذلك أنه ساح في الدنيا فتعرف على حياة الصوفية من خلال سكن المغارات، وأكل العشب والحشائش، وتسلق الجبال، ولم يهب الصحراء، فدل هذا على قوله في سلوك طريق القوم بالصبر على الأوامر، واليقين في الهداية، لا تعذيب النفس وإرهاقها بدون غاية.

---

[1]- يذكر البعض أن الشاذلي ولد في غمارة على مقربة من سبة حوالي 593هـ (1196-1197)، ويحكي آخرون أنه ولد في شاذلة، وهي موضع بجبل زعفران في بلاد تونس. موجوز دائرة المعارف الإسلامية، المرجع السابق، ص 6061

[2]- ابن الصباغ، درة الأسرار وتحفة الأبرار في أقوال وأفعال وأحوال ومقامات ونسب وكرامات وأذكار ودعوات سيدي أبو الحسن الشاذلي، المكتبة الأزهرية للتراث، مصر، 2011، ص5

[3] – القاضي سعد، العارف بالله سيدي أبو الحسن الشاذلي، د، غ، ظ، ن، ت، القاهرة 2001م، ص 3

ولد أبو الحسن الشاذلي بالمغرب على عهد حكم الدولة الموحدية لبلاد المغرب والأندلس. وكان يحكم مصر في تلك الفترة الناصر صلاح الدين الأيوبي 642هـ/ 1244م، وسافر إلى مصر ثم أقام بها.

وكان قد جاء إليها من تونس سنة 651هـ/1253هـ تاريخ ظهور الطريقة الشاذلية. غادر الشاذلي مصر إلى تونس[1]، وكانت رحلته مثيرة وطويلة كلها جهاد.

تتلمذ على يد كبار الفقهاء، وأئمة الصوفية، ومن جولاته العلمية كانت العراق؛ وهي منبع الطريقة القادرية ومصدر الطريقة الشاذلية فيما بعد. واخذ أبو الحسن الشاذلي يتردد على أساتذته هناك، ودرس الفقه ثم عاد بعد جولته العلمية إلى تونس مرة أخرى، غير أن تعاليم الطريقة استمدها، ورسمها له أستاذه عبد السلام ابن مشيش بالمغرب[2]، الذي كان متمسكا بالكتاب والسنة. فكان أبو الحسن كذلك. ومما يدل على ذلك قوله:"إذا عارض كشفك الكتاب والسنة فتمسك بالكتاب والسنة ودع الكشف، وقل لنفسك إن الله تعالى ضمن لي العصمة في الكتاب والسنة، ولم يضمنها لي في جانب الكشف[3]. وكذلك تأكيدا لالتزامه بالسنة قوله "وارجع عن منازعة ربك تكن موحدا، واعمل بأركان الشيء تكن سنيا، واجمع بينهما تكن محققا".

وبعد أن أخذ أبو الحسن الشاذلي من علم الفقهاء، وتعاليم الصوفية، وحياة كلها مظاهر دين محاطة بدرع الشرع المكين معتمدا في ذلك على أصل الدين المتين القرآن والسنة؛ استقر بالسيد أبي الحسن الشاذلي المقام بمصر وتزوج هناك، وأنجب أولاده إلى أن وافته المنية مابين ساحل البحر الأحمر بين مدينة قانا والقصير سنة 668هـ/1258 بينما كان قاصدا حج بيت الله الحرام.

ب–تعاليم الطريقة الشاذلية

ويمكن في تعاليم الطريقة الشاذلية أن نقول بأن أصولها تعود إلى الطريقة القادرية حيث تعاليمها خمسة هي: التقوى الله في السر والعلانية وإتباع السنة في الأقوال والأفعال، والإعراض عن الخلق في

---

[1]– عبد الغني قاسم عبد الحكيم، المرجع السابق، ص 176

[2]– المرجع نفسه، ص 178

[3]– النجار عامر، الطرق الصوفية في مصر نشأتها ونظمها وروادها، دار المعارف، مصر، ط5، دت، ص 137

الإقبال والإدبار والرضا عن الله في القليل، والكثير، والرجوع إلى الله في السراء والضراء[1]، وفي الطريقة القادرية."نجد كذلك تعاليم خمسة وهي: علو الهمة "، وحفظ الحرمة وحسن الخدمة، ونفوذ العزيمة وتعظيم النعمة. وإذا ما أردنا تتبع سائر الطرق الصوفية وجدنها ترتكز على تعاليم خمسة؛ وهي طلب العلم للقيام بالأمر، وصحبة المشايخ، والإخوان للتبصر، وترك الرخص، والتأويلات للحفظ، وضبط الأوقات بالأفراد للحضور، واتهام النفس في كل شيء للخروج عن الهوى، والسلامة من الغلط[2]. ولو كنا بصدد دراسة تعاليم الطريقة الشاذلية، وما قيل فيها من أمور، وما تم شرحه؛ لأفردنا لها فصلا كاملا غير أننا أردنا أن نبين بأن أصول الطريقة مبنية على الكتاب والسنة، ولا تجد ما يخالف ذلك إلا ما قصر عن فهمه البعض، وحمل على ما هو يضع في الاعتبار؛ قول مؤسسها أبو الحسن الشاذلي في أمور ذوقية كشفية لا تخضع لمقياس أو معيار، ولا معاينة واستدلال.

ج–الانتساب وسند الطريقة

وللانتساب إلى الطريقة الشاذلية أخذ العهد بالمصافحة، ثم التلقي والمتابعة. إما يتم بالمصافحة وتلقين الذكر ولبس الخرقة. وللصوفية السند في ذلك؛ وهو حديث الخلدي المتوفي عام 348هـ/909م. وهو يرفعه إلى النبي على النحو الآتي: الجنيد[3] السقطي[4] معروف الكرخي[5] فرقد[6] الحسن البصري[7] ثم أنس بن مالك[8]. ولكن بعد الخلدي جاء الدقاق المتوفي عام 405هـ/1014م

---

[1]– المرجع نفسه، ص 140

[2]– النجار عامر، المرجع السابق، ص 142

[3]– دار المعارف الإسلامية، ن ع، المجلد الخامس، ص ص 242–273

[4]– سبقت ترجمته

[5]– هو معروف بن فيروز الكرخي، أبو محفوظ، أحد أعلام الزهاد، (توفي 200هـ/815م)، من كبار المشايخ، مجاب الدعوة، يستشفى بقبره، يقول البغداديون: قبره معروف ترياق مجرب، وهو من موالي علي بن موسى الرضا رضي الله عنه، وكان أستاذ سري السقطي. القشيري، المرجع السابق ص427، وابن الجوزي، سلوة الأحزان، المرجع السابق، ص23

[6]– النجار عامر، المرجع السابق، ص137

[7]– هو الحسن بن يسار البصري، أبو سعيد، تابعي، كان إمام أهل البصرة، وحبر الأمة في زمنه. ابن الجوزي، المرجع نفسه، ص41

[8]– صحابي جليل خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فذكر شيوخه بترتيب الخلدي، ولم يختلف معه إلا في ذكر الكرخي قبل داود الطائي، والإسناد الذي عليه الجمهور، والذي تحددت طبقاته في القرن الثالث عشر الميلادي، وهو الإسناد الذي أخذت به كافة الطرق الدينية الكبرى.

يأتي فيه بعد الجنيد[1] الروذباري، وأبو علي الكاتب أو الزجاجي[2]، والمغربي[3]، والكركاخي[4]، ثم يأتي قبل داود الطائي[5] حبيب العجمي[6]، والحسن البصري[7]، وعلي[8]. وأن النبي صلى الله عليه وسلم فعل ذلك ولقن علي الذكر.

كانت حياة الشاذلي حياة شيخ سائح في الأرض يجتهد بالذكر والفكر، في الوصول إلى الفناء في الله وكان يعلم الزهد في الدنيا والإقبال على الله، ويحثهم على الذكر في كل وقت، وفي كل مكان، وفي كل حال، وسلوك سبيل التصوف.

---

[1]– هو الجنيد بن محمد بن الجنيد البغدادي الخزاز، أبو القاسم كان من كبار الأخيار وقد أسند عن كبار المحدثين، وعلى رأسهم أحمد بن حنبل، وكان أحمد يقول فيه: هذا رجل صالح، توفي ليلة الجمعة من شهر ربيع الأخر سنة خمس وثمانين ومائتين. ابن الجوزي المرجع السابق، ص28، بينما عند القشيري كانت وفاته 297هـ/910م، القشيري المرجع السابق، ص430

[2]– هو أبو عبد الله أحمد بن عطاء الروذباري (توفي 369هـ/979م)، شيخ الشام في وقته، مات في صور، وهو ابن أخت الشيخ أبو علي محمد الروذباري، القشيري المرجع نفسه، ص415

[3]– هو: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل المغربي (توفي 299هـ/911م)، أستاذ إبراهيم بن شيبان، وتلميذ علي بن رزين، عاش مائة وعشرين سنة تقريبا، كان عجيب الشأن لم يأكل مما وصلت اليه يد بن ادم سنين كثيرة، وكان يأكل من أصول الحشائش أشياء تعود عليها. القشيري المرجع نفسه، ص434

[4]– سبقت ترجمته

[5]– وهو: أبو سليمان داود بن نصير الطائي (توفي 165هـ/781م)،كان كبير الشأن، وقد ورث عشرين دينارا، فأنفقها في عشرين سنة، القشيري، نفسه، ص422

[6]– سبقت ترجمته

[7]– سبقت ترجمته

[8]– هو علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم (23ق.هـ–40هـ /600 –661م)، صحابي جليل ورابع الخلفاء الراشدين وابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولد بمكة وهو هاشمي قرشي من أبويين هاشميين.

د–مبادئ الطريقة

و هي تقوم على:

–تقوى الله في السر والعلن

–إتباع السنة في الأقوال والأفعال

–الإعراض عن الخلق في الإقبال والإدبار

–الرضا عن الله في القليل والكثير

–الرجوع إلى الله تعالى في السراء والضراء

ومريدوه الأولون لا يعرفون الخلوة، ولا الخانقاه، ولا الذكر الصاخب. وكان أشهر تلاميذه بمصر؛ تاج الدين بن عطاء الله السكندري، وأبي العباس المرسي. ومعظم شيوخ الطرق في شمال غربي إفريقية[1].

هـ–مصنفات الشاذلي

خلف الشاذلي مصنفات منها:

–الأوراد المسماة: حزب الشاذلي

–الأمين: رسالة في آداب التصوف رتبها على أبواب

–السر الجليل في خواص حسبنا الله ونعم الوكيل

–نزهة القلوب وبغية المطلوب[2] .

وغيرها من التصانيف التي شكلت منهجا صوفيا ممثلا في طريقة أخذت خصوصية مغربية.

7–فروع الطريقة الشاذلية

بما أننا سنطرق للطريقة الشاذلية بالمغرب الأقصى، وسيرورتها تاريخيا، وما جرى عليها من تغيرات ومن افتراقات وتوحد، وما تفرع عنها؛ سنذكر بإيجاز الفروع الشاذلية بالجزائر عامة، والتي لها شهرة على

---

[1]– موجز دائرة المعارف الإسلامية، المرجع السابق، ص6062

[2]– ابن الصباغ، المرجع السابق، ص6

المستوى المحلي والوطني. أما التي لها علاقة وتواصل بينها وبين مثيلتها في المغرب الأقصى فسنتعرض لها في فصل مستقل حتى ندرك نوع التواصل، ومداه وأهدافه والأثر الذي يتركه وجوانبه المختلفة.

بعد وفاة الشيخ أبي الحسن الشاذلي، عمل تلميذته على نشرها في المغرب العربي، وبما أن تلامذته كانوا على قدر كبير من الهمة، والنشاط فقد تحولت الشاذلية في الظاهر الى أسماء مختلفة، وقد عبر أحمد زروق عن ذلك في قواعده بأن لكل شيخ تصوف دار حوله، وهو يعني بذلك ميولات المشايخ الصوفية وكذا البيئة التي تحيط بهم، وللشاذلية فرق رئيسية أربعة هي: الجزولية، والشيخية، والطيبية والدرقاوية، ولكل منها فروع. ففي الجزائر نجد الطريقة اليوسفية الراشدية[1] التي أنشأها الشيخ سيدي أحمد بن يوسف الملياني المتوفى سنة 1525م ، وأصله من قلعة بني راشد وتخرج من مدرسة الإمامين محمد بن يوسف السنوسي العالم الشهير، وصاحب التأليف الشهيرة، وأحمد زروق البرنسي المتوفى سنة 899هـ /1493م[2] ، وصاحب الطريقة الزروقية[3].

تولى بعد ذلك تطويرها الشيخ الخلادي بنواحي تلمسان، كما انشأ أحد أحفاده؛ وهو محمد بن ميلود فرعا بضواحي العين الصفراء. لقد لعبت الطريقة اليوسفية دورا بارزا داخل الجزائر، وفي المغرب الأقصى.

هذا ما جعل حكام المغرب الأقصى يحاربونها من جهة، واتهامات علماء فاس لأتباعها بالإلحاد من جهة ثانية. وفي المقابل كان لها دور في تدهور أوضاع الزيانيين بسبب تحالفها مع الأتراك. وهذا أمر أصبح معلوما في استخدام الطرق الصوفية في إضعاف الخصم سواء بالنسبة للجزائر أو المغرب الأقصى في تلك الفترة.

---

[1]– أسسها سنة 1500م، بضواحي تلمسان الشيخ سيدي احمد بن يوسف الراشدي الملياني، تلميذ سيد احمد زروق البرنسي الفاسي الذي يعد من أتباع الشيخ الشاذلي. بلحيا بودواية، المرجع السابق، ص53

[2]– حساني مختار، تاريخ الدولة الزيانية، المرجع السابق، ج2، ص215

[3]– العقبي مؤيد صلاح، المرجع السابق، ص223

8-الطريقة الرحمانية

كل الطرق لها مشرب وأصل ، ولا يختلف دارسو الحقل الصوفي في كون الطرق المنتشرة اليوم ترجع إلى الطرق الأم من حيث الاسم، والتي انتهى دور شيوخها في زمن ومكان معيين، لتأخذ اسم شيخ أخر تسمى الطريقة باسمه أو إسم مكان أو ميزة كالخلوتية[1]، فظهور الطرق الصوفية بالشكل المتعارف عليه اليوم كان مع بداية القرن السادس الهجري، حيث ظهرت الطريقة القادرية نسبة إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني المتوفى (561هـ) والطريقة الرفاعية المنسوبة للشيخ أحمد بن علي الرفاعي (ت 578 هـ)،كما ظهرت الطريقة المدينية نسبة لأبي مدين الغوث (ت 594 هـ)، أما الطريقة الرحمانية فمشربها خلواتي[2] والتي أصبحت مغربية بعد أن أخذها الشيخ الرحماني عن الشيخ محمد بن سالم الحفناوي، وهي من معين الطريقة السهروردية[3] وأصحابها يرتفع نسبهم وسندهم إلى الرسول محمد صلى الله عليه وسلم. وكل الطرق تتصل من حيث السند إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم سواء بالسلسلة أو المُبَاشَرة[4] . وبهذا فهي تقتفي أثر النبي الكريم عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم.

---

[1]– المنسوبة إلى الشيخ أبي الفيض محمد بن نور كريم الدين الخلوتي الخوارزمي (ت 661هـ)، فإنه أخذ عن الشيخ إبراهيم الكيلاني عن جمال الدين التبريزي عن ركن الدين أبي الغنائم محمد بن الفضل السنجابي عن قطب الدين الأبهري عن أبي النجيب السهروردي. الحسني عبد المنعم القاسمي، الطريقة الخلوتية الرحمانية الأصول والآثار منذ ظهورها إلى الحرب العالمية الأولى، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر، كلية العلوم الإنسانية، قسم العقائد والأديان، 2008– 2009، ص51

[2]- خلواتي أو خلوتي، فهناك فرق بين العزلة والخلوة ومنه: الخلوة :صفة أهل الصفوة، والعزلة :من أمارات الوصلة. ولا بد للمريد- في ابتداء حاله –من العزلة عن أبناء جنسه، ثم في آيته – من الخلوة؛ لتحققه بأنسه.ومن حق العبد- إذا آثر العزلة –أن يعتقد باعتزاله عن الخلق سلامة الناس من شره ولا يقصد سلامته من شر الخلق، فإن الأول من القسمين: نتيجة استصغار نفسه، والثاني شهود مزيته على الخلق، ومن استصغر نفسه فهو متواضع، ومن رأى لنفسه مذلة على أحد، فهو متكبر. القشيري، المرجع السابق، ص104

[3]– نسبة إلى السهروردي شهاب الدين أبو حفص عمر بن عبد الله، صوفي وفقيه الشافعية، ولد عام 589هـ/1145م، في سهرورد من إقليم الجبال بفاس ...، وتوفى بعد عمر طويل سنة 632هـ/1234م. دائرة المعارف الإسلامية، المرجع السابق، ص5914

[4]–كالطريقة التجانية رغم مشربها الخلوتي إلا أن صاحبها قال انه أخذها مباشرة من الرسول صلى الله عليه وسلم بلا واسطة .

أ–نسب الطريقة ونبذة عن المؤسس

تنسب الطريقة إلى مؤسسها الشيخ عبد الرحمن بن أبي القاسم بن أحمد بن يوسف الأزهري[1]، من إقليم زواوة، من قبيلة أيت إسماعيل التي كانت جزءا من حلف قشتولة في قبائل جرجرة[2]، وتحديدا بالقرية البوعلاوية. ولد سنة (1126هـ – 1715م). درس في بداية الأمر في زاوية تيزي راشد بالأربعاء نيث إراثن (ولاية تيزي وزو حاليا) على يد الشيخ الحسين بن عراب الزواوي، حيث حفظ القرآن ومبادئ العربية، والعلوم الشرعية، كالفقه، والحديث، والتفسير[3].

انتقل بعد ذلك إلى الجزائر العاصمة لمواصلة الدراسة، وكغيره ممن عرف فيما بعد بالتصوف، قصد الحجاز لأداء فريضة الحج سنة (1152هـ / 1739م). ولدى عودته يمم مصر؛ غير أنه استقر فترة طويلة بها، حيث تردد على عدد من العلماء، وشيوخ التصوف، منهم علي بن محمد الصعيدي، وسالم النفراوي، وعمر الطحلاوي، وحسن الجداوي، والشيخ علي بن خضر بن أحمد العمروسي، والمنور التلمساني، وعلي بن أحمد الصعيدي، وأحمد الدريدير، ولكنه أخذ الطريقة الخلوتية من الشيخ محمد بن سالم الحفناوي[4]، الذي عهد إليه أكثر من مرة القيام بهمة الدعوة الدينية في السودان والهند، وخاصة السودان، حيث أطال فيها الإقامة، ونجحت دعوته نجاحا كبيرا[5]. بعد هذه المدة الطويلة عاد إلى مسقط رأسه سنة 1183هـ / 1769م – أي بعد وفاة شيخه بسنتين – وأسس زاوية بعد أن تلقى الأمر من شيخه بنشرها بالمغرب، حيث تلقاها أهل منطقته بالإقبال، والالتفاف حولها وخاصة، وأنهم مستقلون عن السلطة

---

[1]– نظر لطلبه العلم بالأزهر الشريف ومكوثه ما يقارب الربع قرن. العقبي صلاح المؤيد، المرجع السابق، ص155

[2]– الطاهر فيلالي مختار، المرجع السابق، ص40

[3]– الشيخ الحداد، التقييد المُحِل للتّعقيد في التصوف، حققه وعلق عليه، عمار الطالبي وآخرون، البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، دت، ص7

[4]– الحفني (1101 – 1181هـ / 1690 – 1767م)، محمد بن سالم بن أحمد (الحفني أو الحفناوي) شمس الدين، فقيه شافعي من علماء العربية، ولد بحفنة (من أعمال بلبيس بمصر)، تعلم بالأزهر، وتولى التدريس فيه، وتوفى بالقاهرة. الزركلي، الأعلام، ج6، ص 134، 135

[5]– الطاهر الفيلالي مختار، المرجع السابق، الصفحة نفسها.

العثمانية[1] من جهة، والنشاط الدعوي الذي قام به من جهة أخرى. وهذا الأمر لم يعجب المرابطين الذين نفسوا عليه هذا الظهور، فانتقل إلى الجزائر العاصمة، وأسس زاوية أخرى بالحامة[2] وبدأ في نشر تعاليم الطريقة، ونتيجة الوعظ والإرشاد واجتهاده في ذلك، وذيوع صيته في مختلف أرجاء الجزائر؛ وكما يحدث مع مشايخ الصوفية ممن يلقوا نجاحا في دعوتهم، يتعرضون للمكايد والدسائس من أصحاب المصالح والمكانة، فوجهت له التهم، نجا منها بريئا، واستمر في نشر الطريقة الخلوتية، حتى صارت تحمل اسمه.

ب- انتشار الطريقة الرحمانية

إن هذا الانتشار الذي نجده عند الطرق الصوفية، ينم عن التواصل الذي يحدث بين هذه الطرق والحال أن الطرق الصوفية، لا تختلف إلا في الاسم، وبعض الأوراد التي تناسب قوم دون غيرهم أو أذكار وأدعية هي من السنة[3]، وكلها تصب في وعاء واحد. والتواصل نجده في الطريقة؛ تنتقل فيتغير اسمها فقط، وأما معينها فيبقى من أصلها، وإلا اندثرت باندثار صاحبها. فقد انتشرت الطريقة الرحمانية بشكل كبير في وسط وشرق وجنوب الجزائر، وبحكم القرابة البيئية، انتشرت الطريقة الرحمانية بتونس، وتحديدا بمنطقة الجريد على يد الشيخ مصطفى بن عزوز البرجي.

ولو تتبعنا دخول الطريقة الخلوتية إلى الجزائر، حسب تولي مشيختها من الطبقة الأولى لوجدنا أنها عرفت في المنطقة الغربية عن طريق الشيخ عبد الرحمن الغريسي من ضواحي معسكر، ولذا يمكن اعتبار انتشار الطريقة عرفت كل جهات الوطن، ويذكر دونوفو[4] تدخل الأمير عبد القادر في الصراع حول تنصيب خليفة محمد بن عبد الرحمن حسب وصيته للحاج البشير والذي رفضته جموع القبائل كونه من المغرب الأقصى، لدليل على وجود أتباع لها بالغرب الجزائري منذ بداية انتشارها. ثم إن الطريقة الخلوتية كانت

---

[1] - Rinn Louis, op.cit. p453

[2] – الحي الذي أسس به الزاوية يعرف بهذا الاسم اليوم.

[3] – عن أبي صالح عن بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لرجل: ما تقول في الصلاة ؟ قال: أتشهد ثم أقول: اللهم إني أسألك الجنة وأعوذ بك من النار، ولا أحسن دندنتك ولا دندنة معاذ، قال: حولها ندندن. حديث صحيح أخرجه أبو داود.

[4] – دونوفو إدوارد، الإخوان، المرجع السابق، ص71

معروفة في المغرب الأقصى، وأدخلها إلى هناك أحد تلامذة الشيخ الحفناوي، وهو أحمد الصقلي الفاسي، وهذا يدل على وجودها بالغرب الجزائر تأكيدا لتواصل الطرق الصوفية عبر نقلها من طرف التلاميذ أو مريدي الطريقة. وكذلك أحمد التجاني الذي أسس الطريقة التجانية بالصحراء[1]، وهي ضمن النطاق الغربي للجزائر

ويعتبر والده الشيخ محمد بن عزوز من أكابر الصوفية، وهو الذي ذاعت ببركته الطريقة الخلوتية، حتى أصبحت تدعى بالعزوزية، وهو أيضا الذي أوصاه الشيخ محمد بن عبد الرحمن الأزهري بخدمة الشيخ عبد الرحمن باش تارزي إن هو أدركته المنية[2]. والقصة التي يذكرها الحفناوي عن دعائه لملك المغرب عبد الرحمن بتولي العرش، وكان الأمر كذلك، وبقيت المراسلات الودية بينهما.

ج–مميزات الطريقة

لقد تميزت الطريقة الرحمانية بشيئين: أولا أنها كانت شعبية أكثر من غيرها، ومؤسسها، وأتباعه من الجزائر، وثانيا مناهضتها للاستعمار الفرنسي، ومحاربتها له دون هوادة. هذا في الجانبين السياسي والاجتماعي. أما الجانب التعليمي والثقافي، فقد أدت خدمة هامة في نشر التعليم. فقد كان لها عدد من الأساتذة في حياة الأزهري نفسه[3]، ومنهم الشيخ أحمد بن طيب الصالح الرحموني صاحب رسالة " فاكهة الحلقوم في نبذة قليلة من أحوال القوم "، في الفقه، كما عين قبل وفاته الشيخ علي بن عيسى خليفة له ولهذا الأخير أتباع؛ منهم محمد أمزيان الحداد، ومحمد بن أبي القاسم البوجليلي، والشيخ علي بن عمر الطولقي، والحاج بن علي بن الحملاوي، ومحمد بن عبد الرحمن باش تارزي الذي عينه في قسنطينة حيث أصبح نائبا عنه في منطقة الشرق، والجنوب، وتونس، والسعيد بن عبد الرحمن بن أبي داوود[4]

[1] – مشرب الطريقة التجانية هو خلوتي رحماني. برغم من تركه لجميع المشارب، والقول بالأخذ مباشرة بلا واسطة.

[2] – الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، المرجع السابق، ص475

[3] –سعد الله أبو القاسم، تارخ الجزائر الثقافي، ج1، المرجع السابق، 516

[4] –الشيخ الحداد، المرجع السابق، ص13

وبالجملة فقد خلف الشيخ محمد بن عبد الرحمن الأزهري أربعة وعشرين مقدما ووكيلا، وخليفة للطريقة الرحمانية من حركته الثقافية النشيطة، لأداء نفس الدور[1].

د–نشاط تلامذة الرحماني

ومما تجدر الإشارة إليه هو الإذن الذي كان يمنحه لتأسيس زوايا خاصة بهولاء الإخوان منهم:

–الشيخ علي بن عمر في طولقة، وخلفه الشيخ مصطفى بن عزوز وتلميذه علي بن عثمان، وتلميذه المختار الشريف بن الأحرش[2].

–الشيخ عبد الحفيظ الخنقي في خنقة سيدي ناجي

–الشيخ المختار بن خليفة في أولاد جلال

–الشيخ مبارك بن قويدر

–الشيخ محمد أو بلقاسم بشرفة الهامل قرب بوسعادة، وهو تلميذ الشيخ الصادق الرحماني زعيم ثورة 1858–1859 بالخنقة وبسكرة[3]، ولا غرابة أن تكون فاطمة نسومر بنت الشيخ علي بن عيسى من جبال جرجرة التي قادت المقاومة ضد المستعمر الغاشم، وقد سجل التاريخ سجالها، وأشرق محطات تاريخ الجزائر المناضلة من أجل الحق والحرية[4]. والإذن بتأسيس الزوايا كانت له أبعاد سياسية وثقافية أتت ثمارها فيما بعد على المستويين، كما حدث بعد الحاج عمر، حيث إذن الشيخ محمد بن محمد الجعدي الذي أذن للشيخ محمد أمزيان الحداد بتأسيس زاوية صدوق الرحمانية، والشيخ الحداد أذن بدوره للشيخ الحاج بن الحملاوي في تأسيس الزاوية العثمانية وهكذا، فالطريقة التي سنها مؤسس الرحمانية ونشاطه العلمي والديني والتولية، والتوصية في حياته، جعلت تلامذته يتبعون نهجه في ذلك، وأصبحت الطريقة

---

[1]– بوعزيز يحي، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، ج1، 1995، ص 304

[2]– الشيخ الحداد، المرجع السابق، ص15

[3]– بوعزيز يحيى، نفس المرجع، نفس الصفحة

[4]– يرى دو نو فو؛ أن مقاومة الرحمانية للاستعمار باعثها وطني وليس ديني، وهذا لا يدل على جهله ببواعث المقاومة بقدر ما يدل على حقده على الإسلام. دو نو فو، الإخوان، المرجع السابق، ص73

الرحمانية بعد هذا التطور والانتشار، تشكل خطرا كبير، حتى "قيل: أن إخوان بن عبد الرحمن أكثر تعصبا. و هم فعلا يبدون نفورا من الفرنسيين عن إخوان الطرق الأخرى، وأصبح من السهل تصور الاهتمام الذي يولونه للكفاح الطويل الذي جمعهم بأخوهم عبد القادر " هكذا يصرح العسكري دونوفو، وهو يتتبع الدور السياسي للطريق الرحمانية، وعلاقتها بالأمير عبد القادر[1].

هـ– الطريقة بين العهدين العثماني والفرنسي

برغم من أن الاستعمار الفرنسي عمل على تمزيق أواصر الطريقة، وضعف خلفاء الرحماني مقارنة بنشاطه إلا أن الطريقة الرحمانية ازدادت توسعا، وانتشارا، وبشكل سريع للغاية، حيث تضاعف عدد أتباع الطريقة حتى بلغ **156214** إخوانيا في عام **1898**، حسب لويس رين (Rinn Louis)، وتزعمت الثورات بالناحية الشرقية ضد الاستعمار الفرنسي، كما أنها ساندت ثورة المقراني **1871** وغيرها من المقاومات والانتفاضات الوطنية.

لقد كانت على العهد العثماني من القوة بمكان، ولاسيما مراكزها الكبرى، وخاصة بالحامة الجزائر العاصمة، وبمسقط رأس المؤسس أيت إسماعيل ببلاد القبائل، وزاوية صدوق بناحية سطيف، والبرج قرب طولقة، وأولاد جلال، وخنقة سيدي ناجي، وتقع المراكز الثلاثة الأخيرة بالواحات[2].

لقد كتب عن الطريقة الرحمانية مستشرقون، وجزائريون كل من مصادره، غير أن الأهداف تختلف فالمستشرقين ركزوا على مواطن القوة والضعف، وقوة الطريقة في جانبها السياسي، وطرق تواصلها في مختلف مناطق الوطن، وأهمية ولائها، والباعث على نفورها، وعدائها للمستعمر، وضعفها في إمكانية تدجينها، وإخضاعها باستمالة مقدميها، وشيوخها. أما بالنسبة لعامة الشعب فبإظهار خرافاتها، والتركيز على الكرامات، وجهل المجتمع بقبول هذه الأمور التي لا يقبلها العقل، والتي تدخل في الشعوذة والدجل، وغيرها من الأشياء تجعل المجتمع يتقهقر، ويتخلف. أما بالنسبة للمؤرخين الجزائريين فقد تتبعوا الطريقة، وركزوا على الأدوار التي لعبتها منذ تأسيسها، وركزوا على الجانب السياسي، والمقاومة للتدليل

[1]– المرجع نفسه، ؤص72

[2]– الطاهر فيلالي مختار، المرجع السابق، ص45

على دورها تجاه الوطن، غير أن ما تركه أعلام هذه الطريقة من ذخائر نفيسة في أبواب شتى من علوم الدين أولى الآن من غيرها من المباحث، وكل من تعرض إلى الطريقة الرحمانية إلا وذكر المؤلفات التي تركها شيوخ الطريقة وأبرزها تلك التي ألفها الشيخ باش تارزي[1]، وغيره؛ لم تلق الاهتمام البالغ حتى من دارسي العقيدة الإسلامية، ولم يعطى الجانب الثقافي، الأهمية الكبرى إلا ضمن المجال السياسي، وتعديد الفروع والزوايا، دون الوقوف على الانجازات التي حققتها الطريقة الرحمانية، والتي لا تزال تنشط في الجزائر بنفس الطريقة، غير أنها تكرس وجودها من خلال تعزيز الثقافة الإسلامية، وذلك بالعمل على تحفيظ القرآن الكريم، والعلوم الدينية الأخرى كما تعمل على إحياء المناسبات الدينية تعظيما للدين الإسلامي، والسنة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التسليم.

من خلال هذا العرض الموجز لأهم الطرق الصوفية بالجزائر يتبين أن العهد العثماني في الجزائر سيطر فيه التصوف من خلال هذا الانتشار الكبير للطرق الصوفية في أغلب مناطق الوطن عن طريق التواصل الذي يتم في شكل تفرع الزاوية الأم إلى زوايا أخرى في مناطق مختلفة على أن تبقى تابعة بفضل تلامذة الشيخ المؤسس، وفي حالات كثيرة يكون الشيخ بانتقاله، وتأسيسه لزاوية، ثم ارتحاله لسبب من الأسباب الأثر الكبير في انتشار الطريقة، وأحيانا أخرى تكون بركة الشيخ دون الإذن بنشر الطريقة دعوة إلى انتشارها فيما بعد، حتى بلغ التنازع على بركة الشيخ الأزهري ما حدث بغد موته بين سكان الجزائر العاصمة ومسقط رأسه، والقصة المشهورة في نقله خلسة إلى العاصمة، ووجود جثمانه في مسقط رأسه في نفس الوقت حتى اشتهر باسم بو قبرين. ولا يختلف الأمر بالنسبة للمغرب الأقصى في هذه الفترة، سواء على عهد السعديين أو العلويين، فالتصوف كان مثل نسيج يتعدى الحدود السياسية، وانتشاره في أقطار المغرب الإسلامي في العهد العثماني شكل لحمة فيما بعد نتج عنها مقاومة الاستعمار الفرنسي المتواصلة. وأتم العمل فيما بعد، زعماء تخرجوا من هذه الزوايا ودرسوا بها. لذا فالطرق الصوفية لها ادوار مختلفة بحسب الظروف، والأوضاع الاجتماعية، والسياسية. ودورها اليوم يرتكز على المحافظة على

[1]– هو الشيخ عبد الرحمن بن أحمد باش تارزي (1222هـ / 1807)، الحسني عبد المنعم القاسمي، المرجع السابق، ص262

مقومات المجتمع من استعمار من نوع أخر يعمل على تشويه الثقافة، وتزييف التاريخ في إطار ما يسمى بالعولمة الثقافية أو شمولية الثقافة.

فمثل هذه الطرق وتواصلها الذي يعبر عن حبل متين يشد بعضها ببعض، يجعلها تتصدى إلى هذا الاستعمار كما تصدت له من قبل بالوسائل المناسبة لكل ظرف، وسنرى مدى تواصل هذه الطرق، وخاصة المناطق القريبة منها، كما لاحظنا انتشار الطريقة الرحمانية بالشرق الجزائري وبحكم الجوار التونسي فقد انتشرت هناك بشكل كبير وسريع، مقارنة بجهات أخرى، وهو الحال بالنسبة لغرب الجزائر، والمغرب الأقصى.

9-الطريقة التجانية

أ-نسب ونشأة الطريقة التجانية

يقول صاحب جواهر المعاني علي حرازم ابن العربي براده المغربي في ترجمته للتجاني[1]:(سيدنا أبو العباس أحمد (ولد رضي الله عنه) سنة خمسين ومائة وألف بقرية عين ماضي، ونشأ بها في عفاف وأمانة وحفظ، وصيانة، وتُقى، وديانة. محفوظا بحفظ الله سبحانه، محروسا بالعناية محفوظا بالرعاية كريم الأخلاق والخلال، طيب النفس، والفعال، كثير الحياء، والأدب، جميل المراقبة، والطلب، مقبلا على الجد، والاجتهاد، مائلا إلى الرشد، والانفراد، متطلبا للدين، وسنن المهتدين، منشغلا بالقراءة، معتادا للتلاوة، حسن السّمت، طويل الصمت كثير الوقار والحياء، حسن الخُلق والخلق، عال الهمة متواضعا ومعظما عند الخاصة والعامة.

[1]- برادة ابن العربي علي حرازم المغربي، جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدي أبي العباس التجاني، المطبعة المحمودية بمصر المجية، ط1، ج1، 1318هـ، ص19،20.ينظر أيضا: سكيرج الحاج أحمد بن الحاج العياشي ، كشف الحجاب عمن تلاقى مع الشيخ التجاني من الأصحاب، دط، المغرب، 1381هـ/1961م، ص10.

حفظ القرآن العظيم في صغره حفظا جيدا في سبعة أعوام، على ما أخبرني عن نفسه رضي الله عنه، من رواية نافع، على الشيخ العالم الصالح الأستاذ أبي عبد الله سيدي محمد بن حمو[1] التجاني، وقرأ هو رضي الله عنه على شيخه سيدي عيسى بوعكاز المضاوي التجاني، وكان رجلا صالحا شهورا بالولاية مؤدبا للصبيان أيضا بالقرية المذكورة.

لقد كان هذا الوصف من تلميذه يذكر ميلاده وتحلية لمقامه، وشيوخه. أما عن نسبه كما جاء في الفتح الرباني فيما يحتاج إليه المريد التجاني هو:

أبو العباس سيدي أحمد بن سيدي محمد الملقب ((بأبي عمرو)) إبن المختار بن أحمد بن محمد بن سالم بن العبد بن سالم بن أحمد الملقب ((بالعلواني)) بن سيد بن أحمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد الجبار بن إدريس بن إدريس بن إسحاق بن زين العابدين بن أحمد بن محمد الملقب ((بالنفس الزكية)) بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب من سيدتنا فاطمة الزهراء رضي الله عنها بنت سيد الوجود وقبلة الشهود سيد محمد بن عبد الله رسول الله صلى الله عليه وسلم[2]. وأمه رضي الله عنها، الدرة المصونة والجوهرة المكنونة، السيدة عائشة بنت السيد الجليل، أبي عبد الله محمد بن السنوسي التجاني الماضوي بتشديد التاء مكسورة، وتخفيف الجيم، وتشديدها، ولا ياء بين التاء والجيم[3]، نسبة إلى قبيلة تجانة نُسب إليهم أحمد التجاني التي منهم أمه. توفى أبوه وأمه في عام واحد بوباء الطاعون سنة 1166هـ. وأبوه هو العالم الكبير والولي الشهير، سيدي محمد فتحا بن المختار بن أحمد بن فتحا بن أحمد بن محمد فتحا بن سالم[4].

---

[1]– توفي رحمه الله عام اثنين وستين ومائة وألف. برادة ابن العربي علي حرازم المغربي المرجع السابق، ص 19

[2]– التجاني محمد بن عبد الله بن حسنين الشافعي الطصفاوي، الفتح الرباني فيما يحتاج إليه المريد التجاني، مكتبة القاهرة، دت، ص6

[3]– التجاني محمد العربي السائح الشرقي، بغية المستفيد لشرح منية المريد، تح، فه، سعيد محمود عقيل، دار الجيل، ن، ط، ت، بيروت، ط2، 1426هـ/2005م ، ص169

[4]– سكيرج، المرجع السابق، ص12

ب–رحلات الشيخ التجاني

سافر التجاني من عين ماضي إلى فاس الإدريسية وما بإزائها من الديار المغربية بقصد العثور على من يأخذ بيده، ويوصله إلى حضرة المعرفة بالله. كان من جملة من قصده لذلك المطلب وأتاه، الشيخ أبو محمد مولاي الطيب ابن القطب سيدي محمد بن القطب مولانا عبد الله الشريف في زاويته بوزان[1]، حيث يقول الناظم في ذلك :

وشهرته تغني بوزان قبره "" فلقى من تلقينه الرحب والسهلا

وكذلك أخذ عن أحمد الصقلي، وعن غير هذين الشيخين؛ سيدي محمد الحسن، وأخذ بعد ذلك عن كل من لقيه من المشايخ، منهم سيدي عبد الله بن سيدي العربي ابن سيدي أحمد ابن سيدي محمد بن عبد الله أولاد معن الأندلسي، ومنهم أيضا الولي الصالح الملاشي أبو العباس سيدي أحمد الطواش نزيل تازة. وأخذ القادرية عن من كان مشتهرا بتلقينها إذاك بفاس. وأخذ الناصرية عن سيدي محمد بن عبد الله التزاني الشهير بالشريف، كما أخذ طريق العارف الأكبر سيدي أحمد السجلماسي الصديفي عمن كان يأذن فيها بفاس ثم ارتحل إلى تلمسان[2]، وفيها جلس إلى التدريس مدة، بعدها قصد بلد الأبيض، حيث زاوية الشيخ الكبير سيدي عبد القادر بن محمد المعرف بسيدي الشيخ الصديقي، واستقر بها للعبادة والتدريس مدة خمس سنوات، زار أثناءها بلدته عين ماضي، ثم عاد إلى تلمسان وبقي فيها للدرس والزهادة والعبادة، ومنها ارتحل إلى المشرق قاصدا حج بيت الله الحرام حيث قيل فيها:

ثُـــم سَـــما بِعـزمِه القَوي "" للـحَجِ مـــعَ زِيَـــارَة النَّبِي
فَمِن تِلمسَان إلى الَبيتِ الأجَل "" سَنَة سِت و ثَـمَانِين ارْتَحَـــل

[1]– بغية المستفيد المرجع السابق، ص185

[2]– يسميها صاحب بغية المستفيد ص93، مينة (الجدار) نسبة إلى الجدار الذي أقامه الخضر في القصة المشهورة مع النبي موسى عليهما السلام. غير أنه كما جاء عند البعض كلمة مركبة من تلم: وتعني البر. وسان: وتعني البحر، أي أنها مدينة تجمع بين البحر وصحراء البر .

فَحَــلَّ تُــونسَ وسُوسَـة سَنَـة "" فأيْقَظَ القُلوبَ مِن سِجْـن السِنَة

وكان في تونس إذ ذاك و لي "" بـــشر شيخنـــا بحبـــه الـــولي

وفي طريقه لقي أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن الأزهري بجرجرة من بلاد زواوة، وأخذ عنه الطريقة الخلوتية، وهو أخذها عن الحفناوي، وبها لقي الشيخ عبد الصمد الرحوي، وفي تونس درس الحكم العطائية[1]، وغيرها. ثم سافر إلى مصر ولقي بها الشيخ محمود الكردي وأخذ عنه، ثم توجه إلى الحج سنة 1187هـ، حيث لقي بها أبو العباس أحمد بن عبد الله الهندي وأخذ عنه مكاتبة بلا ملاقاة، ولقي الشيخ سليمان بالمدينة، ثم قفل راجعا إلى مصر زائرا شيخه محمد الكردي، حيث أجازه في الطريقة الخلوتية[2].

عاد الشيخ التجاني إلى تلمسان بعد هذه الجولة الدينية والعلمية سنة 1188هـ، ثم غادرها وفي زيارته لها سنة 1191هـ لقي صديقه علي حرازم الفاسي، وترافقا إلى فاس.

عاد الشيخ التجاني من جديد إلى تلمسان، ومنها ارتحل سنة 1198هـ إلى قرية الشلالة، وفي سنة 1199هـ نزل بقصر أبي صمغون، وبقى هناك إلى أن انتقل إلى فاس والتي توفى بها. وقد أعلن عن فتحه لما انتقل من تلمسان، ومنذ ذلك بدأت الطريقة التجانية في الانتشار.

إن هذا الحراك الذي قام به التجاني يدل على التواصل من خلال الانتقال إلى المشايخ من جهة وانتقال آخرون إليه بعد ذلك، ولا يمكن أن نفسر انتشار الطريقة التجانية بتواصل الطرق الصوفية – خصوصا الطريقة التجانية – إلا من خلال الدور الذي لعبه التجاني في حله وترحاله، وحيثما ترك تلاميذ

[1] – الحكم العطائية لابن عطاء الله السّكندري وهو: أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عطاء الله، ويلقب بتاج الدين وبأبي الفضل وبأبي العباس. السكندري ابن عطاء الله، الحكم العطائية، شرح ابن عباد النفزي الرُّندي، إعداد ودراسة محمد عبد المقصود هيكل، إشراف ومراجعة عبد الصبور شاهين، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، ط1، 1408هـ/1988م، ص13

[2] - صاحبها إبراهيم أبو التاج المختار بن محمد الزاهد المصري عاش في القرن الرابع عشر للميلاد.

انتشرت الطريقة وتعدت أقطار المغرب العربي إلى غرب إفريقيا[1]، وظلت في الانتشار إلى أن بلغت ربوع القارات، وينتمي إليها كثيرا من الناس على مختلف طبقاتهم. غير أن الطريقة التجانية، وبالرغم من تعدد مشارب التجاني وأخذه بالطرق المشهورة آنذاك، إلا انه تركها كلها. ولذلك ليس لها سند كبقية الطرق الأخرى وما اسمها بالمحمدية أو الأحمدية؛ إلا دليل على أنها تتصل مباشرة بالرسول صلى الله عليه وسلم، وهذا ما أعلنه التجاني، بأنه أخذها مباشرة وبلا واسطة، من سيد الوجود. وقد أعلن أمام جمهور مريديه في بوصمغون عام 1196هـ؛ بأن الله فتح عليه الفتح الأكبر قائلا: " أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم وأنه قد صرح له بأنه شيخه ومربيه وكافله، وأنه لا منة لمخلوق غيره سواه. وأمره بترك جميع الطرق الأخرى ومنعه من زيارة جميع الأولياء " قائلا له: " سوف أكون وسيطك لدى الله وكذلك مساعدك ومعاونك[2] ولقنه الذكر الجديد والورد الذي أملاه على أتباعه ". إنّ ما يفسر انتشار الطريقة ليس التواصل بالسند المعروف وانتقالها من رقعة لأخرى بهذا السند والإذن لمن أخذوها وقاموا بنشرها، ولكن هناك سند أخر يعتبر أكثر تأثيرا لا يوجد عند المحدثين.

ج–التجانية بين المغرب الأقصى والجزائر العثمانية

لا تختلف الطرق الصوفية في اصطلاحاتها من لقاء، ومكاتبة، وإجازة، وغيرها مما تعرف في أساليب المحدثين، وأرباب الرواية، غير أن مجال إطلاق هذه المصطلحات وإخضاعها لمعايير المحدثين قد باين فيه الصوفية غيرهم.

فهم في أصولهم لا يشترطون الاتصال المباشر بين الرواة في السند فقد تكون تربية الراوي من روحانية شيخه. فلابد من أن ندرك بأن الاتصال والتواصل ليس القصد به التوثيق كما هو الحال عند المحدثين وإنما غاية أصحاب الطرق الصوفية الحصول على البركة والانتساب إليها، وهذا الانتساب هو

[1]– ينتسب الشيخ عمر بن سعيد الفوتي والحاج مالك سي، وهما من أبرز زعماء التجانية في مناطق السنغال والسودان وإفريقيا الغربية إلى الطريقة التجانية بواسطة سيدي مولود، ويتمسك الشيخ إبراهيم الكولخي بالسند الحافظي (نسبة إلى الشيخ محمد حافظ الشنقيطي)، ويقول أنه هو السند العالي الغالي عنده. النحوي الخليل ، بلاد شنقيط المنارة والرباط، المرجع السابق، ص123

[2]-Depont Octave , Et , Cappolani Xavier, op, cit, p4

الذي جعل انتشار الطريقة التجانية يبلغ ما بلغه إلى يومنا هذا. والأمر الثاني هو الدور السياسي الذي لعبته هذه الطريقة سواء في الجزائر أو المغرب، كما أن سلاطين المغرب احتاجوا إليها حسبما تقتضيه المصلحة.

وهو ما انتبه إليه المولى سليمان – الذي على الرغم من فكره السلفي – احترم الطرق الصوفية التي تطمح إلى خدمة البلاط، فقرب الطريقة التجانية، ولم يقف أمام جهودها الدينية في البلاد واستمر خلفاؤه على هذا المنوال لاسيما في عهد الضعف الذي تلا الغزو الفرنسي للجزائر. فالسلطان عبد الرحمن بن هشام حرص على الاستفادة منهم لتعبئة مريديهم إبان صراعه ضد الفرنسيين، وبعد هزيمته عول جزئياً على دورهم في الحد من الفوضى الداخلية الناجمة عن هزيمته[1]. فدوره هذا يدخل في نشاط التجاني طيلة 18 سنة وتجوله عبر الصحراء وتوات والسودان الغربي وتونس منشأ في كل منها زوايا، ومعينا لها مقاديم لنشر الطريقة التجانية. ففي الجزائر سبب هذا الحراك للعثمانيين قلقا وخصوصا غرب الجزائر، وذلك ما استدعى قيام محمد الكبير باي وهران بغزوها؛ والذي جاء عنه في طلوع سعد السعود أنه :""كان كثير الغزو على أهل الصحراء كثير الارتحال والاسرا، ففتح بني الأغواط والشلاشين، وعين ماض ومزابا وأبا الضروس[2] "" فاستولي على مدينة عين ماضي مقر الطريقة التجانية عام 1199هـ/ 1785م وفرض عليها إتاوة سنوية، كما أن ابنه عثمان باي أعاد الكرة عليها مرة أخرى، وفي تلك الظروف من مضايقة الأتراك العثمانيين[3] والخلافات التي أثيرت ضده من طرف أفراد عشيرته ترك الصحراء نهائيا ليستقر بفاس، حيث منحه السلطان سليمان قصر يدعى " المرايات" حتى وفاته في 14 شوال 1230هـ/19 سبتمبر

[1] – الياسري فاهم نعمة وعجة حسنين عبد الكاظم، الإسهامات السياسية لمتصوفة المغرب الأقصى في العصر الحديث، مجلة كلية التربية، واسط، العراق، العدد 12 دت، ص170

[2] – المزاري الأغا بن عودة، طلوع سعد السعود، ج1، المرجع السابق، ص290

[3] – ذكر صاحب الإستقصا في الجزء8، ص105،104 قدوم الشيخ التجاني سنة 1211هـ إثر مضايقة الباي محمد بن عثمان وابنه من بعده للتجاني، في حين أنه لم يشر إلى احتلال ابنه الأمير يزيد بن إبراهيم قصر التجاني في فاس حيث كان به ابناه محمد الكبير ومحمد الصغير، وأن الحاج علي بن عيسى هو من أخذهما إلى عين ماضي، ولم يشر أيضا إلى خلاف أتباع الطريقة التجانية الذي أدى إلى طرد التجانة من عين ماضي والذين طلبوا المساعدة من باي وهران الذي لبى ذلك .

1815م، لكن قبل وفاته عهد بالإدارة الروحية للطريقة إلى صديقه وتلميذه الشيخ الحاج علي بن عيسى وهو من "ينبع" بالجزيرة العربية والذي كان مقدما لزاوية تماسين[1].

10-أهم الطرق الصوفية بغرب الجزائر

عرف غرب الجزائر طرق صوفية مثلما هو الحال في شرقها، ولم تختلف الأدوار التي لعبتها الطرق الصوفية في الغرب عنها في الشرق بحكم الظروف المتماثلة، غير أن مناطق من غرب الجزائر كوهران خضعت للسيطرة الاسبانية مدة طويلة، وهو الأمر الذي جعل هذه الخصوصية، تنعكس على المجتمع في هذه الناحية، حيث اختلفت الظروف سياسية. غير أن الحياة الثقافية والدينية سيطرت عليها الطرق الصوفية بحكم الأهداف التي تأسست من أجلها هذه الطرق وغاية المشايخ من إيجادها، وما يجب على الزوايا أن تلعبه في ظل الاحتلال الأجنبي تجاهه من جهة، وتجاه المجتمع من جهة ثانية. فبالإضافة إلى الطرق المذكورة في الجزائر هناك طرق ظهرت في المغرب الأقصى ثم انتقلت إلى غرب الجزائر كما حدث الأمر مع الطريقة التجانية التي انتقل مؤسسها إلى المغرب الأقصى، ومنها الطريقة الدرقاوية التي تفرعت عنها الطريقة العلوية.

11-الطريقة السنوسية

أ-محمد بن علي السنوسي

تنسب إلى الشيخ محمد بن علي السنوسي بن العربي بن محمد بن عبد القادر بن شهيدة بن حم بن يوسف بن عبد الله بن خطاب بن علي بن يحيى بن راشد بن أحمد المرابط ابن منداس بن عبد القوي بن عبد الرحمن بن يوسف بن زيان بن زين العابدين بن يوسف بن حسن بن إدريس بن سعيد بن يعقوب بن داود بن حمزة بن علي بن عمران بن إدريس بن إدريس بن عبد الله الكامل ابن الحسن المثنى بن الحسن السبط ابن علي بن أبي طالب الهاشمي القرشي[2].

---

[1]- دائرة المعارف الإسلامية، ن ع، المرجع السابق، ص 2180

[2]- ينظر: المجموعة المختارة للإمام السنوسي، ص7

ب–مولده تنشئته ووفاته

ولد سنة 1202هـ/ صبيحة يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الأول الموافق 22ديسمبر 1798م، عند طلوع الفجر، ولذلك سماه والده محمداً تيمناً باسم النبي صلى الله عليه وسلم، وكانت ولادته بضاحية (مَيْثاً) الواقعة بضفة وادي شِلْف بمنطقة الواسطة التابعة لبلدة مستغانم في الجزائر[1] وتوفي والده بعد عامين من ولادته، فتولت عمته فاطمة تربيته وتنشئته تنشئة صالحة وكانت من فضليات أهل زمانها ومتبحرة في العلوم ومنقطعة للتدريس والوعظ يحضر دروسها ومواعظها الرجال[2]، واهتمت السيدة فاطمة بابن أخيها الذي أظهر حباً عظيماً لتحصيل العلوم، فأخذ يطلب العلوم من شيوخ مستغانم، وغيرها من البلاد المجاورة لها مع تعهد عمته له ومن أشهر شيوخه في تلك المرحلة، فمنهم من أخذ عنهم القرآن الكريم مع القراءات السبع، محمد بن قعمش الطهراوي زوج عمته، وابنه عبد القادر وكانا عالمين جليلين صالحين وابن عمه الشيخ محمد السنوسي الذي تولاه بعد وفاة عمته في الطاعون عام 1209هـ .

توفى رحمه الله في التاسع من صفر 1276هـ بجعبوب بليبيا. عاش 74 سنة. عمل خلالها منذ أن بلغ بجد وحزم، في حل وترحال حتى أظهر طريقته على الوجه المطلوب.

شكلت الرحلة في طلب العلم في ذلك الوقت خاصية، ولعلها من ميراث العصر الوسيط من جهة، ومن جهة ثانية للاعتبارات التالية: الوحدة الدينية للأقطار الإسلامية، فبرغم من استقلال الدويلات ووجود انقسامات وخاصة في العصر الحديث؛ إلا أن المسلم بإمكانه السفر من المغرب إلى المشرق دون حواجز، ومنها أيضا ما كان يلقاه طلبة العلم من تحفيزات ومساعدات من أهل العلم والمشايخ معنويا، وما يجدونه أثناء سفرهم من رباطات وزوايا تخفف عنهم ظروف المعيشة وعناء السفر. كما أن طالب العلم له حرية الاختيار عمن يأخذ، ضف إلى ذلك دوافع طلب العلم التي كانت للعلم ذاته مهما كانت أحوال طالب العلم المادية، وسار الإمام السنوسي على هذا النحو في رحلاته مشرقا ومغربا.

---

[1]– عبد القادر بن علي، الفوائد الجلية في تاريخ العائلة السنوسية، (8/1).

[2]– شكري محمد فؤاد، السنوسية دين ودولة، دار الفكر العربي، 1948، ص11

فقد رحل في بداية الأمر إلى فاس حيث جامع القرويين[1]، قبلة طلاب العلم ومركز العلماء، ومنارة من منارات العلم في تلك الحقبة من تاريخ المغرب الحديث. حيث مكث ما يقارب ثمانية سنوات درس فيها كثيرا من العلوم الشرعية، وغيرها مما كان يدرس بهذا الجامع.

ج- شيوخه في المغرب ومصر

تتلمذ الشيخ السنوسي في بداية الأمر على يد الشيخ محمد السنوسي في بلدة مستغانم فقرأ عليه القرآن الكريم وأتقنه، وقرأ عليه ما تيسر من العربية والفقه، والتفسير، والحديث، والتصوف، وكان هذا الشيخ من كبار مشايخ بلده، ويبدو أنه من نفس العائلة، أو القبيلة[2]. كما درس على أبي عبد الله محمد بن الكندوز. أما في المغرب فقد تتلمذ على يد أحمد بن عجيبة، والإمام الطيب ابن كيران الفاسي والشيخ العربي الدرقاوي، والعلامة محمد بن طاهر الفيلالي، والشيخ أبو بكر بن زياد الإدريسي .

أما في مصر فقد درس على يد الشيخ الصاوي المالكي، والعلامة العطار، والقويسني، وغير هؤلاء من العلماء والمشايخ. وكانت هذه الرحلات سببا في اطلاعه على حالة العالم الإسلامي في تلك الفترة وخاصة حال الدولة العثمانية التي بدأت في الضعف والانحطاط.

غير أن انتقاله إلى لبيبا وبناء زاوية هناك جعل طريقته -وان كان قبل الطريقة العلاوية بمستغانم- أقل شأنا منها، ولو أنهما من مشرب واحد وهي الطريقة الشاذلية.

---

[1]- يعتبر جامع القرويين الذي بنته السيدة فاطمة الفهرية (أم البنين) عام 245هـ في مدينة فاس مركزا للإشعاع العلمي والثقافي والحضاري، ومع تطور مدينة فاس عمرانيا، تم الاهتمام بالجامع توسعة وعناية، حيث برز دور الأوقاف. كانت الأوقاف التي حبست عليه، وكذلك حكام وسلاطين المغرب، الذين أولوه عناية خاصة، ليصبح مركزا لتوجيه الحياة الدينية والعلمية في فاس وعموم المغرب. نايف شرار، الجامعات الإسلامية ودورها في الحضارة الإنسانية – جامعة القرويين نموذجا، مجلة الرأي الإسلامي – العدد 12764، 12 يونيو 2014، ص32

[2]- المهدي بن شهرة، الطرق الصوفية في الجزائر السنية، دار الأديب، ن، ت، وهران، الجزائر، 2004، ص 34

12-الطريقة الدرقاوية

أ-مولاي العربي الدرقاوي

تنسب إلى الشيخ أبو عبد الله محمد العربي بن أحمد بن الحسن بن سعيد الحسني، المعروف بمولاي العربي الدرقاوي، شيخ الطريقة الدرقاوية الشهيرة ومؤسسها، ولد ببني زروال في بلاد جبالة عام 1150هـ/1737م. ويذكر البعض أن أحد أجداده المعروف ببودرقة مدفون في بني أزكَ ببلاد الشاوية

ينتمي مولاي العربي إلى الشرفاء الأدارسة. أخد التصوف عن أستاذه الصوفي الكبير مولاي علي بن عبد الرحمان العمراني الفاسي، المدعو بالجَمَل، المشهور بسعة اطلاعه وحميد خصاله، وعلمه والمتوفى سنة 1239هـ/1823م.

تعلم القراءة وحفظ القرآن الكريم، وعندما صححه وأتقنه بالروايات السبع اشتغل بطلب العلم، فرحل لمدينة فاس وأقام بها مدة قرأ خلالها على أكابر علمائها، ما قدَّر الله له من العلوم، وكان في تلك الفترات أيَّام الطلب مثابرا على مجاهدة نفسه وحملها على العبادة، من صيام وقيام، وتلاوة وذكر مع فطمها على المخالفات.

أخذ رحمه الله عن جماعة من الأولياء، وجمهور من الكبراء والأصفياء، وعمدته منهم: الشيخ العارف بالله مولانا أبو الحسن علي الجمل، رضي الله عنه، فبه أشرقت في صدره أنوار العرفان، وتجلت له من ربه شموس الإحسان، ووقع له الفتح الكبير، والمدد الفياض الغزير، وتخرج على يده ما لا يحصى من المشايخ، وأرباب التمكين والرسوخ.

ب-طريقته الصوفية

أسس مولاي العربي طريقته الصوفية ببوبريح من بلاد جبالة، وهي الطريقة الدرقاوية التي تستمد مذهبها من تعاليم الإمام الشاذلي، ولم تلبث هذه الطريقة أن نالت نجاحا باهرا في الحواضر والبوادي على السواء، وانخرط فيها عدد كثير من المريدين في المغرب والجزائر. وطريقته رضي الله عنه مبنية على إتباع السنة في الأقوال والأفعال والعبادات والعادات، ومجانبة البدع كلها في جميع الحالات، مع كسر النفس

وإسقاط التدبير والاختيار، والتبري من الدعوى والاقتدار، والإكثار من الذكر آناء الليل وأطراف النهار والاشتغال بالمذاكرة وما يعني، وترك كل ما يُعني.

ج–رسائل مولاي العربي الدرقاوي

أمّا رسائله فنافعة جدا وفيها فوائد غزيرة تتعلق بالطريقة والعبودية والمعاملة مع الله تعالى، ولذلك قال فيها ابن جعفر في (السلوة): (ورسائله من أنفع الرسائل للمريدين وأدلها على كيفية السلوك والتجريد، لا يستغني عن مطالعتها سالك ولا يجحد خيرها وفضلها إلا هالك...) بعض منها:

الرسالة الثانية: إن شئت أن تطوى لك الطريق، وتحصل في ساعة على التحقيق، فعليك بالواجبات وبما تأكد من نوافل الخيرات...، وخالف هواك إذ ترى عجبا.

الرسالة الثالثة: الذكر هو الركن الأعظم في طريق الله، والعمدة فيه كما علمت، فكن عليه كما أمرت والله يقويك، ونحبك –أحبك الله– أن تكون على تذكير عباد الله ((الله))، ثم سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحذِّرهم من الكفر دائما، وذكِّرهم التواضع دائما، وزهِّدهم في الدنيا، وأمرهم أن يقنعوا منها بما تيسر كما أمر الله.

الرسالة الرابعة وستون: من أقبلت عليه الدنيا –أيها الفقير– ولم يعرض عنها كما أعرض عنها نبيه صلى الله عليه وسلم، فهو من المغرورين، أو نقول: من الهالكين– وكيف لا ؟ وهو قد أعطى للسنة بظهره والبدعة بوجهه والعياذ بالله.

د–وفاته

توفي صاحب الترجمة ليلة الثلاثاء الثاني والعشرين صفر الخير عام تسعة وثلاثين ومائتين وألف، ودفن في بني زروال، وضريحه هناك مشهور معروف، ومناقبه وأحواله وأوصافه ومعارفه لا يفي بها قلم، وهي من الشهرة كنار على علم.

13–الطريقة العلاوية

اشتهرت الطريقة الدرقاوية في غرب الجزائر بصراعها الطويل مع الحكام العثمانيين، والتي دامت عشر سنوات، وقد قاد هذا الصراع تلميذ الشيخ مولاي العربي الدرقاوي، عبد القادر بن الشريف، وسوف نأتي

على تفصيل ذلك عند تعرضنا لأهم الطرق الصوفية بالمغرب الأقصى، لنرى مدى تواصل الطرق الصوفية بين المغرب الأقصى وغرب الجزائر والثورات التي قامت بها في المغرب الأقصى كما حدث في الجزائر ضد المحتل[1]. وكان بمدينة مستغانم ثلاث زوايا درقاوية، وذلك قبل تأسيس الزاوية العلاوية .كان أهمها بتيجديت زاوية محمد بن بلقاسم الحراق الكريتلي، وزاوية قدور بن سليمان قبل أن يتحول إلى التجانية ويقال أن مقدّمه كان بن عودة بن تونس[2] والد الشيخ عدة بن تونس، وزاوية حمو الشيخ البوزيدي بحي السويقة، ثم الزاوية العلاوية بتيجديت. بحي؛ أصبح يعرف بحي الزاوية، وهي وإن كانت آخر الزوايا ظهورا، فأصبحت أكبر وأهم زاويا بالمدينة.

أ–الشيخ العلاوي

تنسب لأحمد بن مصطفى بن عليوة[3] (ت: 1934). استقل عن الدرقاوية عام 1910م، وأسس زوايتَه في مستغانم سنة 1333هـ/1941م، ورغم حداثتها بالنسبة للطرق الصوفية الأخرى، غير أنها أكثر دقة وتنظيما، وذلك باستعمالها للوسائل الحديثة سواء في التعريف بالطريقة، أو في مسائل التعليم والدعوة والهداية. كما أنها تمتلك مطبعة لنشر المؤلفات وإصدار الصحف[4] وغير ذلك من النشريات والمقالات ومجابهة التمسيح، وإصلاح أحوال المجتمع الدينية والثقافية. وما يلفت الانتباه ما ذكره الدكتور كاري

---

[1]– القصد هنا المحتل الفرنسي، أما الثورة ضد الحكام العثمانيين في الجزائر فذلك أمر اختلف بشأن سببه المؤرخون، وسنتعرض لذلك في الفصل اللاحق من هذا العمل.

[2]– ولد سنة 1371هـ/1898م و توفي سنة 1371هـ/1952م، وهو من أكثر شيوخ الطريقة العلاوية في غزارة التأليف، وللتفصيل في حياته وإنتاجه ينظر: اليحصبي مصطفى عوض الله حسن، من أعلام الإصلاح الديني –الشيخ العلامة عدة بن تونس المستغانمي –، المطبعة العلاوية، مستغانم، الجزائر، ط1، 1995، ص ص 18–192

[3]– هو أبو العباس الشيخ سيدي أحمد بن سيدي مصطفى العلوي بن محمد بن أحمد المعروف بأبي شنتوف، والملقب " بـ : مدبوغ الجبهة " بن الحاج المعروف بابن عليوة. جريدة البلاغ الجزائري، ج1، ط1، 1406هـ / 1986م، ص1

[4]– أصدر الشيخ العلاوي رحمه الله أول صحيفة بعنوان " لسان الدين " صدور أول عدد منها يوم الثلاثاء 14 جمادى الأولى سنة 1341هـ/1922 بالعاصمة الجزائر، تحت إدارة الأستاذ مصطفى حافظ، الذي كان يشغل يومئذ منصب مدير مدرسة قرآنية بالعاصمة، وقد ظهرت هذه الجريدة في وقت كانت فيه الجزائر في أمس الحاجة إلى صحف عربية تدافع عن الإسلام، ولغة الإسلام، فقامت " لسان الدين " بهذا الواجب خير قيام. العقبي صلاح المؤيد ، المرجع السابق ، ص271

مارسيل[1] وهو يصف مدينة مستغانم ويبين أمور مهمة اشتغل عليها الاستعمار الفرنسي فيقول: "مستغانم أحد الأمكنة القليلة في الجزائر التي يعيش فيها الأوربيون والعرب في حيين منقطعين أحدهما عن الأخر.

أما مراكش فالانفصال هو القاعدة، وهناك استطاع (ليوتي) أن يفيد من الأخطاء التي ترتكب في الجزائر.أما مستغانم فلقد كانت طبيعة أرضها، التي جعلتها على ما هي عليه الآن. فهنا يفصل بين الحيين أخدود عميق، مما جعل كل منهما يحتفظ بخصائصه. ويعيش في الحي الإسلامي وحده نحو اثني عشر أو خمسة عشر نسمة، ويطلق عليه "تيجديت "، وهنا عاش العلاوي، وهنا بنيت الزاوية العلاوية مطلة على البحر، تلك الزاوية التي بفضله اشتهرت، والتي تحتوي على مقامه الذي دفن به[2]، فهو يعطينا سببا طبيعيا في عدم اندماج الحيين، غير أن الواقع يدل على أن الطرق الصوفية عموما والعلاوية خصوصا عملت على الاحتفاظ بخصائص مجتمعها بفعل نشاطها في خدمة الدين الإسلامي، وأما الأخدود العميق فذلك لا يمنع من إحداث جسر بينهما. ولعل تلك المقارنة بين مستغانم، ومراكش هي إحدى الأساليب التي جربها الاستعمار الفرنسي سواء في الجزائر أو المغرب الأقصى كتجارب قد تصدق على أحداهما ؟. أما الانفصال الذي اشتغل عليه ليوتي (ليوطي) خدم المجتمع المغربي والطرق الصوفية بالخصوص في الحفاظ على مكونات المجتمع بحد ذاته، وإن طبع ذلك بعض التخلف والجهل وما انجر عنهما.

ب– إنتشار الطريقة العلاوية

لقد عرفت الطريقة العلاوية انتشار واسعا، في مختلف المناطق، وتأسيسها للزوايا داخل وخارج الوطن، كما انتسب إليها الكثير في الغرب الجزائري من العامة والخاصة والمثقفين، وكذلك في تونس والمغرب وليبيا واليمن، كما كان لها دور كبير في توثيق صلتها بالغرب المسيحي بفضل مشربها الشاذلي الذي عملت على نشره بكل الوسائل المتاحة. ويمكن أن نتتبع ذلك من خلال أول اتصال غربي بالشاذلية – والذي سيكون له دور مؤثر في انتشار التصوف. والبداية كانت مع الرسام السويدي (**Ivan Aguili**) إفان أغيلي، الذي اعتنق الإسلام سنة **1907**م، وغير اسمه إلى الشيخ عبد الهادي عقيلي

[1]– طبيب الشيخ العلاوي.

[2]–كاري مارسيل، ذكريات الشيخ أحمد بن مصطفى العلاوي، المطبعة العلاوية، ط2، 1987، ص9

وأخذ النسبة الشاذلية عن طريق الشيخ محمد عليش الكبير، وهو شيخ السادة المالكية بالأزهر الشريف[1]. لكن نقطة انطلاق الحضور الصوفي المشرق في الغرب ستكون مع تحول المفكر الفرنسي (René Guénon) (رينيه غينون) إلى الإسلام وأخذه النسبة الشاذلية بواسطة إيفان أغيلي في باريس سنة (1912 م)، وتسمى بـ: "عبد الواحد يحي"، ونبه في كتابه " أزمة العالم المعاصر " إلى مخاطر الحداثة الغربية وعدوانيتها تحت أسماء مختلفة (العقلانية، المذهب الإنساني، اللائيكية، المادية، والماركسية والاشتراكية، وغيرها من أساليب التضليل والابتزاز، والتحايل مثل مصطلحات الإصلاح، وحقوق الإنسان والديمقراطية، والاستفتاء، والانتخابات، والأغلبية البرلمانية وغيرها. وبمساندة عالم أخر هو ميشال فالسان (Michel Valsan) تشكلت جبهة صوفية شاذلية درقاوية علوية لنشر التصوف.

ومنذ سنة 1934م، وبعد وفاة مؤسس الطريقة العلاوية فقط، تشكل الفرع الغربي للشاذلية الدرقاوية العلاوية بفضل الفرنسي غينون، وبمعاونة السويسري الألماني شيوون، وميشال فالسان الذين عملوا على جمع المريدين، وشكلوا بذلك مدرسة على الطريقة العلاوية.

فالحديث عن انجازات الطريقة العلاوية لا يمكن أن ينحصر في مجال واحد المتمثل في التصوف بل تعداه إلى ميدان أخر بفضل المركز المتعدد الخدمات، وهو مركز لتعليم الشباب مختلف الصناعات والعلوم، كالتجارة، والميكانيك، والإعلام الآلي وغيرها. وقد نظم أحسن تنظيم، وجهز بأحدث الوسائل[2].

ج–إنجازات الطريقة العلاوية

لقد تولى مشيخة الطريقة منذ تأسيسها أربعة شيوخ كان لهم الدور الكبير في انتشار الطريقة والدفاع عن العقيدة الإسلامية؛ وذلك من خلال الانجازات الاجتماعية أو المؤلفات في التصوف والعقيدة الإسلامية وهم: الشيخ أحمد بن مصطفى العلاوي، والشيخ عدة بن تونس، ومحمد المهدي، وعدلان خالد، وكلهم أفاضل لا يسع المقام لذكر انجازاتهم، وما يهمنا في هذا المقام هو الطريقة عينها وتواصلها بحكم موقعها بالجهة الغربية. وخير دليل على نشاطها بهذه الجهة ما جاء على لسان الهاشمي بن بكار

[1]– بشيري أحمد، علماء من المغرب العربي في الأزهر الشريف، منشورات –ثالة – الأبيار، الجزائر، د ت، ص90

[2]– العقبي صلاح المؤيد، المرجع السابق، ص ص 271،272

في كتابه مجموع الحسب والنسب حيث قال: "... أخذ عن الشيخ الكبير ولي الله الشهير سيدي حمو البوزيدي ، صاحب المزارة المشهورة في مستغانم، قدس سره، وأذن له في الإرشاد والتربية و تعمير الزاوية. فتصدر رحمه الله لذلك بعد موت شيخه، وأسس زاويته العظيمة في مستغانم، وشيد عدة زوايا في مدينة الجزائر، وقبائل زواوة، وفي وهران، ومعسكر، وغليزان، وانقادت له فحول الرجال، وسلم له العلماء حاله، ودخل الناس في طريقته حتى من الريف الغربي[1]. وهو بذلك يشير إلى اتصالها بالمغرب الأقصى حيث انتقلت إلى المغرب بعد أن كان مشربها منه بفضل الطريقة الدرقاوية. وهذا هو التواصل الذي يتم عن طريق التجديد، حيث يبقى حلقة متصلة تنشأ هنا وتنتشر هناك وتعود مرة أخرى وهكذا.

في ختام هذا العرض الوجيز نخلص إلى أن الطريقة العلاوية بغرب الجزائر كان لها تأثير وتأثر، فالطريقة الشاذلية تفرعت عنها الدرقاوية التي بدورها تفرعت منها الطريقة العلاوية، والتي أيضا حملها مريدون إلى المشرب باسمها الجديد، وان كان المريدون ينشؤون زوايا قد تأخذ أساميهم، لكنها تبقى من تأثير الطريقة التي أخذوا عنها. فالتشابك الذي نراه من تعدد الطرق والزوايا هو في الحقيقة ذا أصل واحد، لكن ثمرة الأفراد لابد أن تنسب لهم مغاريسها، كما تنسب للفقهاء اجتهاداتهم، وأعمالهم وغير ذلك في مختلف مباحث العلوم الإسلامية. وتتفوق الطرق الصوفية في الجانب الاجتماعي بما تكفله من معونة للفقراء والمساكين، وما تنشره من دعوة إلى المحبة والإخاء، والسلام لكافة بني البشر. فالطريقة العلاوية، وإن كان ظهورها بعد الطريقة السنوسية إلا أن العلاوية حازت شهرة كبيرة؛ بسبب انتقال السنوسية إلى ليبيا من جهة، ونشاط مشايخ الطرقة العلاوية من جهة ثانية. وتأتي الطريقة السنوسية بعدها من حيث الأهمية في الانتشار بغرب الجزائر، وبمستغانم على وجه الخصوص.

[1] – بن بكار بلهاشمي، مجموع النسب والحسب والفضائل والتاريخ والأدب في أربعة كتب، مطبعة ابن خلدون، تلمسان، الجزائر، 1381هـ 1961م، ص168

الفصل الرابع

1-الطريقة الشاذلية

2-الطريقة الشاذلية العبادية

3-الطريقة الشاذلية الجزولية

أ-الجزولي وحياته الصوفية

ب-أثار الجزولي

ج-مصنفات الجزولي

د-سند الطريقة الجزولية

هـ-أوراد الطريقة الجزولية

و-الطريقة بعد الجزولي

4-الشاذلية الزروقية

أ-الشيخ أحمد زروق

ب-رحلات الشيخ زروق إلى الحجاز

ج-مكانته العلمية والصوفية

د-مصنفاته

هـ-سند الطريقة الزروقية

5-فروع الطريقة الزروقية وأماكنها

6-الطريقة الناصرية

أ-ظهور الطريقة

ب-الزاوية الناصرية

ج-أوراد الطريقة الناصرية

7-الطريقة الناصرية والسلطة

8-انتشار الطريقة الناصرية

9-الطريقة الدلائية

أ-الشيخ أبو بكر الدلائي

ب-أوراد الطريقة الدلائية

ج-أذكار الطريقة الدلائية

د-الدور الاجتماعي للطريقة الدلائية

هـ-سند الطريقة الدلائية

و-الدلائيون والسلطة

10-مقتطف من الرسائل المتبادلة بين العلويين والدلائيين

أ-رسالة الدلائي

11- الطريقة الشرقاوية

أ-النشأة والتأسيس

ب-خلفاء الشيخ الشرقي

ج-أوراد الطريقة

د-سند الطريقة الشرقاوية

12-علاقات وتواصل الطريقة الشرقاوية

أ-علاقة الشرقاوية بالقبائل

ب-تواصل الطريقة الشرقاوية مع الطرق الأخرى

ج- علاقة الطريقة الشرقاوية بالسلطة

11-التواصل بين الطرق الصوفية المغربية

12-استنتاجات

أهم الطرق الصوفية بالمغرب الأقصى

إن الفترة الحديثة، وخاصة – منذ عهد السعديين – انتشر فيها التصوف انتشارا لم يعرفه المغرب الأقصى من قبل، واستحق بالفعل أن يسمى هذا العصر؛ بعصر التصوف. كونه اكتسح كافة ميادين الحياة حيث انتسب إليه العامة، والخاصة من علماء، وفقهاء، وحتى الحكام. لكن لابد من معرفة الحركة الصوفية بالمغرب الأقصى، وكيف بلغت هذا المبلغ؟. فهذا لم يأتي من فراغ، بل من جهد ونشاط المتصوفة الأوائل ليس المشارقة، ولكن أبناء المغرب الإسلامي. ولم يأتي التقعيد للتصوف إلا بعد أن عرف انه علم اعتني بالروح وترويض النفس[1] بطريقة تعبدية، وذلك بالدعوة إلى التمسك بالفضائل ومجاهدة النفس لتتخلص من عالم المادة، وترتقي إلى عالم الروح[2]، فالنفس تنتظر الهوى، والهوى ينتظر العقل، فإن زجره العقل انزجر وإن أرخى له حرّ.

ومن يظن أن المجاهدة تقتضي تعذيب النفس وإهلاكها، واجتثاث الشهوات فقد أخطا. لأن مجاهدة النفس تعني عند الصوفية سياستها بما يتفق من ضوابط، والتمكن من السيطرة على الشهوات، ولتجد سعادتها فيما يرضي الله ويتفق مع الشرع. ومن هذا المنطلق بدأت المدرسة التربوية الصوفية تتأسس لتحقق أهدافا لم تحققها أي مدرسة من قبل. وإذا تمكنت من إعداد النفس بتهذيبها؛ وذلك بتصفية القلب التي تكون بالرياضة، ثم تحل فيها مخافة الله في السر والعلن، وتوقن بان الله عز وجل مطلع على القلوب، ويعلم السر وأخفى. فإنها تتبع الحق فيما جاء به النبي الكريم من حق. وبذلك تستشعر مراقبة

---

[1]– مدار كلام المتصوفة حول جهاد النفس، وقيل أعدى أعدائك نفسك التي بين جنبيك . وصعوبتها أنها نفس واحدة، وتتصف بثلاث صفات، المطمئنة، واللوامة، وأخطر صفة الأمارة بالسوء. وهناك لطيفة تنبه لها الإمام الغزالي وهي، نفس الشاب ونفس الشيخ بعد أن ذكر أن المشايخ بالزوايا أليق نظرا إلى ما تدعو إليه النفس من النوم والراحة والاستبداد بالحركات والسكنات، فللنفس شوق إلى التفرد والاسترسال في وجوه الرفق. والشاب يضيق عليه مجال النفس بالقعود في بيت الجماعة والانكشاف لنظر الأغيار لتكثر العيون عليه فيتقيد ويتأدب، ولا يكون هذا إلا إذا كان جمع الرباط في بيت الجماعة، مهتمين بحفظ الأوقات وضبط الأنفاس وحراسة الحواس كما كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم. الغزالي أبو حامد، إحياء علوم الدين، المرجع السابق، ج5، ص83

[2]– سميت الروح روحا؛ لأن بها حياة البدن، وكذلك سميت الريح لما يحصل بها من الحياة، وهي من ذوات الواو، ولهذا تجمع على الأرواح، قال الشاعر: إذا هبَّتِ الأرواحُ من نحوِ أرضِكم "" وجدتُ لِمَسْرَاهَا على كبدِي بَرْدَا. الجوزية ابن القيم، الروح، اعتنى به، عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط1، 1426هـ/ 2005م، ص273

الله عز وجل في كل الأحوال. فيفضي بها ذلك إلى التنزه عن حاجات الدنيا. وإذا تنزهت النفس عن حاجات الدنيا سمت سمو الروح.

كيف رسخ التصوف رسوخ الجبال الشوامخ؟. كان الزهاد في المغرب يرفضون مقابلة الملوك إذا كانوا من الظلمة، فقد رفض أبو محمد الأنصاري الضرير الزاهد مقابلة زيادة الله الأغلبي حتى حُمل إليه قصرا، ومع ذلك لم يخشاه؛ ورد عليه ردا جعله ينصرف؛ علما بأنه صادق حيث قال له: اذهب لئلا أشتكيك إلى الله عز وجل فقال: صدقت ثم انصرف عنه[1]. هذا عن الحكام أما المجتمع فكانوا قدوة لمريديهم ولكافة الناس بضرب أروع الأمثلة. فكان الشيخ منهم إذا شعر في مجتمعه من يقوم مقامه، انتقل إلى محل أخر، ليقوم بما كان يقوم به وهكذا. وقد كانت وسائلهم دقيقة الترتيب تتوافق مع الملكة التي خص الله بها الإنسان، فعلى المريد أن ينتقل من الاستماع إذا أتقن مهارته إلى الفهم ومنه إلى الحفظ ثم العمل بذلك، ومن ثم نشره. كما أن الالتزام بالشيخ سبب في كون المريد سيصبح يوما كذلك سواء بعد موت شيخه أو في حياته[2]. كما أن التعليم مجاني؛ لان طلب المال من أغراض الدنيا وخاصة إذا ما تعلق الأمر بالعلم.

وبدأت النواة الأولى بالرباط على هذا المستوي من التربية. فالسلوك مبني على الحياء من الله تعالى وذلك بحفظ الرأس وما وعى أي ما حفظ من علم واشتغل به، وتحرى الرزق الحلال ولا يتأتي ذلك إلا بالعمل وذكر الموت والبلاء، لأنها تجعل العبد يجتهد في عبادته معتقدا أنه حتما سيلاقي مولاه.

لقد أصبح الرباط شبه مؤسسة أو مركز ثقافي كل يقوم بعمل ما. فمن صناعة الحبر إلى تقطيع الكاغد إلى الكتابة وغير ذلك. هذه أسس متينة؛ والرباطات التي بدأت تتكاثر بسب توافد الناس عليها سببا في انتشار التصوف، وبالتالي ظهور الزوايا والطرق الصوفية. وأصبح المغرب الإسلامي في الفترة الحديثة وخصوصا بالمغرب الأقصى تحت غطاء التصوف. لقد كانت أهداف الصوفية خالصة لوجه الله، لذا

---

[1]– حجازي عبد الرحمن عثمان، المرجع السابق، ص295

[2]– المريد في بداية اتصاله بالطريق الصوفي عليه أن يجتاز مرحلة ما بين نوازع الشر والشهوات، وبين نواز الخير؛ وهي معركة عنيفة لا يمكنه أن يكسبها إلا بالاسترشاد بشيخ. ولذلك قال ابن عاشر:

يَصْحَبُ((شيخا)) عَارِفَ المَسَالِكْ "" يَقِيهِ فِي طَرِيقِهِ المَهَالِكْ

يُذكـــره اللهُ إذاَ رَآهُ "" و يُصِـل العَبـدَ إلى مَولاَهُ

.ابن عاشر محمد بن محمد بن المبارك الفتحي المراكشي، الحبل المتين على نظم المرشد المعين، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دت، ص81

فقاعدة التصوف صلبة؛ ومثلت ذلك طرق صوفية قادها شيوخ تحلوا بما ذكرنا فاستحقوا بحق الذكر، والأكثر من ذلك تركوا من يكمل مسيرتهم في ظل عالم تملكته المادة.فالطرق الصوفية تقمصت الدور داخليا وخارجيا منها الطريقة الشاذلية.

1-الطريقة الشاذلية*

لا يمكن الجزم بالتاريخ الفعلي لتحول المغرب الإسلامي إلى شكل موحد دينيا من حيث المرجعية، لكن نعلم يقينا أن المذهب المالكي سيطر على كافة المذاهب منذ دخوله إلى المغرب الإسلامي رغم الصراعات التي واجهها، وقد ظهر أول مرة في المغرب على يد إدريس الأول[1]، وفي القيروان ببادرة علي بن زياد الذي جاء بالموطأ، ونشره القاضي سعد بن الفرات، ثم الشيخ سحنون[2]. وقد ساعدت البيئة على اعتناق المغاربة لهذا المذهب لتشابهها مع بيئة الحجاز البدوية.كما أن لكثرة العلماء على فقه مالك دور في ذلك، لأنهم كانوا يحجون في رحلاتهم إلى الحجاز وكانوا يأخذون عن إمام المدينة دون غيره.

ثم السنة الأشعرية[3]، وقد اتفق جمع كبير من العلماء من طبقة الأشعري والتي جاءت بعده وتواتر ذلك إلى أن أصبحت الأشعرية غالبة على غيرها. وبقي التصوف؛ فكان لسيد الطائفة الجنيد رحمه الله القبول والرضا من الجميع. فارتضى المغاربة طريقته في التصوف لاقتدائها بسنة الرسول صلى الله عليه وسلم، وبهذا حسم الهيكل العام الديني للمغرب الإسلامي كما جاء في المرشد المعين في الضروري من علوم الدين لعبد الواحد ابن عاشر:

---

*- سبق الحديث عنها في الفصل السابق غير أننا أردنا التعريف بالتحول الذي طرأ عليها مع ابن عباد والجزولي والشيخ زروق .

[1]- إدريس الأول (172 – 177هـ / 788 – 793م). حركات إبراهيم، المغرب عبر التاريخ، ن، ت، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، المغرب، ج1 ، ط 1420هـ / 2000م، ص97

[2]- سحنون عبد السلام بن سعيد بن حبيب التنوخي، وقد سمي سحنون باسم طائر حيد الذهن، ذلك أنه كان سريع النكتة، وكان أبوه سعيد جنديا، قدم من القيروان إلى حمص، حيث ولد عام 160هـ (776-777م). موجز دائرة المعارف الإسلامية، المرجع السابق، ص5611

[3]- ومن الفتاوى، فتوى القشيري يقول فيها: ((بسم لله الرحمن الرحيم ، اتفق أصحاب الحديث أن أبا الحسن الأشعري كان إمامًا من أئمة أصحاب الحديث، ومذهبة مذهب أصحاب الحديث، تكلم في أصول الديانات على طريقة أهل السنة، ورد على المخالفين من أهل الزيغ والبدع، وكان على المعتزلة والروافض والمبتدعين من أهل القبلة، والخارجين عن الملة سيفًا مسلولًا، ومَنْ طعن فيه، أو قدح، أو لعنه، أو سبّه فقد بسط لسان السوء في جميع أهل السنة)) بذلنا خطوطنا طائعين بذلك في هذا الدرج في ذي القعدة سن ، ست وثلاثين وأربعمائة، كتبه عبد الكريم ابن هوازن القشيري، ووقّع على هذا الكتاب أيضًا تحته الخبازي، وكتب الجويني وغيرهما . أمين أحمد، ظهر الإسلام، مؤسسة هنداوي للعلوم والثقافة، القاهرة، ط 2012، ص772

((وبعد)) فالعون من الله المجيد "" في نظم أبيات للأمي تفيد

في عقد الأشعري وفقه مـــالك "" وفي طريق الجنيد السالك

وكان لهذا المؤلف دور كبير في ارتسام اللوحة الدينية المغاربية، ومنها بدأ التصوف يرتكز على هذه الخصوصية، وبخاصة عندما ظهرت الطريقة الشاذلية، فكيف تشكل وارتسم ذلك؟

2-الطريقة الشاذلية العبادية

أدى ظهور الحركة العبادية[1]، ونشاط ابن عباد من خلال مؤلفاته ولاسيما، الرسائل الكبرى والرسائل الصغرى[2] إلى انقسام التيار الصوفي بين الشمال والجنوب، خلال النصف الثاني من القرن الثامن الهجري، الرابع عشر ميلادي. فالشمال كان منطلق الحركة الصوفية بالمراكز الحضرية، كفاس ومكناس وسلا، وامتاز هذا التيار بعدم التكتل، وتشكيل الطوائف، والزوايا[3]، وتخصيص شعارات بعينها، وتحديد مواعيد خاصة للاجتماعات، والظهور بالتوكل، والتسبب، والدعوة إلى الاعتصام بحبل الجماعة في طاعة ولي الأمر[4]، وتزعم هذا التيار الشيخ عبد الواحد بن عاشر[5]، وكان ابن عباد من كبار تلامذته، فلازمه وأخذ عنه، ثم أسس طريقة خاصة به. أما تيار الجنوب فقد عرف بالبوادي وتزعمته الطوائف الستة الموجودة بالزوايا الساحلية بكل من أزمور، و تيط، وآسفي، في تنافس شديد بين جموعها.

---

[1]– تنسب إلى ابن عباد النفري محمد (فتحا) بن إبراهيم بن عبد الله بن مالك (بن عباد)، ولد برندة وتوفي بفاس 792هـ/ 1390م. عبد العزيز بنعبد الله، معلمة التصوف، المرجع السابق، ط1،ج2، ص80

[2]– من مخلفات الشيخ ابن عباد الرندي (1333–1390م) مجموعتا رسائل، سمى الواحدة منها الكبرى والأخرى الرسائل الصغرى، وقد ضمن الأولى ثماني وثلاثين رسالة ، طبعت طبعة حجرية في فاس سنة 1320هـ. مجلة المشرق، الأب بول ع. نويا اليسوعي، الرسائل الصغرى للشيخ ابن عباد الرندي، السنة الواحدة والخمسون، كانون الثاني – شباط – 1958، ص3

[3]– سنتعرض للزوايا بالشرح والتفصيل في هذا الفصل.

[4]– تاريخ المغرب تحيين وتركيب، المرجع السابق ، ص340

[5]–هو ابن عاشر، عبد الواحد بن أحمد بن علي ابن عاشر الأنصاري نسبا، الأندلسي أصلا، ولد بفاس سنة 990هـ/م1582، ذكر الفضيلي أنه من حفدة الشيخ الشهير أبي العباس سيدي أحمد بن محمد بن عمر ابن عاشر السلاوي المتوفى سنة ، 765هـ. وكان يسكن بدار أسلافه الكبرى بحومة درب الطويل من فاس القرويين. وقد ذكر في : شجرة النور الزكية (أبو مالك). توفي في ذي الحجة سنة 1040هـ وعمره خمسون سنة. مخلوف محمد بن محمد، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، ج1، 1349هـ، ص300

يعتبر ظهور هذه الحركة مرحلة جديدة والحال أن الدولة المرينية تعاني الضعف إثر الاضطرابات والتصدعات الداخلية، ولا يمكن لأي تيار رأب الصدع غير تيار التصوف. وعليه اعتمد ابن عباد على نفسه في الفصل في المشرب الذي يأخذ عنه التصوف، فعكف على دراسة هذا العلم من مصادره، واقتنع بعد مدة غير يسيرة بالمشرب الشاذلي، على أن يركز على الإصلاح، وقد لقي دعما من الدولة بالإضافة إلى توليته خطة الخطابة بجامع القرويين بفاس لفترة خمسة عشر سنة. يعتبر ابن عباد الشارح لحكم ابن عطاء الله، أحد أكابر الأولياء وأئمة العلماء، وأعيان الصوفية الأصفياء. كانت له كرامات عدة منها ما جاء في جامع كرامات الأولياء؛ حدث الشيخ أبو مسعود الهراس قال: كنت أقرأ في صحن جامع القرويين بفاس، والمؤذنون يؤذنون بالليل، فإذا أبو عبد الله بن عباد قد خرج من باب داره، وجاء يطير في الصحن كأنه جالس متربع حتى دخل في البلاط الذي حول صومعته، ثم مشيت فوجدته يصلي خلف المحراب[1].

لقد أعطى الشيخ ابن عباد دفعة قوية للطريقة الشاذلية، حيث اعتبرها خلاصة الطرق الصوفية كما اعتبر كتاب ابن عطاء خلاصة كتب التصوف. وبذلك استطاع أن يجعل الطريقة العبادية نسخة عن الطريقة الشاذلية، وبهذا اعتبر ابن عباد معلم يفصل بين حقبتين في التصوف المغربي؛ الأولى منذ ظهور التصوف، وتنتهي بوفاته وتستمر مع تلامذته الذين واصلوا تطوير الطريقة العبادية. ومن بين الذين أشادوا به ، تلميذه أحمد الصومعي والشيخ زروق[2]، بأنه مقدمة من أتى بعده.

إذا اعتبرنا هذه الشهادة موقف ديني وساعد قوي لابن عباد، فإن الموقف السياسي كان يستدعي هذا من اجل الالتفاف حول مرجعية يمكنها لملمت الشتات وتوحيد الصفوف. وهذا النجاح الذي لقيته الحركة الصوفية العبادية؛ هو ذات السبب الذي أنقذ المغرب من اضطرابات خصوصا بعد مقتل السلطان أبي عنان المريني. لذا فالتصوف غالبا ما يكون عامل وحدة لحظة التفكك السياسي. والجدير بالذكر أن تلك الفترة اعترتها قلاقل نجمت عن التنافس حول السلطة وكثرة الأدعياء والتكالب بين القبائل. وسبب الفراغ صراع الملوك بالإضافة إلى دسائس الوزراء، وتجاذبات الطرق الدينية ودخول الشرفاء معترك السياسة

[1]– النبهاني يوسف بن إسماعيل، جامع كرامات الأولياء، تحقيق و مراجعة، إبراهيم عطوة عوض، مركز أهل سنت بركات رضا، الهند، ط1،ج1، 1222هـ / 2001، ص253

[2]– أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى زروق البرنوسي أو البرنسي الفاسي (899هـ / 1493م). ولد بفاس عام (846هـ / 1441م)، ودفن بمسراتة في طرابلس، ينسب لقبيلة البرانس، وهو غير قاضي الجماعة أحمد زروق السنوسي الكافي التونسي المتوفي عام 1246م. معلمة التصوف، ج2، المرجع السابق، ص88

والحكم فتعددت المواجهات في حرب المنتصر فيها خاسر. وما ينجر عن ذلك من تردي للأوضاع العامة.

إن حركة ابن عباد الصوفية الشاذلية سارت باتجاه هذه الأحداث لاحتوائها، واتخذ ابن عباد منهج الدعوة والإصلاح في آن واحد مازجا بينهما مشكلا بذلك طريقة شاذلية في ثوب عبادي خاص؛ نتيجة لكتاباته الغزيرة الموجهة للعام والخاص، وخطاباته الحادة منتقدا فيها الفقهاء في تقصيرهم عن واجباتهم[1]، كما وصف الحال التي أصبح عليها المجتمع المغربي، والذي غاب عنه الدين ففسد أهله وتردت الأوضاع وانتشر الفقر، والبؤس بسببه. ولم يستثني الحكام والفقهاء من ذلك.

لكن دعوته هذه التي سنرى فيما بعد أنها انحصرت، واندثرت، بسبب ارتكازها على المجاهدة بالله لا بالنفس في غير ما حاجة إلى الانتساب إلى طائفة أو لمشيخة، ولزاوية. كما أنه دعا إلى التعلق بالله لا بالتقشف[2] والعبادات المبنية على الظاهر، وانتظار المكاشفات والكرامات وما إلى ذلك. ومما يميز حركته أنه جعل السلطة طرف في برنامجه الإصلاحي باعتبارها اليد التي يمكنها تطبيق ما يطمح إليه من إصلاح. كما خص فاس بالمركزية لحركته التي منها ينطلق الإصلاح فيعم الخير، وينتهي الفساد. فابن عباد رحمه الله لم يترك جانبا إلا ووجه له عنايته سواء بنقده ونعت موضع عجزه أو الإشادة به وإظهار استحسانه ومزيده. ويمكن القول أن حركة ابن عباد الصوفية لقيت نجاحا كبيرا في ظل الدولة المرينية أواخر عهدها، وما زاد نجاحها هو ما كان عليه الشيخ نفسه من علم وتقوى وصلاح، بالإضافة الى توليه خطة جامع القرويين والخطابة به. لكن انتهت هذه الحركة بعد وفاته؛ وتساوقا مع سقوط الدولة المرينية، غير انه ترك من التلاميذ الذين اخذوا بشطري الحركة كل على نهجه وتصوفه، ومن أبرز هؤلاء؛ اثنان استطاعا أن ينسخا الشاذلية نفسها ويصبغاها بصيغتيهما، هما الشيخ الجزولي، والشيخ زروق عليهم جميعا رحمة الله تعالى.

---

[1]– قد اضطلع بواجبه في هذا الصدد ونصح السلطان عبد العزيز (ت 774هـ / 1372م)، بإزالة مظالم الرتب التي أحدثت بطرق المسافرين وقطع السبل على المساكين والمستضعفين، وبمعاقبة العمال، والولاة الذين أحدثوا المظالم والمراسم والمغارم الضارة بالرعية . تاريخ المغرب تحيين وتركيب، المرجع السابق، ص342

[2]– التعلق بالله في كل الأمور وعدم التخلق بالصفات الأخرى الظاهرة كالتقشف والمبالغة في إظهار الزهد والتنسك.

3-الطريقة الشاذلية الجزولية

أ – الجزولي وحياته الصوفية

تنسب هذه الطريقة إلى أبو عبد الله محمد بن سليمان ابن أبي بكر الجزولي[1] السملالي، نسبة إلى جزولة[2]، أو الغزولي[3]، والكزولي نسبة إلى غزولة أو كزولة، أحدى بطون البربر من سوس المراكشية. ويرتفع نسبه إلى النبي صلى الله عليه وسلم فهو: ((أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن سليمان بن سعيد بن يعلى بن يخلف بن موسى بن علي بن يوسف بن عيسى بن عبد الله بن قندوز بن عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن حسن بن إسماعيل بن جعفر بن عبد الله الكامل بن الحسن المثني بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب[4])). في حين أنه لا يعرف على وجه التحديد والتحقيق اسم أبيه، ولذلك ينسب إلى جده، والذي هو كذلك في عداد جزولة القبيلة البربرية التي استقرت في سوس المراكشية، فيما بين المحيط الأطلسي والمجري الأدنى لوادي درعة.

درس في بداية الأمر بفاس، خلال العقود الأولى من القرن التاسع الهجري، الخامس عشر ميلادي في وقت كانت الطريقة الشاذلية العبادية تسيطر على الحياة الروحية بفاس؛ نظرا لوجود تلامذة ابن عباد بها، أو تلاميذهم. جمع الجزولي كتابه " دلائل الخيرات " من ذخائر تراث خزانة جامع القرويين، ومما تركه ابن عباد من مؤلفات. ثم بدأ دعوته من خارج الجامع المذكور مخالفا بذلك طريقة ابن عباد في الدعوة من داخله. وما لبث أن عاد إلى بلده حيث اشترك في نزاع قبلي، اضطر معه إلى مهاجرة نحو مراكش الشمالية، بيد أن النزاع ظل مستمرا، قتل فيه رجل، الأمر الذي جعل كل فريق يتبرأ من دمه، فاحتد النزاع، وكاد الصراع أن يعود من جديد بين الفريقين المتنازعين. عند ذلك ظهر الجزولي فجأة في ساحة القتال بعد أن رأى الأمور تسير من سيء إلى أسوء. عند ذلك أعلن أنه هو الذي قتل الرجل، وكان العرف السائد

---

[1]– دائرة المعارف الإسلامية، ن ع، المجلد السادس، ص 447

[2]– نفس المرجع ونفس الصفحة

[3]– مخلوف محمد بن محمد، المرجع السابق،267ص

[4]– ممتع الأسماع في ذكر الجزولي والتباع، مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز، الدار البيضاء، دت، ص1،2. ينظر أيضا:

Depont Octave Et Cappolani Xavier, op. cit, p445

في ذلك الوقت يقضي بنفي القاتل. وعليه رحل الجزولي إلى طنجة وأبحر منها إلى المشرق[1]، حيث قضى هناك زهاء أربعين سنة ما بين مكة والمدينة، وبيت المقدس .

لقد جمع في مشربه الصوفي بين الطريقة الشاذلية المشرقية التي أخذها عن شيخه عبد العزيز العجمي، والطريقة الشاذلية المغربية التي أخذها عن شيخه عبد الله آمغار[2]، وسينفرد من هذين المشربين بطريقة خاصة به سيطرت على الحياة الروحية في المغرب، الى غاية ظهور الطريقة الشاذلية الزروقية.

عندما جاء الجزولي إلى فاس ألحقه شيخه الشريف أبو عبد الله أمغار الذي كان بتطنفطر (تيط الحديث)" على ساحل المحيط[3] الأطلسي على مسيرة بضعة أميال إلى الجنوب الشرقي من البريجة، ومنها ذهب الجزولي إلى آسفي بعد أن قضى أربعة عشر عاما في خلوة يتعبد فيها. ويروى في سبب تأليف كتاب دلائل الخيرات قصة: ((ذكر سيدي أحمد الصاوي في شرحه على صلوات القطب الدريدر: "أن سبب تأليف دلائل الخيرات أن مؤلفها سيدي محمد بن سليمان الجزولي حضره وقت الصلاة، فقام يتوضأ، فلم يجد ما يخرج به الماء من البئر، فبينما هو كذلك إذ نظرت إليه صبية من مكان عال فقالت له: من أنت ؟ فأخبرها، فقالت له: أنت الرجل إلي يثنى عليك بالخير وتتحير فيما تخرج به من الماء من البئر؟ وبصقت على البئر ففاض ماؤها على وجه الأرض، فقال الشيخ بعد أن فرغ من وضوئه: أقسمت عليك بم نلت هذه المرتبة؟ فقالت: بكثرة الصلاة على من كان إذا مشى في البر الأقفر تعلقت الوحوش بأذياله صلى الله عليه وسلم، فحلف يمينا أن يؤلف كتابا في الصلاة على النبي[4]".

وسرعان ما مال إليه أتباع كثيرون فأوجس والي المدينة، من هذا الوضع، واضطر إلى إخراج الجزولي منها، وقيل أن الجزولي سأل ربه، أن ينزل غضبه على المدينة، فاحتلها البرتغال. وظلت تحت أيديهم أربعين سنة.

---

[1]– د. عبد المنعم حنفي، الموسوعة الصوفية، المرجع السابق، ص 293

[2]– أخذ عبد الله آمغار عن سعيد الهرتناني عن أبي زيد عبد الرحمن الرجراجي عن أبي الفضل الهندي عن أحمد عنوس البدوي عن أحمد القرافي عن أبي عبد الله محمد المغربي عن أبي الحسن الشاذل . الشفشاوني محمد بن عسكر الحسني، دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العشر، تح، محمد حجي، دار المغرب، ت، ت، ن، الرباط، المغرب، 1397هـ/1977م، ص3 ، 4

[3]– الإستقصا ،المرجع السابق، ص 7

[4]– جامع كرامات الأولياء، المرجع السابق، ج1، ص276،277

وتذهب بعض الروايات إلى أن والي المدينة دس السّم للجزولي قبل رحيله. لأنه رأى فيه المهدي الفاطمي المنتظر[1] وتوفي الجزولي في أفوغال. وهو قائم بالصلاة في يوم الأربعاء من ذي القعدة عام 869 هـ أو 16 ربيع الأول عام 870هـ في رواية أخرى[2]. حتى بعد وفاته استمر بمد طريقته بالرجال والانتشار مرة بعد ذلك.

ب- أثار الجزولي

لقد خصته كثير من كتب التراجم، وذكرت مؤلفاته والشروحات عليها خاصة، كتاب دلائل الخيرات كطبقات المالكية[3]، ونيل الابتهاج، ودرة الحجال، وغيرها، وقد وصفته بالعلم، والتقوى وشرف النسبة[4].

إلى جانب ذلك اطلاعه الواسع، ومعرفته بأشهر الطرق الصوفية ومذاهبها، كما أنه يجمع إلى هذا الفقه. حيث ذكرت المصادر أنه كان يحفظ مدونة والمختصر الفرعي لابن حاجب وبذلك يكون قد جمع بين علم الظاهر والباطن[5]. وعنه أخذ خلائق لا يحصون كثرة وقد انتفعوا به، وبلغ عدد مريديه اثني عشرة ألف[6] أو 13000 وقيل أنه مات عن 2665 مريد وقد تخرج على يديه في رواية أخرى 12665 مريدا، منهم الشيخ زروق[7]، وأحمد بن عمر الحارثي المكناسي، والشيخ عبد العزيز التباع، وأبو عبد الله الصغير السهلي، وهؤلاء الثلاثة، اخذ عنهم الولي المشهور، العارف بالله القطب أبو عبد الله محمد بن عيسى المكناسي المتوفي سنة 933هـ، وكذلك من حمل لواء الجهاد بعده، وانتصر به مدة عشرين سنة، عمر بن سليمان الشيظيمي ويعرف بالسياف[8]، ويقال أنه ادعى بدعاوى خرج بها عما كان عليه أستاذه الجزولي.

---

[1]– دائرة المعارف الإسلامية، ن ع، المجلد السادس، ص 447

[2]– محمد بن محمد مخلوف، المرجع السابق، ص 264

[3]– بن سيدي محمد مصطفى عبد المغيث، التعريف الشمولي بالإمام الجزولي، مكتبة الأحباب ط1 ، سنة 2002، ص5

[4]– أشارت بعض الكتب إلى بدعته فيما ادعاه المهدوية إلى جانب اجتماعه بالخضر وموسى عليه السلام، وغير ذلك مثل ما جاء في: تاريخ المغرب تحيين وتركيب، المرجع السابق، ص348

[5]– محمد بن محمد مخلوف المرجع السابق ، ص 264

[6] - André , Julien Charles, histoire De L'afrique Du Nord, Des Origines A 1830 -1951-1969-1994, E, P, R, 106 Et Germain Paris. P565

[7]– هو أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى ، أبو العباس زروق الفاسي (846هـ/899هـ) ،قواعد التصوف، المرجع السابق، ص8

[8]– هو عمرو بن سليمان الشيظمي المغيطي المعروف بالسياف أو المريدي قتل عام 890هـ/1485م، كان من تلامذة سيدي محمد بن سليمان الجزولي صاحب (دلائل الخيرات)، وعند موت الشيخ عام 870هـ /1465م، ثار السياف بدعوى الانتقام ممن سمم الشيخ من

ج– مصنفات الجزولي

إذا كان أتباع الجزولي ومريديه من الكثرة بمكان فإن ذلك جاء نتيجة الأثر الذي خلفه الجزولي لا من حيث التأليف فحسب، بل حتى من حيث التنظيم، للطريقة والانتشار الواسع الذي عرفته حتى أن الشاذلية تحولت إلى جزولية، وسيأتي الحديث عن أسباب ذلك، وأشهر المؤلفات التي انتشرت، كان لها القبول

ويواظب على قراءته أهل المغرب خاصة كتابه "دلائل الخيرات وشوارق الأنوار في ذكر الصلاة على النبي المختار ", وهذا نابع من أصل المبادئ الثلاثة وهي: ثقة وطيدة كاملة بالله تعالى، والاعتقاد في الأولياء وإجلال النبي محمد عليه السلام[1] وحبه له، ولذلك كانوا يؤلفون في كيفية الصلاة عليه، فكتاب" دلائل الخيرات " لا زال يطبع بنسخ مختلفة إلى اليوم؛.قد وجدت له ترجمات بلغات عديدة كالفرنسية والانجليزية.

فدلائل الخيرات؛ هو مجموعة صلوات على النبي صلى الله عليه وسلم مع وصف لضريحه وذكر أسمائه وغير ذلك. وكان تصنيفه بفاس، مستعينا كما ذكرت سابقا بمكتبة الفردوس[2] وما فيها من ذخائر، وبانضمامه إلى الطريقة الشاذلية العبادية أخذ يجانب بها إلى الدعوة بالجهاد لإصلاح الداخل، ومجابهة العدو الأجنبي بالسيف والقلم، ولذلك ذكرت له مصنفات عديدة؛ كحزب الفلاح، وحزب الجزولي، ويعرف كذلك بحزب "سبحان الدائم الذي لا يزول ". كتبه بالعامية، ولدلائل الخيرات شروحا كثيرة منها الأنوار اللامعة للعربي محمد الفاسي، ومطالع المسرات للعربي بن محمد المهدي القصري الفاسي بن أحمد بن يوسف (ت1653/1063م)، وكذلك المنح الإلهية لسليمان بن عمر العجيلي الجمل (ت 1204/ 1789م)، والمباحث الأصلية في مجلدين لابن الموفق علم الدين محمد بن أحمد اللورقي

=الفقهاء فتبعهم حتى قتلهم، ودعا لنفسه، وسمى أصحابه المريدين (وهي أحق أن تكون بفتح الميم) (حسب الإمام زروق)، وسمي مخالفيه الجاحدين، وربما ادعى النبوة. وأخرج جثمان الجزولي وصار يقدمه في حروبه داخل تابوت، واستمرت فتنة عشرين سنة، قيل قتلته زوجته التي هي بنت الشيخ الجزولي لزندقته. الإستقصا لتاريخ المغرب الأقصى، المرجع السابق، ج2، ص 161

[1]– آدم متز، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، تع، محمد عبد الهادي أبو ريدة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط1، ج1، 1981، ص315

[2]– اختلف في تصنيفه؛ أكان بين رحلتيه أم قبل ذلك،كما اختلف في نسبه وحتى في وفاته وسببها ، وتتضارب الآراء حول الجزولي ويلف الغموض أحيانا حتى بعد إخراجه من التابوت، ولم يتغير منه شيء، وقد غطى على هذا الغموض أثر الطريقة الجزولية على المغرب الإسلامي خاصة والمغرب الأقصى على وجه الخصوص، معلمة التصوف، ج2، المرجع السابق، ص 84

المرسي[1]، وأيضا تحفه الأخيار ومعونة الإبرار، وشرح لمحمد الفاضل الدهلوي، وشرح محمد بن سعيد الأريحاوي (1745/1158)، وخرج احمد بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر الساوساري الحسني وشرح محمد بن سليمان الرحاوي، وأحمد بن أحمد السجاعي (1190هـ/1777 هـ)، وكذلك شرح الحسن العدوي الحمزاوي، ثم هناك شرح بعنوان تفريج الكرب المهمة لعبد المعطي بن سالم السملاوي (1110هـ/1698م[2])، وكل هذه الشروح فهي فيض من غيض. وهذا ما قيده صاحب معلمة التصوف، كما أن" لدلائل الخيرات" أحاديث قام بعضهم بتخريجها، ومنها تخريج الأحاديث لأبي راس محمد بن أحمد معسكري[3]. أما المؤلفات الأخرى فسأذكرها على حسب ما جاء في معلمة التصوف.

-العجالة في القراءات.

-حزب الفلاح و الذي اختلف بشأنه أيضا هل هو حزب سبحان الدائم أم هو مستقل عنه ؟(8 كراريس) (عام 1241هـ/1825هـ) خزانة العامة 1760د، (56 ورقة)الإعلام للمراكشي، ج7، ص272، طبعة الرباط، نسخة جدار الكتب بتونس، ص 9، سطر9 إلى 11.

-عقيدة خزانة الكتب 7245.

-حزب الإبريز، دار الكتب بتونس ق 20 س 11إلى 13.

-اللطيفة الربانية دار الكتب ق13. س5-127.

-النصح التام لمن قام إلى الله ثم استقام.

-رسالة في التصوف خزانة العامة 1960د(م=322-357) ذكرت في السيل بهامش الديباج ص 317 غير أن كتاب الدلائل هو الذي غلب على سائر المؤلفات الأخرى لكثرة تداوله وخاصة انه يتناول نبينا الكريم صلى الله عليه و سلم بالتعظيم.

ثم أنه للسبب يعلمه الله كتب لهذا المؤلف سعة الانتشار والتداول، وهذا ما يلمسه كل دارس لهذا المؤلف. فالطبعات تتولى، ونفاذها مستمر. وكذلك الامتداد للطريقة الجزولية وزواياها في المغرب الأقصى وبالجزائر حاليا فبداية بزاوية أفوغال التي تقع على بعد 35 من الصويرة وتنسب إلى الجزولي فزاوية

[1]- معلمة التصوف، المرجع نفسه، ص54

[2]- معلمة، نفس المرجع، نفس الصفحة

[3]- نفسه، ص55

زداغة، وزاوية سيدي سعيد الحاحي شمالي تاوردانت قرب (أسيف نتامنت)، التي تعني بالبربرية (وادي العسل) وقد سماها الناصري في الإستقصا[1] زاوية عبد الله بن سعيد الحاحي والد يحي الذي استنجد به المولى زيدان لمحاربة أبي المحلي[2]، كما ظهرت نفس الحركة في تينمسلات القرية التي أسس فيها الشيخ سيدي عبد الرزاق الدرعي زاوية.

د- سند الطريقة الجزولية

تلقى الشيخ الجزولي الخرقة الصوفية على ورد الشاذلية[3]، ويعود سند الطريقة إلى أبو الحسن الشاذلي من الطريق الآتي: أبو الفضل الهندي، أحمد القرافي فأبو عبد الله المغربي فأبو الحسن الشاذلي، ومن مريدي عبد الرحمن الرجراجي (الركراكي) أبو سعيد عثمان الهرتناني (الحرتناني)، فمحمد أمغار الشيخ المباشر للشيخ محمد بن سليمان الجزولي[4].

هـ- أوراد الطريقة الجزولية

يردد أتباع الطريقة الجزولية البسملة أربعة عشر ألف مرة، و" دلائل الخيرات" مرتين في اليوم، ويتلون في الليل دلائل الخيرات مرة واحدة هي والربع الأخير من القرآن الكريم.

لقد أجاد الشيخ الجزولي في مؤلفه دلائل الخيرات، وهذا سبب مواظبة أهل المغرب على قراءته من جهة والتحول الذي عرفته الشاذلية إلى جزولية بفضل التنظيم والترتيب، والتقييم للذكر في خلال أيام الأسبوع.

---

[1]- الإستقصا، المرجع السابق ج3، ص 111

[2]- استطاع أن ينتصر على المخزن السعدي في أول لقاء عسكري بسجلماسة في ربيع 1611م . إن انتصاره على الحاج الميرفي في أول معركة حدث حاسم في معركته لأنه تم في بلدة نشأته . قدوري عبد المجيد، ابن أبي المحلى الثائر ورحلته الأصليت الخريت، منشورات عكاظ، المغرب، دت، ص65

[3]- بيل ألفرد ، المرجع السابق ، ص 421

[4]- محمد حجي، المرجع السابق، ص 43

ويبدأ على النحو التالي بعد ذكر صفة الروضة النبوية:

دعاء بدء دلائل الخيرات[1]، يلي ذلك ذكر لأسماء الله الحسنى ثم نية وذكر للمصطفى صلى الله عليه وسلم وابتهال، بعد ذلك تقرأ أسماء سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم، وهي كما جاءت في دلائل الخيرات[2] مائتان وواحد ويصلي عليه مع كل اسم بان يقول محمد صلى الله عليه وسلم، أو اللهم صل وسلم على من اسمه محمد صلى الله عليه وسلم، اللهم صل وسلم على من اسمه احمد صلى الله عليه وسلم. وقد جاء بعد ذلك بيان في فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، وكيفية الصلاة عليه. يبدأ هذا ثم يتلي الحزب الأول يوم الاثنين، وكل ذكر وتعظيم، وتمجيد للنبي محمد صلي الله عليه وسلم، وعلى آله وذريته و أزواجه، وبعد إتمام الصلاة على النبي تدعو بدعاء يتضمن اللزوم والأتباع.

ويبدأ الحزب الثاني يوم الثلاثاء بعده. بعد إنجاز الربع الأول يأتي الربع الثاني، والحزب الثالث في يوم الأربعاء وبعد إنجاز الثلث الأول يبدأ الثلث الثاني، ثم الحزب الرابع يوم الخميس."

وبقراءة الحزب الرابع يكمل النصف الأول ويليه ابتداء الربع الثالث، يقرأ الحزب الخامس في يوم الجمعة والحزب السادس يوم السبت، وبذلك يتم الثلث الثاني ويليه الثلث الثالث، وبهذا يكون المريد قد أتم الربع الثالث. ويبدأ مباشرة في الربع الرابع. أما الحزب السابع يكون يوم الأحد، والثامن يكون يوم الاثنين يليه دعاء عقب ختم دلائل الخيرات وصلوات الصفا[3]، ثم صلوات خاتمة. وبعض طبعات دلائل الخيرات بها قصيدة البردة التي أيضا في النبي محمد صلي الله عليه وسلم التي ألفها البوصيري[4] التي تبدأ بالصلاة والسلام على الرسول محمد صلى الله عليه وسلم والبيت الأول كل فصل من القصيدة هذا مطلعها

مولاي صل وسلم دائما أبدا " " على حبيبك خير الخلق كلهم

---

[1]– الجزولي محمد بن سليمان، دلائل الخيرات وشوارق الأنوار في ذكر الصلاة على النبي المختار، نشر، دار الهدى، ط، ن، ت، د ت، ص 6

[2]– الجزولي محمد بن سليمان، نفس المرجع، ص 12

[3]– اللهم صلي وسلم على سيدنا محمد طب القلوب ودوائها وعافية الأبدان وشفائها ونور الأبصار وضيائها وعلى آله وصحبه وسلم. الجزولي محمد بن سليمان، المرجع السابق، ص 109

[4]– صاحب البردة المشهورة، والتي ألفها في مدح النبي صلى الله عليه وسلم.

وتتكون من عشرة فصول وآخر بيتين في الفصل العاشر هما:

وأذن ليسحب صلاة منك دائمة " " على الـــــنبي بمنـــهل ومنسجـم

والآل والصحب ثـــم التابعين لهم " " أهـــل التقى والنقى والمجـــد والكرم

وما أضيف من أبيات وهي إحدى عشر بياتا فهي من وضع المتأخرين[1]، وهي عبارة عن طلب الدعاء والاستعطاف. وبهذه القراءة لدلائل الخيرات يتم لأتباع الطريقة وردهم ويعتبر دلائل الخيرات كتاب آية من آيات الله في الصلاة على النبي، ولذلك يلقى قبولا من كل المسلمين فضلا عن أهل الطريق وبخاصة مريدو الطريقة الجزولية.

ز- الطريقة بعد الجزولي

بعد أن مات الجزولي كما ذكر مسموما. صمم أحد أتباعه، وهو عمر بن سليمان الشظيمي الذي عرف بعد ذلك بالسياف، ووضع جثمان الجزولي في تابوت، وحفظه في رباط يضاء حوله في الليل بشمعه في طول القامة في إناء مملوء بالزيت، وكان يحمله، في حروبه التي دامت عشرون سنة معتقدا ببركته، أو أنه كان يثير الحمية في معاركه.

لما توفي عمرو بن سليمان الشظيمي عام 890هـ دفن الجزولي، وبعد ذلك بسبعة وسبعين سنة أخرج السلطان أبو العباس أحمد الملقب بالأعرج بعد دخوله مراكش رفات الجزولي من مقبرته، هي وبقايا[2]والد السلطان الذي كان مدفونا إلى جواره، ربما كان هذا العمل الذي قام به السلطان لأغراض دينية أو سياسية، حيث أخذ معه التابوتين إلى مراكش، ودفن الجثتين هناك، ويمكن أن يكون ما قام به السياف بداعي الشهرة أو السيطرة، أو بداعي الولاء، وشواهد التصوف في الولاء تجل عن الإحصاء، وما وعى التاريخ كثير. إذ أن طاعة الشيخ في الحياة طاعة مطلقة وهي كذلك بعد الممات من الوفاء والإحسان الذي هو عماد الصوفية، كرد للفضل إما بالتقدير أو إظهار الولاء.

---

[1]- الجزولي، نفس المرجع، ص 124

[2]- لما نقل تابوت الجزولي الذي كان به من السوس إلى مراكش تم فتحه ، و بعد سبعة و سبعين سنة وجد لم يتغير منه شيء!. الشيخ محمد بن محمد مخلوف ،المرجع السابق ، ص 264. دائرة المعارف الإسلامية، ن ع، مج6، ص 446 وما بعدها.

لم يكن امتداد الطريقة الجزولية على الشكل الذي قام به السياف في حركته، ولا يمكن أن نعد هذا في باب استمرار الطريقة، وتعتبر تلك الفترة مرحلة اضطرابات ضمن السياق السياسي العام الذي كانت تمر به الأقاليم المغربية، غير أن استتباب الأمور جاء إثر انتهاء ثورة السياف، حيث استقامت الأمور وتجلى ذلك بوضوح للطريقة الجزولية بعد تأسيس الزاوية الفرعية لها.

ومن فروع الجزولية التباعية؛ المنسوبة لتلميذه أبي الأمداد سيدي عبد العزيز بن عبد الحق التباع، دفين مراكش، والسهلية المنسوبة إلى محمد السهلي دفين قبيلة الحياينة حوالي فاس، والطريقة العيساوية المنسوبة إلى محمد بن عيسى دفين مكناسة الزيتون.

4-الشاذلية الزروقية

أ-الشيخ أحمد زروق

تنسب الطريقة إلى الشيخ أحمد زروق البرنسي[1]، من قبيلة بربرية تعيش في منطقة ما بين فاس وتازا[2] سنة 846هـ، مات أبوه وهو رضيع. فنشأ يتيما، وتولى جده لأمه تربيته، وكانت أمه تُعرف بالزهد والتقوى والصلاح[3]. أما عن تسميته زروق فهو لقب لجده الذي اشتهرت العائلة به فيما بعد؛ وقيل أنها كانت بعينه زرقة. لقد جمع في صغره بين التعلم في الكتاب وحرفة الخرازة، ونسبة هذه الحرف كثيرا ما التصقت بالعلماء وأصبحت علما لهم. وظل الشيخ زروق على تلك الحال إلى أن بلغ السادسة عشر من عمره حيث يقول: ثم بلغني الله بعد بلوغي سادس عشر إلى القراءة فقرأت الرسالة على الشيخين علي السطي وعبد الله الفخار قراءة بحث وتحقيق، والقرآن على جماعة منهم القوري والزرهوني، وكان رجلاً صالحاً، والمجاصي والأستاذ الصغير بحرف نافع، واشتغلت بالتصوف والتوحيد فأخذت "الرسالة القدسية"

---

[1]- هو أبو الفضل شهاب الدين أبو العباس أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي الفاسي، ولد مطلع الشمس من يوم الخميس الثاني والعشرين من محرم سنة 846هـ (7 يونيه/جوان 1442م). خشيم علي فهمي، أحمد زروق والزروقية، دار المداد الإسلامي، ط3، أيلول / سبتمبر /الفاتح 2002 إفرنجي، ص27

[2]- قال عنها القلصادي : هي منطقة موحشة لا تخلو من قطاع الطريق البتة، وهم بها أشد خلق الله ضررا، وأكثرهم جراءة، وأقلهم حياء ومروءة، لا يستقلون القليل، ولا يعفون عن ابن السبيل، ليس في أصناف القطاع أخس منهم هممًا، ولا أوضع منهم نفوسا، ولا أكثر منهم إقداما على كل صالح وطالح، لا ينبغي لكل مسلم أن يغرر بلقائهم. البلنسي محمد العبدري، الرحلة المغربية، تق، سعد بوفلاقة، منشورات بونة للبحوث والدراسات، بونة، الجزائر، ط1، 1428هـ /أيلول –سبتمبر 2007م، ص212

[3]- بلقاضي هشام، معجم علماء الدين و الإصلاح في الوطن العربي، دار سحنون للنشر والتوزيع ، الجزائر، دت، ص14

و"عقائد" الطوسي على الشيخ عبد الرحمان المجدولي وبعض التنوير على القوري وسمعت عليه البخاري كثيراً وصحبت جماعة من المباركين لا تحصى كثيرة بين فقيه وفقير. وهناك كثير من المشايخ الذين أخذ عنهم في المغرب وتونس ومصر منهم: السنهوري، والحافظين الدميري، والسخاوي، والرصاع، والشيخ أحمد بن عقبي الحضرمي، والشيخ شهاب الأفطيشي.

ب- رحلة الشيخ زروق إلى الحجاز

رحل الشيخ زروق إلى الحجاز، ويمم مصر، وصاحب الشيخ أبي العباس الحضرمي، وأخذ عنه الطريقة، وبقي بمصر ينهل من معارف العلماء هناك، وبخاصة في علم اللغة وأصول الفقه. اشتهر الشيخ زروق وذاع صيته، وأصبح يدّرس في جامع الأزهر، وعُد مرجعا على المذهب المالكي. وقد استغرقت رحلته هذه سبع سنين كاملة، حج خلالها وكان يتردد في ذلك على مصر، ولما رجع إلى المغرب كان يحمل معه مشروعا إصلاحيا اتبع فيه منهج شيخه ابن عباد في إشراك السلطة، والشيخ الجزولي في تقريب الوجهة؛ معلنا تأييده لحكم الجوطي في كتابه " النصيحة الكافية لمن خصه الله بالعافية[1]. غير أن الشيخ زروق في حقيقة الأمر أنه لم يكن مرحبا به في المغرب لأسباب قد تكون نفاسة من الفقهاء وهو الغالب في هذه الفترة نظرا لشدة الصراع بينهم وبين الصوفية، حيث أن ما قوبل به الشيخ من الصعاب اضطره إلى الهجرة من مسقط رأسه (فاس)، والعيش في مكان أخر؛ وهذا الانتقال لم يمنعه من اجتذاب عدد الأتباع الذين نشروا طريقته فيما بعد وحفظوا أصولها ضمن طرقهم الخاصة[2].

لقد استطاع الشيخ زروق إدماج الطريقتين العبادية والجزولية من خلال مؤلفاته في قالب الزروقية من خلال تقريب أتباع الجزولية وما قام به من اتصالات خففت من غلو المغيطي خليفة الجزولي، حيث شروط التوبة عند أتباع الجزولي مبنية على التخويف، والترهيب من الجحيم، وكذا الزهد الذي عرفت به العبادية، حيث وضعت حاجزا يرى فيه الفقهاء ضربا من تعذيب النفس. وكان كتاب " قواعد التصوف "

---

[1]- غريب هذا التركيب الذي نجده في كتاب " تاريخ المغرب تحيين وتركيب "ص352 . ومن يقرأ الكتاب لا يجد فيه إشارة واحدة دلت على ذلك والغريب أنه ألفه في مصر قبل قدومه، والأغرب من ذلك أن تجد في ذات الصفحة أنه استدرك هذا – نتيجة نفور الوطاسيين الذين أخذوا الحكم من الجوطي بعد تعارك وتهالك – بكتاب " قواعد التصوف " وكلاهما بالاستدلال أو الخبر لا يصح، وكل من تعرض للشيخ زروق لا يذكر هذا الاستنتاج سواء المهدي الفاسي في " تحفة أهل الصديقة بأسانيد الطائفة الجزولية والزروقية " أو خشيم علي فهمي الذي خصه بكتاب " أحمد زروق و الزروقية " وقد يصلح في هذا الكتاب بعض ما تم تحيينه وتركيبه إلا في حالة الشيخ زروق ؟

[2]- خشيم علي فهمي، المرجع السابق، ص167

يوضح مذهبه وأن لكل شيخ تصوف دار حوله، وبيّن اتصاله بالشريعة. كما أن قصة المهدوية والدجال التي جعلت من القرن الخامس عشر نهاية للدنيا وقيام الساعة، وما ثار حولها. تصدى لها الشيخ زروق في كتابه وبين أن التوبة في عدة المريد الصادق[1]، كما أشفق على من خاف الوعيد وألف في التوبة كتابا سماه " إعانة المتوجه المسكين على طريق الفتح والتمكين "، وبذلك لعب دورا توفيقيا وأعاد للشاذلية مكانتها لترتسم بذلك القاعدة الدينية التي يرتكز عليها المغرب ككل؛ باعتبار الشاذلية مرجعية في التصوف.

ج- مكانته العلمية والصوفية

يعتبر الشيخ زروق من أهم المراجع المالكية في تلك الفترة، وذلك من خلال ما تركه من مصنفات على المذهب المالكي مثل شرح الرسالة للقيرواني، والتصوف مثل شرح الحكم العطائية، وبذلك يعتبر الشيخ أحمد زروق أحد أولائك الذين حاولوا الجمع بين الشريعة والحقيقة؛ أي الإصلاح بين الفقهاء والصوفية في حركة منه لتأسيس طريقة شاذلية زروقية تختلف عن العبادية التي كان ابن عباد بها يحمل على الفقهاء، والجزولي الذي اتسمت طريقته بما يرفضه الفقهاء من الأمور الغبية. وقد استطاع أن يعرف بالتصوف السني الخالي من البدع والخرافات ويعود به إلى أصوله الأولى من خلال مؤلفه: " قواعد التصوف " و " عدة المريد الصادق ". بالإضافة إلى مؤلفاته في الفقه كما ألف في التصوف.

د- مصنفاته

ترك الشيخ زروق مصنفات في الشريعة والتصوف منها:

-شرح الحقائق والرقائق لمحمد بن أحمد المقري في فاس المتوفي عام 751هـ/1357م

-شرح المباحث الأصلية في الطريقة الصوفية لابن البنا

-النصح الأنفع في البدع

-القصيدة في آداب النفس وشرح عليها كراسين وله شرح على قصيدة نونية لعبد الله بن علي الششتري[2].

---

[1]- هو عنوان لمؤلف الشيخ زروق.

[2]- له مصنف أخر بعنوان: عيوب النفس ودوائها، تحقيق وشرح، محمد الطيب إدريس حفيد الشيخ أحمد زروق، دار الكتب العلمية بيروت، ط1، 2010، كما أنه حقق وشرح كتاب أخر في الشرح على الشرح بعنوان: " الأنس في شرح عيوب النفس " لمحمد بن علي الخروبي 880 – 963هـ ، شرح فيه رجز عيوب النفس للشيخ أحمد زروق . دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2011م

-النصيحة الكافية لمن خصه الله بالعافية شرحها محمد بن عبد الرحمن بن زكري 1144هـ/1773م[1]

- قواعد الطريقة في الجمع بين الشريعة والحقيقة

- شرح الحزب الكبير للشاذلي[2]

- تفسير القرآن

- شرح رسالة أبي زيد القيرواني

- ستة وثلاثون شرحا على الحكم العطائية

- ثلاث شروح على متن القرطبية

- العقائد الخمس

- شرح كتاب صدور الترتيب

- شرح أسماء الله الحسنى؛ المسمى المقصد الأسمى[3]

وقد عاصر الشيخ ثلة من العلماء منهم من صحبه، وكانت تجمعهم مودة كبيرة مثل الشيخ عبد الواحد الدكالي، وترك تلاميذ أصبحوا من العلماء الذين بدورهم خلفوا تلاميذ، ومؤلفات منهم شمس الدين اللقاني وأخيه ناصر الدين اللقاني، والحطاب الكبير، والخروبي الصغير، وإبراهيم الزرهوني، وعبد العزيز القسنطيني، وغيرهم ممن تتلمذوا عليه في العلم والتصوف .

هـ- سند الطريقة الزروقية

تعتبر السلسلة في الطرق الصوفية بمثابة السند عند أصحاب الحديث، فكما يتصل رواة الحديث بالسند إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، فكذلك مشايخ الطرق الصوفية، ولكن هناك نوعين من السند؛ السند الطيني والسند الروحي، كما أن هناك حالات أين تتصل الطريقة الواحدة من جهتين في سندها؛ حيث نجد مؤسس الطريقة ما يكون ضمن سلسلة تلك الطريقة، ومن جهة أخرى وجود شيخ طريقة مختلفة ضمن رجال الطريقة الفرعية الأولى، كما هو الحال بالنسبة للطريقة الزروقية. ففي طريقة الشيخ زروق

---

[1]- مختصر بعنوان : " النصيحة الكافية " ضبط نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه، قيس بن محمد آل الشيخ مبارك، مكتبة الظلال، الأحساء، مكتبة الشافعي، الرياض، السعودية، ط1، 1414هـ / 1993م.

[2]- معلمة التصوف، ج2، المرجع السابق، ص 89

[3]- بلقاضي هشام، المرجع السابق، ص22

السلسلة الأولى تدعى (طريقة الإرادة) تصل الشاذلي بابن مشيش حتى الحسن بن علي بن أبي طالب بدون عبد القادر الجيلاني، وتسمى الأخرى طريق التبرك تصل الشاذلي بالحسين بن علي بن أبي طالب مارة بابن مشيش، الزيات، أبي مدين فعبد القادر الجيلاني. وكما أن الشاذلي مسندا من طريق الإرادة والتبرك، فقد جاء سند زروق على سبيلين؛ طريق الأقطاب؛ وهو ما يساوي طريق الإرادة ثم طريق الخرقة، وهو ما يعادل طريق التبرك[1].

فقد نجد هذه الثنائية عنده أثرت في تعامله للتوفيق بين الطريقة الشاذلية العبادية والطريقة الشاذلية الجزولية؛ ويخرج بطريقة خاصة به تحمل اسمه تكون محل قبول الفقهاء والصوفية على حد سواء، بل جعل الفقهاء يقبلون على التصوف، وهو ما شكل الحلقة الأخيرة في الطرق الصوفية التي أعادت مسار هذه الطرق إلى وضعها الصحيح. وقد تفرعت عن الطريقة الشاذلية الزروقية عدة طرق في كل من المغرب والجزائر وتونس وليبيا ومصر.

لا يمكن لهذا العمل الذي قام به الشيخ زروق سواء في المغرب أو بجاية والجزائر العاصمة، وتونس ومصر، وليبيا على الخصوص، إلا أن يترك أمرين؛ أولهما التوفيق بين فرعي الشاذلية، وثانيهما تلامذة حملوا الوظيفة[2] التي بموجبها أصبحوا أتباعا للطريقة الزروقية، وأسسوا زوايا في مناطقهم التي جعلت من الطريقة الشاذلية الزروقية تحظى بالقدر كبير من الاهتمام، وقدر قليل من النقد من طرف الفقهاء المغالين في نبذ كل ما له علاقة بالتصوف. ويمكن أن نفهم التواصل الصوفي من خلال عمل الشيخ المؤسس للطريقة؛ فقد بقي الشيخ زروق على تواصل بين مريديه، وتلامذته في المناطق البعيدة عن مقر تواجده، وذلك من خلال الرسائل التي كان يوجهها إليهم بالنصح والإرشاد، كما أن مريدوه كانوا يبعثون له بالرسائل يطلبون إذنه في انخراط من يودون الدخول في سلك الزروقية، وكان يجيبهم مؤكدا أن طريقته تتبع الكتاب والسنة.

لقد نقل خشيم علي فهمي ملاحظة (ديبون وكبولاني) حول عدم انتشار الزروقية مقارنة بالطرق الأخرى مؤيدا رأيه في ذلك، من كون الأفكار السامية وعلم الشيخ زروق حال دون انخراط العامة في ذلك؛ بسبب ميول هؤلاء لكل ما له علاقة بالشعوذة، والخرافة وتعظيم الخوارق وحب الكرامات.

---

[1]– خشيم علي فهمي، المرجع السابق، ص160

[2]– من لقنهم الوظيفة وتعرف بالوظيفة الزروقية ينظر: الملحق رقم 2

والحقيقة هذا رأي يجانب الصواب، وفيه استشراق واضح من جهة كبولاني، وانتماء حشيم علي فهمي أو تأثير التيار السلفي فيه من جهة أخرى. فالشيخ زروق كباقي المشايخ المقتدرين العالمين العاملين، وآثارهم تغني عن السؤال عنهم؛ وبتتبع مسار الطريقة الزروقية، نلمس الفرق بين انتشار الزروقية كما هي، وانتشارها على يد أتباعه ومنهم الأسمر، والراشدي، فهذين الشيخين فرقا بين العامة، والخاصة ونزلا بتعاليم زروق في أبسط صورها إلى ما يلائم عقولهم، وآثروا الخاصة بتعاليم شيخهم ليجمعوا بذلك بين القابل والمستقبل.

ولو نظرنا إلى حال التصوف في تلك الفترة، والفترة الاستعمارية اتضح لنا أن الاستعمار ساهم في تطوير تلك النظرة لخدمة مصالحه، لكن اصطدم بواقع الطرق التي رفعت راية الجهاد في وجهه بمعاول العامة وتحت قيادات الشيوخ والزعامات الدينية.

5-فروع الطريقة الزروقية وأماكنها

هناك فروع عديدة للطريقة الزروقية في أقطار المغرب العربي وحتى في مصر، وذلك دليل على رحلات الشيخ زروق، والأثر الذي تركه سواء علومه أو تصوفه. ففي مصر نجد الطريقة البكرية الزروقية التي أنشأها أبو الحسن البكري (ت909هـ/1503م) بعد أن أخذ العهد على زروق في مكة. استمرت في النمو، ولعبت دورا مهما في تاريخ مصر، وبخاصة عند الغزو الفرنسي لها. وحين أدخل نابليون بونابرت تغيراته الاجتماعية المعروفة على مصر[1] جعل البكرية على رأس الطوائف الصوفية هناك[2].

ومن فروع الزروقية الطريقة العيساوية التي أنشأها محمد بن عيسى المكناسي(ت930هـ/1525م)، وتتصل سلسلته بزروق عن طريق محمد الحارثي.

وتفرعت عن الزروقية الطريقة الراشدية التي أنشأها أحمد بن يوسف الملياني الراشدي (ت 931هـ/1526م) الذي لقنه زروق في بجاية وتنتشر هذه الطريقة بكل من المغرب والجزائر. ومن فروعها الطريقة الغازية التي أنشأها أبو الحسن قاسم (أو أبو القاسم) الغازي (ت932هـ/1527م) ويتصل الغازي بزروق عن طريق أبو سالم التازي فعلي الفيلالي، فأحمد الراشد فزروق، وتوجد هذه الطريقة

[1]- النخال منال سليم سالم، الشعر العربي في القرن التاسع عشر الميلادي / الثالث عشر هجري – أغراضه – ظواهره – اتجاهاته – قضاياه، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة، كلية الآداب، قسم اللغة العربية، 1434هـ / 2013م، ص21 وما بعدها

[2]- خشيم علي فهمي، المرجع السابق، ص176

بالجزائر والمغرب. كذلك من فروع الزروقية الطريقة السهلية التي تنتسب إلى محمد بن عبد الرحمن السهلي المتوفي 936هـ/1530م، والذي أخذ عن أحمد الراشدي عن زروق الفاسي. وتنسب الطريقة الشيخية التي أنشأها الشيخ عبد القادر بن محمد المتوفي عام 1022هـ/1615م، ويتصل بزروق عن طريق محمد السهلي فأحمد الراشدي، وتنتشر زواياها بالمغرب والجزائر خاصة. كما تعتبر الطريقة الزيانية فرع من فروع الزروقية والتي تنسب إلى منشئها محمد بن أبي عبد الرحمن بن أبي زيان (ت 1145هـ/1733م) وسلسلتها كالتالي: محمد بن المبارك، عبد العزيز السجلماسي، محمد بن ناصر الدرعي، عبد الله بن حسن، علي بن عبد الله، أحمد الدرعي، قاسم الغازي، أبو سالم التازي، أحمد الراشدي، أحمد زروق.

كما أن الطريقة الدرقاوية تنسب إلى الزروقية عن طريق السند التالي: العربي الدرقاوي، علي الجمل، العربي بن عبد الله، أحمد بن عبد الله، قاسم الخصاصي، عبد الرحمن الفاسي، أبو المحاسن الفاسي، عبد الرحمن المجذوب، علي الصنهاجي الدوار، إبراهيم الفحام (أو الحجام)، طاهر القسنطيني، أحمد زروق. وتنتشر هذه الطريقة بالمغرب والجزائر. ومن فروعها أيضا الطريقة المدينية أو الأحمدية، التي أنشأها محمد حسن ظافر المدني المتوفي عام 1263هـ/1846م، وتنتشر هذه الطريقة بكل من الجزائر، وليبيا، وتونس، ومصر، والمغرب، والحجاز.

ومن فروع الزروقية الطريقة اليشريطية، التي تنسب إلى نور الدين اليشرطي (ت 1309هـ/1891م)، وتتصل بالزروقية من طريق العربي الدرقاوي بسنده إلى زروق الفاسي، وتوجد بمسقط رأس اليشرطي بتونس، وكذلك بلبنان وجزيرة رودس. كما أن الطريقة السنوسية التي أنشأها محمد بن علي السنوسي المتوفي عام 1276هـ/1859م تتصل بالزروقية من خلال محمد بن محمد الناصري، محمد الناصري، جسوس، يوسف الناصري ، محمد البناني، أبو البركات الفاسي، أحمد بن عبد الله الصادق، أبو الحسن الكومي، عبد العزيز بن عبد الحليم، أبو الطيب اليحياوي ، الخياط الزرهوني ، إبراهيم الفحام ، أحمد الراشدي ، أحمد زروق. وتنتشر هذه الطريقة خاصة بليبيا، والجزائر، والمغرب، وتونس، كما أن لها امتداد إلى إفريقيا جنوب الصحراء.

أما الطريقة الناصرية فهي أهم فروع الطريقة الزروقية بالمغرب، والتي كان لها دور كبير اجتماعيا وسياسيا في ظل الدولة العلوية.

6-الطريقة الناصرية

أ-ظهور الطريقة

يقول صاحب طلعة المشتري: كان أول ابتداء أمر زاوية تامكروث (تمجروت) إلى الشيخ أبي إسحاق الأنصاري، المعروف بسيدي براهيم الحاج، كان قد قدم من المشرق، واستوطن بأرض درعة؛ قيل بإذن من النبي صلى الله عليه وسلم. واشتهر بسيدي براهيم الحاج. وقصده الناس واعتقدوه، وتبركوا به، ولما توفي توارث بنوه الزاوية من بعده وعقبه بها إلى كان ما كان. من جملتهم: سيدي أحمد بن براهيم أحد الشيخين المذكورين ، وأبو حفص عمرو بن أحمد الأنصاري. وأبو حفص هذا هو الذي انتشرت زاوية تامكروث عمرها الله بوقايع ذكره إلى يوم القيامة[1]. وفي هذا نرى التأصيل للزاوية من حيث النسب الطيني والروحي معا، غير أن تأسيس الزاوية كما جاء في طلعة المشتري كان في رمضان سنة 983هـ ويعتبر أبا حفص عمرو الأنصاري هو المؤسس الفعلي للزاوية الناصرية وهو من تنسب إليه الطريقة الناصرية.

ب- الزاوية الناصرية

تقع الزاوية الناصرية جنوب الأطلس الكبير وسط ما يزيد عن 300 قصر من قصور واد درعة بتمكثروت وهو موقع كان يشكل ملتقى القوافل التجارية المتجهة من تافيلالت إلى سوس[2]. وتمكثروت لفظة أمازيغية، مشتقة من أمكاورو أي الأخير، مقابل أمزوارو، أي الأول أو الرئيس. فهي تعني المتأخرة. يوجد تفسيران تحتفظ بهما كتب المؤرخين لهذه التسمية: الأول أن منطقة تمكثروت كانت آخر ما ملك المسلمون بدرعة، حيث يشير محمد المكي بن موسى الناصري، صاحب ((طلعة الدعة في تاريخ وادي درعة))، إلى أنها كانت آخر معقل اعتنق سكانه الإسلام -في وادي درعة- أثناء الفتوحات الإسلامية الأولى لبلاد المغرب. التفسير الثاني هو أن زواية تمكثروت كانت آخر ما أسس بنيانه وعمر بالمقارنة مع تاريخ تأسيس وعمارة جارتها "زاوية سيد الناس" التي تعتبر أقدم زاوية بمنطقة تمكثروت. وعلى كل حال فقد قامت الزاوية الناصرية الزروقية بدور على المستوى التعليمي والاجتماعي والسياسي، مما جعلها تحتل

---

[1]- الجعفري أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، طلعة المشتري في النسب الجعفري، ج1، دت، ص 129

[2]- الناصري محمد بن عبد السلام بن عبد الله، المزايا فيما أحدث من بدع بأم الزوايا، در، تح، عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، ط1، 1424هـ / 2003م، ص32

مكانة مميزة سواء عند العامة من الناس أو السلطة المغربية كما قال عنها الزياني بأنها أحسن زاوية، وطوائفها أحسن الطوائف.

وتعتبر تلك الفترة التي تباينت فيها الزوايا من خلال الأدوار التي لعبتها كزاوية عبد القادر الفاسي وزاوية دلاء التي سيأتي الحديث عنها وزاوية ناصر، فقد اضطلعت هذه الزوايا بالدور التعليمي المتطور وبحق أصبحت مؤسسات تعليمية رائدة في ظل التضعضع الذي عرفه المغرب في ظل الحكم العلوي.

ب–دور التعليمي للزاوية الناصرية

اعتمدت الزاوية الناصرية على تأدية دورها التعليمي على مداخيلها من ممتلكاتها بالإضافة إلى التبرعات التي تأتيها من الزيارات وأحباب الطريقة. فكانت تأوي ما يناهز 2500 نسمة أغلبهم كان من العلماء والطلبة. كانوا يعيشون من الهدايا، والزيارات التي كان المؤمنون من البرابرة وغيرهم يقدمونها كل يوم[1]. وكان الطلبة يتلقون بالزاوية الناصرية علوم متعددة منها: تفسير القرآن، والحديث، والفقه، والأصول، واللغة. ومن الكتب التي كانت تدرس آنذاك: مختصر خليل، والمدخل لابن الحاج، وإحياء علوم الدين للغزالي، وصحيح البخاري، والشفا للقاضي عياض، والرسالة، وكافية ابن الحاجب، وصغرى السنوسي، والمفصل للزمخشري، وجمع الجوامع للسيوطي[2]. ومن خلال هذه المؤلفات يبدو لأول وهلة أنها صعبة ومعقدة، لكن علماء الزاوية كانوا يعمدون إلى تبسيط الأمور بل كانوا يدرسون الأهم فالأهم. لذلك كان الإقبال عليها دون غيرها من الزوايا وخاصة وأن الظروف العامة بالمغرب الأقصى في تلك الفترة اتسمت بالاضطرابات والثورات.

ج– أوراد الطريقة الناصرية

بما أن الطريقة الناصرية زروقية جزولية شاذلية فإنها أخذت بأوراد تلك الطرق وفصلت في ذلك، حتى أن العامي الذي لا يقرأ وضعت له أوراد يمكنه ترديدها، وينقسم الورد عندهم إلى ثلاث أذكار: استغفر الله مائة مرة، اللهم صلي على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم تسليما مائة مرة، لا إله إلا الله ألف مرة، وفي تمام المائة تزيد محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم. ووقته من صلاة الصبح إلى

[1]– الناصري محمد بن عبد السلام بن عبد الله، المرجع السابق، ص 33

[2]– نفس المرجع ، نفس الصفحة

طلوع الفجر الذي بعده[1]، كما يضيفون إليها ألفا بين المغرب والعشاء، ويختمون بدلائل الخيرات كل جمعة ثلاث مرات، ثم يبدؤونه يوم الثلاثاء، ويختمونه يوم الخميس. أما القرآن الكريم فيختمونه كل 12 يوما، يقرؤون كل يوم خمس أحزاب، وما فضل ذلك من الأوقات يذكرون فيه الهيللة[2]، والاستغفار والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم[3]. وبالجملة فإن الطريقة الناصرية اتسمت بما اتسمت به الطريقة الزروقية بالابتعاد عن كل ما يدنس التصوف السني الذي وضع قواعده الشيخ زروق، ولا تعتمد السبحة ولبس الخرقة كما هو الحال عند الدرقاويين.

7-الطريقة الناصرية والسلطة

كان موقف الزاوية الناصرية من الأحداث السياسية المرتبطة بالصراع على السلطة محايدا، ولم تتدخل في مناصرة أحد الملوك على أخيه، ولا جهاد ضد الغزو الإيبيري، ولا أي عمل من شأنه أن يضعها في مرمى النقد والانتقاد إلا هذا الموقف. فقد قدم الشيخ أبو علي اليوسي[4] تلميذ الزاوية مبررا لهذا التخلي والموقف، حتى لا تتهم الزاوية وشيوخها بالخيانة وغيرها. ومبرره: أن لا يقال أنهم يقاتلون من أجل السلطة فيتابعون كما توبعت الزوايا الأخرى التي جاهدت من أجل تحرير البلاد من يد المسيحيين، وبعدها قطعت أعناقهم وأحرقت أجسادهم مما رموا به باتهامهم طمعا في السلطة وتولية الأمر[5]، وعلاقاتها بالسلطة وفق بنود وضعها محمد بن ناصر وظلت سارية المفعول بعده وهي: توصية الملوك وتوجيهه لهم رسائل وعظية يذكرهم فيها بإحياء السنة، وتطبيق كتاب الله تعالى، والسير على نهج السلف الصالح، والأخذ بيد الأمة ومنع ولاتهم من تطاول أيديهم على الرعية بالجور والطغيان، ووجوب العمل بمشورة العلماء الأتقياء، وعدم الاغترار بالنسب الشريف.

واعتبار الدعاء للملوك على المنابر بدعة. وهذه النقطة الأخيرة لا تدعو إلى القلق؛ إذا نظرنا إليها بالتدقيق وتتبعنا خط سيرها من البداية. ففي بداية القرن السابع عشر، كانت الناصرية مقادة من قبل

---

[1]- الجعفري أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، المرجع السابق، ج1، ص180

[2]- وهي اسم الجلالة (الله) مفردا.

[3]- الناصري محمد بن عبد السلام بن عبد الله، المرجع السابق، ص 34

[4]- هو الحسن بن مسعود بن علي اليوسي أبو علي المالكي، توفى سنة 1102هـ . الفاسي ابن زاكور، نشر أزهار البستان فمن أجازني بالجزائر وتطوان من فضلاء وأكابر الأعيان، تح، مصطفى ضيف ومحفوظ بوكراع، المعرفة الدولية، ن، ت، الجزائر، 2011، ص 106

[5]- الناصري محمد بن عبد السلام بن عبد الله، المرجع السابق، ص38

صوفيين هما، عبد الله بن حسين القباب، وأحمد بن براهيم الأنصاري . ولم تبدأ في الانتشار إلا مع مجيء محمد بن ناصر حوالي سنة 1645م، ثم تقوت بشكل ملحوظ في عهد ابنه أحمد الخليفة المتوفي سنة 1717م.

منذ البداية تم التلاقي بين الطريقة والمخزن الشريفي العلوي، من خلال مناداتها بضرورة تطبيق الشرع؛ حيث أنه لا يجب اعتبار رفض محمد بن ناصر ذكر اسم السلطان المولى رشيد في صلوات الجمعة وكذلك رفض ابنه أحمد الخليفة ذكر اسم المولى إسماعيل من قبيل إنكار الشرعية السياسية الدينية، بل لأن الناصرية كانت ترى أن ذكر اسم السلطان على المنابر ليس من الشرع، ولا من نية في شيء. إن هاته التناقضات بين الطريقة والمخزن الشرفاوي حول مسائل تتعلق بالشرع لم تكن (بنيوية) بل مجرد تناقضات ظرفية، ستختفي ابتداء من سنة 1761م، واستمرت الناصرية كإيديولوجية مخزنية إلى حدود العقد الأول من القرن التاسع عشر[1].

في تلك الظروف الحرجة التي ظهرت فيها الفتن والانقسامات التي طبعت المغرب الأقصى وخصوصا في نهاية العهد السعدي وبداية العهد العلوي. فبعد موت المنصور لم تقم لمن خلفه شوكة، ولم ينعم براحة، حيث فتحت أبواب الفتن، واشتعلت النار التي كانت خامدة، فتسرت أطماع الملك بين أولاد المنصور، واتضح أن القسمة لا تقبل على ثلاثة، وظهر الدلائيون وبسطوا نفوذهم على الغرب، وفاس، ومكناس، وتادلة. وظهر أبا حسون السملالي، الملقب (بأبي دميعة) بسوس ودرعة، وسجلماسة، وسيطر المجاهد العياشي على سلا وضواحيها.

أما الشمال وما إليها استفرد بها الحضر غيلان، وظهر عبد الكريم الشباني بمراكش، وتطوان أحمد النقسيس، وبالجهة الشرقية في بني يزناسن وجوارها اليهودي بن مشعل[2]. هذه الانقسامات تدل على الفترة العصيبة التي مر بها المغرب الأقصى، ومن الغريب أن ترى الطريقة الناصرية عاصرت هذه الأحداث ولم تكن لديها يد في ذلك. فقد عاصر محمد بن ناصر شيخ الزاوية حكم المولى الشريف المتوفي سنة 1664م، وحكم الرشيد(1666-1672م)، والسنتين الأوليتين من حكم المولى إسماعيل (1672-1727م). بل أصبحت زاوية تامكروت – في ظل تلك الظروف – أهم زاوية في الجنوب بدون منازع،

[1] – ضريف محمد، مؤسسة الزوايا بالمغرب، منشورات المجلة المغربية لعلم الاجتماع السياسي، المغرب، ط1، 1992، ص40

[2] – تعتبر هذه المنطقة الحد البشري الفاصل بين المغرب والجزائر، لذلك فالكتابات التاريخية المغربية بشيء من الذاتية.

واستمرت في التطور حتى اكتسحت فروعاها في النصف الثاني من القرن التاسع عشر أربع عشر مدينة وهي: " الصويرة وأسفي، والجديدة، وآزمور، والدار البيضاء، والرباط، وسلا، والعرائش، وطنجة، وتطوان، وشفشاون، وفاس، ومكناس، ومراكش[1] ".

فطبيعة العلاقة بين السلطة والطريقة الناصرية اتسمت بالممانعة التي تستند إلى مبرر من جهة الزاوية، والصبر والتأني من طرف الملوك لاحتوائها. وفعلا مع مرور الوقت، والنزاع الذي أصبح السمة الغالبة على خلافة الزاوية، شكل منعطفا بموجبه أصبحت الناصرية خاضعة للسلطة. لكن الأوضاع كانت تزداد سوءا وخاصة الظروف الاقتصادية التي كانت تتجه بالمغرب نحو التعقيد، حتى حط الاستعمار رحاله وبسط الحماية على المغرب الأقصى.

8-انتشار الطريقة الناصرية

انتشرت الطريقة الناصرية بالمغرب وتوسعت في معظم مناطقه، وبسب مشربها الزروقي فقد انتشرت خارج المغرب، وطبقت شهرتها الآفاق، وصار وردها منتشرا قي الشرق والغرب، وتجاوز الحدود، ووصل إلى تلمسان، ووهران، وقسنطينة، وبسكرة، وتوزر، وقابس، وصفاقس، وقفصة، وطرابلس، وتاجوراء، والجبل الأخضر، ومسراتة، وبرقة، والإسكندرية، والقاهرة التي استأثرت بالنصيب الأوفر من الأتباع، وقد ذكر " مارسيل بودان " (300) فرع لها في مختلف المناطق[2]، وغيرها.

وفي كل هذه المدن، التي هي في الواقع محطات على طريق ركب الحج الناصري، تأسست فروع تابعة للزاوية الأم في تامكثروت (تمجروت). وقد أهلتها قوتها ومكانتها لأن تنظم، منذ عهد شيخها ومؤسسها الفعلي، محمد بن ناصر، ركبا للحجاج المغاربة الخاص بهم، غير الركب الرسمي الذي يسيره السلطان من فاس إلى الحجاز. بل إن أقوى سلاطين المغرب، المولى إسماعيل نفسه، أخذ الورد الناصري من الشيخ أحمد بن محمد بن ناصر الدرعي، الملقب بالخليفة، بمدينة مكناس سنة 1696، وحث حاشيته على أخذه، وأخذ المولى محمد بن عبد الله على الشيخ موسى، وكان المولى سليمان ناصريا.

---

[1] – الخمليشي عبد العزيز، الرباطات والزوايا في تاريخ المغرب، زاوية تمجروت والمخزن (1642–1914م)، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، المغرب، ط1، 1997، هامش ص123

[2] – الخمليشي عبد العزيز، المرجع السابق، نفس الصفحة

والتصقت الناصرية بعد ذلك بالمخزن وأصبحت منه وبه. فإن كانت الطريقة الناصرية انجذبت مع مرور الوقت إلى السلطة فإن الطريقة الدلائية اصطدمت بالسلطة منذ البداية ففي الأهمية الدينية والعلمية وما تبادلاه من رسائل ،وحتى التلاميذ كما حدث مع اليوسي فقد كانا كسهمي فرس غير أنهما في السياسة والعلاقة مع المخزن افترقا كفراق الرمية عن القوس.

9-الطريقة الدلائية

أ-الشيخ أبو بكر الدلائي

تنسب إلى الشيخ أبي بكر الدلائي الذي أخذ الطريقة الصوفية من شيخه أبي عمر القسطلي المراكشي، الذي أخذ عن الشيخ عبد الكريم الحاحي؛ المعروف (بالفلاح)، تلميذ الشيخ عبد العزيز بن عبد الحق التباع المراكشي، أشهر الآخذين عن الشيخ محمد بن سليمان الجزولي، وكما سبق بيان سند، أنه يمكن أن يكون من طريقين، وأحيان أكثر من ذلك مثلما هو الحال بالسبة لأبي بكر، حيث أخذ من ثلاث طرق تلتقي كلها عند التباع. فقد أخذ عن الشيخ أبي المحاسن يوسف الفاسي عن عبد الرحمن المجدوب المكناسي، عن أبي حفص الخطاب عن عبد العزيز التباع. هذا الطريق الأول، فأما الثاني؛ فقد أخذ محمد بن أبي بكر الدلائي عن عبد الله بن حسون السلاوي عن أبي محمد الهبطي عن عبد الله الغزواني عن عبد لعزيز التباع[1].

أما الثالث يتصل سنده الشاذلي من طريق الشيخ زروق. قد أخذ محمد بن أبي بكر الدلائي عن أبي المحاسن الفاسي عن عبد الرحمن المجذوب عن أبي الحسن الصنهاجي الملقب (بالدوار) عن الشيخ إبراهيم بن علي الحجام عن الشيخ زروق[2] .

ب-أوراد الطريقة الدلائية

إن الطريقة الدلائية جزولية زروقية شاذلية وبذلك في تدور في فلكهم، فإلى جانب دلائل الخيرات تختص بأوراد أضيفت من طرق أخرى كالتجانية، والذي عليه الطرق الصوفية هو تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم وحب آل بيته الأطهار وصحابته الأبرار، كما أنها وهي شاذلية تبدأ التوبة تأمر بها، وترك

[1]- حجي محمد، الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي، مطبعة الدار الجديدة، المغرب، ط1، 109هـ / 1988م، ص60

[2]- ينظر سند ذلك في الملحق رقم: 11

الذنوب وعدم العود إليها أما الوظيفة[1] فكانت: استغفر الله وسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، و بعدها الصلاة على النبي ، و هي : اللهم صل على سيدنا محمد عبدك و نبيك ورسولك، النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم تسليما (مائتي مرة). لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد وهو على كل شيء قدير. لا إله إلا الله الملك الحق المبين. سيدنا محمد رسول الله الصادق الأمين صلى الله عليه وسلم.

ج- أذكار الطريقة

أما الأذكار التي جعلها وردا لمريديه في اليوم و الليلة هي: استغفر الله العظيم (مائة مرة)، اللهم صل على سيدنا الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق والهادي إلى صراطك المستقيم، وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم (مائة مرة)[2]، لا إله إلا الله (مائة مرة) صباحا ومساءا. غير أن الشيخ أبا بكر الدلائي كان يردد في زاويته أدعية منها: اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد. اللهم اختم بالسعادة آجالنا واقرن بالعافية غدونا وآصالنا، واجعل جنتك مصيرنا ومآلنا، وتقبل بفضلك أعمالنا، واجبر برحمتك أحوالنا، واجعل في طاعتك أشغالنا. إلهنا قطرة من بحر جودك تكفينا، وغرفة من بحار إحسانك تغنينا. فها نحن آسارى الذنوب بين يديك واقفون، وعلى ما عودتنا من فضلك، وإحسانك معولون. اللهم احفظنا في ظاهرنا وباطننا، وعرّضنا لنفحاتك القدسية، ولا تكلنا للأصدقاء، ولا تسلمنا للأعداء، وكن بما كنت به لأحبائك وأصفيائك[3].

هذا الجانب الديني التعبدي تتميز به الطريقة الدلائية كما نجده عن باقي الطرق الصوفية ما الجانب الاجتماعي فهو العمود الأساس في شهرة أي زاوية ذات طريقة، ولولا ما تقدمه الزاوية في الجانب الاجتماعي ما قصدها الناس وعرفت بحال وخصوصا الفقراء والمعوزين من طالبي العلم أو من غيرهم قبل أن نتطرق إلى علاقتها بالمخزن وما حدث للطريقة الدلائية و لمقرها نرى جانبها الاجتماعي.

---

[1]- هو ما يختص به الشيخ عن غيره كالوظيفة الزروقية.

[2]- صلاة الفاتح لم أغلق تجانية، وربما أدخلت في الأوراد بآخرة، ولعل السبب تقارب الطريقتين في المنهج والقصد هو السنة، هذا من جهة ومن جهة أخرى العلاقة التي كانت بين شيوخ الطرق، وهي علاقة محبة. ومن ذلك طلب شيخ الطريقة الناصرية من أبي بكر الدلائي أن يسعفه بورد يشتغل به ففعل، وكثيرا ما نجد صلاة الفاتح لما أغلق في طرق صوفية عديدة كوجود دلائل الخيرات فيها أيضا.

[3]- حجي محمد، المرجع السابق، ص56

د–الدور الاجتماعي للزاوية الدلائية

كل زهد تتولد عنه محبة، كما قال صلى الله عليه وسلم: " ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما عند الناس يحبك الناس[1] "، وقد عبر عن ذلك معاذ بن جبل حيث قال: " الزهد يورث السخاء بالملك، والحب يورث السخاء بالروح[2] ". واجتمع ذلك في محمد بن سعيد الدلائي، الذي كان موسر الحال، كثير الحرث والماشية، كما كان ابنه أبو بكر العالم الصالح محببا إلى الناس، يقبلون عليه، ويلتفون حوله، وكان يجد في سعه مال والده و وفرة أغنامه[3] معينا على إظهار سخائه. وبفضل إكرام زواره بإطعامهم وحسن ضيافته لهم، والتكفل بفقراء زاويته ذاع صيتها وانتشر خبرها فأقبل عليها الناس من كل صوب وحدب.

وبلغ سخاؤه إلى درجة أن لامه والده على الإسراف، لكن كما ذكرنا أن ابنه كان ينفق نفقة من لا يخشى الفقر. ويذكر محمد حجي نقلا عن البدور الضاوية؛ أن مترجمو محمد بن أبي بكر الدلائي عن كرمه قصصا غريبة، ويذكرون أرقاما عالية لمن كان يجلس إلى مائدته بمناسبة أو غيرها. فمن ذلك أن كان يطعم في سنة من سني[4] الغلاء سبعة ألاف من الفقراء كل يوم، زيادة على الواردين عليه، والمقيمين عنده من طلبة العلم. وأطعم في يوم واحد احتفل فيه بسابع الولد النبوي الشريف سبعين ألفا من سكان الزاوية، وغيرهم من الوافدين عليها لحضور ذلك الموسم[5]، دون أن يقوم من موضعه إلا للصلوات، واستمر الحال كذلك بالزاوية الدلائية بعد وفاة محمد بن أبي بكر[6].

هـ–سند الطريقة الدلائية

لا يختلف سند الطريقة الدلائية عن الطريقة الناصرية من حيث الطريق لاتصالهما بالشاذلية، وهذا ما سيقودنا في النهاية بتتبع علاقة هذه الفروع بعضها ببعض نتيجة التواصل الصوفي.

---

[1]– رواه ابن ماجه

[2]– القشيري، المرجع السابق، ص116

[3]–محمد حجي، المرجع السابق، ص48

[4]– يقصد بها زمن العسر والضيق، وقلة الأقوات بسب القحط أو الجفاف.

[5]– ليس غريبا أن يكون العدد سبعين ألفا في المواسم، سواء احتفاءا بالمولد النبوي الشريف أو الوعدات التي اشتهرت بها الزوايا ويساهم فيها كل من يعتقدون في بركة الصلحاء، ويساهم شيخ الزاوية بقدر كبير إظهارا لسخائه وقدره بين سكان المنطقة.

[6]– محمد حجي، المرجع السابق، ص49

أخذ الشيخ أبو بكر الدلائي الطريقة الصوفية الشاذلية عن أبي عمر القسطلي[1]، الذي أخذ هو بدوره عن الشيخ عبد الكريم الحاحي (الفلاح)، عن الشيخ التباع. وأخذ الشيخ أبو المحاسن يوسف الفاسي عن عبد الرحمن المجذوب[2] المكناسي عن أبي حفص الخطاب عن عبد العزيز التباع.

وأخذ – من طريق ثالث ينتهي عند التباع – عن عبد الله بن حسون السلاوي عن أبي محمد الهبطي عن عبد الله الغزواني عن عبد العزيز التباع عن الجزولي.

كما يتصل سند الدلائيين، بالشيخ زروق عن طريق أبي المحاسن عن عبد الرحمن المجذوب. وبهذا يتضح أن كل من الطريقة الناصرية والدلائية – من خلال سلسلة السند – تؤكد وجود تقارب بين الجزولي وزروق رغم ما قيل من عدم التقائهما، أو أن مؤرخي التصوف قد جعلوا الشيخ زروق في سلك الجزولي ومنهم من جعله تلميذا له، أو شارحا لدلائل الخيرات واتبعهم في ذلك من جاء بعدهم. لكن يتضح جليا أن الفروع تنم عن الأصل، وكذلك هؤلاء الشيوخ قد أخذوا من الطريقين وكلاهما يتصل بالشاذلي، وأن الشيخ زروق قد وفق بين الشاذلية العبادية، والشاذلية الجزولية كما سبق. دليل أخر على أن التواصل الصوفي كان يتم وفق شروط تتصل بالطريقة الأم، وإن أضيفت بعض الزيادات تراعي أحوال العامة والخاصة، وحتى النساء كما هو الحال بالنسبة للطريقتين الناصرية والدلائية. .

[1] – وهو من أشار عليه بتأسيس الزاوية.

[2] – المجذوب أو المجدوب كما يعرف في الأوساط العامة.

و–الدلائيون والسلطة

هناك خيط رفيع بين السياسة والمسؤولية الدينية والعلمية. فكل الطرق الصوفية تتحول من المجال الديني والعلمي إلى المجال السياسي، حسبما تقتضيه الظروف الداخلية، والخارجية، هذا من جهة، ومن جهة أخرى محاولة السلطة احتواء هذه الطرق عن طريق الإزعاج أو الإخضاع[1]، الذي من خلاله تظهر سيطرتها على مجموع المكون البشري بكل أطيافه ومراتبه المتواجد في محل نفوذ رقعتها الجغرافية، بقصد خدمة مصالحها. وهذا الأمر يجر شيوخ الطرق الصوفية من أصحاب المكانة، والنفوذ في الأوساط الاجتماعية نظرا لما يقومون به من أدوار من إطعام أو تعليم أو عقد الصلح، وفك المنازعات بين الأفراد والقبائل. وفي ظل غياب السلطة، وعدم قدرتها على احتواء ما يحدث من قلاقل، وفتن يجبر مشايخ الطرق إلى دخول معترك الصراع السياسي. وهذا ما حدث مع الزاوية الدلائية، ولو أنها على العهد السعدي لم تهتم إلا بالعلم، والدين، والنصح، والإرشاد، وإطعام الطعام، وإقرار السلام، والنصح والطاعة للحكام.

فظهور الدولة العلوية وسط عداوات كانت بين عدة أطراف متعددة أواخر أيام الدولة السعدية[2] التي اعتمدت على الطرق الصوفية في قيامها، وبات من الضروري حلول من يسد الفراغ بعد سقوطها. ومن سجلماسة بدأ أمر الدولة العلوية و نكتفي بذكر رسالتين من عدة مراسلات بين الدلائي، والعلويين لنقف على بداية الصراع الذي انتهى في أخر المطاف بانهزام الدلائيين على يد المولى الرشيد، ونفيهم إلى تلمسان وتهديم مقر الزاوية الدلائية .

[1]– منع السلطان الشيخ الناصري من قيادة ركب الحجيج لسنتين متواليتين لأسباب واهية كما سمح له في المرة الثالثة لكن ليس على رأس الحجيج بل تحت قيادة ركب فاس.

[2]– في هذه الظروف لم يبق للسلطة السعدية في جبال الأطلس، وبلاد تادلا إلا الاسم، وكان لابد من وجود قوة محلية في هذه النواحي تعمل على حفظ الأمن، وتأمين السبل، وحماية القوافل. محمد حجي، المرجع السابق، ص142

10-مقتطف من الرسائل المتبادلة بين العلويين والدلائيين

أ-رسالة الدلائي

((إنك عاقد ناكث، ومعاهد غادر، ودون فعلك فعل مادر، ولم يدر لقبقاب غرضك أمقبل أم صادر[1])) وهذه الرسالة الموجه إلى محمد بن الشريف العلوي تدل على صراع سياسي سيطفو إلى الأفق مع أنه وقع الصلح كما ذكره صاحب النزهة على أن: من الصحراء إلى جبل بني عياش فهو لمولي محمد بن الشريف وما دونه لأهل دلاء، وشرط أهل دلاء على مولاي محمد خمس مواضع مما هو تحت يده، وجعلوها لهم، وهي: الشيخ المغفر في أولاد عيسى، والسيد الطيب في قصر السوق، وأحمد بن علي في قصر بني عثمان، وقصر حليمة في وادي اغريس وأسرير فركلا. فهذه خمس أماكن شرطوا عليه ألا يحرك لهم فيها ساكن[2].

ومهما يكن من الأمر فإن الأمر تطور، وحدثت معارك بين الجانبين انتصر فيها الدلائيون في البداية، لكن استطاع المولى الرشيد القضاء عليهم. ومما يؤسف عليه هو ضياع ما كانت تزخر به الزاوية من الآثار العلمية المتمثلة في تراث الزاوية، وبخاصة المؤلفات التي تركها علماء الزاوية في جهد متواصل منذ التأسيس إلى السقوط. وانتقل محمد الحاج الدلائي، وأقاربه بأمر من المولى الرشيد إلى تلمسان[3]، حيث قبائل بني يزناسن وولائها المستمر للجزائر بالرغم مما كانت تتعرض له من اضطهاد من طرف العلوين.

---

[1]- اعتذر صاحب تاريخ الضعيف عن نقل الرسالة مبررا قوله: وقد أعرضنا عنه لفحش العتاب لا يحمله دفتر ولا كتاب. مع أنه يورد جواب محمد بن الشريف العلوي كاملا وهو يحمل من العتاب والفحش ما لا يسعه دفتر ولا كتاب ومنها : فلله من دغدوغي أشاع عارك بأبيات أنشأها لنا الشريف مولاي محمد بن مبارك :

واعلم بأنك من دجاجل مغرب " " فبعيسى صولة نصره ستموت

أنتم عكاكز خلفتكم عـــــاهر" " وأن سيـد جدكـم جـــالوت

كرهت إيالتكـم سموات العلا " " واستثقلتها الأرض والبهموت

وهو جواب يحمل من معاني العتاب والفحش ما يحمل، فما سر هذا الاقتصار في النقل على طرف دون أخر ؟. الرباطي محمد الضعيف، تاريخ الضعيف، تح، تع، تق، أحمد العماري، دار المأثورات، الرباط، أكدال، ط1، 1406هـ/1986م، ص17

[2]-اليفرني، نزهة الحادي، المرجع السابق، ص281

[3]-كان خروجهم في مستهل عام 1080هـ/1669م، ونزلوا بحرم العباد الذي فيه ضريح أبي مدين شعيب. محمد حجي، المرجع السابق، ص257

11-الطريقة الشرقاوية

كتب بشأن هذه الطريقة الكثير،وما لعبته من أدوار مختلفة كباقي الزوايا الأنفة الذكر، خاصة وأنها عاصرت قيام الدولة السعدية، وبقيت بعد سقوطها، وعاشت أطوار وأحداث قيام الدولة العلوية، فكان لها علاقة مع المخزن من جهة ،ومع القبائل من جهة ثانية، ومع الزوايا المتزامنة معها من جهة ثالثة.

إن أهمية الطريقة الشرقاوية تكمن في انتعاش المغرب فكريا وثقافيا إثر أفول نجم الخلافة العباسية أولا، وسقوط الأندلس وهجرة العلماء وغيرهم منها باتجاه المغرب، ليتشكل حزاما علميا جهاديا قادته الزوايا مثل الدلائية والفاسية والناصرية والعياشية، والشرقاوية، التي كانت بين شيوخها صلات ووشائج قوية، ومثلت بحق عصر انتقال الثقافة الإسلامية من يد المشرق إلى يد المغرب.

أ-النشأة والتأسيس

تأسست الطريقة الشرقاوية على يد الشيخ أبو عبد الله محمد المدعو (الشرقي) بن الشيخ أبي القاسم المعروف (بالزعري) الجابري الرثمي، وينتسبون إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه[1]. قال عنه صاحب الصفوة؛ وكرماته رحمه الله كثيرة، وكانت بينه وبين أبي المحاسن الفاسي، مواصلة[2]ومراسلة ووقع بينهما كلام طويل. أخذ رحمه الله عن والده عن التباع عن ابن المبارك الزعري، واعتمد على الشيخ الكبير أبي عبد الله محمد بن المختار من أهواز مكناسة. وأخذ أيضا عن سيدي عبد الله بن ساسي. وتوفي أوائل محرم سنة عشرة وألف، ودفن بجعيدان من تادلا وقبره هنالك مشهور[3]. أما طريقته الصوفية قال عنها أبوالحسن اليوسي((وطريقة هذا الولي الكبير... من أنفس الطرق التي تتنافس فيها الفحول وترد صفوة مائها الأصول والفضول، وتلقى بشراب مُدامها أهل المعقول والمنقول... وهي مبنية على السماع وما فيه من الجذبات والشطحات الربانية والأحوال الصادقة والمعارف الصمدانية[4].

---

[1]- بوكاري أحمد، الزاوية الشرقاوية-زاوية أبي جعد، إشعاعها الديني والعلمي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1406هـ-1985م، ص43

[2]-يختلف التواصل بين الشيوخ عنه بين غيرهم، و ثمرة ذلك تتمثل في انتشار الزوايا وتعددها لخدمة المجتمع و تربيته علميا و روحيا.

[3]- الإفراني محمد بن الحاج بن محمد بن عبد الله الصغير، صفوة من انتشر من أخبار القرن الحادي عشر، مركز التراث الثقافي المغربي، الدار البيضاء، المغرب، تق، تح، عبد المجيد خيالي، ط1، 1425هـ-2004م،ص77

[4]- بوكاري أحمد، المرجع السابق، ص123

ب–خلفاء سيدي الشرقي

تعتبر الطريقة الشاذلية أم كثير من الطرق الصوفية بالمغرب، والطريقة الشرقاوية إحدى هذه الطرق، فهي جزولية شاذلية. وقد انتدب الشيخ المعطي بن عبد الخالق حفيد الشيخ الشرقي للقيام بعد جده بتطوير الطريقة، حيث أقامها على العزلة والإحسان. فالاعتزال من أجل المواظبة على القراءة، وقد خص شهر رمضان بالاعتكاف على قراءة الإحياء للإمام أبي حامد الغزالي، وجعل رجب وشعبان لقراءة المصحف والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، وكتاب الشفا للقاضي عياض رحمه الله. وأما الإحسان فبالنفقة على مائتين البيوتات، أدركوا ذلك بانقطاع معاشهم بعد أن مات. ويخلف الشيخ المعطي نجله الشيخ محمد الصالح، الذي جمع في طريقته بين طريقتين((الجزولية التباعية، والناصرية الغازية)). الأولى بواسطة والده عن أحمد المرسي أحد أبناء الشرقي.

وأما اتصاله بالزروقية الشاذلية فبواسطة شيخه سيدي أحمد بن ناصر عن أبيه سيدي محمد الكبير عن أحمد بن براهيم عن سيدي الغازي عن سيدي علي بن عبد الله السجلماسي عن سيدي أحمد بن يوسف الملياني[1]عن سيدي زروق ومنه إلى الشاذلي[2].

وإلى جانب ذلك نجده ينتسب إلى الطريقة الهبرية التي أخذها بالمراسلة[3]، وبواسطة سيدي أحمد بن الطالب أحد أتباع سيدي محمد الهبري الطرابلسي، الذي زار المغرب أنذاك، فطلب منه الشيخ محمد الصالح أن يلقن طريقة شيخه لابنه سيدي المعطي. وكانت طريقته صعبة المرام، ولذلك لم يلقنها سيدي الصالح كثيرا لأصحابه. وهذا نص الرسالة((فاهجر أهل البغي والهوى والطغيان، طريقتهم السمعة والهوى ولقمة يأكلها عند الأغنياء، لهم غلمان بدلوا طريق الحق، وهدموا بنيانها فإمامهم الهوى والشيطان ... بدلوا وغيروا ما أوصاهم به الرحمن، قوم ظمئوا لا شراب لهم ولا طعام إلا من حميم النيران))[4].

---

[1]– هذا السند الروحي يعبر عن التواصل الصوفي في أرقى صوره بين أقطار المغرب الإسلامي

[2]– بوكاري أحمد، المرجع السابق، ص ص 124،125

[3]– يتحقق سند الطريقة الصوفية بالتلقين المباشر أو الواسطة عن طريق أحد الأتباع أو بالمراسلة وهذا الأمر يتم في علوم أخرى، غير أن الطرق الصوفية لها سند طيني من الشيخ الى أبنائه والسند الروحي إلى غيرهم بالإذن عن طريق توجيه رسائل الوعظ فيما أردوا سلك هذه الطريقة.

[4]–بوكاري أحمد، المرجع السابق، ص125

رابع خلفاء الطريقة والزاوية معا أبو عبد الله محمد العربي بن محمد المعطي المتوفي 1234هـ/1818 – 1819م. .

تلقى العلم في البداية على يد أحد أساتذة الزاوية الفقيه سيدي المحجوب المساوي ذلك لأن والده توفى وهو لا يزال صغيرا، وأخذ أيضا عن سيدي محمد بن القاسم الفيلالي الذي أجازه إجازة عامة في دلائل الخيرات والمسبعات[1]، ثم رحل إلى فاس وأخذ عن الفقيه سيدي التاودي وبالمشرق في زيارته للحج عن مشايخ الأزهر كالحافظ مرتضى الزبيدي، وأحمد جاد الله الخناني الأزهري والشهاب أحمد الدمنهوري.

أما الطريقة فقد أخذها عن أستاذه السابق بالزاوية، الذي لقنه أوراد الطريقة الشرقاوية. بالإضافة إلى ذلك فقد أخذ الطريقة الخلوتية عن الشيخ محمد الحفناوي الشافعي وأذن له في ذلك كما جاء في نص الإجازة التالي((وقد أجزته بما تضمنه ثبت الإسناد من مشابكة ومصافحة ودلائل الخيرات وكتب الحديث والمسلسل بالأولية والضيافة بالأسودين الماء والتمر، فأجزته كما أجازني بأوراد الطريق وأن يلقنها من شاء ويجيز من شاء في الطريق والأورادجميعا)).

كتب المرتجي غفر المساوي محمد الحفناوي الشافعي يوم الجمعة المبارك يوم خمسة وعشرين خلت من شهر جمادى الثانية عام 1190هـ[2]

ج –سند الطريقة الشرقاوية

لقد ألف الشيخ أبو عبد الله المعطي بن الصالح كتاب سماه ((ذخيرة المحتاج)) وهو خلاصة ما توصل إليه بعد تلقيه العلم على يد مختلف المشايخ لمختلف الطرق الصوفية كما فعل قبله الشيخ الجزولي . أما فيما يخص سند الطريق الشرقاوية فهي شاذلية في سلسلة الجازولية من جهة و من طريق الزروقية من جهة أخرى و هي على النحو التالي: من طريق الجزولية فقد أخذ الشيخ محمد الصالح بن المعطي الشرقاوي عن أحمد بن عبد القادر التستاوتي عن الشرقي بن المفضل عن محمد المفضل عن أحمد المرسي عن أبي عبد الله الشرقي عن محمد الزعري عن عبد العزيز التباع عن أبي محمد بن سليمان الجزولي عن محمد آمغار عن سعيد الهرنتاني عن عبد الرحمن الرجراجي عن أبي الفضل الهندي عن

[1]– المسبعات العشر جمل من الأذكار الصوفية ، تتلى، كل منها سبع مرات. وهناك المعشرات التسع من أذكار أتباع الشيخ الجزولي تتلى كل جملة فيها عشر مرات. بوكاري أحمد، المرجع السابق، هامش، ص110

[2]– نفس المرجع،ص111

أحمد البدوي عن أحمد القرافي عن أبي عبد الله المغربي ومنه إلى الشاذلي.ومن طريق الشيخ زروق فقد أخد الشيخ محمد بن الصالح المعطي الشرقاوي عن أحمد بن محمد بن ناصر عن محمد الكبير عن أحمد بن براهيم عن عبد الله بن الحسين الرقي عن أحمد بن علي الحاحي عن أبي القاسم الغازي عن علي بن عبد الله السجلماسي عن أحمد بن يوسف الملياني عن أحمد زروق عن أحمد بن عقبة عن أبي زكريا القادري عن علي بن وفا عن محمد بن وفا عن داود الباخلي عن بن عطاء الله عن أبي العباس المرسي ومنه ألة الشاذلي. وهذا الجدول يوضح هذا المخطط:

أبو الحسن الشاذلي

أبو عبد الله المغربي	أبو العباس المرسي
أحمد القرافي	ابن عطاء الله
أحمد البدوي	داوود الباخلي
أبو الفضل الهندي	محمد بن وفا
عبد الرحمن الرجراجي	علي بن وفا
سعيد الهرنتاني	أبو زكريا القادري
محمد أمغار	أحمد بن عقبة
أبي محمد بن سليمان الجزولي	وأحمد زروق
عبد العزيز التباع	أحمد بن يوسف الملياني
محمد الزعري	علي بن عبد الله السجلماسي
أبو عبد الله الشرقي	أبو القاسم الشرقي
أحمد المرسي	أحمد بن علي الحاحي
محمد المفضل	عبد الله بن الحسين الرقي
الشرقي بن المفضل	أحمد بن براهيم
أحمد بن عبد القادر التستاوي	محمد الكبير
	أحمد بن محمد بن ناصر

محمد الصالح بن المعطي الشرقاوي[1]

[1]–تصميم من وضعنا بالاعتماد على بوكاري أحمد، المرجع السابق، ص126

د–أوراد الطريقة

لكل طريقة صوفية خصوصية من حيث الأوراد نتيجة تطورها. ففيما يخص أوراد وأذكار الطريقة الشرقاوية؛ هي حزب الفلاح، وإضافات أخرى من طرف بعض المشايخ الذين تداولوا على مشيخة الطريقة، فكانت لهم إضافات بسيطة وكلها متعلقة بذكر الله والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأول الورد ((توكلت على الحي الدائم الذي لا يموت...، كما أن بعض الخواص كانوا يقرؤونه على الشكل التالي: الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا... إلى أخر السورة، ويقول بعدها، الله أكبر الله أكبر الله أكبر(ثلاثا) لا إله إلا الله والله أكبر ولله الحمد أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا، سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله على سيدنا محمد و على آله وصحبه وسلم تسليما، نال حالا كثيرا من العز والقبول ورفعة الجاه))[1]، وبالإضافة إلى ذلك يعتبر دلائل الخيرات من الكتب التي يواظب عليها مريدو الزاوية مع أذكار أخرى من وضع مشايخ الزاوية.

فيما يخص توقيتها فهي موزعة على ثلاثة أيام، تبدأ بيوم السبت و تختم يوم الاثنين، ثم تستأنف يوم الثلاثاء و تختم يوم الخميس، فيحين أن يوم الجمعة يختم الورد كله[2].

لو تتبعنا دليل الخيرات للشيخ الجزولي رحمه الله لوجدناه على هذا النحو[3]. فالطريقة ذات مشرب جزولي، وهي بذلك تلتزم هذا الترتيب المعمول به منذ ذلك الوقت. هذا بشكل عام. أما فيما يخص تعدد الأسانيد يجعل الزاوية تعدد في أذكارها، ومنها الورد التأملي، الذي أخذه محمد الصالح عن والده محمد المعطي بن عبد الخالق الذي مطلعه ((رب اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الرحيم (100مرة)، وبعدها اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم (100مرة) ولا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير (100مرة). سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم (100مرة).

وكذلك وظيفته المعلومة المشتملة على أحاديث نبوية وأدعية مصطفوية[4].

هذا فيما يخص الأتباع. أما العامة، فقد رتب لهم الحزب الناصري[1] لبساطته مع مرعاة أحوال المريدين وكذا التفريق بين النساء والرجال. ويكون هذا الورد عقب صلاة الصبح حيث قال: ((وإذا فرغتم من

---

[1]–بوكاري أحمد، المرجع السابق، ص ص130،131

[2]– السملالي بن براهيم العباسي، الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، راجعه عبد الوهاب ابن مصور، المطبعة الملكية، الرباط، ط2، ج5، 1413هـ/1993م، ص85

[3]– ينظر، الجزولي محمد بن سليمان، دلائل الخيرات، طبعه، عبد الرحمن أفندي محمد، مصر، محرم، سنة 1333هـ

[4]–بوكاري أحمد، المرجع السابق، ص131

الأذكار المأثورة بعد صلاة الصبح فقولوا: استغفر الله (100مرة)، اللهم صل على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم تسليما. كذلك لا إله إلا الله (ألف مرة)، هذا إذا كان ممن كان يعاني القراءة وكان ذكرا. وأما المرأة فحسبها من الهيللة مائة مرة ويُزاد عند تما كل مائة محمد رسول الله صلى اله عليه وسلم. هذا هو الورد بين الصبح والصبح.

إن نظام الطريقة الشرقاوية أكسبها قيمة ومهابة وذيوع أوساط العامة والخاصة، وبذلك أصبحت لديها علاقات على مختلف المستويات، وهي بذلك لعبت دورا كبيرا في علاقاتها و من خلالها.

12-علاقات وتواصل الطريقة الشرقاوية

إن الحديث عن العلاقات والتواصل يكون على ثلاثة مناحي، فبالنسبة للسلطة نتحدث عن العلاقات لأنها تتسم بالإيجاب والسلب، أما فيما يخص الطرق الصوفية ستكون تواصلية، وبالنسبة للقبائل فهي علاقات وتواصل في نفس الوقت.

أ-علاقة وتواصل الشرقاوية بالقبائل

كل الطرق الصوفية ذات الزوايا سواء في المغرب الأقصى أو الجزائر تعتمد في استمرارها وتطورها وأهميتها وقوتها على طبيعة علاقتها بالقبائل المحيطة بها. فإلى جانب ما تقوم به من نشر العلم وتعليم الدين، تضع في حسبانها الخدمة التي تقدمها إلى هذه القبائل. فالدور الاجتماعي يتم بالتواصل، وأما العلاقة فباختيار الأشراف بحسب درجة أهميتهم وربطهم عن طريق مهام رفيعة في الزاوية، وبذلك تتقوى الزاوية من الجانبين.

فالزاوية الشرقاوية بدورها الاجتماعي ولاسيما في الظروف الصعبة التي كان يمر بها المغرب الأقصى من أزمات، سواء اقتصادية من غلاء المعيشة أو ندرة المنتجات، أو ما حل بالمغرب الأقصى من قحط ومجاعة.

فكانت الزاوية تبادر إلى تقديم الطعام في هذه الظروف، وتتكفل بذلك على قدر ما تستطيع.

لقد أقام الشيخ المعطي بن الصالح((فرانا للخبز في السوق للمساكين والجائعين... وكان عاملا قُدورا في السوق يطبخون فيها الحريرة ويطعمونها لعباد الله)).

وتتواتر عند الناس إلى اليوم، أخبار موائد الطعام، التي اشتهر بها الشيخ العربي بسبب القرب الزمني، دون أن ينسوا تعيين بعض الأماكن التي كانت تلجأ الزاوية إلى الإطعام فيها عندما تضيق رحابها بالوافدين.

---

[1]-ينظر الطريقة الناصرية في هذا الفصل.

وهو فعلا ما تؤكده المصادر إذ تشير إلى غنى هذه الشخصية التي تذكرنا بثروة الشرقي[1]. فبالإضافة إلى الإطعام خصصت الزاوية مراكز لإيواء الوافدين عليها سواء من الزوار أو العلماء، وعملت على تحسن وتطوير تلك الأماكن، وتوفير كل الظروف الملائمة لتمكين العلماء من الاستقرار و بالتالي الإفادة منهم.

إلى جانب الإطعام والإيواء تقوم الزاوية بالتمريض والعلاج بطريقتين، بالبركة والحكمة وكذلك باستعمال العقاقير الطبية والتمائم، وهي بذلك جمعت بين العمل الخيري والعلاج. وبالجملة فشيخ الزاوية كان يأمر للمحتاج المريض بمكان يليق به، ويأمر بدوائه وغطائه، ومأكله ومشربه، حتى يبرأ، وإذا مات كفنه ودفنه[2].

أما حاجة القبائل المحيطة بالزاوية كانت تتعدي ما تتلقاه من خدمة اجتماعية إلى التدخل لإصلاح ذات البين وتوفير الأمن والسلام بين الأفراد والجماعات وةالقبائل. وخدمة أخرى تمثلت في طلب الغيث من الشيخ للاعتقاد وما هو عليه من صلاح، وكانت هذه القبائل تلجأ إليه في حالت أصابها الجفاف. ففي زمن أبي القاسم والد الشيخ الشرقي كان (الخدام) من بني سجدال ووردیغة وغيرهم... يعمدون إليه في طلب الغيث، فيغاثون وفي قضاء حوائجهم فيجدون بركته فيما يطلبون[3].

كان مشايخ الزاوية الشرقاوية يسعفون هذه القبائل، إما بالذهاب إليهم أو إجابتهم إذا حضروا إليهم، ويجدّون ويجتهدون في الدعاء لهم حتى يغاثون وهذه قصيدة يرددها مشايخ الزاوية الشرقاوية فيها من التذلل والتوسل إلى الله عز وجل لجلب الغياث منها:

يا رحيما بالمومنين إذا مـا " " صار صم الجبال دكـــــا كثيبا
هالنا الجـوع بَادَ خلق كثير " " ودوى مـــــا عهدنا منه رطيبـا
وغدا الناس طائشين حيارى " " ما نرى من نـــــراه إلا كئيبـــا
هالنا مـــــا نراه فيمن نـراه " " حين يبدي على المعاش النجيبا[4]
آه من فتية أذابـــــوا فؤادي " " لم يطيقوا من الهزال دبيبـــــا

إلى أن يقول:

فالغياث الغياث إنا هلكنا " " يا شفيع العصاة غوثا قريبا[1]

---

[1]– بوكاري أحمد، الزاوية الشرقاوية، زاوية أبي جعد، دورها الاجتماعي والسياسي، من التأسيس ق10هـ= 16م، إلى وفاة الشيخ سيدي محمد العربي 1234هـ/1817م، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، ج2، 1409هـ/1989م،ص16

[2]– بوكاري أحمد، المرجع السابق، ج2، ص19

[3]– نفسه، نفس الصفحة

[4]– لعلها (النحيبا)، هذا ما يقتضيه سياق البيت والقصيدة معا.

فكما كانت علاقتها بالقبائل على كثير من الأصعدة فكذلك كان لها تواصل مع الطرق الصوفية وخاصة المتزامنة معها

ب–تواصل الطريقة الشرقاوية مع الطرق الأخرى

تختلف علاقات الطرق الصوفية فيما بينها عن علاقاتها بغيرها من الجهات الأخرى من حيث طبيعتها والغاية والهدف منها. فميزة التواصل تكون أولا بين الشيخ ومريديه، كما تكون بين مشايخ الطرق للنصح والمشورة باعتبار الأخوة الدينية، وكذا ما يمليه التماثل في كونها طرق صوفية. لذلك نجد التواصل يأخذ أشكالا مختلفة لغايات متعددة. فتارة تضامن وتآزر لرد الخطر وهذا ما حدث عندما تحرش الإسبان والبرتغاليين بالمغرب الأقصى، وتارة تتلمذ أحد مشايخ طريقة على يد شيخ أخرى، وتارة أخرى المصاهرة قصد تمتين الصلة وتعزيز الروابط، وأحيانا يكون التنافس دافعا لاتصال شيخ بطريقة أخرى ليذيع صيته وينتشر خبره.

فكل هذه العلاقات طبعت الطرق الصوفية وهذا ما زاد في تطورها من جهة واستمرارها عن طريق فروعها من جهة أخرى بل انتقالها من قطر لأخر وهذا بفضل التواصل الذي امتازت به الطرق الصوفية بفضل تلميذتها وأتباعها على العموم. والطريقة الشرقاوية أخذت بطرفي نصيب في هذا الشأن وكان لها صلات متعددة بطرق وزوايا أخرى، منها علاقتها بصلحاء تادلا التي تعتبر الموطن الذي نزل واستقر به أجداد الشرقي، فشهد أول نشاط صوفي لهذه الأسرة كما تدل على ذلك قبابهم المنبثة عبر ربوعه. ذلك أن أبا القاسم والد الشرقي أنشأ أول زاوية له قريبا من القصبة التادلية على ضفة أم الربيع في مطلع القرن 10هـ/16م، كما عرفت المنطقة الدير المجاورة أول محاولة لتأسيس زاوية الشرقي .. اضطر بعدها إلى الانتقال إلى مكان أخر[2]، وإن دل هذا على شيء إنما يدل على جهود الشيخ الشرقي في تأسيس زاوية بمكان يعج بالصلحاء منذ زمن وقبل مجيئه.

أما علاقة الشرقاوية بزاوية الصومعة الموجودة بمدينة (داي)التاريخية –بني ملال حاليا[3]– فمن خلال تتلمذ كل من أبي القاسم الصومعي ومحمد الشرقي على يد شيخها سعيد أمسناو. ورغم ما قيل عن تعكر صفو العلاقة بين الزاويتين بسبب التنافس إلا أن الاجتهاد هو الباعث كما أسلفت على التفوق والاستمرار مثلما حدث مع الشيخ محمد الصالح وانخراطه في سلك الناصرية، مما زاد في شهرته وذيوع صيته، زيادة على ما كان من دعم السلطة للزاوية منذ تأسيسها.

---

[1] بوكاري أحمد، المرجع السابق، ص20

[2] – بوكاري أحمد، المرجع السابق، ج1، ص158

[3] – قمت بزيارتها يوم 21 نوفمبر 2013، و كنت قد عرفتها من قبل من خلال وصف محمد حجي لها وليفي بروفنصال، غير أنها تختلف عن ذلك إما لأنها تطورت بشكل لا يمنك معرفتها مقارنة بالوصف أم أن بني ملال بنيت على أنقاذها مع بقاء الزاوية.

والصلة الأخرى كانت مع الزاوية الدلائية، وتواصلهما محصلة عاملين أولهما تزامن نشأتهما وثانيهما بدايتهما في التعليم ونشر الدين. أما سبب شهرة الدلائي فبسبب دعاء الشرقي له كما تشير إليه المصادر.

وبعد أن خلف محمد بن أبي بكر الدلائي والده في تسيير شؤون الزاوية، التمس سلوك الطريق، واتصل بصلحاء المغرب، غير أنه نال مطلبه عند الشيخ الشرقي عندما تتلمذ على يده وصحبه[1].

لم تستمر العلاقة المتينة بين الزاويتين بعد أن وزع الشيخ الشرقي النفوذ و المهام بين اثنين منا أبنائه ومحمد بن أبي بكر الدلائي، و لم يعلو شأن الزاوية الدلائية إلا بعد وفاة عبد السلام والغزواني خلفاء الشيخ الشرقي. و يستمر التنافس بخلافة محمد الحاج لوالده محمدبن أبي بكر الدلائي، الذي تطلع إلى الملك و الرياسة. و قد كتب الشيخ محمد المفضل أحد أحفاد الشيخ الشرقي محذرا الشيخ محمد الحاج من الاغترار بما أصبح عليه في مراسلة بقصيدة من الملحون جاء فيها:

أَمَنْ شْرَح الزْمَانْ وانْسَا كلَّ اغْيَارْ " " يَا مَنْ يَحْسَبْ منْزَلْ مَلُ تَبْدِيلْ
السَّطْو والْعَز كمقَامْ أهَــلْ الدَّوَارْ " " يَرْحَلْ لَوْ يقِيمْ سَانَ أو قْلِيــلْ

والأيام دول كما قيل، فقد استدار الزمان، وتعرضت الزاوية الدلائية إلى التخريب على يد السلطان الرشيد[2] ، غير أن العلاقة ظلت مستمرة والتواصل بين أفراد قائم كما دلت عليه مصادر الزاوية الشرقاوية منها أسماء لمريدي الزاوية من أفراد الدلائية و[3]منهم محمد بن يوسف الدلائي الذي كان من خواص وأصحاب الشيخ محمد الصالح. وظل الدلائيون بعد ذلك يعيشون في كنف زاوية أبي جعد بعدما تعرضوا للإجلاء، كما ساهموا في دورها الديني و العلمي.

هذه العلاقات أدت إلى نفوذ الزاوية في كل الأوساط سواء الزوايا الأخرى مثل زاوية آل القيرواني، وزاوية محمد بن سليمان الشاوي وزاوية سيدي حجاج بالشاوية، وسيدي أحمد البدوي وسيدي عبد القادر البدوي، وزاوية محمد بن صالح العميري، وزاوية الحاج التاغي. أما نفوذها القبلي فتمثل في قبائل مثل قبائل تدلا ووردیغة، وبني سجدال وبني عمير، وبني زمور والدير التادلي، وقبائل الشاوية ودكالة[4].

[1]– العروسي عبد الخالق بن محمد بن أحمد، المرقي في بعض مناقب القطب سيدي محمد الشرقي، دراسة وتحقيق، البقالي محمد، أطروحة دكتوراه، جامعة عبد الملك السعدي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، تطوان، المغرب، 2012، ص292

[2]– ينظر الطريقة الدلائية و علاقتها بالسلطة في هذا الفصل.

[3]– بوكاري أحمد، المرجع السابق، ج1، ص166

[4]– نفسه، ج2، ص ص25–58

هذا بإيجاز فيما تعلق بتواصلها وعلاقتها بالقبايل والزوايا. أما علاقتها بالمخزن المغربي فقد أخذ أبعاد أخرى بين الوئام أحيانا والخصام أحيانا أخرى.

ج- علاقة الطريقة الشرقاوية بالسلطة

في البداية كانت علاقة الشرقاوية مع المخزن السعدي جيدة، نظرا لمناصرتها لهم، ثم ساءت بعد الوشايات والحسد والحال أن الشرقي كان يتمتع بثراء منقطع النظير وهذا لا يجتمع بحال في أرباب التصوف بالإضافة إلى لجوء المتذمرين من تسلط المخزن السعدي إلى زاوية الشيخ الشرقي. وبالرغم من هذا كله استطاع الشرقي من رأب الصدع بإفادة ولده لدي السلطان لتوضيح الأمور وبذلك عاد الوئام من جديد.

وبعد هذه الفترة المترنحة دخل المغرب في أزمة اقتصادية وسياسية وصراعات بين أفراد الأسرة الحاكمة، ودخول بعض الحركات الصوفية، واقتسام المغرب حسب نفوذ كل منها. زد على ذلك توالي سنين الجفاف والقحط ثم الوباء، وبذلك مست الأزمة المخزن الزاوية على حد سواء. أما بوادر الشقاق تظهر في علاقة الشرقاوية بالدلائية من جهة ومع السلطة من جهة أخرى. فرغم متانة الروابط بين الشرقاويين والدلائيين إلا أن عداء المحزن للزاوية الدلائية فرق بينهما، حيث أيد الشيخ الشرقاوي ومن أتى بعده السلطة الشرعية وبذلك وقفوا ضد الدلائيين.

لقد استمرت العلاقة بين الزاوية الشرقاوية والسلطة العلوية الثانية بالدعم والمنزلة والحظوة، والأولى بالسمع والطاعة والوقوف معها في الأزمات. فالفترة الأخيرة من حكم السلطان إسماعيل استعمل فيها القوة إلى جانب وزن الزوايا في تثبيت دعائم الحكم واستقرار المغرب. كانت الزاوية الشرقاوية داعمة للحكام منذ تأسيسها، وهذا سر حسن معاملتها من طرف المخزن السعدي ثم العلوي. وبدورها كانت تأيد السلطة الشرعية القائمة عند قيام بعض الثوار أو المناهضين المطالبين بالسلطة؛ مثل ثورة ابن عم السلطان مولاي أحمد بن محرز، أو حين قام عليه ولده مولاي محمد العالم[1].

استمرت العلاقة في تعكر أحيانا وصفاء أحيانا أخرى، إلى أن تم تحطيمها ونفي شيخها عام 1200هـ/85-1786م.

[1]- بوكاري أحمد، المرجع السابق، ج2، ص126

لقد ذكرنا أن من بين الأسباب التي جعلت المغرب في أخر المطاف يقع تحت الحماية الأجنبية هو محاربة الملوك للصلحاء والقضاء على الزوايا، وبذلك القضاء على المحرك الحماسي للشعوب. ولو حاولت السلطة المخزنية تسيير أمور هذه الزوايا عبر علاقات جيدة لكسبها في صفها لكان أمر المغرب الأقصى مختلف عما حدث له. بل أمر المغرب العربي ككل لأنها نفس السياسة اتبعتها مع الأمير عبدالقادر الذي يمثل زعيم روحي فضيقت عليه وبنهاية مقاومته بدأ التدخل في شؤون المغرب الأقصى شيئا فشيئا، والحال أنه وجد الطرق الصوفية من الضعف بمكان من جراء ما حدث لها من طرف المخزن. لقد لعبت الشرقاوية في تاريخ المغرب دورا علميا وثقافيا ودينيا، وحتى سياسيا وكانت لها علاقات متنوعة مع القبائل وتواصل مع الطرق الصوفية، وخاصة أن أقوى الطرق الصوفية تزامنت في التأسيس فكان تواصلها ينبع من آلية التصوف الذي يبنى على الأخوة في الدين والطريقة.

11-التواصل بين الطرق الصوفية المغربية

إن الفترة الحديثة للمغرب الأقصى عرفت ضعفا سياسيا بتداول الأسر الشريفة على الحكم، فالدولة العلوية قامت على أنقاذ الدولة السعدية، في حين أن المغرب الأقصى كانت تتقاسمه زعامات دينية صوفية. وفي هذا نسجل ذلك الحضور القوي للطرق الصوفية المتفرعة عن الشاذلية الجزولية الزروقية، وقوتها رغم مرحلة الضعف التي ميزت تلك الفترة بسبب الاضطرابات، وتحرش البرتغاليين، والإسبان بسواحل المغرب، ويمكن أن نفسر قوة تلك الطرق ومؤسساتها من خلال تواصلها. ولا يقتصر الأمر فقط على الناصريين والدلائيين، بل الشرقاويين، والعياشيين، والفاسيين الذين أسهموا بقدر كبير في الحياة الاجتماعية والسياسية في المغرب. ومن خلال استعراض هذه الصلات، وبالخصوص جنوب المغرب ندرك أهمية التواصل الصوفي بين الطرق الصوفية في المغرب الأقصى.

فبالنسبة للزاوية الدلائية، فصلاتها بالزاوية الفاسية[1] من خلال أبو المحاسن الفاسي الذي يعتبر أحد الشيوخ الأولين في السلسلة التي تصل محمد بن أبي بكر الفاسي بالإمامين أحمد زروق ومحمد بن سليمان الجزولي. وبالمقابل، فقد تتلمذ الحافظ أحمد بن أبي المحاسن الفاسي على شيخ زاوية الدلائية

[1]- تنسب إلى الشيخ أبي المحاسن يوسف بن محمد بن يوسف الفهري الأندلسي. ولد أبو المحاسن بالقصر بحي المخفية بعدوة الأندلس كما شارك في معركة وادي المخازن إلى جانب بقية المجاهدين عام 986هـ/1578م، وكانت وفاته في 18 ربيع الأول 1013هـ/14 غشت 1604م، ودفن بفاس خارج باب الفتوح.

أبي بكر، وخص أسانيده في طريق القوم[1] بتأليف. وأقام أخوه أبو حامد محمد العربي الفاسي مدة طويلة في الزاوية الدلائية يدرس الحديث على الشيخ محمد بن أبي بكر الدلائي، ويلقي دروسا في مختلف العلوم على الطلبة إلى أن تخرج على يده كثير من العلماء الدلائيين[2]، كما أن الزاوية العياشية التي أسسها محمد بن أبي بكر العياشي سنة 1044هـ ترتبط بالزاوية الدلائية بروابط قوية، ووشائج متينة، وكانت مركز إشعاع علمي كبير، ومن أكبر شيوخها (أبو سالم العياشي)، وابنه حمزة الذي تنسب إليه الزاوية الحمزاوية الموجودة بإقليم تافيلالت بمدينة (مدلت).

وبالنظر إلى تزامن تأسيس الزاويتين الدلائية والناصرية والشرقية، يتضح جليا التواصل الذي كان بينهم، سواء عن طريق التلمذة، والأخذ أو التعاون على نشر الطريقة التي ترجع إلى أصل واحد.

لقد دخل محمد صالح الشرقاوي في سلك الناصرية، وأخذ الورد عن ابن الناصر الدرعي، كما أن سيدي الحسين بن شرحبيل الذي يعتبر من خاصة أحمد بن ناصر الدرعي قد أقام مدة بزاوية أبي جعد بإحدى الغرف المعدة لضيوفها قرب ضريح الشيخ محمد الشرقي[3].

إن هذه الطرق التي تعتبر النواة الأولى التي زرعتها الطريقة الشاذلية أثمرت طرق أخرى وانتقلت من مكان إلى أخر في المغرب الأقصى ومنه إلى باقي أنحاء المغرب الإسلامي. كما حدث العكس بالنسبة للطرق الصوفية في بقية مناطق المغرب الإسلامي التي وفدت على المغرب الأقصى وبذلك حدث تلاقح وتناغم بين الطرق الصوفية أدى إلى انتشاره على نطاق واسع عبر التواصل الذي كان يتم بكل الوسائل وبمختلف الطرق.

---

[1]- يبدو أن كلمة قوم تخص الطائفة الصوفية كما تخص الخيالة يحضرون للتباري في مواسم الوعدات الخاصة بطريقة صوفية ما؛ فيقال قوم بني فلان وقوم بني فلان وأحيلت هذه الكلمة في الفترة الاستعمارية لمجموعة الخيالة المصاحبة للمستعمر في تأديب القبائل، وبالتالي حرفت عن مدلولها الصحيح.

[2]- المدغري عبد الكبير العلوي، الفقيه أبو علي اليوسي نموذج من الفكر المغربي في فجر الدولة العلوية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 1409هـ/1989م، ص74

[3]- توفي عام 1010هـ. بوكاري أحمد، الزاوية الشرقاوية، زاوية أبي جعد ودورها الاجتماعي والسياسي،مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب،ط1، ج2، 1409هـ/1989م،ص95 وما بعدها.

12- استنتاجات

بالرغم من أن الطريقة الشاذلية كانت الأصل للطرق، فقد غير من جاء بعده في إضفاء الصبغة والميزة فيها كما مرّ معنا، وخصوصا الشيخ الجزولي الذي يعتبره البعض مجدد القرن التاسع الهجري، ويعتبره البعض خاتمة ما كان يوصف به المتصوفة الأوائل، وبعده انقطعت الكرامات الخاصة بالأولياء. هذا بخصوص الطريقة. أما وفق المتغيرات التي طرأت على المغرب الأقصى فقد عمل الشيخ زروق على تسديد الطريقة الشاذلية بتنقية ما شابها في جميع المناحي، وقرب إليها الفقهاء، وانتقل بها إلى مواطن من المغرب العربي، واستقر بها في ليبيا، وربط صلات بينها عبر مريديه. ثم توالت الطرق الأخرى كالشرقاوية والناصرية والدلائية الفروع المباشرة للطريقتين الجزولية والزروقية، في تطوير الزوايا وتثبيت دعائمها، وتقوية نفوذها الروحي والسياسي. فمنها من والت السلطة، وخضعت لها، ومنها من كانت على حياد مثل الناصرية الى أن تولاها من خضع في أخر المطاف إلى المخزن، ومنها من دخل في صراع منذ البداية كالطريقة الدلائية والذي انتهى بالقضاء عليها وتشتيت أتباعها، وتهديم مقرها .

غير أن تواصل هذه الطرق نتج عنه فروع أخرى توزعت على مناطق المغرب الأقصى، بل وحتى مناطق في المغرب العربي ككل. تمخضت عن هذه الفروع فروع أخرى، وجدت مناخ الأرياف أرحب لممارسة نشاطها سواء على العهد العثماني، أو العهد الاستعماري الفرنسي، الذي شهد صداما منذ دخوله إلى الجزائر مع الطرق الصوفية، وهو الأمر الذي حدث عند فرض حمايته على المغرب، وخصوصا في الريف حيث الاستعمار الاسباني لقي نفس المصير مع المقاومة الصوفية .

إن ظاهرة انتشار الطرق الصوفية في الفترة الحديثة، وتبلورها وتطورها انعكس بصورة مباشرة على النشاط الذي باشرته القوات الاستعمارية في محاولة طمس الهوية المغربية – عن طريق التبشير ورجاله – من خلال نشاط الطرق الصوفية في التركيز على مقومات الدين الإسلامي؛ القرآن والسنة، ومجابهة عملية التنصير بالرغم من الإمكانات البسيطة، وما لاقته الطرق الصوفية وزواياها من طرف الاستعمار الفرنسي من جهة ومن دعاة الإصلاح، في موجة النهضة العربية التي لم تراعي خصوصية المناطق، وحملت على الأخضر واليابس، ولم تميز بين الغض والسمين. فكان على الطرق الصوفية أن تتعامل وفق هذه المتغيرات، وأن تدافع عن وجودها ضد الإصلاحيين، وصراعها ضد التدجين مع الاستعمار، والقيام بدورها التعليمي الإسلامي والاجتماعي. هذه صعاب استطاعت أن تتجاوزها، وتستمر في زرع بذور تم إنباتها عن

طريق التواصل الذي شكل حلقة امتداد من طريقة إلى أخرى. ولو بحثنا في فروع الطرق الصوفية لوجدناها كفروع المؤسسات الأخرى التابعة للمؤسسة الأم، عندما تحقق نجاحا وتتوسع، لتنشأ فروعا ملحقة بها. ويبقى الهدف واحد والغاية واحدة من وجودها منذ أن ظهرت هذه الطرق إلى يومنا الحاضر؛ هو خدمة الإسلام والمسلمين، وتحقيق السلم والأمان في ربوع الوطن، وسائر الأوطان.

رسالة الطرق الصوفية – بالرغم من العداء الذي تكنه لها بعض التيارات والمتعلقة بقضية البدعة، وبالرغم من وجود طرق منحرفة ونفعية – هي رسالة إنسانية بمبادئ إسلامية سامية بعيدة عن التطرف، والغلو الذي يزرع بذور فناءه. وهذا الأمر لاحظناه عند استعراضنا للطرق الصوفية بالمغرب الأقصى، حيث تم الاستيلاء عليه عندما أضعف المخزن دورها بمحاربتها أو تدجينها، أو تبني الفكر الوهابي المتطرف الذي ساهم بشكل كبير في دخول الاستعمار الفرنسي إلى المغرب الأقصى، حيث حارب الطرق الصوفية من خلال ملوكه، وبالتالي القضاء على روح الجهاد، وحماسه الذي كان مصدره رجالات الطرق الصوفية.

شكل الدين الإسلامي الوعاء الذي احتوى التصوف، وشكل التصوف المناخ الذي نشأت في كنفه الطرق الصوفية وترعرعت، وتطورت في فترات متلاحقة، فثبتت في ظل المتغيرات المحلية، والدولية، وخطت بذلك صفحات مشرقة في تاريخ المغرب الإسلامي، وتحملت تبعات الضعف السياسي والاقتصادي، ولم تكن طرفا فيه، بل تصدرت إلى ما نتج عن ذلك، وجابهت تلك الانعكاسات الخطيرة التي حملتها تلك الكيانات الأجنبية للقضاء على تاريخ المغرب السياسي، والاقتصادي، والاجتماعي، والثقافي. ولذلك نجد كل الكتابات التي تناولت الطرق الصوفية، والتي أنصفتها تناولتها ضمن أدوارها في المجالات المذكورة، وتلك مجتمعة تمثل المكون، والهوية الشخصية للمغرب العربي الإسلامي.

هذا الصراع في بعده التاريخي، وأهميته في الماضي، والحاضر، والمستقبل، يتجلى بوضوح من خلال تتبع السياق التاريخي لهذه الظاهرة التي كانت موجودة، وغير حاضرة المفهوم، إلى غاية ظهورها حضورا ووجودا، ثم انتشارها بقوة بخصائص ومميزات، تنفرد بها عن بقية الظواهر الاجتماعية الأخرى الطبيعية منها، والإنسانية، وقد يجابه التصوف والصوفية والزوايا الدينية في المغرب العربي ككل صعوبات لا تختلف عما جابهته في الفترة الحديثة، في ظل التطور الذي يعرفه العالم اليوم، وخاصة التطرف الذي صار سمة العالم العربي الإسلامي، ولاشك أن التصوف، والصوفية ليسوا طرفا فيه، بل ما يحمله التصوف من معاني سامية ودعوة إلى السلم والتعايش، والعمل على ذلك في المجتمع، واحترام الإنسان دون النظر إلى

جنسه ودينه هو الحل، لكن تبقى آليات تطبيق ذلك –في ظل ضعف الأدوات، والوسائل التكنولوجية المتاحة لتبليغ رسالة وأصالة التصوف من جهة، والمواقف المعادية للتصوف والصوفية سواء من قبل الفقهاء(السلفيين) أو العامة منهم من لا يعرف عن التصوف إلا الاسم– غير فعالة دون أن يسهم المجتمع والدولة في لعب الدور الذي يمكن من ذلك قناعة من أن التصوف السني شعار الأمن والسلام في الماضي والحاضر والمستقبل.

الفصل الخامس

1-الطريقة الدرقاوية

أ-الشيخ المؤسس

ب-شيوخه

ج-رسائل الشيخ الدرقاوي

د-سيدي محمد البوزيدي

2-الصراع العثماني الدرقاوي

3-الطريقة الهبرية

4-شيوخ الطريقة الهبرية

أ-الحاج محمد الهبري العزاوي

ب-ظروف ميلاد الشيخ الحاج محمد الهبري

ج-الشيخ محمد الهبري الصغير

د-الشيخ أحمد الهبري

هـ-الشيخ الحاج علي الهبري

5-ورد الطريقة الهبرية

6-الوظيفة الهبرية (الذكر الجماعي)

7-الشيوخ من تلامذة الطريقة الهبرية

أ-الشيخ الحاج محمد بن يلس

ب-رسائل الحاج محمد الهبري

ج–الرسالة السادسة عشر

8–الطريقة الهبرية بغرب الجزائر

أ–دخول الطريقة الهبرية غرب الجزائر

ب–الشيخ سيدي عيسى

9–اتصال الشيخ بلقايد بالشيخ الهبري

10–الشيخ محمد بلقايد

11–تلامذة الشيخ محمد بلقايد

أ–محمد متولي الشعراوي

ب– من أقوال الشيخ محمد بلقايد

ج–الزاوية

12–أنواع الزوايا

أ–الزاوية البسيطة

ب–الزاوية الطرقية

13–التعريف بزاوية سيدي معروف

14– الإدارة

15–زاوية سيدي معروف

16–حضور الطريقة الهبرية

أ–الديني والتعليمي

ب–حضورها السياسي

ج–حضورها الاجتماعي

17–خاتمة

التواصل بين الطرق الصوفية في المغرب الأقصى وغرب الجزائر

قبل الحديث عن التواصل الصوفي بين غرب الجزائر والمغرب الأقصى، علينا أن نتحدث عن الصلات الأخرى بين الجزائر والقوى المحلية في المغرب الأقصى وأهميتهما؛ لنعرف أن التواصل الصوفي يختلف من حيث الأسباب والأهداف، وحتى الصلات السياسية والثقافية بالمفهوم الحضاري تختلف عن التواصل الصوفي بمدلوله الذي قدمناه في التعريف بهذه الظاهرة وتطورها، والأسباب الباعثة لها والنتائج التي حصلت، سواء من التجارب أو من التفاعلات التي تمخضت عن كل مرحلة.

إن الهدوء والاطمئنان الذين سادا في عهد سلطان المغرب، أحمد المنصور وتحققت سيطرته فيما تحته من ملك كان نتيجة القضاء على ثورة ابن أخيه الناصر سنة 1003 هـ/ **1595**م، فما بقي له إلا مواجهة الإسبان، من جهة وتقوية العلاقات وتمتينها مع الأطراف الفاعلة في الجزائر من جهة أخرى، وخاصة الغير راضية منهم على حكم الأتراك.

غير أن هذا الهدوء والاستقرار لم يستمرا طويلا، فقد اضطربت الأحوال، وأعقب ذلك قلق وانزعاج بعد أن لاحظ المنصور أن ابنه وولي عهده محمد الشيخ ينجذب نحو أتراك الجزائر، ويقرّب القبائل المعروفة بولائها لهؤلاء، ويتجلى ذلك بوضوح في رسالته إلى ولي عهده المذكور.

كان المنصور يخشى أتراك الجزائر ولا يأتمنهم، بالرغم من الأوضاع الداخلية لهذا البلد، فقد تقرب المنصور من جديد من حلفاءه التقليديين (الإسبان)، وخاصة ملكها" فيليب الثالث "ليعيّنه على صد خطر الأتراك العثمانيين وذلك في شهر ربيع الأول 1012هـ/أوت 1603 م ثم توجه إلى مهاجمة ولده في مدينة فاس، لكن هذا الأخير قام بتهديد والده، وذلك بالتوجه إلى مدينة تلمسان، واللجوء إلى الأتراك فيها، ممّا جعل المنصور يتراجع عن مهاجمته، ثم فاجأ ابنه بهجوم سريع، أجبره فيها على الهروب من فاس.

ثم إن أتباع المنصور قبضوا عليه، واقتادوه إلى أبيه الذي أمر بسجنه في مكناس وظل المنصور دائما متخوفا من الأتراك في الجزائر، حتى بعد مجيء نظام الباشاوات، واستلامهم للحكم مكان البايلربايات، حيث كانوا يرغبون في نفس الوقت من التخلص من المنصور، ويخشون استغلاله لظروفهم أو أن يقوم بهجوم مباغت عليهم.

اتسمت العلاقات بين الجزائر والمغرب الأقصى بالهدوء والمسالمة نتيجة الظروف الخاصة بكل بلد سواء على عهد المنصور أو فترة أبنائه إلى غاية العقود الأربعة الأخيرة من القرن 11هـ/17م، حيث تجددت أطماع المغرب الأقصى في غرب الجزائر. لكن تلك العلاقات الجزائرية المغربية في تلك الفترة لم تكن سياسية محضة، ولو أنها كانت تخدم أنظمة الحكم بشكل أو بآخر. فقد كانت العلاقات بين الجزائر والقوى المحلية في المغرب جيدة، وخاصة بين الجزائر وجمهورية سلا، المستقلة في سنة 1037هـ/1627م، وتقرب هذه الأخيرة إلى الأتراك نتيجة الجهاد البحري المشترك، وما يدره من غنائم على أهلها. هذا من جهة ومن جهة أخرى اعتبرت سلا مصدر معلومات الأتراك حول ما يحدث في المغرب، كون غرب الجزائر كان مهددا دائما بالغزو المغربي، وهذا ما حدث عندما تسلم العلويين مقاليد الحكم. لم يكن التواصل الصوفي بين الطرق الصوفية صرف خال من كل تدخل لأحد في شؤون الأخر، بل كانت هناك مقدمات تمثلت في الصلات بين الجزائر والقوة المحلية وبالأخص بين أرباب الزوايا ومقدميها.

كان للعياشي[1] صلات جيدة مع حكام الجزائر، ولما انتصر بحلق المعمورة على الإسبان افتدى أحد القادة الجزائريين بأسرى إسبان، واستمرت العلاقة مع سلفه الخضر غيلان في تعاون، وجهاد ضد الإسبان، وكان أتراك الجزائر سندا له، لما ضاقت به السبل سنة 1079هـ/1668م ولجأ إليهم. ولم يختلف الأمر مع مقدمي زوايا تطوان[2]، حيث كانت العلاقة جيدة نتيجة الجهاد المشترك، بالإضافة إلى استخدام الأتراك لموانئ تطوان وكذا نقل المسافرين والحجاج.

ومن الصلات ذات المنفعة السياسية الدينية تلك التي كانت بين الجزائر والزاوية الدلائية، وقد لعبت هذه الأخيرة دورا فاعلا ومؤثرا في مجريات الأحداث في المغرب الأقصى، ما استدعى الرشيد أن شن حربا عليها واستأصل جذورها، ونفى زعيمها إلى تلمسان وهدم مقرها، وسبب ذلك علاقتها بالأتراك في الجزائر.

---

[1]- هو عبد الله بن محمد بن أبي بكر بن يوسف بن موسى العياشي ، الملقب بعفيف الدين، ولد لليلة بقيت من شعبان 1037هـ/1628م، وتوفي بالطاعون يوم الجمعة 18 ذي القعدة عام 1090هـ/1679م. العياشي أبو سالم عبد الله بن محمد، الرحلة العياشية، تح، تع، سعيد الفاضلي وسليمان القرشي، دار السويدي للنشر والتوزيع، الإمارات العربية المتحدة، أبو ظبي، المجلد1، ط2006، ص29

[2]- في ميناء مارتيل و هو ميناء كانت ترابط فيه (عام 972هـ/1564م) (حسب رواية مارمول) سفن لقراصنة جزائريين تلجأ إليه للتزود بالماء والطعام. بنعبد الله عبد العزيز،تطوان عاصمة الشمال وإشعاعه، عضو أكاديمية المملكة المغربية والمجامع العربية،1426هـ/2005م، ص9

لقد كانت علاقة الجزائر بمختلف القوى المحلية في المغرب الأقصى لاسيما منها القوى الفاعلة كالزاوية العياشية والدلائية وأرباب الزوايا، ومقدمي تطوان، علاقة رباط، وجهاد؛ وهو شعار الصوفية وكذا الدولة العثمانية، هذا التعاون الجهادي وتيسير السبل والتشارك لمجابهة خطر الإسبان، دليل على أن الطرق الصوفية تفاعلت مع الأحداث التي شكلت خطرا على المغرب ككل سواء كان أجنبيا أو بتحالف مع الأجنبي.

إذا كانت هذه علاقة الجزائر بأرباب الزوايا والمشايخ في المغرب الأقصى، فالتواصل الصوفي بين الطرق الصوفية وغرب الجزائر يظهر بصورة جلية، كون القوة السياسية ممثلة في الحكام لا سلطان لها عليه، والتواصل الصوفي الصوفي الصرف شمل مختلف الطرق الصوفية وفروعها، فكان كل مجال؛ منه المنشأ وفي غيره الانتشار، والطريقة الهبرية الدرقاوية نموذج للتواصل الصوفي كنتاج لتواصل الطرق الصوفية التي تحدثنا عنها في الفصول السابقة.

1-الطريقة الدرقاوية

تحدثنا سابقا عن الطريقة الدرقاوية إحدى أهم الطرق الصوفية بالجزائر، وبينا محلها من الطرق الصوفية الأخرى. كما تحدثنا عن موقفها من الدولة العثمانية. لكن الحديث عنها في هذا الفصل لابد منه، لأنها الواسطة المباشرة بينها وبين الطريقة الشاذلية، وتنسب الطريقة الهبرية إليها مباشرة.

أ-الشيخ المؤسس

تنسب إلى مولاي العربي الدرقاوي الزروالي الحسني الإدريسي، ينتمي لجده محمد بن يوسف(1239هـ/1823م) دفين تامسنا من قبيلة الشاوية المعروف بابي درقة[1]. يقول عنه صاحب المُدهش المُطرب، الذي أَذِن له ولده عبد الرحمن الدرقاوي في الرواية عنه: أما أساس مجدهم وركن فخرهم: فهو الشيخ الكبير العلم الشهير أبو حامد العربي صاحب الطريقة الدرقاوية، الذي صار صيته في مشارق الأرض ومغاربها، وانحشر الناس للأخذ عنه من كافة الجهات، ورفع علمه في عصره على سائر مشايخ عصره؛ لما جمع من الأوصاف والمزايا التي أهلته لذلك ومناقبه شهيرة[2]، وجاء من بعده على نفس النهج

[1]- معلمة التصوف، المرجع السابق، ج2، ص265

[2]- الفاسي عبد الحفيظ محمد بن طاهر بن عبد الكبير، المدهش المطرب، ص، خ، ج، ع، عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ، ط1، 1424هـ/2003م، ص، 191،192

والاستقامة ولده أبا عبد الله محمد الطيب. ويذكر صاحب سلوة الأنفاس مبينا شهرتهم حيث يقول: كان والده المذكور من أفراد الكُمّل العارفين بالله، الدالين بأقوالهم وأفعالهم، وجميع أحوالهم على الله، جامعا لمحاسن الشيم والأخلاق، واقعا على خصوصية من الأئمة المعتبرين طائر صيته المحجب في جميع البلاد من المشرق و المغرب[1].

تعلم القراءة وحفظ القرآن الكريم، وعندما صححه وأتقنه بالروايات السبع اشتغل بطلب العلم، فرحل لمدينة فاس وأقام بها مدة قرأ خلالها على أكابر علمائها، ما قدَّر الله له من العلوم، وكان في تلك الفترات أيَّام الطلب مثابرا على مجاهدة نفسه وحملها على العبادة، من صيام وقيام وتلاوة وذكر مع فطمها على المخالفات[2].

ب– شيوخه

أخذ رحمه الله عن جماعة من الأولياء، وجمهور من الكبراء والأصفياء منهم مولاي الطيب ابن مولاي محمد، وأبي عبد الله سيدي محمد ابن علي بن ريسون الحسني العلمي، وسيدي العربي البقال[3]، وعمدته منهم: الشيخ العارف بالله مولانا أبو الحسن علي الجمل[4]، رضي الله عنه، فيه أشرقت في صدره أنوار العرفان، وتجلت له من ربه شموس الإحسان، ووقع له الفتح الكبير، والمدد الفياض الغزير، وتخرج على يده هو من لا يحصى من الشيوخ، وأرباب التمكين والرسوخ، وعن طريق هؤلاء انتشرت طريقته وانتقلت من المغرب الأقصى إلى الدول المجاورة، وخصوصا بغرب الجزائر، ومؤشرات ذلك ما قامت به الطريقة

---

[1]– الكتاني أبي عبد الله محمد بن جعفر بن إدريس، سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، ح، و، ف، الشريف محمد حمزة بن علي الكتاني ،ج1، دت، ص 188

[2]– التليدي، المطرب بمشاهير أولياء المغرب، نشر، دار الأمان، ط4، 2004م، ص205

[3]– مولاي العربي الدرقاوي الحسني، مجموع رسائل، تح، بسام محمد بارود، تق ، أحمد بن الخياط الزكاري، المجمع الثقافي، أبو ظبي، إ، ع، م، ط1، 1420هـ/1999م، ص، 43،44

[4]– هو العارف بالله تعالى القطب الرباني، سيدي علي بن عبد الرحمن بن محمد بن علي بن براهيم بن عمران بن عبد الغفار بن السخن بن سليمان الحسني المعروف بالجمل، الشيخ الشهير والمربي الكبير، دفن بحومة الرميلة من فاس، وهو شيخ سيدي مولاي العربي بن احمد الدرقاوي، وعليه تخرج وإليه ينتسب. توفي رضي الله عنه سنة 1194هـ، وعن سن عالية يقرب من مائة وعشرين سنة. دفن بحومة الرميلة أمام زاوية الشيخ أبي مدين، وبنيت عليه قبة، وقد ألف في مناقبه مولاي العربي الدرقاوي تأليف وترجمة واسعة. مجموع رسائل مولاي العربي الدرقاوي الحسني، هامش المرجع نفسه، ص 40

من ثورة دامت عشر سنوات ضد العثمانيين لم تنته إلا بعد أن أيس ابن الشريف، ونبذه الجميع وانتقل إلى المغرب الأقصى.

أما بخصوص طريقته فيقول صاحب سلوة الأنفاس: وطريقته – رضي الله عنه – مبنية على إتباع السنة في الأقوال والأفعال والعادات، ومجانبة البدع كلها في جميع الحالات، مع كسر النفس وإسقاط التدبير والاختيار، والتبري من الدعوة والاقتدار والإكثار من الذكر آناء الليل وأطراف النهار، والاشتغال بالمذاكرة وما يُعنى وترك كل ما يُعنى[1]. ومع ذلك فقد كان للطريقة خصوم، كما لباقي الطرق الصوفية؛ منهم أحمد النجار العلمي الفاسي الذي كان خصم للشيخ مولاي العربي الدرقاوي، فامتحن وتراجع ورحل من فاس، لسكنى الرباط، حيث دفن في (مقبرة لعلو)، توفي عام 1254هـ[2]. و يمكن معرفة الطريقة الدرقاوية من خلال رسائل مؤسسها؛ وهي مثل الطريقة الشاذلية المبنية على كيفية السلوك والتجريد، حيث تعنى بالظاهر والباطن.

ج– رسائل الشيخ الدرقاوي

ترك مولاي العربي تأليف منها كتاب " الآداب المرضية " ومنظومات قام بشرحها تلميذه ابن عجيبة منها " التائية في الخمرة الأزلية " مطلعها: أيا من تجلى في بقاء جماله. ومنظومة رائية مطلعها: " عليك بتقوى الله حيث توجهت "، لكن اشتهر برسائله إلى مريديه مبتدئا برسالته إلى الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم؛ يطلب شفاعته ولمريديه ولمن أحبه وقد اخترت الرسالة الثانية لأنها تدلل على ماهية التصوف عموما وعند الطريقة الدرقاوية خصوصا.

الرسالة الثانية ومنها : " فإن شئت أن تطوى لك الطريق، وتحصل في ساعة على التحقيق، فعليك بالواجبات وبما تأخذ من نوافل الخيرات، وتعلم من علم الظاهر ما لابد منه إذ لا يعبد ربنا إلا به ولا تبتعه إذ لا يطلب فيه التجر. إنما يطلب التجر في الباطن وخالف هواك إذاك ترى عجبا.

[1]– سلوة الأنفاس، المرجع السابق، ج1، ص189

[2]– معلمة التصوف، المرجع السابق، ج2، ص270

والخلق الكريم هو التصوف عند المتصوفين، وهو الدين عند أهل الدين، ولعنة الله على الكاذبين. وكن دائما أيضا فارا من الحس إذ هو ضد المعاني، والضدان لا يجتمعان. فمهما تقويت في جهة الحس ضعفت في جهة المعاني، ومهما تقويت في جهة المعاني ضعفت في جهة الحس.

واسمع ما وقع لاستأذنا – أي سيدي علي الجمل رضي الله عنه – في ابتداء أمره، إذ كان نقش ثلاثة أمداد من القمح، فأخبر أستاذه سيدي العربي بن عبد الله بذلك فقال له: إذا زدت في الحس نقصت في المعاني، وإذا نقصت منه زدت في المعاني.

والأمر واضح لأن الناس بعدما تشمهم مدة طويلة لا تشم فيهم رائحة المعاني، إنما تشم رائحة العرق، وذلك لأجل أن الحس قد استولى عليهم، فأخذ قلوبهم وجوارحهم، ومنافعهم من حيث هي، حتى أنهم لا يخوضون إلا فيه ولا يشتغلون إلا به، ولا يباشرون إلا إياه ولا يستطيعون مفارقته قط. مع أنه قد فارقه العدد الكبير من الناس، فاستغرقوا في المعاني بسبب مفارقتهم إياه مدة عمرهم – رضي الله عنهم ونفعنا ببركاتهم، أمين، أمين، أمين – والمعاني كأنها لم يجعلها الله تعالى لهم، مع أن لكل واحد منهم منها ما للبحر من الأمواج. فلو علموها ما اشتغلوا بالمحسوسات عنها، ولو علموها أيضا لوجدوا أنفسهم فيها بحور لا ساحل لها. والله على ما نقول وكيل[1] ".

في هذه الرسالة يبين فيها علاقة التصوف بالفقه وعلى المريد أن يتعلم الظاهر من الدين ليقيم العبادة إذ لا تتحقق إلا به، ثم يبين الباطن وتطهيره لان المعاني لا حدود لها في حال انك ابتعدت عن الحس ومظاهر الدنيا، واشتغلت بها واستغرقت بكليتك، فلن تخرج وتفارق ذلك قط. فرسائله كلها للتربية والسلوك؛ ولذلك لقيت القبول وانتشرت بسرعة وعمل تلامذته على ذيوع الطريقة الدرقاوية التي ستتفرع منها الطريقة الهبرية موضوع الدراسة. توفي مولاي العربي الدرقاوي في الثاني والعشرين صفر الخير عام تسعة وثلاثين ومائتين وألف، ودفن في بني زروال، وضريحه هناك مشهور معروف. ومن تلامذته الذين حافظوا على العهد واسمرار الطريقة سيدي محمد البوزيدي.

[1] – مجموع رسائل مولاي العربي الدرقاوي، المرجع السابق، ص 70،71

د–سيدي محمد البوزيدي

هو الإمام القطب المرشد الصحيح، حامل أسرار الله الباهرة سيدي أبو عبد الله أحمد البوزيدي الغماري. عاش في بيت كرم وتربية بين العلماء، والمشايخ، وأولياء الله. فشب منذ نعومة أظافره على حب الذكر الذي أبلغه اكتساب العلم بالشريعة إلى جانب العلم بالحقيقة[1]. أسس زاويته بموقع يدعى أبا سلامة في قرية "تلا وذمام" مسقط رأسه، وكان له أتباع ومريدون كثيرون، ولا تزال زاويته هذه قائمة العين إلى الآن، يشرف عليها بعض حفدة الشيخ أحمد بن عبد المومن التجكاني بوصية منه. من أبرز تلاميذه: العالم العامل أحمد ابن عجيبة[2] اللنجري التطواني، الذي عاش بهذه الزاوية ردحا من الزمن، وكان من خدامها الأوفياء...، لم يكن ابن عجيبة التلميذ الوحيد للبوزيدي، بل كانت هناك جماعة وافرة، أكثرهم من قبائل الجبل وخصوصا اغمارة، وقد كتب إليهم في بعض رسائله يقول وهو يحدد لهم منهج مدرسته وطرق تربيته. وبعد: فطريقته الصوفية مبنية على ثلاثة أصول: الصدق، والخروج عن النفس، والخروج عن المال؛ فالصدق أساس، والخروج عن النفس سور، والخروج عن المال سقف ".

ومن بين الذين حملوا لواء الطريقة الدرقاوية سيدي محمد بن قدور الوكيلي المولود بتاريخ 1214هـ/1801م والذي أقام في زاوية شيخيه سيدي مولاي عبد القادر الوكيلي الباشا تلميذ سيدي العربي الدرقاوي . فقد رحل بإذن شيخه إلى الريف شمال المغرب الأقصى وبنا زاوية له بجبل " كركر " وعمل على نشر العلم وتربية الناس والدعوة إلى الله عز وجل وتوفي سنة 1284هـ /1869م ، بعد أن ترك الزاوية مشعة وتلاميذ نجباء واصلوا السير بالطريقة نحو الآفاق. غير أن انتقال الطريقة الدرقاوية إلى غرب الجزائر ومنه انتشارها في مختلف المناطق أدى إلى صراع دام لسنوات مع العثمانيين بعد أن أذن مولاي العربي الدرقاوي لابن الشريف في مجاهدة الأتراك وهو ما أثر على الجانبين.

---

[1]– سيد أحمد الهبري، اللمحة البدرية في التعريف بالطريقة الهبرية، منشورات دار الأديب، ط2،2003، ص16

[2]– عبد الله أحمد بن محمد بن المهدي بن الحسين بن محمد الحجوي ابن سيدي عبد الله بن عجيبة، المستقر بالخميس، ثم إلى سيدي سحنون بن مولاي إبراهيم بن مولاي محمد بن مولاي موسى بن مولاي عبد الله، ثم إلى مولاي أحمد بن مولاي إدريس الأصغر بن مولاي إدريس الأكبر رضي الله عنهم أجمعين. ابن عجيبة أحمد، الفهرسة، تح، تع، تق، عبد الحميد صالح حمدان، دار الغد العربي، القاهرة، مصر ط1، 1990، ص16

2-الصراع العثماني الدرقاوي

ورد خبر هذا الثائر في " درة العيان " وينقله الأغا بن عودة المزاري حيث يذكر ما كان من أمر محمد بن عثمان ثالث بيات وهران فيقول : "... ثم إنه عثمان بن محمد بن عثمان وهو ثالث بايات وهران وأبوه ثانيهم وأبو شلاغم المسراتي أولهم كما مرّ، تولى سنة ثلاثة وعشرين ومائتين وألف بعد موت أبيه بأيام قلائل. وبقي في الملك ثلاثة أعوام. ولم تولى نقل الحكومة من البرج الأحمر غلى القصبة التي بأعلى البلانصة من ناحية مرجاجو، واشتغل ببناء المعالم المرونقة والغرف المعددة المزوّقة، والقصور المشيدة والأساطين الكثيرة المعددة، وغرس الأشجار ذات الفواكه والروائح الطيبة المختلفة ، وجرى المياه في القوارير الموتلفة، واعرض عن المملكة باللب وأقبل بكله على اللهو و الطرب[1]".سار سيرة ملوك العرب بتشكيل مجلس يضم الأدباء والظرفاء وغيرهم، كما عمد إلى استجلاب الجواري للمتعة، فاستفحل آمره إلى أن بلغ باشا الجزائر فعزله و قيده ونقله الى البليدة، وبقي بها إلى أن تولى بايا بقسنطينة وحاله لم يتشوش[2] الى أن قام عليه ثائر رجل يقال له السيد أحمد ابن الأحرش، وهو فتى مغربي ادعى المهدوية وأتى بالأعاجيب من سحره أغرى بها خلقا كثيرا، فنصروه وعقدوا له البيعة حزبا حزبا، وجندوا معه وأمره كذبا[3] وقد هزم الباي هزيمة شنيعة، وفرح ابن الأحرش وامتد غروره.

وفي تلك الفترة حدث الطاعون وفتك بالكثيرين من العامة والعلماء منهم الشيخ عبد القادر بن السنوسي ابن دح بن زرفة وأخيه الفقيه السيد الهاشمي وابن عمهما الفقيه الأديب الألمعي صاحب تأليف " فتح وهران " السيد مصطفى بن عبد الله وغيرهم وظهر الجراد الكثير فأفسد الزرع والثمار فسادا عظيما[4].

---

[1]– طلوع سعد السعود، المرجع السابق، ج1، ص298

[2]– في دليل الحيران: يقول: إلى أن تولى بايا بقسنطينة وحاله يتشوش. والظاهر أن حاله لم يتشوش كما جاء عند المزاري في سياق ما سيحدث – لان بعد ذلك يأتي الاستثناء بقوله: الى أن قام عليه ثائر ابن الأحرش.

[3]– الزياني محمد بن يوسف، المرجع السابق، ص271

[4]–الزياني محمد بن يوسف، المرجع نفسه، ص272

وبعد أن ولى الحاج مصطفى بن عبد الله العجمي سنة (1215هـ)، وكان عاقلا جبانا هاجت في أيامه عامة درقاوة، فكانت عليه نحس وشقاوة[1] ومن ذلك ما قيل من بعد الهزيمة التي وقعت له في المخزن ودب إليه الضعف والوهن وهان أمره لدى العامة:

سيأتي الحاج مصطفى العصي "" هو فوق الكرسي والناس تعصي

إن كان ابن الأحرش فتى مغربي ثار بشرق البلاد، وجاء بالمخاريق، فيمكن أن نفهم أن قيام السيد عبد القادر بن الشريف من أولاد سيدي بليل[2] بعد أن ذهب إلى المغرب. ونستشف ذلك من وصفه في أول حاله: " كان هذا القائم في أول حاله عالما متفننا في سائر العلوم، محققا لها بقيودها والمنطوق والمفهوم، ورعا زاهدا متعبدا، راكعا ساجدا صائما، حنينا راحما، أستاذا يقري القرآن، ويعز أهله، ويزيل بتعلمه لكل جاهل جهله، والناس يشيرون إليه بالصلاح، والنسك والنجاح[3].

فذهابه إلى المغرب غير ما كان عليه مما مرّ معنا من وصف، بعد أن أخذ منه الورد طلب منه الإذن في محاربة الأتراك لأنهم يظلمون الناس ولا يعبؤون بالعلماء والأولياء، وأن يكون هلاكهم على يده فأجابه مولاي العربي الدرقاوي بأن الله ينصرك عليهم بكمالهم، وظن هذه دعوة صادقة لابد من تحققها وأنها هي عين النصرة وفي منقلب حاله يقول فصيح البرجية وهو امساهل في ملحونه :

لاَ مَنْ جَابْ اخْبَارْ الخَيْر "" كِـــــدَارُوا انْهــَـارْ النـــَـطْحَا

دَايِرْ مَلْـبَبُوشْ ازْرَايـــِـرْ "" و ايْحَمَشْ فُوقْ العُكَازْ بَانِي الطَرْحَا

وهذا وصف لمن يدخل في سلك الدرقاوية في لبس المرقعة[4] وعليها البوش وهو نوع يستعمل أحيانا كسلسلة، أو تجمع صدفاته وتعلق على الجبة المرقعة كثيرا ما يستعملها الدراويش إلى يومنا هذا.

---

[1]– نفس المرجع ، نفس الصفحة

[2]– تختلف المصادر والمراجع في تحديد هذه المنطقة، ذكر أبو القاسم سعد الله رحمه الله في الجز الأول، ص218 أنها تقع قرب فرندة، وواقع الحال أن أولاد بليل قريبة من زلامطة من أعمال معسكر، وهي قريبة من الكسانة ببضعة كيلومترات التي تبعد بدورها عن تخمارت بحوالي 17 كيلومتر، وتقع تحت سفح جبل جدنا الولي الصالح سيدي بلمرسلي تحديدا.

[3]– المزاري الآغا بن عودة، المرجع السابق، ج1، ص302

[4]– يقول سيد محمد البوزيدي: أمرناهم بها – يعني المرقعة – لهدم النفوس فاتخذوها لجلب الفلوس فصارت في مذهبنا حرام.

ولما ذاع صيته واشتهر وخاصة عند أهل الصحراء دعاهم إلى بيعته فأجابوه، ولما اعز جانبه جهز أتباعه وقصد الباي، والحال أن الباي أيضا قد اعد له العدة والتقيا بفرطاسة بين واد مينا وواد العبد ؟، واستطاع ابن الشريف أن يلحق الهزيمة بالباي مصطفى، وسبى وقتل، وغنم ودخل هو معسكر وخرج منها الباي الى وهران مقهورا، وأقام ابن الشريف بمعسكر بعد أن قهر خليفة الباي ببلاد امجاهر، وتلك الانتصارات دفعت بهذا الدرقاوي إلى الإعداد لفتح وهران، وعند دخوله مدينة سيق عمل فيها السيف، وقام بما قام به من قبل. ظل الدرقاوي في حرب مع الأتراك طيلة عشرة سنوات الى أن استقر به الحال في قبيلة بني يزناسن بالحدود الشرقية للمغرب الأقصى.

إن ما استعرضناه بإيجاز عن ثورة درقاوة ليس لغرض التعريف بأحداث وثورات قامت ضد الأتراك بقدر بيان التواصل الصوفي، وما جاء في وصف ابن الأحرش وابن الشريف من ذم ومروق عن الدين في مؤلف الأغا بن عودة المزاري، ومؤلف محمد بن يوسف الزياني وما نقله من درة العيان يثبت حضور مؤسس الطريقة مولاي العربي الدرقاوي، وانه عرف حقيقة الأمر ورأى رأي العين خلاف ما اخبره به ابن شريف فتبرأ منه.

وهذا دليل على أن الطريقة الدرقاوية لا يمثلها ابن الشريف وإنما يمثل نفسه وهو ليس إلا طالب الرياسة والجاه، ولكن من مثلها بصدق وسار في رحابها هو سيدي أبو عزة المهاجي –شيخ سيدي الحاج محمد الهبري العزاوي – الذي كانت له زاويتان الأولى بمدينة وجدة[1] وهي المشهورة، والثانية بدكالة عند ضريح الشيخ مولاي العربي الدرقاوي؛ وظل يدعو إلى الله بالزاوية لمدة خمس سنوات ثم انتقل الى زاوية دكالة، وواصل دعوته إلى أن وافته المنية سنة 1336هـ/1918م بعد أن ترك بعده تلميذه الشيخ الحاج محمد الهبري.

[1] – قمت بزيارة هذه الزاوية،بتاريخ 11/20/، 2013 والحقيقة أنها غير مشهورة بل عندما سألت عنها هناك وكنت مع الدكتور يوسف اليحياوي، أخبرني بأن القلة القليلة من يعرف هذه الزاوية.

3-الطريقة الهبرية

هي طريقة شاذلية درقاوية، ويعتبر الشيخ الحاج محمد الهبري العزاوي؛ هو مؤسس الطريقة الهبرية، غير أن اسم الهبري التصق به مع أنه في السند الروحي للطريقة يتكرر اسم الهبري فيه، حيث يورد سيد أحمد الهبري، صاحب اللمحة البدرية؛ وهو من أحفاد الشيخ الهبري السند كالآتي : " أخذ والدنا المنعم سيدي علي، الطريقة عن أحمد الهبري عن محمد عن الحاج محمد الهبري العزاوي[1] ..." وكل المصادر تتفق على أن هذا الأخير هو من أنشأ الزوايا في المغرب الأقصى وعرفت به ، توارثها الأبناء وعملوا على نشرها، حتى ذاع صيتها وانتقلت عبر التواصل إلى أنحاء كثيرة لاسيما غرب الجزائر، وبها زاد إشعاعها وازدهرت، وأصبح لها فروع عديدة بالجهة الغربية، وزوايا تحمل أسماء مشايخ ينتمون إلى الطريقة الشاذلية الدرقاوية الهبرية ويمثلون امتدادا لها، وسنبدأ بمؤسس الطريقة الهبرية، ونورد بالتسلسل شيوخ الطريق إلى أن انتقلت إلى غرب الجزائر.

4-شيوخ الطريقة الهبرية

أ- الشيخ الحاج محمد الهبري العزاوي

تنسب إلى العالم الصالح الولي الذائع الصيت، الشيخ الكامل الدال على الله بالشريعة والحقيقة[2]، سيدي الحاج محمد بن أحمد بن عبد الرحمن العزاوي الشهير بالهبري، و لد في 1239هـ[3]، في الأسبوع نفسه الذي انتقل فيه إلى جوار ربه سيدي مولاي العربي الدرقاوي كما روى ذلك عن نفسه[4]. كان أبواه شريفين، ووالده شيخا صالحا، ووليا فقيها. تولى تربيته، غير أن وفاته جعلت من والدته تتحمل مشقة ذلك، وكان الشيخ الهبري منذ صباه مفطورا على الاستعداد فحفظ القرآن الكريم في طفولته، كما ذكر

---

[1]- اللمحة البدرية، المرجع السابق، ص22

[2]- يقسم الطوسي علوم الشريعة إلى أربعة أقسام هي: 1- علم الرواية والآثار والأخبار .2-علم الدراية (الفقه والأحكام .3- علم القياس والنظر والاحتجاج على المخالفين (الأصول) . 4- علم الحقائق والمنازلات (أي التصوف)، وهو أعلاها وأشرفها ؛ والعلوم المذكورة يمكن – في نظر الطوسي – أن توجد كلها في أهل الحقائق ولا يمكن أن يوجد علم الحقائق في هؤلاء إلا ما شاء الله. يعني الفقهاء و رواة الحديث والأصوليين، الذين يؤاخذهم الطوسي بالنزوع إلى إنكار علوم أهل الحقائق مع أن هؤلاء لا ينكرون علوم غيرهم. الخطابي محمد العربي، موسوعة التراث الفكري العربي الإسلامي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ج1، ط1، 1998، ص17

[3]- غيتاوي التهامي، الرائد في ذكر جملة من حياة وفضائل وكرامات الشيخ سيدي محمد بلقايد، منشورات، م، و، ن، ش، وحدة الرويبة، الجزائر، 2002، ص16

[4]- سيد أحمد الهبري، المرجع السابق، ص17

ذلك بنفسه قائلا :" أتت علي فترة كنت أمتهن فيها التلاوة بين القراء". بعد حفظ القرآن درس علوم الفقه والحديث والتفسير، وحفظ الحكم العطائية[1]، وإيقاظ الهمم، وبذلك يكون الشيخ الحاج محمد الهبري قد أخذ بعلم الظاهر والباطن فتوصل من التشريع إلى التحقيق، كما يوصف به العارفون بالله.

توفى رحمه الله في الثالث والعشرين من رمضان عام 1317هـ/1899م، وزاويته في جبل تاغيت في بني يزناسن[2]. أخذ الطريقة عن الشيخ محمد بن قدور الوكيلي، شيخ زاوية بمنطقة " كركر " بالمغرب الأقصى الشقيق. وكان رفيقه في التلمذة الصوفي المعروف الشيخ حمو البوزيدي رحمه الله صاحب الزاوية المشهورة بمدينة مستغانم ، وهو الذي أخذ عنه الشيخ أحمد بن عليوة صاحب الطريقة العلاوية[3] ، كما أخذ مشايخ آخرون منهم الشيخ أحمد بن موسى الثاني الكرزازي، والشيخ أحمد الفاسي، الشيخ أبي يعزى الشريف المهاجي.

ب–ظروف ميلاد الشيخ الحاج محمد الهبري

في الفترة التي ولد فيها الشيخ الحاج محمد الهبري 1239هـ/1820م، والتي تمثل مرحلة الضعف والإنهاك بالنسبة للحكم العثماني بالجزائر، اثر الثورات التي قامت سواء من طرف الزعامات الدينية، أو طرق صوفية بكاملها. بعد أن كانت ثورات سابقة منذ القرن17م كثورة الكراغلة، وثورة تلمسان، وفي الشرق ثورة أحمد الصخري سنة 1047هـ. فقد هزت هذه الثورة أركان النظام العثماني وكادت تطيح به لأنها شملت المنطقة الواقعة بين الزاب وحدود تونس إلى حدود دار السلطان (الجزائر و نواحيها)[4]، وصولا إلى ثورة درقاوة بالشرق والغرب، وما كبدته هذه الثورة من خسائر في العتاد والأرواح بالإضافة إلى القحط والجفاف، ونقص مداخيل الأسطول البحري للخزينة، الذي جعل الأتراك يفرضون المزيد من

---

[1]– هو الشيخ الإمام تاج الدين، وترجمان العارفين أبو الفضل أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الرحمن ابن عبد الله بن أحمد بن عيسى بن عطاء الله، الجذامي نسبا المالكي مذهبا الاسكندري دارا، القاهري مزارا، الصوفي حقيقة، الشاذلي طريقة، أعجوبة زمانه ونخبة عصره وأوانه ، المتوفى في جمادى الآخرة سنة تسع وسبعة مائة. الزُندي ابن عباد النفري، شرح الحكم العطائية لابن عطاء الله السكندري، إ، د، محمد عبد المقصود هيكل، إ، ش، م، عبد الصبور شاهين، م، هـ، ت، ن، القاهرة، 1408هـ/1988م، ط1، ص13

[2]– لهذه القبيلة دور كبير في مساندة الأمير عبد القادر الجزائري، كما تعرضت للمضايقة من طرف ملوك المغرب بسبب ذلك.

[3]–العقبي صلاح مؤيد، المرجع السابق، ص244

[4]– سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج1، ص212، 213

الضرائب بالإضافة إلى تردي العلاقات مع الحكومة الفرنسية، وكذلك تردي الأوضاع الاجتماعية والثقافية وسنعرف ذلك عند دخول الطريقة الهبرية إلى تلمسان.

فكان على الطرق الصوفية أن تجابه تلك الأوضاع وخاصة بالأرياف بالتربية والتعليم وتحفيظ القرآن، ولذلك اتجه معظم طالبي العلم نحو مشايخ الطرق الصوفية؛ لما لهم من مكانة لدى المواطنين، حيث أصبحت الزوايا بالنسبة إليهم تمثل السلطة الروحية، والدينية التي يلجأ إليها المواطنون في كل القضايا[1].

توجد زاوية الشيخ الهبري على مقربة من ملتقى طريق السعيدية بركان بأحفير على الحدود المغربية الجزائرية (وادكيس). فقد أسسها الحاج محمد الهبري المدفون بعين الصفا، وكان عمله بتجارة المواد والأواني الخزفية، وكان يزور ضريح سيدي بوعلي[2]، ويترحم عليه بقراءة خاتمات من القرآن إلى أن أتم أربعين ختمة. وتروى قصة حول الفتح الذي حصل عليه الشيخ الهبري ملخصها : (ذات يوم أقبل رجل أسود إلى الضريح وهز التابوت وطلب من صاحب القبر حاجته وكأنه إشارة إلى ما ينبغي أن يقوم به الحاج محمد الهبري الذي فعل نفس الشيء فرأى في المنام صاحب الضريح يأمره بالتوجه إلى محمد بن قدور (زاوية كركر المذكورة وهو الذي سيصبح شيخه).

انتبه الهبري ونعتوا له شخصا بهذا الاسم في إحدى الأسواق بنواحي أحفير (سوق أغبال) فلما سأله عن حاجته لاحظ أنه جزار بسيط لا علاقة له بالموضوع. ثم رأى جماعة يسافرون وأخبروه أنهم يقصدون شيخا اسمه محمد بن قدور فوجد ضالته وترك متاعه رهنا عند أحد التجار وذهب معهم، وكان شيخ كركر قد تنبأ[3] به وأمر مريديه بالقيام لاستقباله. مكث عنده مدة أخذ فيها عنه مجموعة من العلوم والعبادات فأذن له بالانصراف وإرشاد الناس لكنه استحى من ذلك فأصيب بقروح عديدة في جسمه. فلما شكا ذلك له قال: بأنه لابد من إرشاد الناس ففعل ذلك وبدأ بزوجته لالة حليمة. ثم باقي الناس حتى انتشر أمره وكثر أتباعه وظهرت كراماته. وكان يقضي يومه؛ بأن يدخل الزاوية في الثلث الأخير من الليل يذكر الله حتى صلاة الصبح فيصلي بالناس، ثم يقرأ الورد اليومي، ثم يذّكر الحاضرين بما يلزم حتى شروق الشمس.

---

[1]– بوجلال محمد لكحل، تأملات في الطريقة البلقايدية، منشورات دار الأديب، دت، ص39

[2]– كان يتردد على قبر جده سيدي عبد الله الكبير العزاوي، ومكث مرة دون أن يبرح الضريح حتى أتم قراءة أربعين سلكه، ختم أخرها على قبر سيدي بوعلي دنين خاله فألهمه الله بالواردات أن يذهب إلى جبل كركر للظفر بحاجته. غيتاوي التهامي المرجع السابق، ص17

[3]– التنبؤ خاص بالأنبياء والرسل، غير أن النبأ يأتي ومفاده الخبر، وربما أخبر الشيخ أن شخص يبحث عنه وتأوله البعض في باب الكرامة وهذا كثير الحدوث عند أهل التصوف.

وعند مغادرة المصلين، يعود إلى فقراء الزاوية الملازمين له، فيلقنهم ويبقى معهم حتى الظهر فيصلون ويطعمون. وفي العصر يشتغل بالتدريس، وكان يقوم بشرح حكم بن عطاء الله[1]. بعدها يستقبل بعض الزوار حتى المغرب. وبعد الصلاة تقوم العمارة حتى العشاء فيخلد للنوم، وهذا دأب كثير من مشايخ الطرق الصوفية. وكان كثير التنقل والأسفار إلى المشرق وزيارة ضريح سيدي عبد القادر الجيلالي، خاصة إلى بيت الله الحرام الذي حج إليه عام(1295، 1300، 130 ، 1310هـ)/(1829،1883،1878م أخرها سنة 1888م)[2]. قبل وفاته ترك أربع زوايا؛ الأولى في سفح جبل تاغيت ببني يزناسن، والثانية في أعلاه، والثالثة في وادي صفر، وكانت الرابعة، التي ستصبح مفخرة الطريقة الهبرية وهي زاوية الضريوة[3].

وقبل أن نتقل إلى التعريف بالشيخ محمد الهبري، ودور زاوية الضريوة، وانتقال الطريقة الهبرية إلى غرب الجزائر، تلمسان ووهران وتفرعها بالغرب، نختم بالسند الطيني[4] للشيخ الحاج محمد الهبري العزاوي رحمه الله من كتاب اللمحة البدرية في التعريف بالطريقة الهبرية .

نص السند الطيني : " الحاج محمد الهبري بن عبد الرحمن بن فضيل بن الجيلالي بن عمر النوالي بن عبد الرحمن بن محمد الجيلالي بن الجيلالي بن محمد السنوسي بن عبد الله الكبير، واسم أمه عزة بنت[5] سيدي محمد بن عفيف بن محمد المغراوي الذي دفن بابن زروال قبيلة المجاهر، أبوه سيدي علي بن إسماعيل بن علي بن إسماعيل ابن محمد بن زيان رضيع حنشر بن يعقوب بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن عبد الخالق ابن علي بن عبد القادر بن عامر بن رحو بن دحو بن مصباح بن صالح بن سعيد بن أحمد

---

[1]– سبقت ترجمته

[2]– غيتاوي التهام ، المرجع السابق ، ص17

[3]– سميت كذلك لكثرة ما كان فيها من أشجار الضرو. والضريوة تصغير لكلمة الضروة في اللغة العامية، وهو نوع مشهور ومتداول في كلام أهل البوادي وخاصة بغرب الجزائر.

[1]– السند الروحي للشيخ الحاج محمد الهبري العزاوي الملحق رقم14

[5]– يرد نسبه مخالف لما في اللمحة البدرية عند أحمد الغزال وهو كما يلي : الحاج محمد الهبري بن عبد الرحمن بن الفضيل بن الجيلالي بن الجيلالي بن محمد السنوسي بن عبد الله الكبير (اسم امه عزة) بن سيدي محمد بن عفيف ، ولد محمد المغراوي دفين بني زروال من قبيلة المجاهر (لعله المجاعرة التي بني فيها السد الجديد) بن سيدي علي بن اسماعيل بن محمد بن زيان بن يعقوب بن عامر بن رحو بن مصباح بن صالح بن سعيد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن إدريس (أي الأكبر) بن إدريس (أي الأصغر) ، بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء بنت الرسول صلى الله عليه وسلم. الغزالي أحمد، مساهمة في البحث عن زوايا بني يزناسن ، القادرية البودشيشية نموذجا، دط، دت، ص 130

بن محمد بن أحمد بن إدريس بن إدريس بن عبد الله الكامل بن الحسن بن المثنى بن الحسن بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه زوج فاطمة الزهراء بنت النبي صلى الله عليه و سلم "

لقد ترك الشيخ الحاج محمد الهبري خلفاء من ذريته واصلوا تولي الطريقة والقيام على شؤون الزاوية هم: الشيخ محمد الهبري الصغير، والشيخ أحمد الهبري، والشيخ الحاج علي الهبري، و الشيخ اعمرو الهبري. أما خارج النسب؛ الشيخ البودالي والشيخ إبراهيم بن البودالي، والشيخ ميمون من بني سعيد بالمغرب الأقصى.

ج– الشيخ محمد الهبري الصغير

هو ابن الحاج محمد الهبري، ويذكر أنه كان مريضا طيلة حياته التي بلغت 60 عاما، وكانت وفاة والده وهو غائب في علاج رفقة الحاج محمد الصمود، وعاد بعد أن نعي إليه بوفاة والده إلى الزاوية بجبل تاغيت بني يزناسن المغرب الأقصى. لقد ترك الشيخ الحاج محمد الهبري وصية خلافته عند الشيخ محمد بن الحاج الغرماوي[1]، والذي أقام جمعا حضره عدد كبير من الفقراء، والمقاديم والعلماء، وتليت على مسامعهم نص الوصية، حيث قال لهم ما يلي: " إن شيخنا الحاج محمد الهبري رحمه الله تعالى، ورضي عنه ونفعنا ببركته، قد ألح علي قبل موته، وقد كان معي جمع من الفقراء والمقاديم أن أولي الزاوية من بعدي لسيدي محمد الهبري، عند عودته من السفر[2] ".

واصل الشيخ محمد الهبري في خلافة الزاوية القيام بتدريس العلوم الشرعية، من فقه وحديث، إلى جانب علوم الحقيقة، من علم التصوف؛ الذي يُعنى بالأخلاق والزهد وتهذيب النفس. فازدهرت الزاوية وتكاثر مريدوها، مما استدعى الأمر توسيع الزاوية بمساعدة الفقراء والمحبين.

إن الظروف السياسية في ظل انتشار الطريقة الهبرية ساهمت بشكل أو بأخر في المتغيرات التي طرأت على شيوخ الطريقة، بعد دخول الاستعمار الفرنسي للمغرب، ونظرا لذيوع صيت الطريقة وخشية الاستعمار من نفوذها، قامت سلطة الاحتلال بإجبار الشيخ محمد الهبري إلى النزول بزاوية الضريوة، غير أن هذا الأمر جعلها بمعزل عن المراقبة، فازدادت قوة. وعند اندلا ع الحرب العالمية الأولى قامت سلطة

[1]– اللمحة البدرية، المرجع السابق، ص23

[2]– المرجع نفسه، ص 23، الرائد في ذكر جملة من حياة وفضائل وكرامات الشيخ سيدي محمد بلقايد، المرجع السابق، ص19، تأملات في الطريقة البلقايدية، المرجع السابق، ص42

الاحتلال بنفي الشيخ محمد الهبري وعائلته إلى مدينة أفلو[1] بجنوب الجزائر، ومن ثم إلى مدينة عنابة، وتحديدا ببلدية سبع بشرق الجزائر، ومع ذلك لم ينقطع عنه محبيه وظلت وفود المريدين تتردد في زيارته. والظاهر أن تعامل السلطة الاستعمارية مع الطرق الصوفية مبني على موقف هذه الأخيرة، بل على موقف مشايخها؛ فمن سار في ركبها وأخضع لها الأهالي، جعلت منه حليفا ومنحته منصبا رفيعا، ومن رفض ذلك ضيقت عليه وعاملته بقسوة، وعملت على تشتيت شمله بشتى الوسائل، كما حدث ذلك مع الشيخ محمد الهبري، ومن قبله والده الحاج محمد الهبري.

وبعد انتهاء الحرب العالمية الأولى عاد الشيخ إلى زاوية الضريوة من جديد ليواصل نشاطه في الوعظ والإرشاد، والتدريس؛ في ظروف كان فيها المغرب أحوج إلى الحفاظ على مقومات هويته الشخصية من لغة ودين. كان المرض ملازما للشيخ طيلة حياته وهذا لم يثنيه عن عمله، وبعد وفاته في ديسمبر 1939م خلفه على إدارة شؤون الزاوية ولده أحمد[2]، الذي واصل بنشاط و محافظا على ما أنجزه أسلافه.

د- الشيخ أحمد الهبري

أصبح اسم الهبري عَلمًا للطريقة، والتي هي في الأصل شاذلية درقاوية. عمل الشيخ أحمد الهبري على استمرار النشاط كسابق عهده بزاوية الضريوة. وبدأ بجولات إلى كل من تلمسان، ووهران، وسيدي بلعباس، وتخمارت بنواحي تيارت، وكانت زيارته تفقدية لأحوال الزوايا والفقراء بها، كما كان يزور زاوية أبيه بالحرشا (مداغ) بالمغرب الأقصى، وظل يعمل على تقوية نفوذ الطريقة الهبرية، وتكثير مريديها والقيام على حوائجهم، إلى أن مات في 15 صفر 1370/1950م، ودفن بالزاوية، وترك من الولد ثمانية هم: الهبري، نور الدين، علي، محمد، الحسن، عبد الله، حمزة، ضوء المكان، وبنت اسمها لا لا مريم[3]، وقد تولى خلافة الزاوية من بعده الشيخ الحاج علي الهبري.

---

[1]- كانت هذه المدينة منفي للزعامات الدينية ومنهم الشيخ البشير الإبراهيمي رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بعد الإمام عبد الحميد ابن باديس .

[2]- خلافة الزاوية عادة تكون في بيت الشيخ ، وأحيانا أخرى يتولاها أحد تلامذته كما حدث في كثير من الطرق الصوفية ومثلا لا حصرا تولي الحاج محمد الحبيب المشرقي الذي كان مريدا عند الشيخ ابن العربي الفقيري زاوية هذا الأخير بعد موته بوصية منه . المشرقي محمد =الحبيب، همم الملوك العالية لصاحب الوقت وسيرته المحمدية، تق، تح، تر، الطيب بن الطيب، ومساعدة بن الطيب محمد، تص، بن براهيم سالم، منشورات دار الأديب، وهران، ص25

[3]- كل ولية صالحة تسمى ب " لا لا " مثل لا لا خديجة ولا لا قورارية ولا لا مغنية ولا لا ستي ، ولا لا فاطمة نسومر ، وغيرهن

هـ- الشيخ الحاج علي الهبري

تعهد خلافة الزاوية بعد الشيخ أحمد الهبري ولده سيدي علي الهبري، وظل يعمل على جمع الشمل، وتفادي النزاعات، التي كان سببها الأراضي الفلاحية وملكيتها[1]، بحنكة وحكمة. ثم انتقل الشيخ الحاج علي الهبري إلى مدينة وهران، وبنا بها زاوية، وكان شديد العداء للاستعمار الفرنسي، وقد جعل مقر الزاوية خندقا لخدمة الثورة التحريرية، حيث تعرضت الزاوية إلى القصف أكثر من مرة من قبل العدو الفرنسي.

وكان من مريدي الطريقة الهبرية زعماء الحركة الوطنية والثورة التحريرية منهم: مصالي الحاج، وأحمد بن بله، ووالد الرئيس عبد العزيز بوتفليقة رحمهم الله جميعا. وكان من عمله خارج الوطن أن أنشأ زاوية بشمال فرنسا تابعة للطريقة الهبرية. استمر نشاط الشيخ الذي تعهد خلافة الزاوية قرابة العشر سنوات إلى أن وافاه الأجل، وانتقل إلى عفو ربه عز وجل عام 1380هـ/1961م، مخلفا أربعا من الأولاد، وبنت أكبرهم الشيخ محمد المختار، شيخ زاوية الحرشا بمداغ، والشيخ أحمد والشيخ علي، وفاطمة الزهراء، وهؤلاء موجودين بوهران.

خلف الشيخ أحمد على زاوية الضريوة عمه الشيخ عمر إلى أن مات سنة 2000م، فخلفه ابنه الشيخ أحمد، وناب عنه بالحرشا الشيخ عبد الله، وكان على رأس الزاوية بوجدة[2]. انتقلت مشيخة الزاوية بعد ذلك إلى الشيخ علي العربي بعد وفاة أخيه، وأصبح يشرف على الزاويتين بمداغ ووهران، وفي ظل ذلك كان يتعهد ابن أخيه محمد المختار بالتربية، والرعاية ليصبح خليفة بزاوية الحرشا بعد وفاة عمه، والتي كانت تشرف عليها أخت سيدي أحمد الهبري واسمها لالا صافية.

أما الشيخان؛ أحمد الهبري وعلي الهبري فتوليا شؤون زاوية مرفال بوهران بمساعدة أختهما، حيث عرفت الزاوية الزوار من الفئتين، فكانت الأخت تستقبل الفقيرات، وتساعد الشيخين في تنظيم المواسم الدينية وبخاصة المولد النبوي الشريف، الذي تردد فيه الأذكار ويقرأ القرآن، وتقام فيه الدروس المحمدية،

---

[1]- عرفت هذه المشاكل ؛ الزاوية السنوسية بمستغانم وخاصة بعد الحرب العالمية الثانية ونتيجة لذلك لم تستطيع السنوسية من نشر نفوذها خارج مثلث مستغانم، وهران، غليزان. بلحيا بودواية، المرجع السابق، ص92، 93

[2]- هذه المدينة هي نقطة بداية الغرب الجزائري، وعلاقتها به أقرب منها إلى باقي مناطق المغرب الأقصى من حيث العادات والتقاليد والوشائج المختلفة، وحتى القبائل كبني يزناسن كانت تعاضد الجزائر في الفترة الحديثة وفي ظل الاستعمار الفرنسي

في الوعظ، والإرشاد، ولم يقتصر عمل الزاوية في هذه الجوانب بل كان يقصدها الناس للعلاج من مرض معروف لدى العامة بـ" عرق لسان" حيث اشتهرت به هذه الزاوية.

أصبحت زاوية وهران بمثابة الزاوية الأم، وتفرعت عنها زوايا أخرى بنواحيها، منها فرع بالسانيا، وأخر ببلدية العنصر، وفرع بدائرة بئر الجير، وأخر بدائرة بوتليليس، وكذا فرع بحاسي مفسوخ، كما يوجد فرع تابع لها بعين تموشنت وأخر بالجنوب بدائرة رقان بأدرار.

إن هذا الانتشار الذي نتج بفعل التواصل الصوفي، في ظروف كان فيها المغرب وكذا الجزائر تحت نير الاستعمار الفرنسي[1]؛ ساعد على التماسك الاجتماعي لنسيجه رغم محاولات تفكيكه. ومما زاد في تماسكه، قيام الطريقة الهبرية بدورها الجهادي[2]، مثلما حدث الأمر عند الاحتلال الأجنبي من خلال الطريقة القادرية بغربه، والرحمانية في شرقه والشيخية البوعمامية في جنوبه.

لقد كان للشيخ محمد الهبري أخ هو الشيخ عبد الله ابن الحاج الذي كلفه بتسيير حبوس الزاوية، والفلاحة وغيرها، كما ساعده على تنظيم شؤون الزاوية. عمل شيوخ الزاوية الهبرية بجد ونشاط، وبالقدر الذي مكن من استمرار دورها في المجتمع، رغم الظروف القاسية والسياسة الاستعمارية الباغية، وتركوا تلاميذ خلفوهم في مناطق عديدة لنشر الطريقة والحفاظ على موروث الأجداد فقاموا بإنشاء زوايا تدين بالولاء للطريقة الهبرية الأم.

6- ورد الطريقة الهبرية

-أعوذ بالله من الشيطان الرجيم (مرة واحدة)

-بسم الله الرحمن الرحيم (مرة واحدة)

- وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا وأعظم أجرا واستغفروا الله إن الله غفور رحيم (مرة واحدة)

-استغفر الله العظيم (100 مرة) صباحا ومساءً

-إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما (مرة واحدة)

---

[1]- وقع المغرب الأقصى بين فكي الاستعمار الفرنسي والاستعمار الإسباني رغم صغر مساحته نظر لانفتاحه على واجهتين بحرتين ووقوعه بأقصى منطقة في الجهة الغربية لدولة الإسلام، إنما يأكل الذئب من الشاة القاصية؟

[2]- تعرضا لمفهوم الجهاد عند الصوفية في الفصل الخاص بالتصوف من هذا العمل.

-اللهم صل على سيدنا محمد عبدك ورسولك النبي الأمي وعلى آله وصحبه و سلم (100 مرة) صباحا ومساءً

-لا إله إلا الله وحده لا شريك له (100 مرة) صباحا ومساءً

-صورة الإخلاص (ثلاث مرات)

7- الوظيفة الهبرية (الذكر الجماعي)

- الجلالة والمدائح النبوية والقصائد الصوفية
- الاسم المفرد (لفظ اسم الجلالة " الله ")
- العمارة تقام بضرب الطبل

وكثيرا ما كان جماعة الهبريين يزورون الزاوية القادرية البوتشيشية[1]، فينزلون ضيوفا على شيوخها، فيكرمون وفادتهم، ويقيمون ليالي بالعمارة، وقراءة الاسم المفرد " الله "، والأمداح، وضرب الطبل لتهييج الذاكرين[2]. كما كان يقصد الزاوية الهبرية فقيرات كل جمعة في الصباح، يجتمعن على الذكر ثم ينصرفن[3].

8-الشيوخ من تلاميذ الطريقة الهبرية

من تلامذة الحاج محمد الهبري؛ الشيخ البودالي بن عبد القادر الجباري الذي رحل إلى المغرب، إلى زاوية تاغيت، وبقي عند شيخه مدة، وأخذ عنه الطريقة، ولما عاد إلى الجزائر أنشأ زاوية بأمر من الحاج محمد الهبري، ومقرها بتخمارت[4]، بين " المالح " من جهة معسكر، والملعب من جهة بلدية تخمارت، قريبة من منطقة أولاد براهيم من ناحية " بالول " ولاية سعيدة، وكان الشيخ البودالي يزور الشيخ حمو البوزيدي بمستغانم، ويعينه على تسيير شؤون الزاوية، وبعد وفاة الشيخ حمو ظل على اتصال بابنه، وله كرامات عديدة. وقد زرت في بداية الثمانينات هذه الزاوية رفقة الوالد، ولازلت أذكر الجمع الغفير الذي

---

[1]- يلاحظ أن التواصل القادري الشاذلي تمثله فروع الطريقتين، كما أن انتشار الطريقة البودشيشية في المغرب أكثر منها في الجزائر بينما تنتشر الطريقة الهبرية في الجزائر بشكل كبير عنها في المغرب، وهذا يفسر نشاط تلامذة الشيخ الهبري خصوصا في الجهة الغربية للجزائر

[2]- قيل أن أول من أضاف الطبل إلى الطريقة هو مولاي العربي الدرقاوي لما وجد عليه أهل المغرب من ميولهم في استعمال الدف في المناسبات المختلفة.

[3]- الغزالي عبد المجيد، المرجع السابق، ص140

[4]- هي اليوم تابعة إداريا لولاية تيارت على بعد 90 كلم على حدود ولايتي معسكر وسعيدة ،كانت تسمى على عهد الحقبة الاستعمارية : دومنيك لوسيان : ثم أصبحت فيما بعد اسمها العين الخضرة واشتهرت باسم تخمارت.

كان يتوافد عليها، ومقدرة تلك الزاوية في إطعام ذلك الجمع الذي لا ينقطع طيلة العام فضلا عن المناسبات كما زرتها أثناء العشرية السوداء وكانت خالية على عروشها .

لقد ظل الشيخ البودالي على اتصال بالطريقة الهبرية، بعد وفاة شيخه الحاج محمد الهبري، إلى أن توفي هو في 22 جمادى الأولى 1434هـ/1910م، ودفن بجبل أولاد براهيم، وخلفه من بعده الحاج بن براهيم البودالي، وكان هذا الأخير تلميذ الشيخ محمد الهبري؛ وهو من مواليد 1302هـ/1885م، بتخمارت واشتهر باسم (بوذريع)، وقد بقي على ولائه لشيخه محمد الهبري، وبنا زاوية في كل من تخمارت وفرندة، وسعيدة، وسيدي بلعباس، وله تلاميذ في هذه النواحي. انتقل أثناء الثورة التحريرية إلى وهران وأسس بها زاوية مواصلا نشاطه في الإرشاد والوعظ والتدريس، إلى غاية الاستقلال 1962م، ليعود إلى مسقط رأسه إلى أن توفي رحمه الله ليخلفه ابنه الأكبر الحاج محمد.

ومن تلامذة الهبري الحاج محمد بن يلس[1].

أ- الشيخ الحاج محمد بن يلس

هو تلميذ الحاج محمد بن أحمد بن عبد الرحمن العزاوي[2]، بتاغيت؛ ولد بتاريخ 1271هـ/1854م درس على يد الشيخ الدكالي، الذي أوصله إلى الشيخ الحاج محمد بن أحمد بن عبد الرحمن العزاوي بزاوية تاغيت بجبل بني يزناسن، فأخذ الطريقة الهبرية وأمره الشيخ الهبري العزاوي مع الإذن بالإرشاد والوعظ على الطريقة الهبرية الدرقاوية في هذا يقول الشيخ بن يلس:

بالـهبري تم المراد " " لقنني بـــــالأوراد

أما مقام الإرشـــاد " " من البوزيدي مأخوذ

[1]- يذكر بلحيا بوداية أن هبرية بن يلس عرفت تمردا على الزاوية الأم، وبدأت تأخذ اسم منشئها الشيخ محمد بن يلس الذي لجأ إلى سوريا، حيث وافته المنية بدمشق سنة 1911م . هبرية بن يلس المنشاوية أنشأها بتلمسان الحاج عبد القادر المنشاوي، وتضم الكولوغلي ذوي الأصل التركي، ويعتقد أن زعيم حزب الشعب الجزائري المرحوم مصالي الحاج، كان أحد أتباعها، ولذلك قيل أن لدرقاوة تلمسان ميول وطني أكثر من ميولهم الطرقي. بلحيا بودواية، المرجع السابق، ص61، 62

[2]- اللمحة البدرية، المرجع السابق، ص32

وكان إذ ذاك بتلمسان، فذاع صيته، لكن بعد وفاة شيخه الحاج محمد الهبري انتقل إلى غرب الجزائر، وتحديد إلى وهران، حيث مكث فيها ثلاث سنوات، ثم رحل إلى الشام (سوريا)، مع زوجته وابنه أحمد إثر صدور قرار التجنيد الإجباري، وهناك نشر الطريقة الهبرية. لقد تعرض هناك بسوريا إلى التعذيب من طرف الاستعمار الفرنسي بسبب الهجرة بغير جواز سفر أو رخصة. توفي رحمه الله ودفن قرب ضريح سيدنا بلال بن رباح رضي الله عنه، وقد ترك هذا الشيخ العارف بالله جملة من التلاميذ منهم: ميل الشطي مفتي الحنابلة بدمشق، والشيخ الغوثي بن محمد البغدادي التلمساني، والشيخ بن عودة الحاج محمد البرصالي، والشيخ الحاج عبد الرحمن بوجنان الذي يقول عنه: (لازمته مدة طويلة ولم يطلب مني أن أخذ عنه الطريق ... " وكانت بينهما محبة عظيمة، وكان الشيخ الحاج بن يلس كثرا ما يزور مريديه في أماكنهم، ومحلاتهم بصحبة الوالد في تلك الزيارات، وكله تقدير واثار للمولد، إلى أن أخذ عنه الطريقة الدرقاوية الشاذلية، وبقي معه ومع التلاميذ النجباء، كالشيخ محمد بلهاشمي، وسيدي الغولي البغدادلي، وسيدي بنعودة بن صالي[1])، وغيرهم من المشايخ الذين قدموا للطريقة الشهرة، والنفوذ، وللعلم للفقراء، والمريدين، وتركوا تلامذة حملوا لواء نشر الدين الحنيف، ومن تلامذة الشيخ الهبري الذين كان له إسهام في الطريقة الشيخ الحاج محمد بن الحاج العشعاشي، وغير هؤلاء كثير بفضلهم كان لهذه الطريقة سعة انتشار شرقا، وغربا وخارج الوطن.

ب- رسائل الحاج محمد الهبري

تعتبر الرسائل[2] الموجهة إلى المشايخ، والمريدين سمة تطبع أهل التصوف، ومشايخ الطرق الصوفية. ومن خلال رسائل الجنيد ندرك بعد هذه المؤلفات، وكثير ما تحمل هذه الرسائل غاية الشيخ، ومراده من كتابتها، وقد رأينا الرسالة الثانية للشيخ الدرقاوي، وكذلك فعل الشيخ الحاج محمد الهبري، فقد كتب ما يزيد عن ستة عشر رسالة مختلفة المضامين، واخترنا رسالته السادسة عشر، و الأخيرة، وهامشها، كونها تحمل إجازة لتلقين ورد الطريقة الهبرية الخاص بالرجال والنساء، وبها نسب الحاج محمد الهبري، ولأنها،

---

[1]- التلمساني الحاج عبد الرحمن بوجنان زداني، ديوان الشيخ الحاج بوجنان زيداني التلمساني (1966/1882)، راجعه وصححه، يحي الطاهر برقة، مكتبة جودي، وهران، الجزائر، ط1، دت، ص6

[2]-الرسائل هي تعقيبات مختصرة فقهية عميقة تشمل فقه العبادة ، وفقه المعاملات، وبالإحاطة كاملة بالمذاهب الأربعة. أو تكون الرسالة رؤية نقدية وفلسفية من خلال تحليل البنية اللغوية، والعقائدية، والنحوية. البشيري أحمد، المرجع السابق، ص16

أصل الرسالة التي كتبت بيد الشيخ محمد الهبري، وقد نقلت حرفيا كما كتبها الشيخ، وهذا نص الرسالة مع الورد الذي أمر الشيخ أتباعه بقراءته، وقد جاء على هامش الرسالة الأخيرة.

ج–الرسالة السادسة عشر

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

إنه من محمد بن الحاج بن أحمد الهبري بن الفوضيل بن الجيلالي بن محمد صالح بن الجيلالي بن محمد بن عبد الله بن عزة نور الله ضريحه وقدس روحه إلى كل أخ لنا في الله من أبناء المسلمين وأولاد المؤمنين وتلامذته أجمعين كل واحد باسمه ومن يقف على خط يدنا وكتابنا وإني أجزت سيدي بلقاسم بن الحاج محمد بن حراث وأمرته بأن يعطي وردنا الشريف المسلسل من شيخ إلى سيدنا علي كرم الله وجهه إلى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى سيدنا جبريل إلى رب العزة إني أمرته أن يمد لأولاد المسلمين والمؤمنين فقد اتخذناه من وسط فقرائنا وولاة أمورنا لما علمنا فيه من الصدق والمحبة والجريان على طريق الله المرجو من الله أن يأخذ بناصيتنا وناصيته في سلوك ذلك الهمام وبخصوص هاتك الشعاب وأوصيه هو بوصية تنفع دنيا وأخرى بأن يكون مناصحا للتلامذة، وأن يتأدب معهم وأن يراقب أقوالهم، ويحضر جنائزهم ويذكرهم فيما يزيدهم إلى ربهم من معارف الله ويناصحهم ويعاونهم فيما يقوي الله أمورهم وما ينور باطنهم أصلح الله حملهم وقوى عزمهم بحوله وقوته و عزته حرر في 1345هـ وبه كتبت كتابنا أني محمد الهبري.

د–الرسالة الأخيرة

" وردنا الشريف الذي لقنه سيدنا رسول الله صلى الله عليه و سلم لسيدنا علي كرم الله وجهه يقول: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم مرة واحدة. بسم الله الرحمن الرحيم ثلاث مرات. استغفر الله مائة مرة، اللهم صل على سيدنا محمد عبدك ورسلك[1] النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم مائة مرة. لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير مائة مرة وتختم ذلك بالإخلاص ثلاث مرات البسملة، فهذا ورد لمن يكون لا يقرأ. و الطالب لابد أن يتلو الاستفتاح بالاستغفار يقول ما تقدموا لأنفسكم... إلى الرحيم مرة أخرى، ثم يقول استغفر الله العظيم إلى غفور رحيم والاستفتاح للصلاة على

[1]– الصواب: رسولك

النبي إن الله وملائكته يصلون... إلى تسليما مرة ويصلي على النبي مائة، لا إله إلا الله، والإخلاص والبسملة.

وأما ورد النساء أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم ثلاث مرات استغفر الله مائة مرة لا إله إلا الله وحده لا شريك له مائة مرة والإخلاص ثلاث مرة بالبسملة.[1]

هـ- هامش الرسالة الأخيرة

وردنا الشريف الذي لقنه سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لسيدنا علي كرم الله وجهه يقول: أعود[2] بالله من الشيطان الرجيم مرة واحدة، بسم الله الرحمن الرحيم ثلاث مرات، أستغفر الله مائة مرة، اللهم صلي[3]على سيدنا محمد عبدك ورسولك النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم مائة مرة، لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير مائة مرة وتختم ذلك بالإخلاص ثلاث مرات مع البسملة، فهذا ورد لمن يكون لا يقرأ.

والطالب لابد أن يتلو الاستفتاح بالاستغفار يقول ما تقدموا لأنفسكم... إلى الرحيم مرة أخرى، ثم يقول استغفر الله العظيم إلى غفور رحيم والاستفتاح للصلاة على النبي مائة، لا إله إلا الله و الإخلاص بالبسملة.

وأما ورد النساء أعود[4] بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم ثلاث مرات، أستغفر الله مائة مرة، اللهم صل على سيدنا محمد وآله وصحبه و سلم مائة مرة، لا إله إلا الله وحده لا شريك له مائة مرة والإخلاص ثلاث مرات بالبسملة.

ما نلاحظه هو الاختلاف الطفيف بين الرسالة الأخيرة، وهامشها، مع بعض الأخطاء المطبعية في نقلها من طرف صاحب اللمحة البدرية[5]

---

[1]- ينظر الملحق رقم 1

[2]- الصواب: أعوذ

[3]- الصواب: صل

[4]- الصواب: أعوذ

[5]- اللمحة البدرية، المرجع السابق، ص ص، 82 – 85

9- الطريقة الهبرية بغرب الجزائر

ونبدأ بدخول الطريقة الهبرية إلى تلمسان، وهذا أمر يكاد يكون بالنسبة للطرق الصوفية عامة بسب الجوار والقرابة البيئية من جهة، وبسبب النسب والمصاهرة من جهة أخرى، ثم أن القرن 19م عرف انتشارا واسعا للطرق الصوفية والزوايا وخاصة بالأرياف، ولهذا الأمر جملة من الأسباب منها: حدوث فائض من العلماء يزيد على حاجة الحواضر التي تركز فيها التعليم، سيما مدينة تلمسان – حيث تكونت فيها– في القرن الخامس عشر– طبقة كبيرة من العلماء، من أسر: ابن مرزوق، والمقري والعقباني، والسنوسي، وابن زاغو، وابن زكري، فأحدثت هذه الطبقة حركة علمية، كان من ثمارها، تخرج عدد ضخم من العلماء، لم يكن سهلا عليهم – وهم من أبناء الحواضر، ألفوا الحياة فيها – أن ينزحوا إلى ريف البلاد، فآثروا الهجرة إلى حواضر العالم العربي: كفاس والقاهرة وغيرها[1]، والدافع الثاني تمثل في الاضطراب السياسي الذي شهدته المنطقة الغربية سواء تلمسان أو وهران أو مستغانم أو معسكر من القوى الأجنبية كالإسبان أو محلية كالطرق الصوفية، أو من القبائل المنحازة إلى هذا أو ذاك[2]، وعامل أخر يتفق حوله المؤرخون هو تعسف العثمانيين وطغيان حكامهم، كما ذكرت ذلك الأشعار وخاصة معاملتهم لعلماء تلمسان، هذه العوامل وغيرها جعلت أهمية انتشار التعليم الطرقي ينتقل إلى الريف.

فإلى جانب الزوايا التي كانت قائمة في المدن، والتي استحدثت بها خلال هذا العهد مثل: زاوية سيدي بن عبد الله الزواوي، وزاوية سيدي عبد الرحمن الثعالبي، وزاوية الأندلسي بالعاصمة، وزوايا أخرى بالمدن الحواضر مثل وهران، وبجاية، وقسنطينة، وتلمسان، وهذه الأخيرة لم تكن الزوايا بها من أهمية بمكان إلا بعد دخول الطريقة الهبرية بها؛ والتي شبهها الأوربيون بجامعات أوربا في العصور الوسطى، والجدير بالذكر أن أغلب العلماء الجزائريون في هذه الفترة من خريجي هذه الزوايا، منهم سعيد قدورة، وأبو راس الناصري، والأمير عبد القادر، ومحمد بن علي السنوسي مؤسس الزاوية بليبيا؛ لذلك ليس غريبا

[1]– مجلة سرتا، العيد مسعود، حركة التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني، مطبعة البعث، قسنطينة، السنة الثانية، العدد 3، رجب 1400هـ/1980م، ص59

[2]– كقبيلة بني عامر التي خصها الشيخ عبد القادر بن عبد الله المشرفي بتأليف سماه " بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الاسبانيين من الأعراب كبني عامر " حيث بين أصول القبائل المتعاونة وفصولها ، وتعرض لحكم الله فيها. الراشدي أحمد بن محمد بن علي بن سحنون، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تق، تح، المهدي البوعبدلي، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، مارس 1973، ص10

أن تنتقل الطرق الصوفية، وتؤسس لها زوايا لتواصل نشاطها الذي أصبح في الريف مقصد أهل الحواضر للعلم بعد أن كان دورها يقتصر على الإطعام.

فالطريقة الهبرية بعد انتقالها إلى تلمسان، وجدت الظروف مهيأة لها ولم يجد المشايخ عناء في مباشرة عملهم التعليمي، الإرشادي، إلى جانب العمل الاجتماعي.

أ-دخول الطريقة غرب الجزائر

يعود تاريخ دخول الطريقة الهبرية إلى تلمسان إلى سنة 1890م، حيث أسس جماعة من المسنين مكان قرب منزل الشيخ الحاج محمد بن الحاج حمو العشعاشي، للاجتماع والمذاكرة، وكان الشيخ يحضر مجالسهم، وفي يوم زار الشيخ الحاج محمد الهبري تلمسان فلقي من الترحاب والكرم من أهلها ما جعل قلب الحاج محمد بن الحاج حمو ينشرح للطريق، وأخذها من ابن الشيخ سيدي الهبري، وقام بزيارة شيخه الحاج محمد الهبري في زاويته بتاغيت، وأخذ يكرر الزيارة تلو الأخرى، فزاره سنة 1309هـ/ 1891م، و1310هـ/ 1892م، وفي المرة الثالثة عرف عزم شيخه في القيام بزيارة الأماكن المقدسة بقصد أداء فريضة الحج، وتمنى مرافقة شيخه، واستحى طلب ذلك منه، وفي المرة الرابعة، زار العشعاشي تلمسان وأوليائها، واشتاق لرؤية شيخه الحاج محمد الهبري، فدعا الله أن يحقق له ذلك، فما لبث أن جاءته برقية يطلبه فيها شيخه بالقدوم عليه وهو بتونس، فتحقق مراده ولحق به مع من كان معه من الفقراء، وبعد ثلاثة أيام، قضوها بتونس في المذاكرة ومدارسة القرآن، قصدوا مكة المكرمة. ولدى عودته إلى تلمسان، قرر أن يزور شيخه ليعيد له المال، فأخذه، وطلب منه أن يشيد زاوية بمجهوده ونشاطه توفي رحمه الله وخلف ولدين: الشيخ سيدي محمد والثاني هو الحاج مصطفى العشعاشي، جامع كتاب(السلسلة الذهبية في التعريف برجال الطريقة الدرقاوية)، ومحققه ومحرره، مصطفى يلس شاوش بن الحاج محمد، طبع بمطبعة سقال/ 1994م[1].

وظل أحفاده على اتصال بالطريقة الهبرية بالمغرب الأقصى والوفاء لمشايخها. توفى رحمه الله سنة 1954م[2]. وكان بزمورة أيضا الشيخ الحاج محمد بن عطية تلميذ الشيخ محمد الهبري، الذي شيد زاوية بزمورة ووادي جمعة التي لا تزال تنشط إلى يومنا هذا تحت إشراف الشيخ سيدي محمد، بمساعدة شقيقه

[1]- بن اسماعيلي محمد، مشايخ خالدون علماء عاملون، الطبعة الرابعة منقحة مزيدة، 1421هـ/2001م ، ص46

[2]- اللمحة البدرية، المرجع السابق، ص36

الشيخ العلمي. كما شيد تلميذ الشيخ الحاج محمد بن عطية زاوية أيضا بزمورة تحمل اسم الشيخ الحاج بلقاسم السنوسي، الذي جدد العهد على يد الشيخ محمد الهبري، وأجازه المشيخة، فسلك طريقة الشيخ؛ الهبرية، وتحولت الزاوية الأصلية من سيدي الحراث إلى قرية موجودة بزمورة، وغليزان، وذلك استجابة لطلب الشيخ محمد بن عطية، وتجدر الإشارة غلى أن الزاوية تأسست سابقا خلال القرن 11هـ /17م، ولما تحولت إلى الطريقة الهبرية ذاع صيتها وكثر مريدوها، وتقوم الزاوية بتحفيظ القرآن وإحياء المناسبات الدينية، ولم مات الشيخ الحاج محمد بلقاسم السنوسي خلفه ابنه الشيخ مصطفى، وهي لا تزال تقوم بدورها التعليمي والتربوي كسابق عهدها.

ومن تلامذة الطريقة الهبرية الذين عملوا على نشرها بغرب الجزائر الشيخ سيدي عيسى.

ب- الشيخ سيدي عيسى

زار الشيخ سيدي عيسى الحاج محمد بن أحمد بن عبد الرحمن العزاوي الملقب بالهبري بأمر من شيخه سيدي البودالي، بزاوية تاعيت ببني يزناسن، فأخذ عنه الطريقة، وأمره الشيخ الهبري بالتربية والإرشاد، وعليه قام ببناء زاويته بجبل توتة[1]، فازدهرت وتكاثر مريدوها وذاع صيتها، وأصبحت منارة من منارات الطريقة الهبرية، توفى رحمه الله سنة 1904م، فخلفه تلميذه الشيخ سعيد بن عيسى، وظل وفيا وعلى اتصال بمشايخ الطريقة الهبرية بالمغرب الأقصى إلى أن مات سنة 1382هـ/1963م، تاركا ثلاثة من الأبناء: الحاج البودالي، والحاج عبدين الذي يدير شؤون زاوية واد العبد.

ومن تلامذة الشيخ الهبري؛ سيدي عبد القادر بن براهيم الملقب بـ (الأقرع) من الملعب[2]، توفي في 17 من ذي الحجة 1363هـ/3 ديسمبر 1944م، وخلفه على الزاوية ولده سيدي البودالي . ومن تلامذة الهبري أيضا محمد بن يخلف المعسكري، والذي يعتبر من كبار فقراء الشيخ الهبري الذين لازموه مدة طويلة، وكان دائم الزيارة لتلمسان، وكان يجل شيخه، ويدافع عنه، توفي رحمه الله سنة 1331هـ/1913م بمسقط رأسه بمعسكر.

---

[1]- هي بلدية تابع إداريا لولاية سعيدة على مقربة من دائرة بلول.

[2]- الملعب هي قرية تقع بالقرب من بلدية تخمارت على بعد 6 كلم يوجد بها صريح الحاج مصطفى بن براهيم ، تقام وعدته السنوية في الربيع من كل سنة. والملعب هذه ليست مشهور بقدر بلدية الملعب المعروفة بولاية تيسمسيلت، لذلك لدى اسم الملعب الواقعة بتخمارت اسم شهرة وهو (العثامنة).

ومن تلمسان انطلقت الطريقة الهبرية، وانتشرت بغرب الجزائر إلى غاية الشلف حيث كان لها بأقصى الغرب، وبزمورة زاوية أشرف عليها الشيخ بلقاسم السنوسي الحراثي – رحمه الله وطيب ثراه – والذي اشتهر بتصوفه وتقواه، ومما ألفه كتاب بعنوان " وصية الذاكرين في نقد المنتقدين "، وهو عبارة عن قصيدة نضمها يوصي فيها الذاكرين ولمن يتصدى للذكر والتصوف، والتزم ابنه البار بما التزم به والده رحمه الله بالطريقة والعقيدة بـ (مدينة زمورة)، وهو الشيخ مصطفى بتوضيح المعاني السامية للطريقة الهبرية؛ وله كتاب بعنوان " الرد الوافي المستنبط من كلام الجليل العافي على منكري الانتساب إلى المصطفى صاحب الخلق الوافي " .

أما أكبر انتشار للطريقة الهبرية كان بمدينة وهران، والتي سنتحدث عنها لاحقا. لكن لابد من الإشارة إلى زاوية الحاج عبد الباقي، الذي أخذ الطريقة عن الشيخ الحاج محمد بن أحمد بن عبد الرحمن العزاوي، الملقب بالهبري، بجبل تاعيت، وحج مع شيخه سنة 1305هـ/1927م، وخلف تسعة من الولد، وزاوية بواد الجمعة قائمة غلى اليوم. كما تجدر الإشارة إلى أن الزاوية البوتشيشية القادرية، ومؤسسها الشيخ بومدين البوتشيشي أخذ الطريقة الهبرية أول الأمر من الشيخ الهبري، ولما توفى خلفه ابنه حمزة الذي اشتهرت الطريقة على يده في المغرب الأقصى. وأما في الجزائر فكانت مشيختها لسيدي محمد الصوفي رحمه الله وكان مقرها "بسوق الثلاثا "، ومنه انتشرت الطريقة في غرب الجزائر وباقي المناطق الأخرى. وتنسب الطريقة البوتشيشية إلى الطريقة القادرية كنسبة الشاذلية لها، ولو أنها من مشرب هبري.

أما بناحية سيدي بلعباس، فقد نشر الطريقة الهبرية؛ الشيخ الحبيب بن الطيب بن الحاج بن كابو، الذي زار[1] الشيخ الحاج محمد بن أحمد بن عبد الرحمن بزاويته بتاغيت، وأخذ عنه الطريقة، وشيد زاويته بقرية "بوحنش " سنة 1883م بولاية بلعباس حاليا، ويتمثل نشاط الزاوية في تعليم القرآن وإحياء المناسبات الدينية، إلى جانب المساعدات الاجتماعية بفضل الزيارات[2]، توفي رحمه الله 1906م ليخلفه ابنه الحاج بن يحي تلميذ محمد بن عبد الرحمن العزاوي الهبري بزاوية الضريوة. توفي الحاج بن يحي سنة

[1]– كلمة (زار) تتكرر ونقصد بها أخذ الوسيلة والإذن بنشر الطريقة، وليس زيارة تبرك وحسب.

[2]– والزيارة في مفهوم أهل الطرق الصوفية ما يقدمه الزوار من أموال أو ما يمثلها لإعانة الزاوية للقيام بدورها إلى جانب الأحباس من أراضي فلاحية أو دكاكين.

1975م بسيدي بلعباس وخلفه ابنه أحمد بن يبقى سنة 1976م، حيث شيد هذا الأخير زاوية بسيدي بلعباس، وظلت علاقته جيدة مع أحفاد الشيخ الهبري بالمغرب الأقصى. كما أسس الشيخ سيدي بن سعيد الزاوية الهبرية بسيدي بلعباس، وبعد وفاته خلفه ابنه سيدي عبد الله، الذي ترك من ورائه أبناء قاموا بتسيير شؤون الزاوية من بعده وهم: سيدي عبد الرحمن، وسيدي الحاج عبد الكريم، وبعد وفاتهما تولى مشيخة الزاوية سيدي الحاج مصطفى، وبعد وفاته خلفه سيدي الحبيب الذي مازال قائما بشؤون الزاوية إلى حد الآن[1]

أما بناحية سعيدة فقد كان الشيخ الطيب دليل الخيرات[2] المولود سنة 1853م بعين السلطان شيخ الطريقة الهبرية بها، والذي تتلمذ وأخذ الطريقة من الشيح محمد الهبري سنة 1880م وأذن له محمد الهبري بتأسيس زاوية في بلدة العماير بولاية سعيدة، فكان الأمر كذلك إلى أن وافته المنية سنة 1925م، فخلفه سيدي مصطفى دليل الخيرات. كانت الزاوية تحفظ القرآن الكريم، وإحياء المناسبات الدينية إلى جانب تدريس العلوم الشريعة من فقه وتوحيد، وغيرها. وخلف الشيخ مصطفى دليل الخيرات 6 أولاد أكبرهم سي الحبيب، والأخرون هم: الحاج محمد، والحاج عبد القادر، وسيد أحمد، وعبد الحميد دليل الخيرات–الذي كان يتولى تعليم القرآن والفقه والتوحيد والوعظ– وعبد المجيد . ولما توفي رحمه الله خلفه ابنه المولود سنة 1930م، والمتوفى في 11 ديسمبر 1986م، وكان يساعد أخوه الحبيب في تسيير شؤون الزاوية بكل تفاني، وبعد وفاة الحاج محمد خلفه عبد الحميد الذي يسير شؤون الزاوية إلى اليوم[3].

[1]– اللمحة البدرية، المرجع السابق، ص44

[2]– سمى بدليل الخيرات تبركا بالشيخ محمد بن سليمان الجزولي صاحب الطريقة الشاذلية الجزولية، والذي اشتهر بمؤلفه " دليل الخيرات " و ذاع صيته في الفترة االعثمانية في كل أقطار العالم الإسلامي، حتى قيل انك تجده جنبا إلى جنب المصحف الشريف في مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم بالمدينة المنورة.

[3]– اللمحة البدرية، المرجع السابق، ص40

ج- اتصال الشيخ بالقايد بالشيخ الهبري

إن مشيخة الزاوية بالنسبة للطرق الصوفية توارثية في بيت الشيخ، وأحيانا أخرى تكون لأحد تلامذته، وهذا أمر في غاية الأهمية من ناحيتين؛ الأولى أنها تعزز السند الطيني بمعرفة نسب[1] الشيخ الذي يخلف والده في تولي شؤون وإدارة الزاوية. والثانية تعزز السند الروحي إذا ما خلف التلميذ شيخه على رأس الزاوية، وبالتالي تستمر الطريقة بهذا السند في البقاء والانتشار في الحالتين. وهذا ما يميز الطرق الصوفية عن المذاهب الفقهية والأصوليين ورواة الحديث في السند والأخذ باعتماد علم الرواية والدراية فقط. كما أن انتقال الطريقة قد يكون أحيانا بدون المباشرة؛ بلقاء الشيخ بل هناك عامل البركة وهو يعد من الكرامات. وقد يكون التلميذ في أسرة الشيخ فيؤذن له في تولي الطريق، غير أنه لا يفعل لوجد أبناء الشيخ في الزاوية.

كان الشيخ محمد بلقايد في سن صغيرة عند اتصاله بالشيخ محمد الهبري. معلوم أن جد الشيخ بلقايد وأبوه كانا من أتباع الطريقة الهبرية بتلمسان، ولدى اتصاله بالشيخ الهبري تفرس أو تبصر[2] فيه، فبدت له ملامح النبوغ وأمارات التفوق، فخصه بمنزلة عنده لم تكن لغيره. ولما بلغ، أذن له في المشيخة وتصدر الطريقة ، والأخذ بيد المريدين، غير انه – رضي الله عنه – استمر يخفي أمره تأدبا منه مع أبناء شيخه وأحفاده. فلما انتقل أحمد بن محمد الهبري، وابنه سيدي نور الدين من بعده إلى رحمة الله ؛ صدع الشيخ سيدي محمد بالأمر وانبرى للتربية وخدمة الطريق[3]

10-الشيخ محمد بلقايد

هو الشيخ العارف بالله الفذ والإمام الحجة والشيخ الفاضل؛ سيدي محمد بن أحمد بن الحاج محمد العربي بن محمد الكبير بن يعلى الشريف الإدريسي، يرتفع نسبه إلى إدريس الأكبر بن مولانا عبد الله الكامل بن سيدنا الحسن المثنى بن سيدنا الحسن السبط نجل مولاتنا فاطمة الزهراء، البضعة الطاهرة

---

[1]- ينسب غالب مشايخ الطرق الصوفية في السند الطيني إلى سلالة الرسول صلى الله عليه وسلم.

[2]- البصيرة هي قوة للقلب منورة بنور القدس ترى بها حقائق الأشياء، وبواطنها بمثابة البصر للنفس الذي ترى به صورة الأشياء وظواهرها. الخطابي محمد العربي، المرجع السابق، ص755

[3]- بوجلال لكحل محمد، المرجع السابق، ص46

الكريمة وزوج مولانا وسيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ورضي الله عنه[1] كان مولده بتلمسان سنة 1910م، في عائلة اشتهرت بالعلم والتقوى والصلاح، حفظ القرآن، ثم تلقى العلم من كبار علماء تلمسان في تلك الفترة، منهم على الخصوص الشيخ أبو العروق الأزهري، والشيخ ابن الناصر والشيخ بلحساب النجار، وأحمد الكالدي وغيرهم.

انتقل كغيره ممن تحملهم الأسفار رغبا في طلب العلم فبدأ بمناطق في الجزائر، وخصوصا أين كانت الطريقة الهبرية متواجدة، فسافر إلى الزفيزف، وسيدي بلعباس، ومعسكر وسعيدة[2]، ثم رحل إلى المغرب، ونهل من معارف العلماء والمشايخ. كما رحل إلى المشرق[3]، وقد أجازه بالمشرق كثير من العلماء كالشيخ عبد الحي الكتاني[4]، الحافظ أحمد بن صديق الغماري، كما أنه التقى بالشيخ أحمد بن يلس الذي رحل إلى دمشق بعد قرار التجنيد الإجباري، وأخذ عنه علوم الحديث، واستمر في تحصيل العلم هناك، حتى أدرك درجة من العلم نستشف ذلك من تزكية الشيخ عبد الفتاح أبو غدة، والشيخ الغمام أبو جرة أحد مشاهير مدينة سيدي بلعباس، وقد أثنى عليه بقصيدة منها:

أحي بهذا الإمام الإسلام "" وشيـخ الشريعة صنو الهمام

أنا لـك ربنا خـير مقــام "" وكـرم حقا في دار السلام

---

[1]– الغيتاوي التهامي، المرجع السابق، ص 10

[2]– بوجلال لكحل محمد، المرجع نفسه، ص11

[3]– الرحلة إلى المشرق سنة اتبعها أهل المغرب العرب منذ دخولهم في حوزة الإسلام، وهذا يدل على التواصل بين المغرب والمشرق الإسلاميين، والباعث الأول على ذلك هو أداء فريضة الحج ثم تحصيل العلم، وتفصيل ذلك ينظر: كتب رحلات في المغرب الأقصى مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين. عواطف بنت محمد يوسف نواب، دار الملك عبد العزيز، الرياض، 1429هـ/2008م

[4]– هو عبد الحي الكتاني .....–1383هـ / .....–/ 1963م ، من رجال العلم والسياسة في المغرب الأقصى اختير عضوا مراسلا في المجمع العلمي العربي بدمشق ، وكان أعظم أمانيه أن يسعى لاقتناء نوادر الكتب المطبوعة والمخطوطة فيضيفها إلى مكتبته العظيمة، حتى أصبحت تعد من المكتبات الكبيرة الشأن والفائدة، وعاش أواخر أيامه مدة في فرنسة. كحالة عمر رضا، معجم المؤلفين، مؤسسة الرسالة، شارع سوريا، بناية صمدي وصالحة، ط، ن، بيروت، ج1، ط1، 1414هـ/1993م، ص67

وليس فقط الشيخ أبو جرة الوحيد من خصه بقصيدة بل خصه الشيخ العلامة محمد متولي الشعراوي رحمة الله عليهم جميعا مطلعها:

نور الوجود وري روح الوارد "" هوية تدني الوصول لعابد

ومما امتاز به الشيخ محمد بلقايد عداءه للاستعمار؛ وهو نهج الطريقة الهبرية، وخاصة معرفته بأن سياسة الاستعمار الفرنسي تسعى للقضاء على الدين الإسلامي من خلال محاربة اللغة العربية بالفرنسة شكلا ومضمونا، لذلك كان ولاءه للغة العربية يتعدى إلى الزي في اللباس، ويستنكر من يتشبهون بالفرنسيين ومن يتزي بزيهم، ومن هذا ندرك أنه كان يحاول تثبيت ركائز الهوية الوطنية اسما و رسما.

لقد واكب الشيخ بلقايد رحمه الله التطورات التي حدثت بعد الحرب العالمية الأولى، وخاصة فيما تعلق بالجزائر، وسخر جهده وقلمه، كما سخر زاويته للتضامن الاجتماعي وإعانة الفقراء والمساكين، كما كانت زاويته بعد اندلاع الثورة التحريرية المباركة مقرا لدعمها. فقد تعرضت الزاوية إلى التضييق وجاء الأمر بإغلاقها، بعد أن تبين أن أبناء الشيخ انضموا إلى صفوف الثورة[1]. وبعد الاستقلال عاد إلى ما كان يقوم به في سبيل تطوير الطريقة الهبرية وفق ما تقتضيه الظروف، وحسب الإمكانات المتاحة، وبكل جهد قدر عليه[2]، متبعا السنة في هدي المصطفى صلى الله عليه وسلم. والمعلوم أن أغلب الطرق الصوفية في المغرب العربي إن لم نقل كلها تمتثل ثلاثية ابن عاشر[3]؛ المذهب المالكي والسنة الأشعرية، وطريقة الجنيد رحمهم الله جميعا. والطريقة الهبرية ذاك هو شعارها، وقد كتب لها الانتشار والازدهار، والتطور، وخصوصا في الوقت الحاضر، وبالأخص عندما انتقلت إلى وهران بفضل الشيخ عبد اللطيف ابن الشيخ محمد بلقايد رحمه الله.

---

[1]– هما الشيخ عبد اللطيف لذي كان أحد الإطارات في النظام على مستوى الولاية الخامسة، والشيخ عبد الرحيم الذي كان في فصيلة الفدائيين. بوجلال لكحل محمد، المرجع السابق، ص49

[2]– عرفت الطرق الصوفية بعد الاستقلال ركودا على اعتبار أنها لا تصلح لدعامة التطور الحضاري في ظل عصر اتسم بالاختراع والتطور التكنولوجي، والتنافس العلمي بين دول العالم.

[3]– هو عبد الواحد بن عاشر الأندلسي الفاسي (990هـ / 1040م)؛ عالم دين مسلم من المغرب، يعد من أبرز علماء المذهب المالكي، واشتهر بمنظومته " المرشد المعين على الضروري من علوم الدين، والتي نظم فيها الفقه المالكي، بالإضافة إلى باب العقيدة والتصوف، والتي =تعد مرجعا مهما عند علماء المذهب المالكي. بلقاضي الهاشمي، معجم علماء الدين والإصلاح في الوطن العربي، دار سحنون ، الجزائر، دت، ص233

11-تلامذة الشيخ محمد بلقايد

تتلمذ على الشيخ بلقايد عدد كبير وفدوا عليه من داخل وخارج الوطن، منهم من كان ذائع الصيت حتى قبل الأخذ عنه، وذلك لمكانة الشيخ العلمية والدينية؛ منهم الشيخ محمد متولي الشعراوي رحمه الله، والذي أخذ الطريقة الهبرية من الشيخ محمد بلقايد، وخصه بقصيدة يعلمها الخاص، والعام نوردها في معرض حديثنا عنه.

أ-الشيخ محمد متولي الشعراوي

هو إمام الدعاة صاحب التأليف العديدة الذي ذاع صيته في المشرق والمغرب. ولد الشيخ محمد متولي الشعراوي في 15 أفريل عام 1911م – أي بعد عام من مولد شيخه – بقرية دقادوس مركز ميت عمر بمحافظة الدهلقية. حفظ القرآن الكريم في سن مبكرة، وبعد مسار علمي حافل بالمنجزات، والانتقال خارج مصر إلى السعودية، ثم عودته إلى مصر، وفي تلك الأثناء حدث بين جمال عبد الناصر والملك سعود عام 1963م خلاف، ترتب عنه منع الشيخ الشعراوي من العودة إلى السعودية، فجاء إلى الجزائر على رأس بعثة علمية[1]، حيث مكث بالجزائر سبع سنوات، وفيها التقى بالشيخ محمد بلقايد.

والظاهر أن قصة لقائه بالشيخ الشعراوي لم ترد في مذكراته، ومما ذكره محمد زايد كاتب مذكرات الشعراوي حيث يقول: " تومئ مذكراته باتجاهه الروحي المبكر واستقامته الجادة في تعرفه واتصاله، بثلاثة من كبار الأولياء الصالحين بالشرقية. فقد حدثني أكثر من مرة؛ بأن أعظم ما يعتز به في أيام طلب العلم بالزقازيق، ما كان يحمله في قلبه وعواطفه، من حب وصلة إلى كل من هؤلاء الأولياء العارفين بالله بالشرقية: العارف بالله الشيخ أبو هاشم، والعارف بالله الشيخ أبو مسلم، والعارف بالله الشيخ أبو خليل رضي الله عنهم وعن جميع الأولياء وعباد الله الصالحين[2]. ونحن هنا لسنا بصدد إثبات انتماء الشيخ من عدمه، بل ذكر الوقائع كما هي، ولا سبيل إلى تفنيدها أو إيجاد مخرج بعلم الكلام لتصحيح وضع ما، وأن نتأول ما لم يقله الشعراوي.

---

[1]- كانت هذه البعثة وغيرها من البعثات بعد الاستقلال من مصر، ودول المشرق الشقيقة للمساهمة في تعريب التعليم.

[2]- زايد محمد، الراوي هو الشعراوي، مذكرات إمام الدعاة، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط1، 27 يونيو 1998م، ص18

فقد بقي على ولائه للطريقة الهبرية حتى بعد وفاة الشيخ محمد بلقايد. و ليس الشعراوي هو الوحيد من مريدي الطريقة الهبرية خارج الجزائر، وما هو مسلط عليه من أضواء بسبب عالميته وعلميته محصلها انتماءه الذي لم يرض أهل السنة به (السلفية)؟، وكأن الشعراوي ليس من أهل السنة .

وهناك رسالة مرئية أرسلها الشعراوي عبر شريط فيديو إلى ولي نعمته الشيخ سيدي محمد بلقايد قبيل وفاته بفترة يقول فيها: " بسم الله الرحمن الرحيم. أما بعد فإني أحيي شيخنا العارف بالله سيدي محمد بلقايد، وأقول له: إذا صفا الود حمل فراق البعد، والذي يشتاق إلى رؤية أحد هو من غاب عن فكره، وأنت والحمد لله لا تغيب عن فكري، وأشهد الله أنك معي في كل لحظة، لأن الذي تحابنا فيه هو الله، وما دمنا قد تحابنا فيه فنحن في معيته، ومعيته لا تعرف الأزمان المتعددة، ولا الأمكنة المتشتتة، وأسأل الله أن يجمعني بك جمعا فوق جمع الأشباح حتى تتفانى الأرواح فتصبح مؤهلة إلى ربها خالق الأرواح، نفع الله بك يا شيخي وزاد جاهك، وزاد مددك، حتى يستوعب من الناس ما يتسع به له أمرك عند الله، وحتى تصبح مدعوا لإمامة من أحب الحسنة (يوم ندعو كل أناس بإمامهم)، وسنكون إن شاء الله من المدعوين لك بإمام الطريق في هذا العصر. والسلام عليكم و رحمة الله و بركاته ".

وهذه الرسالة خير دليل على الولاء، والصلة، والمحبة. ومن بين تلاميذ الشيخ بلقايد من خارج الوطن؛ وهم من أهل العلم الشيخ محمد أديب حسون من سوريا، والشيخ عبد الله العبدلي من مكة المكرمة، والشيخ الخطاب من مصر، والشيخ عيسى المانع من الأمارات العربية المتحدة، والشيخ محمد توفيق المنوفي من مصر. أما داخل الوطن فهم كثر ومنهم على سبيل المثال لا الحصر: الشيخ عبد الباقي مفتاح من الوادي، الأستاذ بن عودة الحبيب من وهران، والأستاذ مصطفى شرشالي من مليانة[1]. ولا يسع المقام في تتبع تلامذة الشيخ محمد بلقايد رحمه الله لأنهم من الكثرة بمكان، ولأن اقتصارنا على هؤلاء هم من شاع ذكرهم في الأوساط، واسمهم في الكتابات، – ولو أن الطريقة الهبرية اليوم وبالخصوص بأحفير وبركان من أعمال المغرب، وبوهران والجهة الغربية للجزائر عموما – تعج بالمريدين ومحبي الطريقة الهبرية عموما والشيخ محمد بلقايد خصوصا.

[1] – غيتاوي التهامي، المرجع السابق، ص14

ب–من أقوال الشيخ محمد بلقايد

في مجالس الذكر والدرس التي كان يقدمها الشيخ بلقايد دالة على حرصه الشديد على أساسيات الدين[1] ولنذكر بعض أقواله في طريق أهل التصوف، ولبدأها بأول مرحلة في هذا المقام وهي التوبة.

–التوبة

يقول: " يا بني اتقوا الله واعلموا أن طريقنا هو لزوم الأدب مع الله عز وجل في علاه، والتوبة من جميع الذنوب، فمن لم يتب على يدخ شيخه أو غيره من جميع الزلات سرّها وجهرها كبيرها، وصغيرها لا يفتح له من هذه الطريق شيء ".

–الهمة

إن الهمّة ما يتطلع إليه الإنسان ويهتم به، حتى يصير ذلك هو همه الذي يصبو إليه ويرغب في تحقيقه وبهذا كان يربي المريدين إذ يقول: " الهمة، الهمة، لابد للمريد أن يجمع همة العزم ليعرف الحقيقة وسرّها ومذاقا وسلوكا، وما العزم إلا أن تهتم فتفعل، يا أبنائي ما من ساعة تمر إلا وينزل فيها مدد مستمر لا يتلقاه إلا صاحب الهمم. على قدر أهل العزم تأتي العزائم. أما بخصوص العلم فقد كان من محبي طلب العلم والتعلم كما أنه كان يحث المريدين على طلبه والجد فيه والعمل بما يتعلم منه لأن العلم قرين العمل وفيه يقول : " يا بني لا يصلح التقي إلا بالعلم ولا ينفع العلم إلا بالتقوى. ويضيف العمل، العمل يا أحبابي فإن الله تعالى يرقي المريد على قدر إقباله وأعماله". وكان يقول: " يا أبنائي، يا أحبائي عليكم بالصدق فإنه منجاة، والتزموا الإخلاص في الأعمال فإنه لا قبول إلا بالمتابعة والإخلاص. ولن يتسنى لنا يا أبنائي ذلك إلا بملازمة القلوب للتقوى فلازموا التقوى، ولازموا أهل الصدق في غدوكم ورواحكم لتنجوا بأشباحكم وترقوا بأرواحكم ".

هذه هي طريقة الشيخ في تربية المريدين، وإن كانت في العموم معروفة لكن صدورها من الشيخ محمد بلقايد الذي يقول ما يفعل؛ تترك أثرها لدى مريديه. وبهذا استطاع أن ينشر الطريقة الهبرية على

[1]– ذُكر أن طريقته كانت بسيطة وذلك لسطحيته في العلم . وأنه ناقل لمن سبقه، غير ما أوردناه في مساره لطلب العلم يدل على حكمته في تبسيط الأمور الخاصة بالمريدين. أما فيما يتعلق بسعة علمه فقد شهد له من زكاه ممن ذكرنا سابقا داخل وخارج الوطن.

نطاق واسع وتسعى إليه الوفود فذاع صيتها وكثر الإقبال عليها حتى غدت قبلة الكثيرين من أهل المغرب الأقصى ومن الجزائر، ثم انبرت الأقلام تمدحها، وانبرت أخرى تذمها، وكل ذي نعمة محسود.

هذا هو شأن الطريقة الهبرية بتلمسان، ولكن ما زاد في قوة هذه الطريقة وأخذها مكان الصدارة ضمن الطرق الصوفية في الجزائر وجود خليفة الشيخ بلقايد؛ نجله الشيخ عبد اللطيف بوهران وتأسيسه لزاوية سيدي معروف، لأنها أصبحت منار علم وإشعاع روحي يقل نظيره بالجهة الغربية للجزائر، وقبل الحديث عن الطريقة الهبرية البلقايدية في وهران نعرف بالزاوية ثم نقدم بطاقة فنية حول هذا الصرح العلمي الصوفي.

ج–الزاوية[1]

الزاوية في القاموس ترد تحت مادة انزوى، أي انعزل واعتزل الناس وركن إلى زاوية من الزوايا، وتفرد بنفسه. هذه الحال أو الصفة أطلقت على الإنسان الذي اعتزل الناس وركن في مكان قصد التعبد، وأداء وظائف أخرى، فنسب إليه الانزواء، وإذا نظرنا في التصوف فإننا نجد فيه الانعزال والانزواء. ولعل هذا الاسم جاء بعد تشييد مشايخ الصوفية لمبادئ" خاصة فشيدوا (خلوالمجم)[2] قبل كل شيء فسمي المكان بالزاوية. وإذا حاولنا أن نجد لها تعريفا، فقد اعتبروها" محطة للعابر والمقيم، فالأول واضحا من خلال الوظائف التي تقوم بها، حيث يتخذها مسكنا مؤقتا أو مبيتا ثم يتابع مسيرته، والثاني لطلب العلم والذكر[3]. وهناك أنواع للزوايا حسب الوظيفة التي تقوم بها.

---

[1]– كما أعطيت كلمة الصوفي معان كذلك أعطيت لحروف كلمة الزاوية معان وهي: الزاي تعني الزيادة، والألف تعني الإيمان، والواو إشارة إلى الورع، والياء إشارة إلى اليقين، والتاء إشارة إلى التقوى. والمعنى الإجمالي المستخلص هو: الزيادة في الإيمان والورع واليقين والتقوى. بوجلال لكحل محمد ، المرجع السابق، ص63

[2]– كلمة أعجمية تدل على الخلوة والانعزال والانزواء. ويقابلها في المفهوم التكية أو الخنقاه بالمشرق والزاوية أو دار الضيافة بالمغرب.

[3]– الناصري محمد بن عبد السلام بن عبد الله، المزايا فيما أحدث من بدع بأم الزوايا، الزاوية الناصرية، در، تح، عبد المجيد خيالي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، سنة 2003، ص31

9- أنـواع الـزوايا

أ- الزاوية البسيطة

وهي الزاوية التي لم تبن على ضريح ولي، ولم تنتسب لولي أو إلى طريقة صوفية كما يوجد هناك زاوية ذات ولي وهي التي يبنى حولها ضريح.

ب- الزاوية الطرقية

هو النوع الذي يتصل بطريقة من الطرق الصوفية المنتشرة بالمغرب الأقصى[1]، ومنها الطيبية، والقادرية والتجانية، والدرقاوية، والرحمانية، والعيساوية، والسنوسية، والسلامية، والعروسية، والعزوزية، وغيرها كثير.

فالعمل الذي يقوم به كل من هذه الزوايا، ودورها يختلف تبعا لنشأتها، وتكوينها، وانتسابها. فالبسيطة لا يتعدى دورها الناحية التربوية في تعليم القرآن، والمحافظة عليه. أما الزاوية ذات الولي أو الشيخ سواء كان حيا أو ميتا، تنفرد ببركة الولي وصلواته وتعاليمه الخاصة. غير أن الزاويا الطرقية تختص بتعليم الطريقة الصوفية نفسها للمريدين، ونظامها يختلف كثيرا عن الزاوية البسيطة. غير أن التعليم الطرقي يهتم بالطريقة وما يتصل بها أكثر مما تهتم به الزاوية البسيطة، وهي تحفيظ القرآن. ولذلك فالتعليم الطرقي أقل مستوى من غيره في الزوايا الأخرى. أما من ناحية وفود الطلبة فالفترة الحديثة تتحدث عن نفسها بسبب انتشار التعليم الطرقي، وغالبا ما تجد الوفود تتجه إلى الجامعة، وخاصة بعد انتشار التصوف الشعبي[2] وبات أغلب الطلبة ينتمون إلى الطرق الصوفية .

إن النجاح الهائل الذي صادفه التصوف في المغرب يرجع إلى عدة أسباب:

-الاختمار الديني الشديد الذي أحدثه في الغرب الإسلامي المرابطون ثم الموحدون[3].

-و كذلك لما شعر به الصوفية من حاجة إلى أن يضعوا في متناول إخوانهم في الدين مبادئ جوهرية للأخلاق والتصوف، على شكل بسيط مغرٍ كما وظفها ونماها الزهاد والصوفية.

---

[1] -تسمت الزاوية في المشرق بالخاناقاوات أو الخانقاهات وهي تشبه في نظامها إلى حد ما نظام الدير في الديانة المسيحية.

[2] - يقصد بالتصوف الشعبي هو التصوف الذي يتلقاه العامة بعد أن تبسيطه من طرف مشايخ الصوفية ليتلاءم ومستوياتهم الثقافية .

[3] - بيل ألفرد، المرجع السابق، ص 378

ويبدو أيضا أنه ينبغي أن نحسب حسابا كبيرا؛ أولا للأثر الذي أحدثته في مشاعر الشعب الدينية مظاهر استعراض الترف والبذخ والاستمتاع لدى الفقهاء المرابطين، الذين حظوا بالمناصب الرفيعة وعاشوا عيشة متبذخة مترفة، ضف إلى ذلك إهمال الكبار والعامة في أبسط قواعد الدين وأسلوب الثراء العلني والانتهاك الأخلاقي ، فلا بد أن يحدث الانقلاب والثورة طرفيها المتصوفة على الوضع السائد.

من جهة أخرى يمكن أن نرجع نجاح التصوف إلى البيئة المغربية والإنسان الغربي على حد سواء. وإذا ما تتبعنا نجاح الحركات الدينية التي ظهرت في المشرق ووجدت صداها في الشمال الإفريقي ، فالحركة المذهبية في الغرب لقيت نجاحا كبيرا و تأسست بدعاويها دول وسقطت[1] أخرى .

فليس غريبا أن تكون ممارسة التصوف. بناءا على تحليل بنية وتركيبة المجتمع المغربي. إن ديانته الأساسية هي المزيج من المعتقدات في قوى الخير وخصوصا في قوى الشر. ومن حيث الصراع وتلافي الشر بأن الدواء هو التصوف فهو مضمون النجاح. وكان على المغربي أن يبحث عن شيء يطرد قوى الشر ويدمرها. فكان إدراج التصوف في الإسلام الرسمي منذ القرن الثاني عشر لم يفعل أكثر من تقويم وبسط نفوذ الولي الوريث للآلهة الوثنيين[2] في معتقدات البربري المسلم. غير أن الإنسان البربري كان يرى في الصوفية بفضل مجاهداتهم ورياضاتهم؛ من حاملي البركة التي يمكن بفضلها طرد قوى الشر والانتفاع بخيراتها.

ولعل هذا التشكل الواضح للمناهج والنظام الذي تطور في جعل التصوف في قالب هيكلي كباقي العلوم الأخرى ظهرت رتبة المشيخة[3] ، فتكاثر الشيوخ والإتباع منذ عهد أبا مدين الغوث الذي درس أولا في الأندلس ثم في فاس 1177م وتلقى منه المريدين الخرقة. ومنذ النصف الثاني من القرن الثاني عشر ميلادي بدأ تلاميذ أبا مدين بنشر تعاليمه في بلدانهم الأصلية والإقتداء به. واقتدى كثيرا من هؤلاء الصوفية البربر بأبي داود[4]، وكانوا في زواياهم محاطين بأسرهم ومريديهم وفقراء الزاوية .

[1] – بن عميرة، المرجع السابق، ص68

[2] – بيل ألفرد، المرجع السابق، ص 378

[3] – بيل ألفرد، المرجع نفسه ص 378

[4] – بيل ألفرد، نفسه، ص 379

ومن الزاوية تطور التصوف؛ ذلك أن الزاوية كانت مكانا لنزول المسافر ومحطة لإيواء عابر السبيل، تقدم له الخدمة والذي يقوم على ذلك مؤسس الزاوية، وهو الصوفي الذي له كرامات جرت على يديه، وأصبح ولي ذاع صيته وانشر خبره في الأماكن البعيدة فيصبح محل جذب للمريدين من اجل الزيارة، والتبرك. وإذا ما ت دفن في الزاوية وخلفه أبنه، بحيث تنتقل إدارة الزاوية وتعاليم الفقراء إليه[1]، وبذلك انتشر التصوف في المغرب العربي، و بالأخص في المغرب الأقصى .

أصبح التصوف يأخذ طابعا شعبويا[2] وأصبح البربر يعظمون الصوفية ويرحبون بالصوفي كأنه ولي مبجل، وشخصية عظيمة.

سادت فترة من الخمول بالنسبة لحركة التصوف تبعا للظروف السياسية والفكرية، والصراع المحتدم بينهم وبين الفقهاء. ومدى استنكارهم وتشنيعهم على الصوفية، فترة الفتور اتسمت بعدم انتساب المتصوفة فيها إلى الأوساط المتعلمة، كما كان الشأن بالنسبة للقرن الثاني عشر ميلادي. عهد ابن عربي وأبا مدين وتلامذتهم، غير أنه في منتصف القرن الخامس عشر ظهر التصوف كسابق عهده على يد أقطاب يجمعون إلى جانب التصوف التفقه في الدين وسعة في الإطلاع على العلوم. وأشهرهم في هذه الفترة بالمغرب الأقصى الشيخ زروق ومن عاصره من مشايخ والشيخ العربي الدرقاوي، ثم تتابع تطور الطرق الصوفية وازداد عدد الزوايا في الفترة العثمانية وفترة الاستعمار الأجنبي وظهر مشايخ مقاومون له أمثال الأمير عبد القادر الجزائري صاحب الطريقة القادرية والشيخ الحاج محمد الهبري الذي أحيا الطريقة الدرقاوية الشاذلية في شكلها الجديد ثم انتشرت على يد خلفائه ثم تلامذته.

[1]– عمار قدور إبراهيم، زاوية سيدي محمد بن عمر، تاريخها ونشأتها، ديوان المطبوعات الجامعية، وهران، ط1، 1417هـ – 1997م، ص 11

[2]– بيل ألفرد ،المرجع السابق، ص 403

13- التعريف بمقر زاوية سيدي معروف

تتربع على مساحة 6000 متر مربع، تم تشييدها مجهزة من كل مجاميع الوسائل العصرية والحديثة منها:

أ- المسجد الجامع يتسع لأكثر من 1500 مصلي[1] .

ب- ملحق تابع للمسجد يتسع لـ: 1000 مصلي

ج- جانب من البناية مخصص للتعليم به 7 أقسام بها 580 مقعد تعليمي

د- أربع قاعات للمحاضرات بقدرة استيعابية 1200مقعد

14- الإدارة

أ-قسم خاص بإدارة ملفات التلاميذ (مريدي الزاوية)

ب- مكتبة ضخمة تتوفر على مجموعة هائلة من الكتب التاريخية والدينية واللغوية وغيرها من الكتب

ج- قاعة خاصة بالإعلام الآلي والسمعي البصري مجهز بوسائل حديثة

د- عيادة صحية تشرف على صحة الطلبة

هـ- قاعتين للإطعام تستوعب 300 تلميذ

و- قسم خاص للزوار والضيوف

هذه الزاوية تحييّ المناسبات الدينية بشكل دقيق ومنظم، كما أنها تحيي شهر رمضان بتقديم دروس تنقلها القنوات الفضائية تستضيف من خلالها أكابر المشايخ والعلماء.

15-زاوية سيدي معروف (سيدي مبروك)

علاقة زاوية سيدي معروف هي ثمرة تلك الصحبة بين الأب وابنه ، فقد حاز الشيخ عبد اللطيف حضوة، ومكانة لدى والده الشيخ محمد بلقايد منذ صغره، ودليلها؛ الملازمة الدائمة بينهما. لقد أحسن إعداده لتولي الخلافة من بعده من خلال تربيته الخلقية والعلمية. لقد تتلمذ على يده أولا، ثم على يد المشايخ المعاصرين في شتى فنون العلوم الشرعية والتصوف. ولم بلغ مرحلة الشباب، لقنه الاسم، وأخذ

[1]- قدمت لي هذه المعلومات في زيارة ميدانية لزاوية سيدي معروف بوهران بتاريخ 2015/03/15

العهد، وما يسمى بالاسم الأعظم[1]، صحبة أبي فارس الدمشقي سنة 1969، في إحدى زوايا المسجد الحرام، ونظرا للخصوصية عند والده لما رأى عليه من همة والجد في سير الطريق، وحب الفقراء وخدمتهم، كان يوكل إليه مهام كان يقوم بها هو، منها: تسيير الجموع وتلقين العام والخاص. وعند عزمه على إنشاء زاوية راجعه في ذلك وقبل الشيخ بالقايد، وسمى المكان الذي ذكره له بسيدي معروف فقال له الشيخ بلقايد: هو سيدي مبروك. وفعلا سرعان ما انتشر اسم الزاوية وذاع صيتها، وهي اليوم منارة للعلم والتربية الإسلامية والأخلاقية والتصوف السني، الذي ينشد السلام والأمن والتأليف بين القلوب ومراعاة الحقوق وأولها حق الله على العباد في معرفته وعبادته.

انتقل الشيخ بلقايد إلى رضوان الله مساء يوم الجمعة 28ربيع الثانية 1419هـ/12أوت 1998م، بمدينة وهران، ونقل جثمانه الشريف إلى مدينة تلمسان مسقط رأسه ليوارى التراب جوار أبنائه وأجداده بمقبرة سدي السنوسي بتلمسان[2]، وتستمر اليوم الطريقة الهبرية البلقايدية في نشاطها الديني والتعليمي والاجتماعي، بمشاركة ثلة من العلماء في إحياء المناسبات الدينية ولاسيما منها المولد النبوي الشريف والدروس الرمضانية التي تبث على القناة الجزائرية من كل عام. سنة حميدة أن تقتفي أثرها باقي الزوايا بالقطر الجزائري .

16-حضور الطريقة الهبرية

أ-الديني والتعليمي

إن كان الدين هو الأساس الذي تقوم عيه كل الطرق الصوفية، فهم لا يختلفون في دورهم تجاهه في حلال أو حرام، بل يختلف الدور من حيث النشاط في سبيل الحفاظ عليه وتعليمه، ومن ثم نشره. وما تنظيم الطريقة الصوفية، وتشديدها في ذلك إلا انعكاسا لدقة الإسلام وتنظيمه لحياة المسلم التعبدية، فالدور الديني الذي تقوم به الطريقة الهبرية في غرب الجزائر يعكس ذلك الحضور في المجتمع، وإقبال العدد الكبير من الشباب على الزاوية لتلقي العلم. ومع تطور الوسائل والوسائط التكنولوجية، ساهمت الطريقة الهبرية بتسخير تلك الوسائل لخدمة الإسلام والمسلمين في المجتمع الجزائري عموما. ويتمثل

[1]- كان ذلك بإحدى حجرات المسجد الحرام التي كانت آنذاك مخصصة للمجاورة والاعتكاف صحبة العلامة أبي فارس الدمشقي عام 1969. غيتاوي التهامي، المرجع السابق ، ص 26

[2]- نفس المرجع، ص ص 28، 29

نشاطها في إحياء المناسبات الدينية الهامة، كالمولد النبوي الشريف وذلك بإلقاء الدروس والمحاضرات والعظات، وذكر خصال الرسول صلى الله عليه وسلم، وبيان أخلاقه، ودعوته إلى دين أساسه الأخوة فيه، وهذا تتبناه الطرق الصوفية، فالأخ والفقير والحبيب؛ هي صفات المصطفى عليه الصلاة والسلام، وهي الصفة التي يجب أن يتخلق بها المسلم اقتداءا به.

كما تحيي الطريقة الهبرية في الوقت الحاضر – وهذا نتيجة المتغيرات التي واكبت تطورها من مرحلة إلى أخرى، وحسب الإمكانات المتاحة – شهر رمضان المعظم من خلال الدروس الرمضانية التي تذكر بفضل هذه الأمة، وفضل شهرها وما يجنيه المسلم في حياته الدنيوية، وما يحصله بفضله في أخراه.

ونحن نشهد اليوم تطورا كبيرا في سائر المناحي الحياتية ذات الطابع المادي الخالي من الروح، والذي يكاد يطمئن إلى الملموس كل الاطمئنان، قد يغدو عقيدة في المستقبل تجعل منه مستهلك ومُستهلك بصفة صرفة. وهنا نشهد في المقابل دور هذه الطريقة في موازنة بين الجانب المادي والروحي، واستغلال وسائل العصر في تحقيق ذلك، ومنها الوسائل التكنولوجية المعروفة من إعلام مرئي ومواقع الكترونية.

كما أن نشاطها الديني عبر فروعها بغرب الجزائر من خلال التواصل؛ يوسع رقعة الحضور الديني، حتى أصبح أغلب أفراد المجتمع يعرف هذه الطريقة دون أن ينقل إلى سمعه أحدا؛ أغلاطا بشأنها، ويدلس على أصحابها. لا ينكر أحد أن الطريقة الهبرية في غرب الجزائر تميزت بنشاطها الديني، في تخريج عدد لا بأس به من طلبة العلم وحفظة القرآن الكريم، وأئمة، وحتى علماء يعرفهم العام والخاص.

ولا تزال تقوم بنفس الدور، وما اتساع مقرها إلا لاستعاب عدد أكبر من طلبة العلم. وهذا دليل على حضورها الديني القوي. وتقوم الطريقة الهبرية بتربية المسلم وتنشئته وفق أبعاد تجعل منه إنسانا مسلما ومواطنا صالحا منها:

- تنمية المريد على حب القرآن العظيم، والحرص على حفظه والتخلق، والعمل به
- حب النبي صلى الله عليه وسلم وإتباع سنته في القول والعمل
- حب آل بيته الأطهار ومعرفة مقامهم والتأسي بهم

- إجلال الأئمة الكرام في الفقه والحديث، وتوقيرهم، وتقديرهم، والالتزام بمذهب الإمام مالك إمام دار الهجرة[1].
- التخلق بالمروءة والسماحة، وحب الوطن والذود عنه
- التواضع والتزام التقوى، ومراقبة الله عند كل أمر ونهي، وأن لا يقدم المريد على أمر حتى يعلم حكم الله فيه، ويسأل العلماء الذين يدلونه على الله. وهذه الأبعاد من شأنها ترقية المريد وتهذيب سلوكه وتزكية أخلاقه ليكون عنصرا إيجابيا ومواطنا صالحا ومتصوفا ايجابيا، كما أن الشيخ ولتحقيق هذه الأبعاد يقدم وصايا ننقلها من كتاب الشيخ التهامي، من أهمها
- المحافظة على الطهارة والصلاة
- تقوى الله على كل حال
- الصدق في كل موطن
- المحافظة على الأوراد
- طلب العلم والاجتهاد في تحصيله، وفهمه، والعمل به، مع الإخلاص لله وحده
- الغيرة على الوطن والاجتهاد في خدمته والذود عنه
- التزام الأدب والتواضع في المعاملة مع الفقراء، ومع كل المسلمين
- العمل والكد على الوالدين والأهل والعيال، وعدم التواكل والاتكال، ونبذ التكاسل
- التدقيق في أكل الحلال، ولبس الحلال، وتجنب مواطن الشبهات على الإطلاق[2]

فهذه الوصايا لدعم تربية المريد تشكل الأساس الذي تقوم عليه الطريقة الهبرية، ومساهمتها الدينية في الحفاظ على الهوية الدينية، وجعله مسلما مسالما يحب الخير، ويجنح إلى السلم، ويتشبع بروح الأخوة والتضامن، ليلعب دوره في المجتمع، متحصنا ضد التيارات الجارفة التي تهب مع الغزو الثقافي القادم من الضفة الأخرى، والذي له وسائل تحمل الإغراء بأفكار تتماشى والحضارة السائدة غير أنها كالسم في العسل.

---

[1]– يعرف لإمام مالك رحمه الله بهذا اللقب. ودار الهجرة هي المدينة المنورة التي هاجر إليها النبي صلى الله عليه وسلم وبقي فيها إلى أن التحق بالرفيق الأعلى.

[2]–غيتاوي التهامي، المرجع السابق، ص23

ب–حضورها السياسي

نعلم أن الطرق الصوفية تنأى بنفسها عن اقتحام المجال السياسي، غير أن الظروف السياسية ولاسيما الفترة الحديثة أجبرتها على ولوجه، سواء في المغرب الأقصى أو الجزائر أو غيره من الأقطار المغاربية، نظرا للصراعات التي كانت تطبع المغرب كله. وقد لاحظنا أن الطريقة الهبرية وهي فرع من الطريقة الدرقاوية كانتا من أشد الأعداء للمستعمر الفرنسي، وقد تعرضت فروعها إلى شل نشاطها، ونفي أصحابها، وغلق مقراتها. ويقول إدوارد دو نوفو – وهو يحاول حصر جغرافية هذه الجماعات حسب تعبيره – يقول عن الطريقة الدرقاوية أن لديهم عددا كبيرا من الأتباع في المغرب والجزائر، يتميزون بالتطرف[1]، وهم على استعداد لاستغلال أبسط فرصة لتعبئة الشعوب وتحريكها للثورة[2]. فالطريقة الهبرية سليلة الطريقة الدرقاوية، لم تبق طريقة دينية فحسب بل طريقة دينية سياسية، وقد اكتسبت ذلك منذ صراعها مع العثمانيين، وازداد حماسها الجهادي ضد الغزو الفرنسي، فجمعوا بين حفظ القرآن والدعوة إلى الدين الإسلامي وبين الجهاد ضد المستعمر.

وظلت كذلك منذ تأسيسها، ويصرح دو نوفو بقوله: لم نتمكن من وضع أيدينا على زعماء الطرق الثلاثة السابقة[3]. ويتضح أن الطريقة الهبرية لعبت دورا رياديا في المجال السياسي في تلك الفترة. أما المتتبع لدورها السياسي في فترة العشرية السوداء ينكر إسهاماتها في معالجة ما حل بالجزائر من أحداث دموية ومجازر، وبأنها لم تكن طرفا في ذلك الصراع، وأنها لم تحرك ساكنا. والحقيقة أن الطريقة الهبرية كانت مستهدفة كغيرها من الأهداف التي كانت في مرمى المتطرفين، وقد وقفت بنفسي على زاوية الشيخ البودالي الهبرية، التي تعرضت إلى الاعتداء والتخريب ومطاردة أهلها من طرف الإرهاب، وقد عاينت المكان في تلك الفترة، وأنا أتمثل في ذهني ما حل بالزوايا المعارضة للاستعمار الفرنسي.

أما دورها في حالة السلم؛ يتمثل في إعداد المريد وفق تلك المبادئ الإسلامية السمحة ، وتنشئته تنشئة صالحة، والمساهمة في المجتمع بمده بالعناصر الفاعلة والنشيطة، وعلى مستوى الدولة دعم

---

[1]– ما يتميز به درقاوة هو العداء للاستعمار الفرنسي الذي احتل الجزائر وقام بما قام به من الجرائم ضد الإسلام والمسلمين.

[2]– إدوارد دو نوفو، المرجع السابق، ص103

[3]– يقصد شيوخ: الطريقة الطيبية ، والطريقة العيساوية ، والطريقة الدرقاوية، التي لها تواصل بين المغرب والجزائر. إدوارد دونوفو، المرجع نفسه، ص 102، 103

توجهاتها التي تخدم الأمة في سائر المجالات، مساندة في ذلك المشاريع الهادفة إلى التنمية والتطوير لصالح المجتمع بمختلف فئاته، رغم الاتهامات الموجهة إليها بخضوعها للسلطة وكأنها حزب من الأحزاب الموالية. فالفرق بينها وبين التنظيمات السياسية كما أشرنا سابقا أنها لا تخضع للمناورات السياسية، للحصول على منصب، أو منافع خاصة. بل غايتها تهدف إلى مواكبة التطورات والإنجازات الحاصلة في الجزائر، ودعم نهضتها لمجابهة الأخطار المحدقة بها من كل جانب سواء على المستوى الأمني، أو الاقتصادي، بالإضافة إلى محاربة التطرف والأفكار الدخيلة على المجتمع الجزائري، والتمسك بالقاعدة الدينية الإسلامية القائمة على الأسس الثلاثة العقيدة الأشعرية ومذهب مالك وطريقة الجنيد السالك.

ج–حضورها الاجتماعي

لا يزال دور الطرق الصوفية دينيا اجتماعيا منذ وجودها، والطريقة الهبرية تساهم حسب استطاعتها في تقديم المساعدة للفقراء والمساكين، من إطعام وتقديم اللباس وغيره من المساعدات الإنسانية، وبذلك أصبحت تستقطب عددا كبيرا من الناس بفضل نشاطها الاجتماعي. وتساهم الطريقة الهبرية بفضل الورشات التي أقامتها في استقطاب فئات من المجتمع وتعليمهم مختلف الحرف، والعلوم، مساهمة منها في تقليل ظاهرة الأمية والتسرب المدرسي من جهة، وإعداد الأفراد للشغل، وبالتالي تكون قد أدت خدمة للمجتمع بالمساهمة في محاربة ظاهرة البطالة والانحرافات، ومنح فرصة لفئة؛ خاصة المعوزة، من تعلم حرف بالمجان مع توفير الإقامة والإطعام .

فدور الطريقة الهبرية الاجتماعي يرسم ثلاثة أبعاد، حتى تتحقق الغاية المنشودة، وهي مجتمع يسوده الأمن والأمان. وبالقضاء على مظاهر الانحلال بسبب الأعراض العامة التي تكاد تكون موجودة حتى في المجتمعات الغنية. تكون الطريقة الهبرية قد أدت رسالتها تجاه الله والمجتمع .

فالبعد الأول هو ديني يخص الفرد والجماعة المسلمة لتتمسك بسنة النبي صلى الله عليه وسلم في القول والعمل .

والبعد الثاني تعليمي؛ لأن هذه الأمة أمرت بطلب العلم دون كلل أو ملل، فكان أول اتصال بين الله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم بواسطة جبريل أن أمره بالقراءة، كما حث النبي الكريم على ذلك

وندب إليه، ولذلك فالطريقة الهبرية تحض على تعليم المريدين من أمور الدين ما يصلح لحياتهم الأخروية في أداء العبادات التي جاء بها الإسلام .

والبعد الثالث هو تحقيق حياة اجتماعية بفضل العمل وعدم الاتكال، والكد حتى يصبح المسلم عونا لأخيه المسلم على أباء الحياة، ويسد كل واحد حاجة أخيه العكس، بحيث يتحقق الانسجام والتناغم في النسيج الاجتماعي، وتتشكل بذلك الوحدة التي تمثل الفرد للجماعة والجماعة للفرد.

هذه غايات يسعى من خلالها رجال الطرق الصوفية، ومساهمة منهم في المجتمع تساوقا مع الهيئات الأخرى من مساجد ومؤسسات تعليم، وغيرها.

أما الجانب الأخر المهم هو دورها في إصلاح ذات البين، سواء تعلق الأمر بالخصومات العادية بين الأفراد والمتعلقة بالأحوال الشخصية من زواج وطلاق، أوالمنازعات التي تتم بين الأعراش حول الملكيات، والتي أحيانا، تراوح مكانها في أروقة المحاكم لتشعبها وصعوبة الفصل فيها. نجد أن شيوخ الزوايا يفصلون فيها، ويجمعون بين المتنازعين، حيث ينزلون عند حكم الشيخ ويتراضون، ويسود جو المحبة والإخاء بينهم. هذا الدور قامت به الطرق الصوفية قديما ولا تزال تتصدر له، لمكانها من نفوس الناس، ولقدرتها على تحقيق ذلك. فهذه الوساطة والوجاهة[1] تحوزها الطرق الصوفية دون غيرها، وحضورها في مثل هذه الوقائع يجعلها أداة، لنزع الشحناء وتأليف القلوب، وإطفاء فتيل الأزمة بين الناس . وهذا دور من الأهمية بمكان يصب في صالح المجتمع والفرد.

[1]– الوجاهة من الجاه، وهو عند أهل المغرب قاطبة معترف به وخاصة إن كان من قبل الأعيان، أو الأئمة، أو شيوخ الزوايا. فمهما ما عظم الأمر إلا وجعلوا له مخرجا يرضى به المتضرر، وينزل عند حكمهم، ويرضى به، كونه يدرك أن سعي هؤلاء فيه خير، ورده هو الشر.

خاتمة

لقد عُرف التصوف في البداية على يد أشخاص اشتهروا بالتقوى والزهد، والعزوف عن متاع الدنيا، وتناقل الناس أخبارهم في المشرق، والمغرب، ثم ظهر كعلم على يد أتباعهم، وصنفوا فيه كباقي المباحث الإسلامية، وما إن تشكلت الطرق الصوفية، وتطورت، وأصبح لديها نظام دقيق، وأتباع كثر، حتى لعبت أدوارا في مختلف مجالات الحياة. ففي المشرق لعبت الطريقة القادرية دورا كبيرا، خاصة على عهد مؤسسها الشيخ عبد القادر الجيلاني رحمه الله بعد أن ذاع صيته، واشتهر ببغداد حتى ذكره العلماء، والفقهاء لتقواه، وورعه، وعلمه. وانتقلت الطريقة إلى المغرب الإسلامي، وانتشرت في بداية الأمر على يد مغاربة أولهم الغوث أبا مدين. ثم ظهرت الطريقة الشاذلية ذات الأصل المغربي، ومنها تفرعت طرق عديدة، واستمر الحال في التطور، وأقيمت زوايا في مختلف مناطق المغرب الإسلامي.

ورغم الصعوبات التي وقفت أمام هذه الظاهرة إلا أنها استطاعت أن تتجاوزها، وأثبتت وجودها.

فتتبع هذه الطرق وما آلت إليه قادنا إلى معرفة تأقلمها مع الظروف العامة، وخاصة وأنها تعدت مجالها الديني إلى المجال السياسي ، وشاركت في مصير المغرب العربي قبل، وأثناء، وبعد احتلاله.

يمثل العصر الحديث عصر تصوف بامتياز، وسيطرت فيه الطرق الصوفية على الحياة الروحية للمجتمع بفضل نشاطها على المستوى الديني، والتعليمي، والاجتماعي، حتى غدا شأنها يعلو، ونفوذها يزداد، ورقعة جغرافيتها تتسع، وذكاها التكالب المسيحي على المغرب، الذي أصبح فريسة الدول الاستعمارية، والحلقة الأضعف بعد سقوط الأندلس. هذا على عموم المغرب.

أما بخصوص المغرب الأقصى، وغرب الجزائر، اتضح أن تواصل الطرق الصوفية شكل حبلا متينا شد أواصرها، واستقوى بفضله عودها؛ رغم أن الفترة التي حدث فيها ذلك تباينت بين المكانين من حيث الأحداث؛ حيث استقل المغرب الأقصى عن الخلافة الإسلامية منذ الدولة العباسة إلى غاية الحماية الفرنسية، بينما دخلت الجزائر تحت الحماية العثمانية، وانفرد غرب الجزائر، ولاسيما حواضره بظرف خاص ظل في مد وجزر بين العثمانيين في الجزائر والإسبان إلى غاية التحرير الأخير سنة **1792**. ولم يلبث أن وقع تحت الاستعمار الفرنسي، وظل يرزح تحت نيره قرابة القرن وربع القرن.

عرف المغرب الأقصى منذ الحكم المريني الوطاسي مرورا بالدولة السعدية، والدولة العلوية صراعات لم تنته، إلا بفرض الحماية عليه من طرف الفرنسيين، والإسبان، حيث اجتمعت القوى على إيجاد السبل، والوسائل لإخراج المحتل. فتبعا للكتابات المغربية، ومن أرخوا لتاريخ المغرب الأقصى نلحظ ذلك الصراع بين حكام فاس وملوك مراكش، وشكلت الثورات الداخلية، والانقسامات وجها أخرا للسياسة المخزنية في

التعاطي مع الأوضاع؛ وخصوصا أن المغرب الأقصى كان يرى نفسه محاطا بالإبيريين من جهة والدولة العثمانية بالجزائر من جهة ثانية، إضافة إلى النزاعات المحلية والتنافس الحاد بين أطرافها.

اقتصاديا أثرت تلك الأوضاع على السياسة المالية، التي اعتمدت على الطرق التقليدية في تحصيل الأموال وملء الخزينة لتسيير شؤون الحكم، وقد كان لطرق تحصيلها إضعافا وإرهاقا لفئات من المجتمع بالضرائب من جهة، وتمنع أخرى من جهة ثانية وإعفاء بعضها لنفوذها أو ولائها من جهة ثالثة؛ كالطرق الصوفية النافذة وأتباعها أحدثت شرخا في المجتمع ككل. إضافة إلى سنوات الجفاف والقحط التي ذكرها ابن أبي المحلى في رحلته، والأساليب العتيقة في مجال الفلاحة، والاعتماد على الصناعة الحرفية التي تساهم بقدر ضئيل في تطوير الاقتصاد، مقارنة بما كان يجري في أوربا في تلك الفترة.

وزيادة على ذلك الأوضاع الصحية المزرية والأوبئة الفتاكة كالطاعون الذي ضرب المغرب الأقصى وفتك بالكثير من الناس بينهم العلماء؛كل هذه العوامل ساهمت بشكل كبير في البلد وتضعضعه، واستمر في الانحطاط إلى أن استسلم للمحتل. في ظل ذلك لعبت الطرق الصوفية أدوارا اختلفت حسب طبيعة المرحلة.

ففي البداية شاركت في قيام الدولة المرينية، وساهمت في سقوطها وإعلاء كلمة الدولة السعدية، وفي خضم ذلك قاومت الاستعمار الاسباني والبرتغالي على حد سواء. كما ساهمت في تخفيف الأعباء على المجتمع بفضل زواياها، وما قدمته من خدمات اجتماعية، وبتمسك المجتمع بها انتشرت فروعها في مختلف المناطق، وخاصة بجنوب المغرب، أين تمكنت من ربط صلات بين فروعها، وانتقلت تلك الطرق إلى غرب الجزائر الذي كان يعرف احتلال اسبانيا على أهم مدنه وخصوصا وهران.

أما في ظل الدولة العلوية فقد شكل الصراع السمة التي طبعت تلك الفترة، ووُجهت رماح المخزن صوب الطرق الصوفية للقضاء عليها كونها شكلت منافسا قويا قد يمسك زمام الحكم. وقامت بتطويع طرق أخرى، وإخضاعها، لذا نلحظ أن دور الطرق الصوفية يتضاءل تدريجيا، حتى ضعف سلطانها، وانزوت أمام ضربات المخزن المتتالية. لكن يبقى يدورها في المجال الاجتماعي حاضرا، وتواصلها مستمرا، ومنفذ ذلك هو غرب الجزائر. فانتقلت الطريقة الدرقاوية إلى الجزائر، وظل التواصل يطبع العلاقات بينها وبين الطريقة الأم في المغرب، ولاسيما أنها تحولت إلى الجانب السياسي إضافة إلى دورها الديني، وعملت على تعبئة المجتمع ضد المحتل. وبعد تتبعنا للطرق الصوفية في المغرب الأقصى وغرب الجزائر، وتواصل الطرق الصوفية؛ ولاسيما الطريقة الهبرية توصلنا إلى تحديد النتيجة بناء على مقومين

أساسين الأول: البعد والعمق التاريخيين للطريقة الهبرية، والثاني هو أهمية الطريقة في المجتمع المتمثل في دورها في الماضي والحاضر، وخصوصا في الحيز الجغرافي المدروس .

كان امتداد الطريقة الشاذلية عبر فروعها في المغرب الأقصى إلى أن انتهي إلى الطريقة الهبرية ركيزة أساسية فيما تحوزه اليوم من عراقة عبر سلسلة مترابطة تمثل العمق التاريخي لها كما تمثل زواياها في المغرب الأقصى؛ وخصوصا في غرب الجزائر البعد الحضاري، الذي جعلاها، تقوم بالأدوار التاريخية في الفترة الحديثة والمعاصرة. كما يشكل هذا الأساس مرجعية الطريقة، وخطها الذي رسمه المؤسس الأول للطريقة الأم، والذي بتتبعه نستشف الاستقامة عليه، ولا نجد إي اختلاف إلا في بعض الترتيبات التي تقتضيها المرحلة المعاشة، أو الظروف العامة بما فيها السياسية.

فقد نجد الطريقة الهبرية مثل الطريقة الدرقاوية ومثل الطريقة الشاذلية من حيث الالتزام بالكتاب والسنة، وإن كان لكل شيخ زمانه ورجاله ومكانه، ووضعه في سياق التاريخ، ونجدها عند مجابهة الاستعمار في الجزائر والمغرب الأقصى بنفس الصرامة، وحتى أن الطريقة الدرقاوية التي ناهضت الدولة العثمانية، ورأت في الأمير عبد القادر زعيم يسعى إلى السلطة، وأن تقبل به، عليه أن يكون درقاويا، تشبعت الطريقة الدرقاوية بفكرة الثورة ضد الغزو المسيحي، حتى أطلق على كل ثائر مهما كان؛ لقب الدرقاوي. فلا غرابة أن تكون الطريقة الهبرية تكن العداء لكل غزو أجنبي، وخصوصا الاستعمار الفرنسي، والاسباني والايطالي في بلاد المغرب. وهذا يمثل عمقها التاريخي، واستمرارها دون أن تنحرف عن الخط الذي تنتمي إليه، ويقودنا هذا العامل إلى الأساس الثاني المتمثل في الأهمية التاريخية للطريقة الهبرية، والتي كما أسلفت نتيجة أدوارها في الماضي والحاضر.

ولا يمكن أن تكون لشيء أهمية دون البعد التاريخي والعكس، وقد تكتسب طريقة ما أهمية كبرى، وتفقدها نتيجة انحراف عن الأصل في المبادئ والأسس التي ارتكزت عليها، وقد حدث ذلك مع الشظيمي الملقب بالسياف الذي انحرف بالجزولية، وسفك الدماء باسم الانتقام لشيخه وادعى دعاوى خرج بها عن الطريقة فانتهت حركته دون أن يؤسس طريقة أو زاوية ، أو يترك أتباع. ونحن نقف على أهمية الطريقة الهبرية من خلال ما قامت به في مختلف المجالات الدينية التعليمية والاجتماعية والسياسية، في مختلف فترات المتلاحقة منذ تأسيسها، ولا تزال في الحاضر تضطلع بمهامها، حسب متطلبات العصر، مواكبة بذلك التطورات الحاصلة في الميدان العلمي والتكنولوجي، وأصبحت قبلة لفئات مختلفة من المجتمع، وهي تساهم في النشاط العلمي، في مختلف اللقاءات والملتقيات، وكان شيوخها يحضرون الملتقيات الدولية الوطنية، ويساهمون فيها.

فالأهمية لا تكون بحسب شهرتها وانتسابها فحسب بل ما تتركه من أثر لدى العام والخاص، وبالتالي تبين عن التصوف العملي الذي يسامت المحسوس والملموس، بعيدا عن ما يتحدث به أعداء الطرق الصوفية، وتبديعها، والنظر إلى جانب واحد له علاقة بالمباحث الأصلية في الإسلام، والمتعلقة بالتصوف الفلسفي، والخوض فيه، وبالتالي حصر نشاطها في الطقوس، ووصفها بالخرافات، والشعوذة، والزندقة التي تتنافى مع مبادئ الدين الإسلامي الحنيف. ونحن نتتبع في الصفحات الناصعة البياض للطرق الصوفية، ولاسيما الطريقة الهبرية؛ تبين لنا أن هذه الطريقة صمدت ضد المواقف التي تعرضت لها سواء بفعل الظروف، أو من طرف المحتل الفرنسي، ومن خلال التهميش الذي عرفته مع نهاية الاحتلال، وبالنظر إلى السلبيات فقد نجدها لا تكاد تلتصق إلا بأشخاص حاولوا استغلال الطريقة لتحقيق منافعهم الخاصة، أو جعلوا من الطريقة منفذا إلى قضاء مآربهم.

ويكفي الطرق الصوفية، ومنها الهبرية أنها وقفت ضد التنصير الذي سخرت له فرنسا الاستعمارية كل الطاقات المادية، والمعنوية، بالمحافظة على الهوية الوطنية، والتمسك بالدين الإسلامي، واللغة العربية رغم افتقارها للوسائل المادية، وصعوبة الفترة، حالة المجتمع المزرية، وبالأخص في الأرياف. وهذا صعب المهمة على فرنسا من تحقيق مشروعها في إلحاق الجزائر بها شعبا وأرضا. ومن محاسنها أنها رفعت لواء الجهاد شرقا وغربا بالنسبة للجزائر، وفي الريف المغربي بالنسبة للمغرب الأقصى. فانطلقت مقاومة الأمير عبد القادر المسلحة من غرب الجزائر وعمرت خمسة عشر سنة، وفي الشرق من الطريقة الرحمانية ومن الجنوب الطريقة الشيخية، فهذا يحسب لصالح الطرق الصوفية في دورها تجاه القضايا المصيرية.

وإذا تحدثنا عن السلبيات فمن منطلق " الناس في الرخاء سواء فإذا نزل البلاء تباينوا " وهذا ما حدث للطرق التي قطعت علاقتها بالأوساط الشعبية، وربطت علاقتها بالسلطة لتحقيق مصالحها فخسرت بذلك ولاء أتباعها فضلا عمن كان يتعاطف معها، ولا تربطه بها أي علاقة قريبة أو بعيدة. فالمغرب الأقصى على عهد الدولة العلوية قضى على الطرق الصوفية، والتي كانت في نظره تشكل خطرا؛ مثل الطريقة الدلائية، وأخرى أخضعها مثل الناصرية نظرا لسذاجة وضعف شيوخها المتأخرين، أو ما نزل من بلاء بانت به عن غيرها ممن صمدت، ثم قضت على البقية الباقية الحركة الوهابية التي تبناها الملوك المتأخرين، وخصوصا المولى سليمان.

وقد تمكنت الحركة الوهابية من إحكام قبضتها، وجعلت من الإسلام إلا ما يصدر عنها، وحاربت بكلمة التكفير كل صغير وكبير، وانتقلت عدواها إلى المغرب الأقصى، ففت ذلك في عضد الدولة وانقلبوا، بضعف المقوم الروحي، والمقوم المادي إلى خاسر هو المغرب الأقصى. أما بخصوص الجزائر

فقد استطاعت السلطة الفرنسية من تدجين بعض الطرق، والسبب ذاته بالنسبة للطريقة الصوفية بقطع علاقتها مع الأوساط الشعبية، وربطها بما يمن به المستعمر عليها من فتات، فبانت بذلك عن غيرها من الطرق التي وقفت في وجهه، ولم تستسلم .

وبعد جلاء المحتل الفرنسي والاسباني من المغرب الأقصى، عادت الطرق الصوفية إلى نشاطها المعهود، وعادت الزوايا إلى التعليم الديني من تحفيظ القرآن والحديث النبوي الشريف، وإحياء المناسبات الدينية، وإقامة الاحتفالات السنوية، التي تميز المغرب العربي الإسلامي، وخصوصا مرجعيته الدينية. أما بعد استقلال الجزائر فقد تعرضت الطرق الصوفية إلى التهميش، كونها تمثل الرجعية والتخلف، أما التعليم الحديث الذي يعتمد إيديولوجيات مختلفة مستقاة من ثقافة غربية لا تمت إلى المسلم الجزائري بصلة، لكن البلاء دائما حاضر، كقاعدة على أساسها تعرف الأطراف، التي يلجأ إليها، وكانت الطرق الصوفية الملجأ، لأنها تمثل الإسلام الوسطي، المعتدل، مقابل التطرف الذي حملته رياح الإصلاح وبذرته في بستان الإسلاميين فأثمر خرابا في الممتلكات، والأعراض، وأحدث تفرقة بين أبناء الشعب الواحد. ولا مناص من التماس المرجعية الثقافية، التي تمثلها الزوايا والطرق الصوفية إذ أنها الخيار الوحيد في رأب الصدع وإعادة اللحمة إلى سابق عهدها.

ونحن نتتبع دور الطريقة الهبرية في هذا البعد، نهيب بوسائل الإعلام التي، التفتت إليها، وخاصة المرئية منها في إظهار أهميتها بالنسبة للمجتمع، وتقديمها على أنها الوسيلة الأنجع كما كانت دائما في تحقيق السلم بين أفراد المجتمع، كما أنها تحافظ على المقومات الأساسية للمرجعية الدينية لسكان المغرب العربي الإسلامي عموما والجزائر خصوصا؛ وهو مذهب مالك، وعقيدة الأشعري، وطريقة الجنيد الصوفية السنية.

ويبقى دور السلطة في دعم هذه الطرق، ومساعدتها على تطوير وسائلها لمواكبة المتغيرات الحاصلة لحماية الشباب من الوافدات الثقافية، والتي تحمل في ثناياها عقائد وأفكار هدامة، قد لا يظهر تأثيرها الآني لكن أبعادها خطيرة، يمكنها أن تعرقل طموحاته، في إثبات وجوده بالخصوصية الثقافية والميزة، التي حافظت عليها الطرق الصوفية، في وجود الاستعمار وما حمله معه، من مشروع تخريبي على مستوى الأفراد والجماعات. وما خلصنا إليه ونحن نتتبع طور ودور الطرق الصوفية سواء في المغرب الأقصى أو غرب الجزائر بناءا على القاعدتين الآنفتا الذكر؛ أن الطرق الصوفية يمكنها أن تلعب دورا رياديا في المجتمع على كافة المستويات، إذا ميزنا الصالح منها من الطالح، وهذا ليس على أساس المعارضة أو المولاة، أو الحياد، وإنما على أساس إشراكها في القضايا المصيرية المتعلقة بالمجتمع، وتسخير الوسائل

التكنولوجية الحديثة، ووسائل الإعلام لبيان هذه المؤسسات الدينية، وما تقوم به لصالح المجتمع، وأن تسلط عليها الأضواء أثناء عقدها للمؤتمرات والملتقيات الدولية والوطنية، ومختلف التظاهرات الدينية والعلمية، وأن تبقى حبيسة القاعات.

بل إن رسالة المسجد تكون منقوصة إذا لم يحدث تقارب بينها وبين رسالة الطرق الصوفية والزوايا، كما أن المغرب الأقصى له معهد خاص بالتصوف، فلابد أن يكون هناك معهد عالي يدرس فيه التصوف وعلومه، والطرق الصوفية، وأثارها العلمية والدينية. وقد يكون لمثل هذا ارتقاء من التواصل الصوفي بين الطرق الصوفية إلى التواصل بين هاته الهيئات، وهذا يؤسس لمستقبل الطرق الصوفية في مجابهة الأخطار التي تتلون كل مرة بلون، فمن الشعارات الداعية إلى الحرية، والديمقراطية وحقوق الإنسان، إلى التغيير القصري عن طريق الثورات أتت على الأخضر واليابس، وزرعت الفتن التي لا نهاية لها .

فدور الزوايا والطرق الصوفية كالهبرية وغيرها ، يكون حسب المرحلة والظرف، إن تمكنت من الدعم الرسمي والشعبي، سواء في حالة السلم أو أي وضع تفرضه المتغيرات. فالعالم اليوم، وخصوصا المسيحي، واليهودي يبحثان عن مرجعيات يمكن أن يجابه بها الإسلام، الذي ينشد الاستقرار والسلم ويحث على العلم والعمل وهو حال الطرق الصوفية. أما التطرف أيا كان سنده فهو يقضي على نفسه بنفسه والتاريخ يسجل لنا نهاية كل الحركات المتطرفة، وكيف انتهى بها المطاف بخلاف الطرق الصوفية فإنها تطورت من مرحلة إلى أخرى، وبقيت مستمرة بل انتشرت في مختلف مناطق العالم، ولا تزال في تزايد نظرا لاعتدالها وتمثيلها لإسلام أحسن تمثيل.

بقي أن أشير إلى أن الطريقة الهبرية في غرب الجزائر لا تزال على تواصل بين الطريقة الهبرية في المغرب الأقصى وذلك بحضور المناسبات الدينية، كما أنها تتواصل مع بقية فروعها المتواجدة في الجهة الغربية تأكيدا لهذه العلاقة التي تربط الطرق الصوفية ببعضها، بالخاصية الدينية الاجتماعية، والمتمثلة في التواصل الصوفي الذي شكل سلسلة الحلقات المترابطة منذ ظهور هذه الظاهرة في المفهوم إلى يومنا هذا.

الملاحق

ـ الأوراد

01– الورد العام

02– الوظيفة الزروقية

ـ الأسانيد

03 ـ سند الشيخ بلقايد رحمه الله

ـ القصائد

04–قصيدة الشيخ محمد الهبري

05– قصيدة محمد متولي الشعراوي

06–قصيدة في رحاب الهبرية

07– قصيدة في رحاب الهبرية (معادة للايضاج)

ـ تصاميم المخططات

08– مخطط الطريقة الشاذلية القادرية (السند الصوفي العام)

09– مخطط الطريقة الجزولية

10– مخطط الطريقة الزروقية

11– مخطط الطريقة الشرقاوية

12– مخطط الطريقة الدلائية

13– مخطط سند الطريقة الهبرية في الدرقاوية

14– مخطط الطريقة الهبرية البلقايدية

15– تصميم لموقع أهم الزوايا بمراكش

ـ الجداول

16- جدول لأهم الطرق الصوفية بالجزائر

17- جدول لأهم الزوايا بالجزائر

18- جدول لأهم الأحداث (المناسبات الخاصة بالأولياء ومشايخ الطرق الصوفية والزوايا الدينية بالجزائر)

19- جدول المصاهرة بين أفراد الزوايا في شرق المغرب الأقصى وغرب الجزائر

20- جدول لأهم الطرق الصوفية بالمغرب الأقصى

21-جدول لزوايا بلا أهمية في المغرب

ـ الصور

22-صورة لصحن زاوية سيدي البودالي الهبرية

23- صورة لمسجد زاوية سيدي البودالي الهبرية

24- صورة لزاوية سيدي البودالي الهبرية وملحق المدرسة القرآنية

25- صورة قديمة للشيخ متولي الشعراوي مع الشيخ محمد بلقايد

26- صورة للشيخ الشعراوي يؤمن على دعاء الشيخ محمد بلقايد

27- صورة للشيخ محمد بلقايد

28- صورة للشيخ محمد بلقايد رحمه الله مع نجله الشيخ عبد اللطيف

29- صورة لمشايخ الطريقة الهبرية الدرقاوية

الملحق01

الورد العام

أَعُوذُ بُالله مِنُ الشُّيْطَانِ الرَّجِيمُ *(مرة واحدة)*

بِسمِ ٱللِه ٱلرَّحمٰنِ ٱلرَّحِيمُ *(ثلاث مرات)*

((وُمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللهِ هُوَ خَيْرًا وأَعْظَمُ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُواْ اللُه إِنَّ اللَه غَفُورٌ رَحِيمُ)) *(مرة واحدة)*

أُسْتَغْفِرُ اللُه *(99 مرة)*

((أُسْتَغْفِرُ اللَه العَظِيمَ الَّذِي لا إِلُهَ إِلَّا هُوَ الُحيُ القَيُومُ وَأَتُوبُ إِلَيْهُ)) *(مرة واحدة)*

((إِنَّ ٱللَّه وَمَلَائكتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ يَٰأَيّها ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيهِ وَسَلِّمُواْ تَسلِيمًا)) *(مرة واحدة)*

((ٱللَّهُمَ صَلِّ عُلَىٰ سُيِّدِنَا مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلِّمُ)) (99 مرة))

((ٱللَّهُمَ صَلِّ عُلَىٰ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ وَ عَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلِّمُ تُسْلِيمًا بِقَدْرِ عُظَمَةُ ذُاتِكُ فُي كُلِّ وَقْتُ وُحِين)) *(مرة واحدة)*

((فُاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلُهَ إِلاَّ اللَّهُ)) (مرة واحدة)

((لاَ إِلُهَ إِلاَّ اللَّهُ)) *(99 مرة)*

((لاَ إِلُهَ إِلَّا اللَّهُ سُيِّدُنَا مُحَمَّدٌ رَسُوْلُ اللهِ صَلَّى اللُه عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وسَلَّمُ)) *(مرة واحدة)*

بِسمِ ٱللِه ٱلرَّحمٰنِ ٱلرَّحِيمُ ((قُل هُوَ ٱللهُ أَحَد(1) أُللُّه ٱلصَّمَدُ (2) لَم يَلِد وَلَم يُولَد(3) وُلَم يَكُن لَّهُ كفُوًا أَحَدُ (4))) *(ثلاث مرات)*

((بسمِ ٱللِه ٱلرَّحمٰنِ ٱلرَّحِيمُ (1) ٱلحَمدُ لِلِّه رَبِّ ٱلعُلَمِينُ (2) أُلرَّحمٰنِ (3) ٱلرَّحِيمُ مُلِكِ يَومِ ٱلدِّينُ (4) إِيَّاكَ نَعبُدُ وَإِيَّاكُ نُستَعِينُ (5) أُهدِنَاٱلصِّرَأطَ ٱلمُستَقِيمُ (6) صُرَأطَ ٱلَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِم غَيرِ ٱلمَغضُوبِ عَلَيهِم وَلاَ ٱلضَّالِّينُ)) *(مرة واحدة)*

الملحق 02

الوظيفة الزروقية

بسم ٱ لله ٱلرَحمَن ٱلرَحيمُ ((وَإِلَٰهكمُ إِلَٰه وَاحد لاَ إِلَٰهَ إ لَا هوَ ٱلرَحْمَٰنُ ٱلرَحيمُ)) . ((ٱ للُه لُاْ إِلَٰهَ إ لاَ هوَ ٱلْحَىُ ٱلْقَيوم)) . بسم ٱ لله ٱل رَحمَٰن ٱلرَحيمُ ((المُ ، اُ للُه لاُ إِلَٰهَ إ لاَ هوَ ٱلْحَيُ ٱلْقيوم)) . ((وَعَنتُ ٱلْوجوه لْلحَيُ ٱلْقَيومُ))((ٱللُه لُا إِلَٰهَ إ لَا هوَ ٱلْحَىُ ٱلْقَيوم لَا تَأْخذه سنَة وَلَا نُوْم له مُا فُى ٱلسَمَٰوَاتُ وُمَا فى ٱلْأَرضُ مُن ذُا ٱلْذىُ يَشْفَعُ عندهه إِلَا بِإِذْنه يَعلمُ مُا بُيْنُ أُيْديهمُ وُمَا خُلْفَهمُ وَلَا يحيطونُ بشَىْءُ منُ علمه إ لَا بُمَا شَآءُ وَسعُ كرسيه ٱلسَمَٰوَاتُ وُٱلْأَرْضُ وَلَاُيوده حفْظهمَا وَ هوَ ٱلْعَلىُ ٱلْعَظيمُ)) . بسم ٱ لله ٱلرَحمَٰن ٱلرَحيم ((حُمُ• تُنزيل ٱلْكتَٰبُ منُ اُ للُه ٱلْعَزيزُ ٱلْعَليمُ• غُافرُ ٱلْذَنبُ وُقَابلُ ٱلْتَوبُ شُديد ٱلْعقَابُ ذى ٱلْطوْلُ لُا إِلَٰهَ إ لَا هو إِلَيهُ ٱلْمَصيرُ)) . ((للُه مُاا فى ٱل سَمَٰوَا تُ وُمَا فُى ٱلْأَرْضُ وُ إن تُبدوا مُا فُىُ أُنفسكمُ أُوْ تُخفوه يُحَاسبْ كم بُهُ اُ للُه فُيَغْفرُ لمَنُ يَشَآء وُيعذ بُ مُن يُشَآء وَٱ للُه عُلَىُ كل شُىْءُ قُديرُ)) •((ءَامَنُ ٱلْرَسول بمَآ أنزلُ إِلَيْهُ من ربه وٱلمؤمنونُ كل ءَامَنُ بٱللُه وُ مَلَٰئكته وَ كتبه وَ رُ سله لاَ نفَرُ قُ بُيْنُ أُحَد من رُ سله وَقَالوا سمعْنَا وُأَطَعْنَا غُفْرَانَكُ رُبنَا وُ إِلَيْكُ ٱلْمَصيرُ لا يكَلفُ اُ للُه نُفْسًا إ لَا وسْعَهَا لَهَا مُا كُسَبَتُ وُعَلَيْهَا مُا أُكْتَسَبَتُ رُبنَا لاُ تؤَا خذْنَآ إن نسينَآ أُوْ أُخْطَأْنَا رُبنَا وُلاَ تُحْملُ عُلَيْنَآ إصْرًا كُمَاُ حَمَلْتَه عُلَى ٱلْذينُ من قُبلنَا رُ بنَا وُلَا تُحَملْنَا مُا لاُ طُاقَةُ لنَا بُه وُ ٱعْفُوعنَا وُ ٱغْفرْلَنَا وُ ٱرْحَمْنَآ أَنتُ مُوْلَىنَا فُٱنصرْنَا عُلَى ٱلْقَومُ ٱلْكافرُينُ)) • بسمُ اُ للُه ٱلْرَحمَٰنُ ٱلْرَحيمُ ((قلُ يُا أَيهَا ٱلْكَٰفرُونُ • لَا أُعبد مُا تُعبدونُ • وُ لَا أُنتمُ عُابدونُ مُآ أُعْبد• ولَا أُنَا عُابد مَا عُبَدتْمُ • وُلَا أُنتمُ عُابدونُ مُآ أُعْبد• لكمُ دينكمُ وُلىُ دينُ)) بم ٱلله الرحمن الرحيم ((إِذَا جُآءُ نُصرُ اُ للُه وُٱلْفَتحُ • وُرُأَيْتُ ٱلْنَاسُ يُدخلونُ فى دينُ اُ للُه أَفْوَاجًا • فُسَبحُ بُحَمْد ربكُ وُٱسْتَغْفرْه إنه كُانُ تُوَابًا)) . بسم ٱلله الرحمن الرحيم ((قلُ هوَ اُ للُه أُحَد • اُ للُه ٱل صَمَد • لُمُ يُلد وْلَمُ يُولَد • ولَمُ يُكنُ له كفوًا أُحَد))(ثلاثا) . بسم ٱلله الرحمن الرحيم ((قُلُ أُعوذ بُربُ ٱلْفَلَقُ • من شُرُ مُا خُلَقَ • وُ من شُرُ غُاسقُ إِذَا وُقَبُ • وُ من شُرُ ٱلْنَفَٰثَٰتُ فُى ٱلْعقَد • وُ من شُرُ حُاسد إِذَا حُسَد)) .(ثلاثا) . بسم ٱلله الرحمن الرحيم ((قلُ أُعوذ بُرَبُ ٱلْنَاسُ • مُلكُ ٱلْنَاسُ • إِلَٰهُ ٱلْنَاسُ • من شُرُ ٱلْوَسْوَاسُ ٱلْخَنَاسُ • ٱلْذى يُوَسْوسُ فُى صدورُ ٱلْنَاس • منُ ٱلْجنَةُ وُ ٱلْنَاسُ)) (ثلاثا) . ((ٱللهمُ إِنى أُعوذ بُكُ أُنُ أُ شْركُ بُكُ وُأَنَاُ أَعْلَم، وُأَسْتَغْفركُ لُمَا لُا أُعْلَمُ)) (ثلاثا) . ((اللهمُ إِنى أُعوذ بُكُ منُ ٱلْهَمُ وُٱلْحَزَن، وُأَعوذ بُكُ منُ ٱلْعَجْزُ وُٱلْكَسَل، وُأَعوذ بكُ منُ ٱلْبخْلُ وُٱلْجبْن، وُأَعوذ بُكُ منُ غُلَبَةُ ٱلدينُ وُقَهْرُ ٱلرجَال)) . (ثلاثا) . ((ٱللهمُ إِنى أُعوذ بكَ منَ الْكفْر وَالْفَقْر، وَأَعوذ بكَ منْ عَذَاب الْقَبْر، لَا إِلَٰهُ إ لَا أَنْتُ)) . (ثلاثا) . ((ٱللهمَ عَافني في ديني، اللهمَ عَافني في بَنَي، اللهمَ عَافني فيسَمْعي، ٱللهمَ عَافني في بَصَري، لَا إِلَٰهُ إ لَا أَنْتُ)) .

(ثلاثا) . ((أللهمُ أُنْتُ رَبي لُا إلَهُ إ لَا أَنْتَ، خُلَقْتَني وُأَنَا عُبْدكَ، وُأَنَاعَلَى عُهْدكُ وُ وَعْدكُ مُا أُسْتَطَعْت، أُعوذ بُكُ منُ شُرُ مُا صُنَعْت، أُبوء لُكُ بُنعْمَتكُ عُلَيَ، وُأَبوء بذَنْبي فُاغْفرْلُي,فَإنه لُا يُغْفرُ أُلذنوبُ إ لَا أُنْتُ)) . (ثلاثا) • ((أُللهُمَ إني أُصْبَحْتُ منْكُ فُي نُعْمَة وُعَافيَة وُ ستْر، فُأَتْممُ نُعْمَتَكُ عُلَيُ وَعَافيَتَكُ وُ ستْرَك فُي أُلدنْيا وُالأخرَةُ)) . (ثلاثا) • ((أُللهمَ مَا أَصْبَح بي منْ نعْمَة أَوْ بأَحَد منُ خَلْقكَ، فَمنْكَ وَحْدكَ لَاُ شَريكَ لَكَ، فَلَكَ الْحَمْد وَلَكَ الشكْرُ)) . (ثلاثا) . ((يُاَ رَب لَكَ الْحَمْد كَمَا يَنْبغي لجَلَاُل وَجْهكُ وَعَظيم سلْطَانكُ)) . (ثلاثا) • ((رُضيت باللهُ رَبا، وَبا لإسْلَام دينُا، وَبسَيدناَ محَمَد نَبيُا وَ رَسولًا)) . (ثلاثا) • ((سبْحَانَ اللهُ وَبحَمْده عدَد خَلْقه ، وَ رضَاءَ نَفسه، وَ زنَةَ عَرشهُ ,وُ مدادَ كَلمَاتهُ)).(ثلاثا) ((أعوذ بكَلمَات اللهُ التَامَا ت منْ شر مَا خَلَقَ)) . (ثلاثا)2 . سْم اللهُ الذيَ لا يضر مَعَ اسمه شَيْء في الْارْض وَلَا في السَمَا ء وَهْوَ السَميع الْعَليمُ)). (ثلاثا).((أُعوذ باللهُ السميع الْعَليمُ منَ الشَيْطُان الرَجيمُ)). (ثلاثا) .

هوَ ٱللُه ٱلذى لُا إلَهُ إلَا هوَ عُالمُ أُلْغَيبُ وُ ٱلشَهُادةُ هوَ أُلرَحْمَنُ أُلرَحيمُ • هوَ أُللُه أُلذى لُا إلَهُ إ لَا هوَ أُلْمَلكُ أُلْقودسُ ٱلسَلَاُمُ أُلمؤمنُ أُلْمهَيْمنُ أُلْعَزيزُ أُلْجبَارُ أُلْمتَكَبرُ سبْحَان أُللُه عُمَا يُشرُكونُ هوَ أُللُهَ أُلْخَالقُ أُلْبَارئُ أُلْمصَورُ لُه ٱلْاسْمَآء أُلحسْنَىُ يسَبحُ لَه مُا فُى أُلسَمُواتُ وُ ٱلْارْضُ وَ هوَ أُلْعَزيزُ أُلْحَكيمُ)) سبْحَانَ اللهُ وَبحَمْده، سبْحَانَ ا للهُ الْعَظيمُ(ثلاثا). ((تُحَصَنْت بذي الْعزَةُ وُ الْجَبَروت، وَاعْتَصَمْت برب الْمَلَكوت، وَتَوَكُلْت عَلَى الْحَي الذي لَا يَمو تُ)). ((ثلاثا)؛ اصْرفْ عَنَا الْاذَى إنكَ عَلَى كل شَيْء قَديرُ (ثلاثا) . (وُيكرر اصرف عنا الْأذى انك على كل شيء قديٌر (ثُلاثا) فُي كل مرةُ) بُسْمُ أُ للُه ٱلرحْمُنُ أُلرَحيمُ ((لإيلَافُ قُرَيْشُ • إ لآفهمُ رُحْلَةُ أُلشتَآءُ وُٱلصَيْفُ • فُلْيَعْبدوا رُبُ هُذَا أُلْبَيْتُ • أُلذىُ أَطْعَمَهم من جوعُ وُ ءَامَنَهم منُ خُوْفُ)) . (مرة) أللهمَ كَمَا أَطْعَمْتَهمْ فَأَطْعمْنَا، وَكَمَا آمُنْتَهمْ فَآمنَا، وَاجْعَلْنُا لَكَ منَ الشَاكرينُ)). (مرة) . ((سبْحَانَكَ اللهمَ وَبحَمدكَ، أَشْهَد أَنْ لَا إلَهُ إ لَا أَنْتَ، أَسْتَغْفركَ وَأَتوب إلَيْكُ (ثلاثا) . أُسْتَغْفُر اللَه الْعَظيمَ الذي لَا إلَهُ إ لَا هوَ الْحَيَ الْقَيومَ وَأَتوب إلَيْه (ثلاثا) للهمَ صَل عَلَى سَيد نَا محَمَد عَبْدكَ وَنَبيكَ وَرسولكَ النَبي الْأمي وَعَلَى آله وَصَحْبه وَسَل مُ(ثلاثا) تُسْليماً عَدَد مَا أَحَاطَ به علْمكَ، وَخَطَ به قَلَمكَ، وَأَحْصَاه كتَابكَ، وَالرضَا عَنْ سَادَتنَا أَبي بَكْر وَعمَرَ وَعثْمَانَ وَعَليُ ، وَعَن الصَحُابَة أَجْمَعينُ ,وُعَن التَابعينَ، وَتَابعي التَابعينَ لَهمْ بإحْسَان إلَى يَوْم الدينُ ، سبْحَانَ رَبكَ رب الْعزَة عَمَا يَصفونَ وَسَلَاُم عَلَى الْمرْسَلينَ وَالْحَمد للهُ رَب الْعَالَمينُ لُا إلَهُ إ لَ اللُه (مُن مائة إلى ألف) مُحُمُد رَسول اللُه (مُرة) أَشْهَد أَنْ لَا إلَهُ إ لَا اللُه ، وَأَشْهَد أَنَ محَمَداً رَسول اللُه (ثلاثا) صُلى أُللهُ عُليهُ وسلم (مُرة) ثُبْتْناُ يُارُبُ بُقَوْلهَا (ثلاثا) وُانْفَعْناُ يُا رُبُ بُفَضْلهَا(ثلاثا) وُاجْعَلْنَا منُ خيَارُ أُهْلهَا(ثلاثا). آمينُ آمينُ آمينُ آ مينُ رُبُ ٱلْعَالَمينُ(ثلاثا) أَصْبَحْناُ فُي حمَاكُ يُا مُوْلَانَا مُسنَا فُي رضَاكُ يُا مُوْلاَناُ (في

ألصباح). (ثلاثا) أُمْسَيْناُ فُي حمَاكُ يُاُ مُوْلاَنَا صُبحْناُ فُي رضَاكُ يُا مُوْلَاناُ (في ألمساء) (ثلاثا)أُمينُ أُمينُ أُمينُ آمينُ رُبُ الْعَالَمينُ(ثلاثا) لُا إلَهُ إ لَا أَنْتُ وُاحد، رُبنَا يُا مجَمعُناُ أُغْفرْ ذُنْبَنَا (ثلاثا). آمينُ آمينُ أُمينُ أُمينُ أُ مينُ رُبُ ألْعَالَمينُ)) . (ثلاثا). أُغْفرْ لُنَا مُا مُضَى وُأَصْلحُ لُنَا مُا بُقيُ بُحرْمَةُ ألْابْرَارُ يُا عُالمُ ألْاسْرَارُ (ثلاثا). أُمينُ أُمينُ آمينُ أُمينُ رُبُ الْعَالَمينُ(ثلاثا). يُا عُالمُ ألسرُ منَا لُا تُكْشفُ ألستْرَ عُنَا وُعُافنُا وُاعُفُ عنُا وُ كُنُ لُنُا حُيْثُ كُنُا وُامْحُ ألذُى كُانُ مُنُا(ثلاثا) آمينُ آمينُ آمينُ آمينُ رُبُ ألْعَالَمينَ(ثلاثا) يُا مُوْلَانَا يُا مجيب، مُنُ يُرْجوكُ لُا يُخيب، تُوَسَلْنَاُ بالْحَبيب، أُقْضُ حُاجَتَنَا قُريب، هُذَا وُقْتُ ألْحَاجَات، يُا حُاضرًا لُا يُ غيبُ(ثلاثا) أُمينُ آمينُ أُمينُ آمينُ رُبُ الْعَالَمينُ(ثلاثا).ألُلهمُ صُل وُسَلمُ عُلَى سُيدنْا محَمَدْ، وُبَارُكُ عُلَى محَمَد ْ،وُعَلَى آلُ محَمَد (عشرا) آمينُ آمينُ وُسَلَام عُلَى ألْمرْسَلينُ وُالْحَمْد للُه رُبُ ألْعَالَمينُ(ثلاثا). بُسْمُ ألُلُه ألُرَحْمُنُاْلرَحيمُ . ألُحَمْد للُه رُبُ ألُعْلَمينُ . ألُرَحْمُنُ ألُرَحيمُ . مُلكُ يُوْمُ ألُدينُ إياكُ نُعْبد وإياكُ نُسْتَعينُ . ألُهْدنَاُ ألصرَاطُ ألُمسْتَقيمُ . صرَاطُ ألُذينُ أُنْعَمْتُ عُلَيْهمْ غُيْرُ ألُمَغْضوبُ عُلَيْهمُ وُلَا ألُضَآلينُ آمينُ (مُرة)(إنُ ألُلُه وَمَلُائكَته يُصَلونُ عُلَى ألُنَبيُ يُأيها ألُذينُ ءُامَنواُ صُلواُ عُلَيه وَسَلمواُ تُسليمًا) (مُرة) صُلَوَاتُ ألُلُه وُسَلَامُه وَتَحيَاته ، وُرَحْمَتهُ وُبَرَكَاته , عُلَى سُيدنَا محَمَد عُبْدكُ وُنَبيكُ وُرَسولكَ، ألُنَبيُ ألُامي، وُعَلَى ألُهُ وُصَحْبه، عُددَ الشَفْعُ وُالْوَتْر، وُعَدَد كُلمَاتُ رُبنَا ألُتَامَاتُ ألُمبَارَكَاتُ(ثلاثا)وُلَا حُوْلُ وُلَا قُوَةُ إلَا بُاللُه ألُعَليُ ألُعَظيمُ ، وُ هُو حَسْبنَا وُنعْمُ ألُوَكيل ، فُنعْمُ ألُمَوْلَى وُنعْمُ ألُنَصيرُ (مُرة) سبْحَانُ رُبكُ رُبُ ألُعزَةُ عُمَا يُصفونُ وُسَلَام عُلَىُ الْمرْسَلينُ وُالْحَمْد للُه رُبُ ألُعَالَمينُ . ألُفاتحة.

اقتباس من كتاب أحمد زروق والزروقية، دراسة حياة وفكر ومذهب وطريقة، لعلي فهمي خشيم، دار المدار الإسلامي، ط3، 2002. كما لها أيضا شرح من منشورات دار التراث مسمى ((الفوائد اللطيفة في شرح ألفاظ الوظيفة)) لأحمد السجاعي.

الملحق03

سند الشيخ بلقايد رحمه الله

سيدي محمد بلقائد عن سيدي محمد الهبري عن والده سيدي الحاجالهبري أبن سيدي أحمد العزوي الإدريسي الحسني عن سيدي أبي عزة المهاجي عن القطب الأكبر سيدي مولاي العربي الدرقاوي ، وأخذ أيضاً سيدي محمد الهبري عن سيدي قدور الواكيلاني الكركري عن سيدي مولاي العربي الدرقاوي عن سيدي علي الجمل بن سيدي عبد الرحمن العمراني عن كعبة السرّ سيدي العربي بن عبد الله عن سيدي أحمد بن عبد الله عن سيدي قاسم الخصاصي عن بحر الجود سيدي محمد بن عبد الله عن سيدي عبد الرحمن الفاسي عن سيدي يوسف الفاسي عن سيدي عبد الرحمن المجذوب عن سيدي علي الصنهاجي عن سيدي إبراهيم أفحام الزرهوني عن سيدي أحمد زروق عن سيدي أحمد بن عقبة الخضرمي عن سيدي يحيى القادري عن سيدي علي وفا عن والده سيدي محمد بحر الصفا عن سيدي داود الباخلي عن تاج العارفين سيدي أحمد بن عطاء الله السكندري عن سيدي أحمد أبي العباس المرسي عن القطب الأشهر سيدي ومولاي علي أبي الحسن الشاذلي عن القطب الكبير سيدي عبد السلام ابن مشيش عن سيدي عبد الرحمن المدني عن سيدي تقي الدين الفقير عن سيدي فخر الدين عن سيدي نور الدين أبو الحسن عن سيدي تاج الدين عن سيدي شمس الدين القزويني عن سيدي إبراهيم البصري عن سيدي أحمد المرواني عن سيدي سعيد عن سيدي سعد عن سيدي فتح السعود عن سيدي سعيد الغزواني عن سيدي أبو محمد جابر عن سيدي أبي الحارث المحاسبي عن سيدي مفلس السقطي عن أبي القاسم الجنيد البغدادي عن سيدي السري السقطي عن سيدي معروف الكرخي عن سيدي داوود الطائي ابن محفوظ المعروف بابن فيروز الكرخي عن سيدي حبيب العجمي عن سيدي الحسن البصري عن سيدنا الإمام علي كرم الله وجهه ورضي الله عنه عن عين الرحمة و مظهر العلوم والحكمة سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه و آله وسلم عن رب العزة جل جلاله وتقدست أسماؤه وصفاته

من أرشيف مكتبة الزاوية البلقايدية (سيدي معرزف وهران)

الملحق 04

خذ الحق والتحقيق عن امرئ ناصح

قصيدة للشيخ محمد الهبري رحمه الله

خذ الحق والتحقيق من امرئ ناصح " " ليطوي بُعد المسافة بالكل

لقد زل في كل كثير من التقى " " وكل يقول الحق عندي في القول

منشأ هذا الإضراب أتاهم عن " " العارف الأسى الشريف المبجل

فأيده رب الأنام بنصره " " و زاده من كل المكارم والفضل

ألا فقل لمن يبغي لصواب و يقتضي " " بأرباب أهل الله ويحفظ ما أملي

فخذ لب أقوال الشيوخ و خذه و دع " " ما تراه العين تنجى من الجهل

عليك ذكر الاسم يا صاحب إنه " " صفاء ونور للقلوب من الخبل

ولا تركنن إلى ظواهر ظاهرا " " وتزعم أنك تصل على الأصل

فهذا محال لا تصل لسره " " ولا هو عنها بالسلو فيعدل

عليك بذكر الاسم في كل ساعة " " يبصرك ما في العلو وما في السفل

لقد نصحت الإخوان والله شاهدا " " جرب ففي التجريب علم الأفاضل

نقتلا عن اللمحة البدرية في التعريف بالطريقة الهبرية ص92

الملحق 05

قصيدة محمد متولي الشعراوي عن الشيخ محمد بلقايد الهبري

نـــور الوجود وريُّ روح الوارد " | " هبرية تدني الوصول لعابـــــد
تـزهو بسلسلة لـــها ذهبية " " من شاهدٍ للمصطفى عن شاهـد
طَـــوَّفتُ في شرق البلاد وغربها " " وبحثتُ جـهدي عن إمام رائـد
أشـــــفي به ظمأ لغيـب حقيقة " " وأهيمُ منه في جـــلال مشاهـــد
فهدانيَ الـــــوهابُ جلّ جلاله " " حتى وجـدت بتلمسان مقاصـــدي
واليـوم آخـذُ نـورها عن شيخـــنا " " محـيِ الطـــريقِ محمـد بلقايـــد
ذقنا مواجيـد الحقيقة عنـــــدهُ " " وبه عرجنا في صفاء مصاعـــد
عن شيخـه الهبـري درِّ كنـــوزه " " فاغنـــم لآلئهُ وجـدّ وجاهـــد
دنـــــدنْ بمـــا لُـقِّنتَه من ورده " " بصـفاء نفـــس متيّم متواجـــــد
إيّاكَ من لفتِ الفـــؤادِ لغيـــره " " واجـــعل سبيلكَ واـداً للواحـد
شاهـد رســـول الله فيه فإنّـــه " " إرثٌ تؤورثَ مـا جـدا عن ماجـد
فإذا وصلتَ به لنـور المصطفى " " فـــالمصطفى لله أهـدى قائـد
وهناك تكشِفُ كلّ سرّ غامـض " " وتشاهد الملكوت مشهد راشد
وإذا البصائرُ أينعتْ ثمـراتهـــا " " نالـتْ بها الأبصارُ كل شوارد
لا تُلـقِ بالاً للعـــذولِ فإنّـه " " لا رأي قـــطُّ لفاقد في واجـدِ
لو ذاقَ كانَ أحدّ منك صـــبابةً " " لكنّـه الحـرمان لجَّ بجاحـــــد
سر في طريقك يا مريـد و لا تَعِرْ " " أذناً لصيحـــة منكـــرٍ ومعانـــــد
لا يستـوي عنـد العقولِ مجاهدٌ " " في الله قـوّامُ الـدّجى بالرّاقـد
اللهَ قلِ بحـــوى الهيامِ وذرهـــمُ " " يتخبّطـــونَ بكـــل زورٍ فاســـد
ثابر أخَيَّ على تجـارة رابحٍ " " واترك لحـزبهمُ تجـارة كاسد
اللهُ قصـــدكَ و الرّســـولُ وسيـلةٌ " " وخـطاك خـلف محمـد بلقايـــــد

الملحق06

في رحاب سيدي الهبري *

سَلامٌ مَوْلانَا وَنَحْنُ تَضَرُّعُ ... وَكُلُّنا رَهْنٌ بِحَبَّاكَ يَا بَرُّ تَطْمَعُ
فَلا تَحْذُلِ الزُّوَّارَ يَا خَيْرَ الجَلالِ فَحُبُّكَ غَالٍ الإكْرامُ عِنْدَكَ مُوزَعُ
نَزَلْنا فِي السَّاحاتِ أَحْبابُكَ الأُلَى تَلاقَوْا عَلى ذِكْراكَ والذِّكْرُ مَسْرَعُ
فَجُدْ أَيُّها المَوْلى بِفَضْلِكَ دائِماً عَلَيْنا بِرَحْماكَ الَّتِي لَيْسَ تُمْنَعُ
فَمَهْما فَرَقْنا فِي الخَطايا رَجاؤُنا سَيَبْقى عَلى مَرِّ اللَّيالِي لا يُزَعْزَعُ

* *

فَإِنَّكَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ لِمَنْ دَنا وَلا فَسْتَدَلَّى عِنْدَ بابِكَ يَضْرَعُ
وَتَقْبَلُ تَوْبَ التَّائِبِينَ مِنَ الوَرَى وَتَعْفُو عَنِ الهَفَواتِ وَالخَيْرُ شُرَّعُ
أَما خَيْرُ حَظّاً وَفِي تابَ واهْتَدَى وَأَحْسَنُ فِي نُصْحِ الوَرَى بِكَ يَبْدَعُ
وَتَعْلَمُ ما يُحْسِنُ الفَتَى بِعُشُوِّهِ وَمِهْما أَسَرَّ المَرْءُ لا يَتَسَتَّرُ
فَيَرْحَمُهُ سُبْحانَهُ وَحِلْمُكَ واسِعٌ وَعَفْوُكَ عَمَّنْ تابَ أَسْنى وَأَمْتَعُ

* *

بِجاهِ سَلِيلِ العارِفِينَ ابْنِ يَلَّشٍ أَسْتاذِهِ الهَبْرِي الَّذِي بِكَ يَصْدَعُ (1)
أَتَيْنا عَلى ذِكْرِ الأَحِبَّةِ كُلِّهِمْ إِلَيْكَ تَلَهَّفَتْ الذَّاكِرِينَ مُتَضَرِّعُ
فَتى أَسْنَى الأَسْتاذُ زاوِيَةً سَمَا لَها الفَضْلُ فِي تَلْقِينِ ذِكْرٍ فَيُرْفَعُ (2)
لَها فِي طَرِيقِ اللهِ أَجْمَلُ رَجْعَةٍ تَسِيرُ بِنُورِ اللهِ دَوْماً وَتَجْمَعُ
يا المَغْرِبَ الأَقْصَى تَعالَ مَنَ الأُلَى وَأَضْحَى مَعَ الأَبْدالِ فِي اليُسْرِ يَشْرَعُ

* *

* هو الشيخ سيدي الحاج محمد بن أحمد بن عبد الرحمن العزاوي الهبري المتوفى في ... رمضان 1377 هـ الموافق لـ .../.../1958 م وهو الشيخ الابن لسيدي الحاج محمد بن يلش
نظمت القصيدة استجابة لرغبة حفيد الشيخ الهبري الأستاذ المحترم بوعزة واستنسخ الأبيات في الجمعية الرحمانية للزوايا.
(1) سيدي الحاج محمد بن يلش توفي عام 1959 والموافق بدمشق عام 1378
(2) الزاوية المذكورة أسسها الشيخ الهبري بالمغرب الأقصى بمدينة وزان قرب جبال الصحور

أبيات من قصيدة شريقي سليمان الحسني في رحاب سيدي الهبري بمناسبة المولد النبوي الشريف

13-05-2003 /12 ربيع الأول 1423هـ

الملحق07

قصيدة في رحاب الهبرية

بابك مولانا ونحن نتضرع ** وقفنا في عتابك يا رب نطمع
فلا تخذل الزوار يا ذا الجلال في ** في فضالك فالأكرام عندك مودع
نزلنا لدى الساراي احبابك الل لي ** تلاقوا على ذكراك و الذكر مرتع
فجد أيها المولى بفضلك دائما ** علينا برُحمك التي ليس تمنع
فمهما طوقنا في الخطايا رجاؤنا ** سيبقى على مر المدى لا يتزعزع
****

فإنك تواب رحيم لكل من ** دنا فتدنى عند بابك يخضع
وتقبل توب التائبين من الرزى ** وتعفو من البلوى وللخير توزع
أما خير خطاء فتى تاب و اهتدى ** و أحسن في نصح الورى بك ينفع
وتعلم تجنى الفتى بفؤاده ** ومهما أسر المرء لا يتذرع
فروحك مساق وحلمك واسع ** وعفوك عمن تاب أسمى وأوسع
****

بجاه معين العارفين ابن يلس ** وأستاذه الهبري الذي بك يصدع
أعنا على ذكر الأحبة كلما ** إليك قلوب الذاكرين تتضرع
متى أسس الأستاذ زاوية عما ** لها الفضل في تلقين الذكر فيرفع
لها من طريق الله أجمل رحلة ** تسير بنور الله دوما وتجمع
بها المغرب الأقصى تعافى من الأذى ** وأضحى مع الأبدال في اليسر يتلوع
****

أبيات من قصيدة شريقي سليمان الحسني بمناسبة المولد النبوي الشريف بتاريخ 2003/05/13–12ربيع الأول1423هـ. أعدنا كتابتها للتوضيح.

الملحق 08

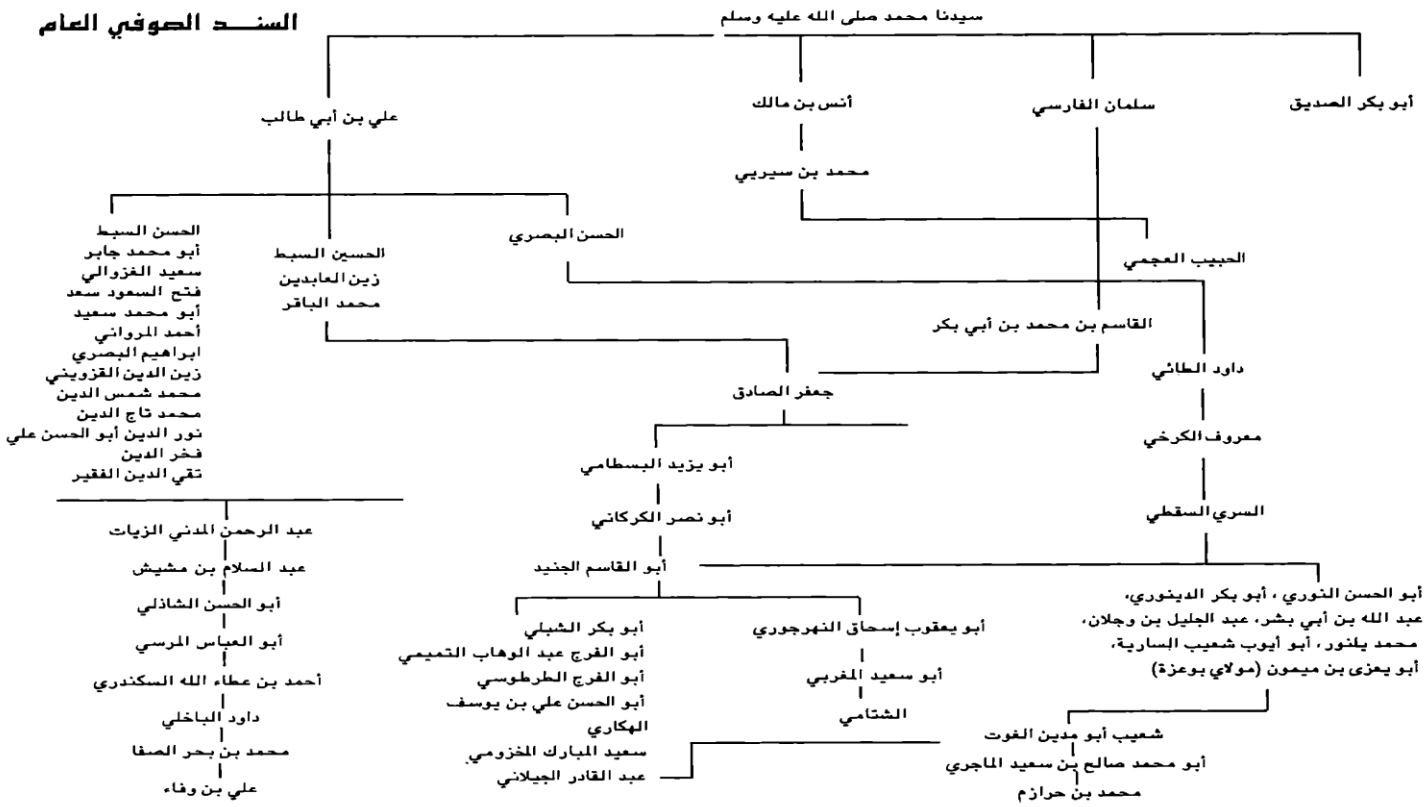
السنـــد الصوفي العام
سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم
أبو بكر الصديق
سلمان الفارسي
أنس بن مالك
علي بن أبي طالب
محمد بن سيريي
الحسن البصري
الحبيب العجمي
القاسم بن محمد بن أبي بكر
داود الطائي
معروف الكرخي
السري السقطي
أبو الحسن النوري ، أبو بكر الدينوري،
عبد الله بن أبي بشر، عبد الجليل بن وجلان،
محمد يلنور ، أبو أيوب شعيب البسارية،
أبو يعزى بن ميمون (مولاي بوعزة)
شعيب أبو مدين الغوث
أبو محمد صالح بن سعيد الماجري
محمد بن حرازم
جعفر الصادق
أبو يزيد البسطامي
أبو نصر الكركاني
أبو القاسم الجنيد
أبو يعقوب إسحاق النهرجوري
أبو سعيد المغربي
الشتامي
أبو بكر الشبلي
أبو الفرج عبد الوهاب التميمي
أبو الفرج الطرطوسي
أبو الحسن علي بن يوسف الهكاري
سعيد المبارك المخزومي
عبد القادر الجيلاني
الحسين السبط
زين العابدين
محمد الباقر
الحسن السبط
أبو محمد جابر
سعيد الغزوالي
فتح السعود سعد
أبو محمد سعيد
أحمد المرواني
ابراهيم البصري
زين الدين القزويني
محمد شمس الدين
محمد تاج الدين
نور الدين أبو الحسن علي
فخر الدين
تقي الدين الفقير
عبد الرحمن المدني الزيات
عبد السلام بن مشيش
أبو الحسن الشاذلي
أبو العباس المرسي
أحمد بن عطاء الله السكندري
داود الباخلي
محمد بن بحر الصفا
علي بن وفاء

السنـــد الصوفي العام (تـتمة)

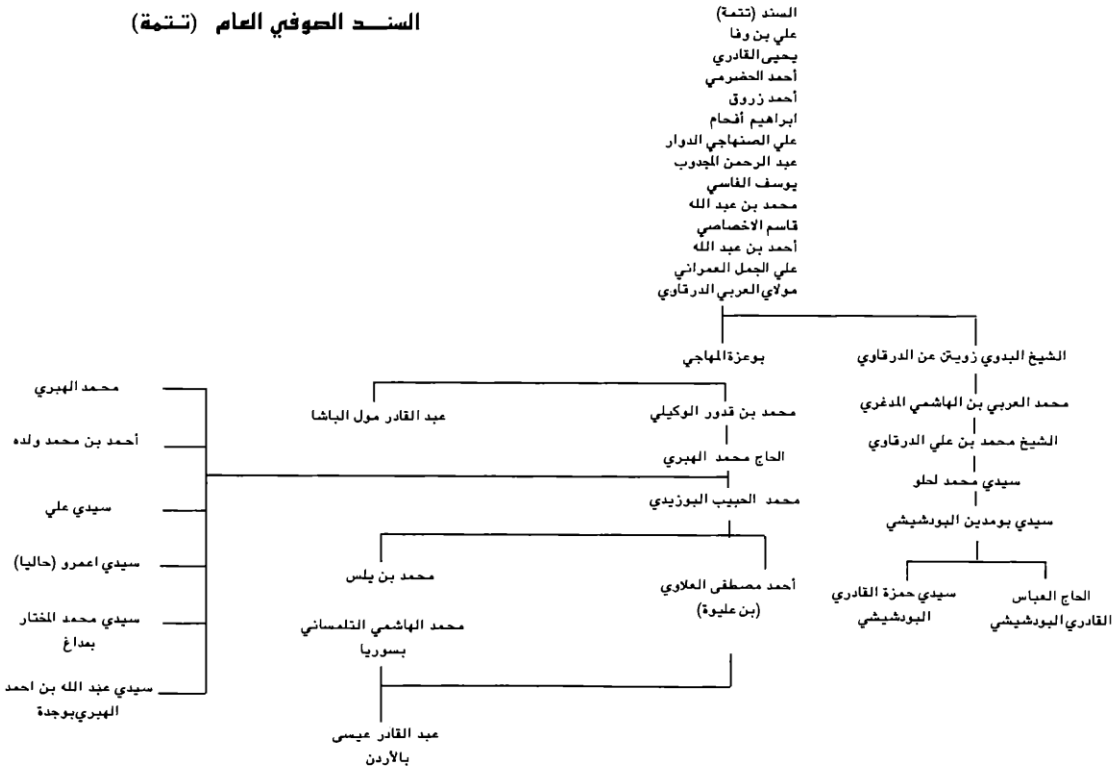

الملحق09

سند الجزولية وتفرعاتها

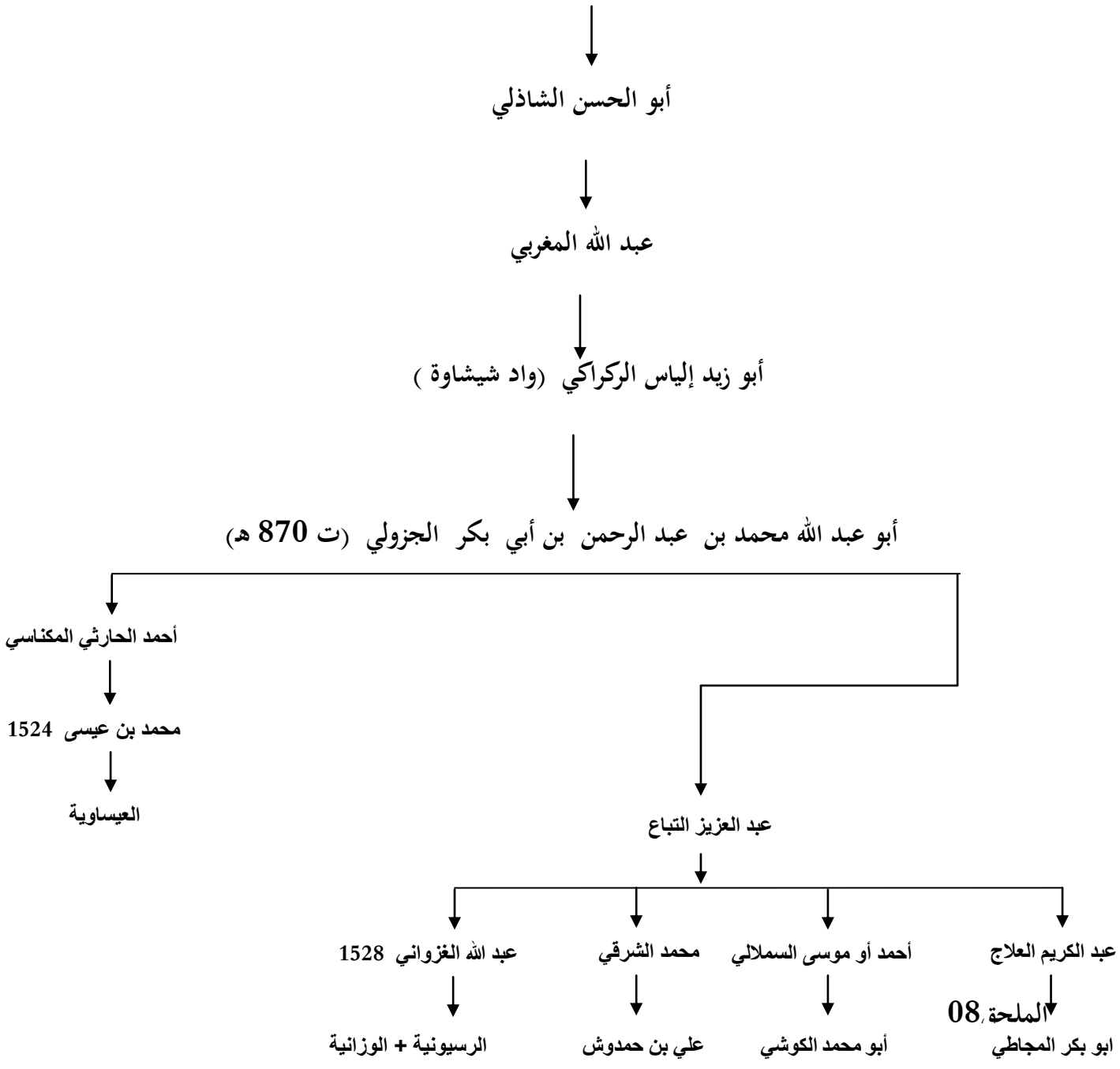

تصميم المخطط من وضعنا

الملحق10

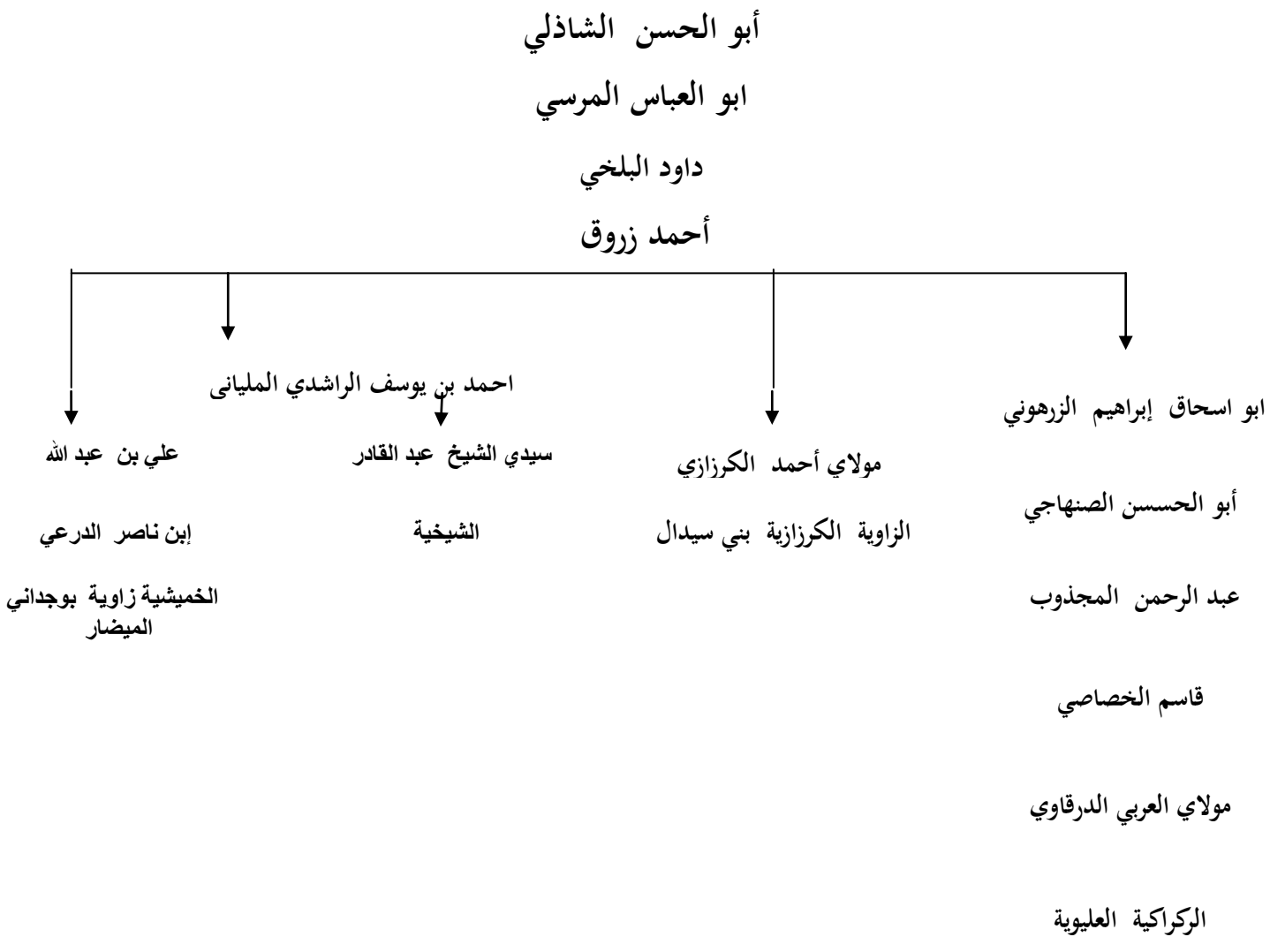

تصميم المخطط من وضعنا

الملحق11

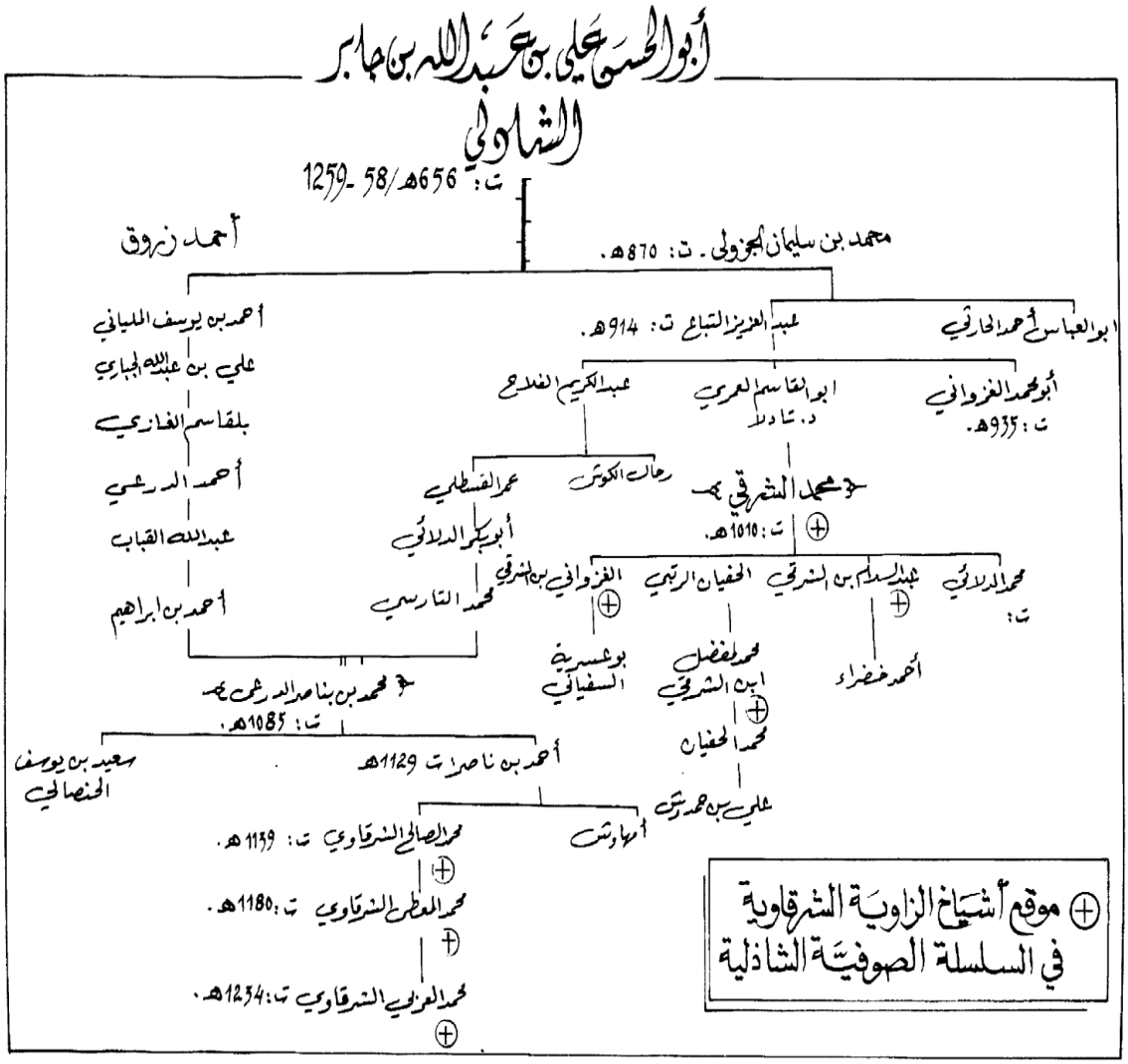

نقلا عن أحمد بوكاري الزاوية الشرقاوية، زاوية أبي جعد إشعاعها الديني والعلمي، منشورات كلية الآداب، الرباط، المغرب، ط1، 1406هـ-1985م، ص177

الملحق 12

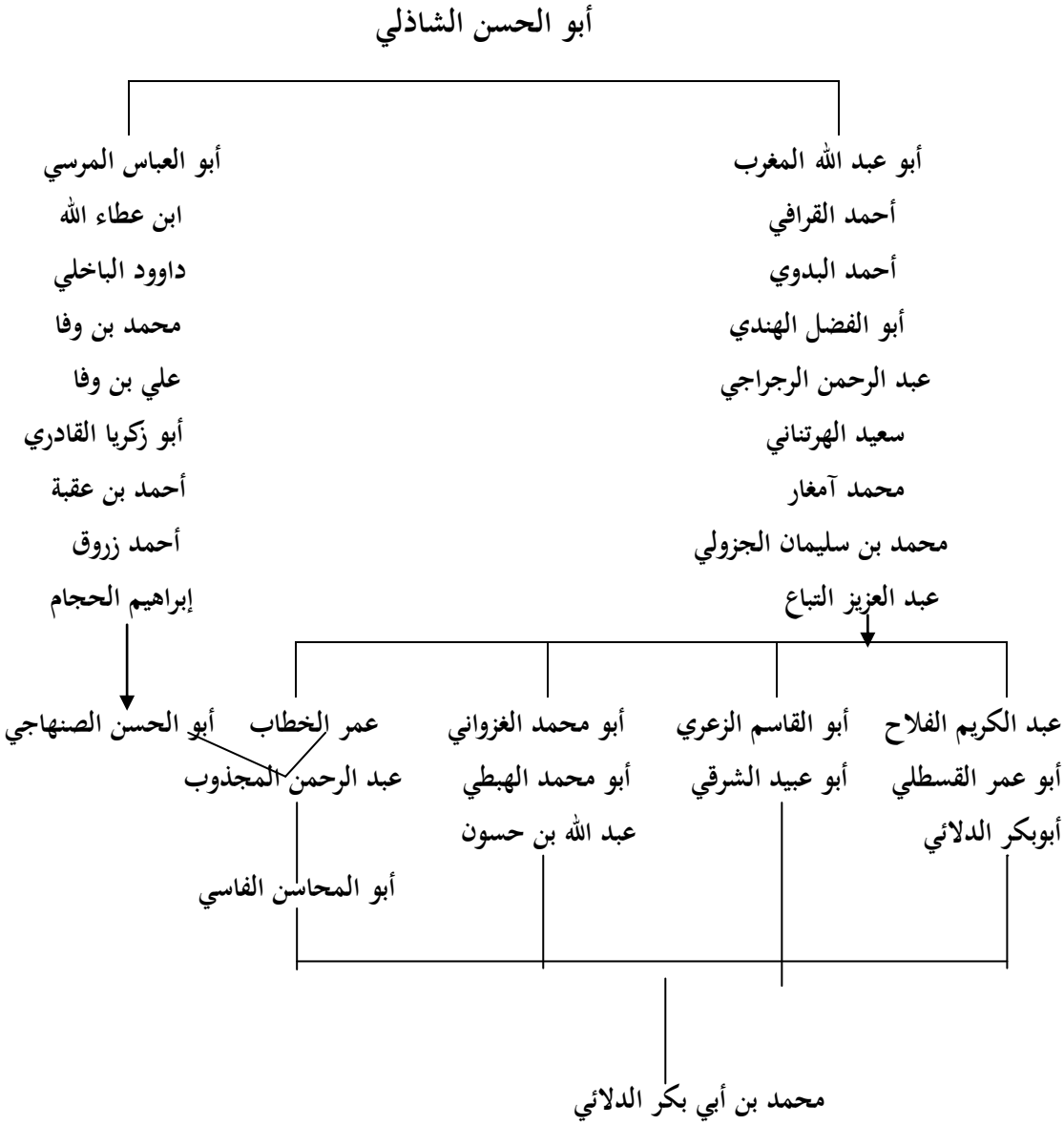

اتصال الدلائيين بالإمام الشاذلي عن طريق الجزولي وزروق.

التصميم من وضعنا بالاعتماد على محمد حجي،الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي.

الملحق13

سند الهبرية في الدرقاوية

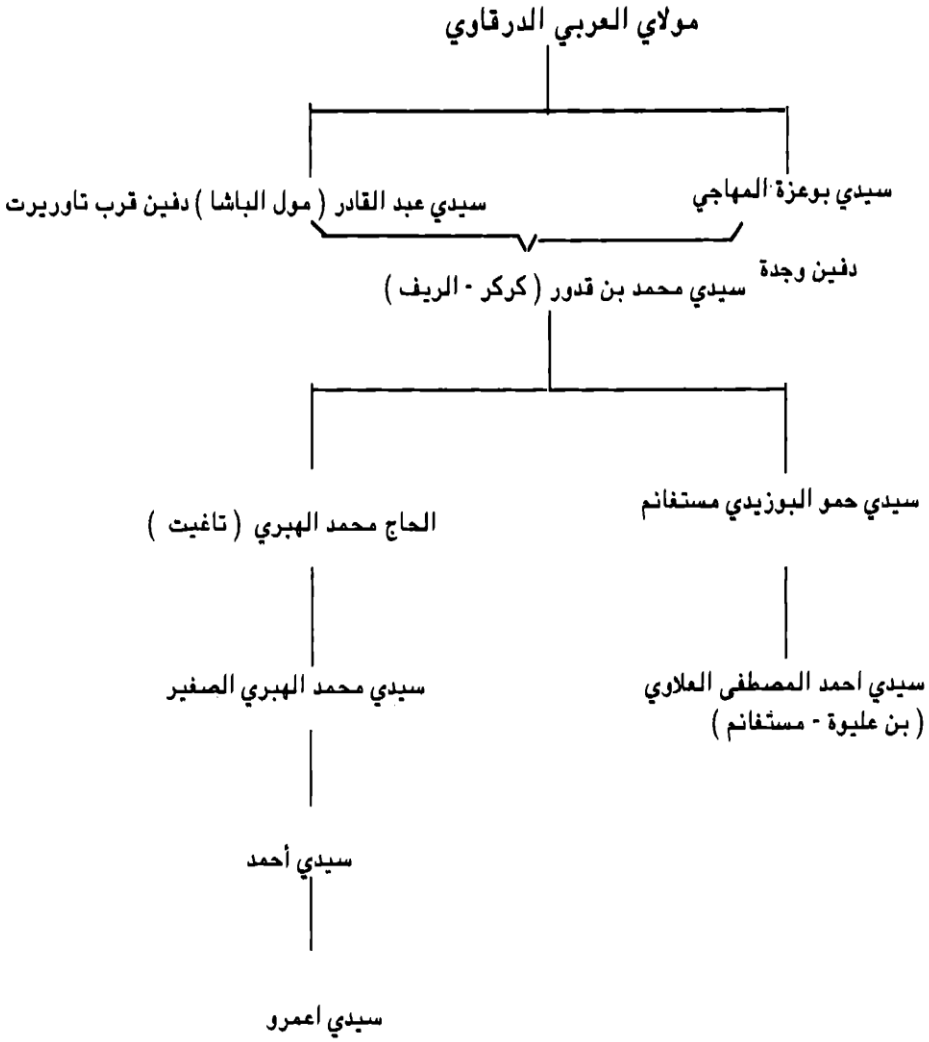

هذا السند يؤكد تواصل الطرق الصوفية، وانتقالها من المغرب الأقصى إلى الجزائر. التصميم بالاعتماد على سلسلتي العلاوية والهبرية في الدرقاوية.

الملحق14

السلسلة الذهبية في الطريقة البلقايدية الهبرية

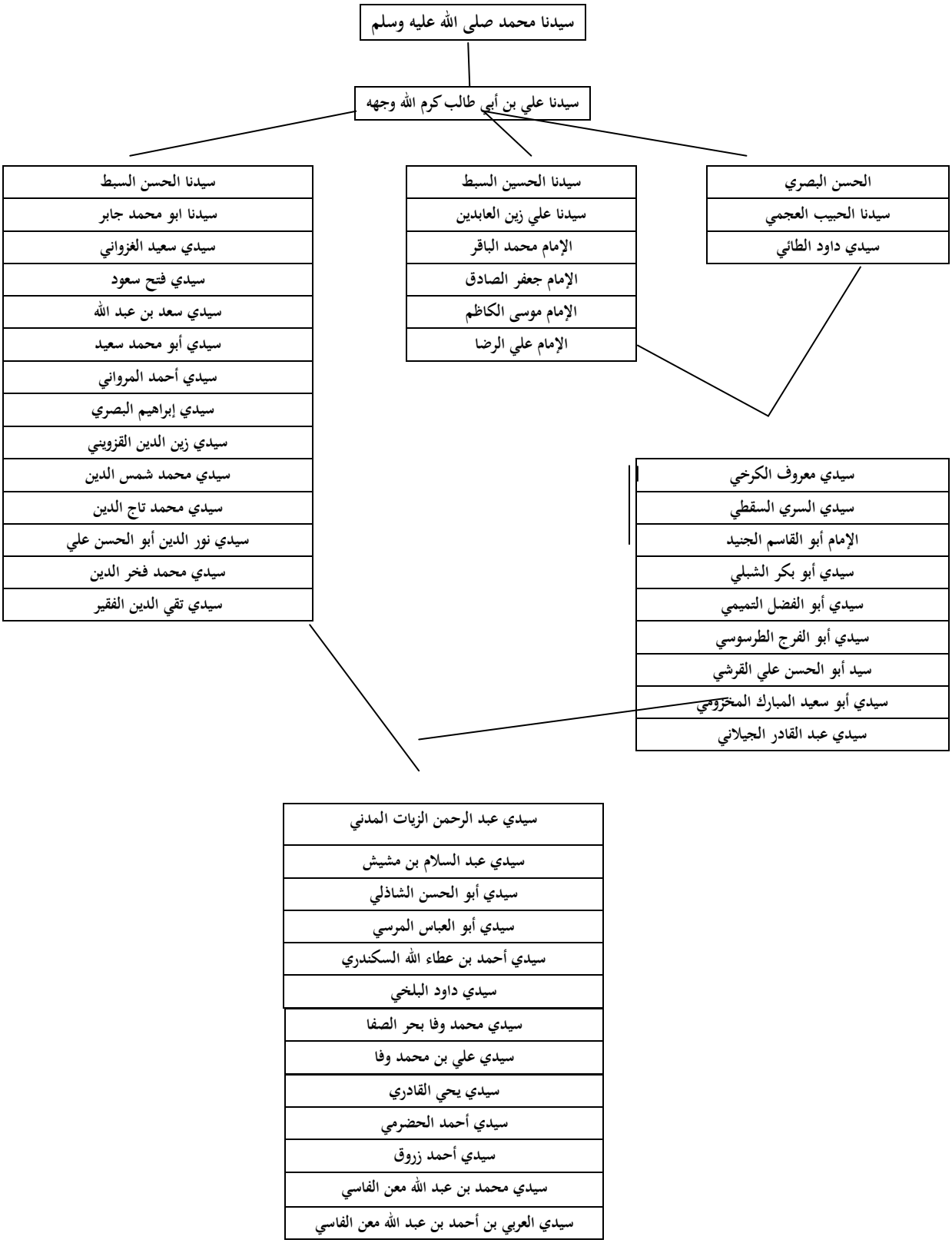

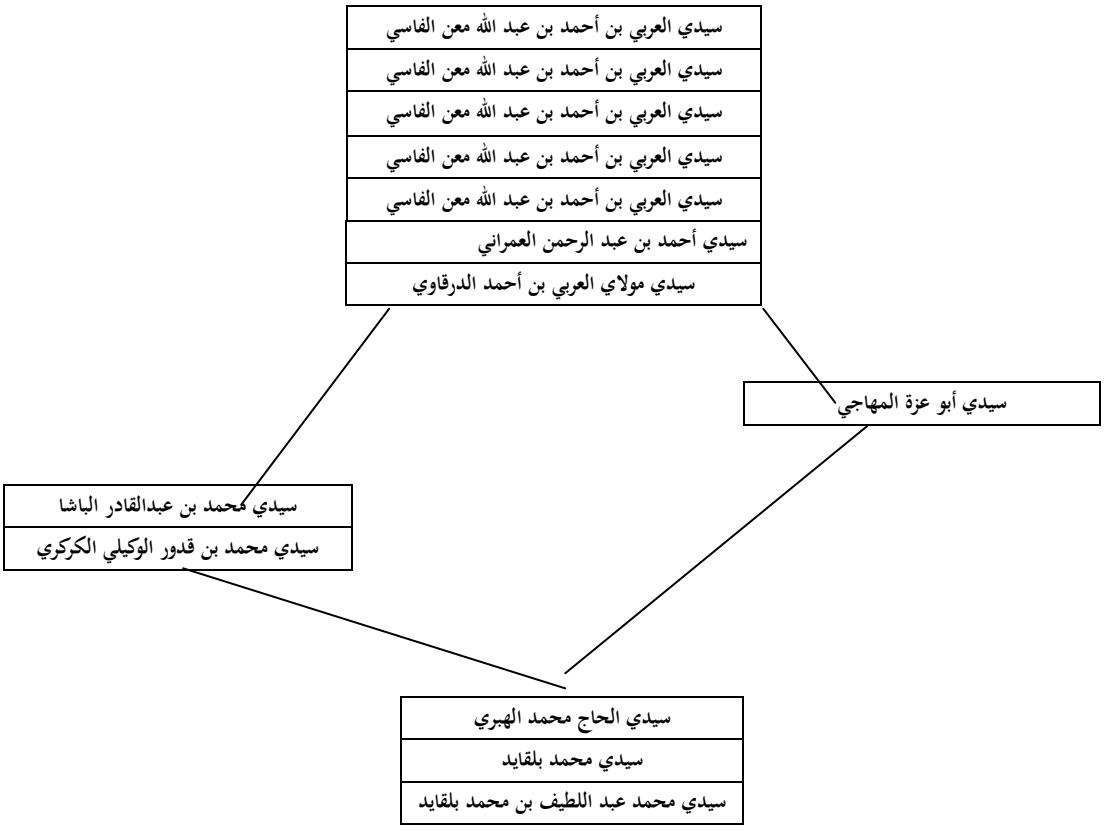

السلسلة الذهبية في الطريقة البلقايدية الهبرية (تتمة)

تصميم من وضعنا بالاعتماد على مؤلف تأملات في الطريقة البلقايدية

ملحق15

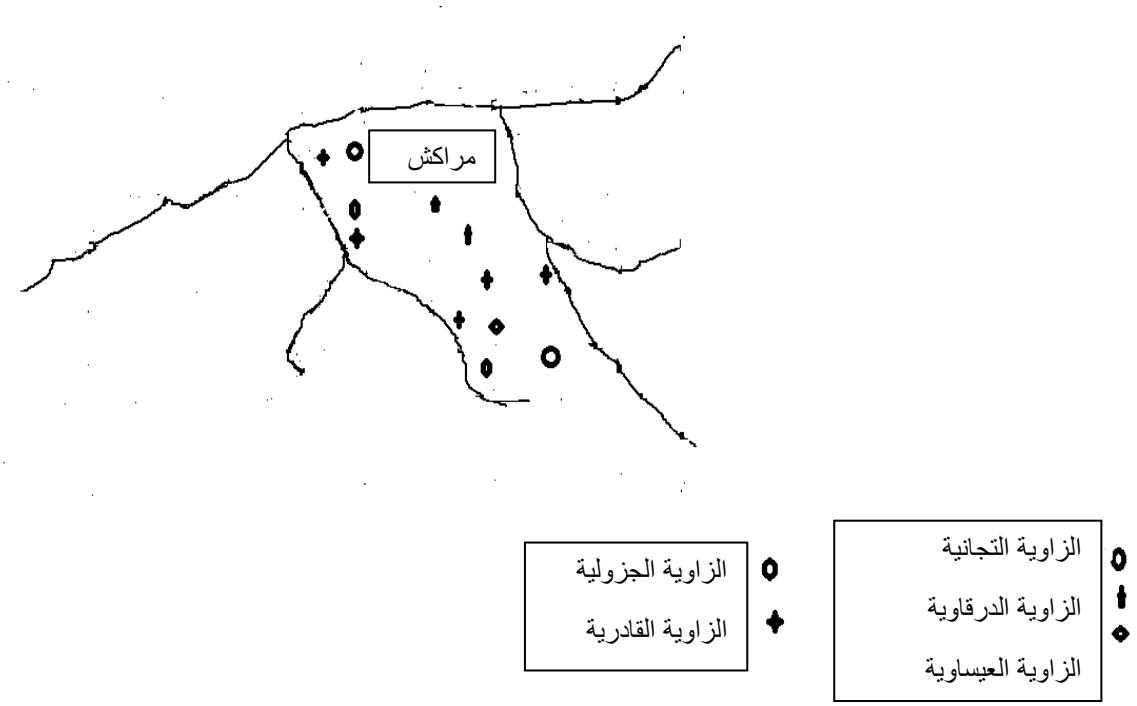

هذه الزوايا بمدينة مراكش تمثل التواصل الصوفي بين المغرب الأقصى والجزائر وخاصة بغربها. التصميم من وضعنا.

الملحق16

أهم الزوايا بالجزائر
الزاوية الحملاوية الرحمانية
زاوية الشيخ الحسين
زاوية سيدي معمر
زاوية سيدي عبد السلام
زاوية الشيخ العموري
زاوية الهامل الرحمانية
الزاوية المختارية الرحمانية
الزاوية المختارية بأولاد جلال (بسكرة)
الزاوية العثمانية الرحمانية
زاوية الشيخ الجروني
زاوية ابن عبد الصمد
زاوية ابن عباس القادرية
زاوية ابن الدراجني
زاوية ابن علجية
زاوية الشيخ الصادق بلحاج
زاوية الشيخ علي دردور
زاوية سيدي أحمد
زاوية سيدي أحمد بن بوزيد
زاوية بلقاضي
زاوية أولاد سيدي يحي بن زروق
زاوية سيدي مسعود
زاوية ابن أبي داود
زاوية ابن علي الشريف (شلاطة)
زاوية الشيخ عبد الرحمن اليولي

زاوية سيدي منصور الجنادي
زاوية الشيخ أبي القاسم البوجليلي
زاوية الشيخ ابن سحنون
زاوية سيدي يحي العبدلي تاموقرة
زاوية سيدي محمد بن قري
زاوية الشيخ بن عبد الرحمن الأزهري
زاوية سيدي أحمد بن إدريس بيلولة
زاوية الشيخ أحمد أويحي
زاوية أولخضير
زاوية سيدي أحمد بن علي
زاوية الشيخ عبد القادر الحمامي
زاوية فريحة
زاوية الشيخ بن عامر
زاوية الشيخ سيدي بن عبد الله
زاوية الشيخ أبي عمران البهلولي الخليفي
زاوية الشيخ بهلول المجاجي
زاوية القيطنة القادرية
زاوية الشيخ بن شرقي
زاوية الشيخ عدة بتيارت
زاوية الشيخ محمد بن عمر
زاوية الشيخ ابن تكوك
زاوية الشيخ ابن الأحول
زاوية الحاج الحبيب
زاوية الشيخ أبو بكر
زاوية سيدي بوزيد
زاوية الشيخ شعلال بن عودة
الزاوية العلاوية بمستغانم

الزاوية العلاوية بغليزان
زاوية الشيخ المغيلي
زاوية سيدي محمد المختار بن الأعمش الجكاني الموساني
زاوية كرزاز
زاوية سيدي الشيخ
الزاوية القادرية البوشيخية
الزاوية الهاشمية القادرية
زاوية الشيخ أحمد المجذوب
زاوية سيدي سالم الأعرج
زاوية الشيخ بلكبير

الجدول يبين أهم الزوايا بالجزائر منها ما قمنا بزيارتها، ومنها ما عرفناها من خلال لقاءاتنا ببعض المشايخ ومن أسعفهم الحال في زيارتها.

الملحق17

أهم الطرق الصوفية بالجزائر
الطريقة القادرية
الطريقة الشاذلية
الطريقة الرحمانية
الطريقة التجانية
الطريقة السنوسية
الطريقة الزيانية
الطريقة اليوسفية
الطريقة الطيبية
الطريقة الدرقاوية
الطريقة الحنصالية
الطريقة الهبرية
الطريقة العروسية
الطريقة الشابية
الطريقة العامرية
الطريقة العيساوية
الطريقة الحبيبية
الطريقة العلاوية

إحصاء بالاعتماد على كتاب: العقبي صلاح مؤيد، الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها ونشاطها.

الملحق18

أهم الأحداث (المناسبات الخاصة بالأولياء ومشايخ الطرق الصوفية والزوايا الدينية بالجزائر)
السبيبة بجانت
الزيارة تازروك
موسم الشيخ مولاي الطيب
طعم سيدي العجال
طعام سيدي رابح بوقبرين، مازر مطماطة
وعدة "عرش المعاصم" بتيسمسيلت
وعدة ماقورة وسباق الخيل
وعدة سيدي أحمد المجدوب عسلة
وعدة سيدي عمر , غزوات
وعدة سيدي بلحضري
وعدة سيدي بلال ، سعيدة
وعدة سيدي العبدلي ، تلمسان
وعدة سيدي محمد بن تمرة ، تيسمسيلت
وعدة سيدي محمد بن عودة ، غليزان
وعدة سيدي محمد بوطاجين
وعدة سيدي موسى بوقبرين
وعدة تنيرة
وعدة البطيم ، مغنية
وعدة حجرة القط
وعدة أولاد ورياش لسبدو
وعدة سيدي عبد الله الڤور
وعدة سيدي أحمد بن حرزالله

وعدة سيدي عمر ، فرندة
وعدة سيدي خليفة ، الخيثر
وعدة سيدي محمد الوسيني ، مغنية
وعدة سيدي الناصر بوحركات
وعدة سيدي يحيى بن صفية
وعدة الجبلية ، عين الحديد
وعدة رجال البنيان ، معسكر
وعدة عين الأربعاء تموشنت
وعدة الكرايش أو رجال مغيلة
وعدة المدادحة سيدي ورياش
وعدة سيدي سعادة ولاية غليزان

إحصاء ميداني ومقابلات مع بعض مشايخ والخدام ومقدمي زوايا كل من وهران تيارت، معسكر، فرندة، تخمارت، عين الحديد وعين الاربعاء (تموشنت) وغليزان.

الملحق19

جدول المصاهرة بين أفراد الزوايا في شرق المغرب الأقصى وغرب الجزائر

العائلة القادرية البوتشيشية ــــــــــــــــ	**ــــالعائلة البكاوية**
–أم مولاي التهامي الموفق القادري	**– سيدي عبد الوهاب البكاي**
–أم سيدي حمال بن الحاج حمزة القادري	**–أم سيدي بومدين بلخيثر البكاوي(جد السابق)**
زوجة سيدي حميدة بن الحاج حمزة القادري	**(و صاحب الكرمات الكثيرة دفين الصمعة)**
العائلة القادرية البوتشيشية ــــــــــــــــ	**ــــالعائلة الرمضانية**
عدد الرمضانيات عند هؤلاء أكثر	**–زوجة الرمضاني الطيب بن عبد الرزاق**
–أم سيدي المختار بن حماد	**–أم الحاج عبد القادر الرمضاني**
(رئيس الفرقة بوجدة)	
–زوجة سيدي أحمد (أخوه)	
–زوجة سيدي أحمد بن إدريس	
(بنت العلامة سيدي جلول الرمضاني)	
العائلة البكاوية ــــــــــــــــ	**ــــالعائلة الرمضانية**
–زوجة مولاي أحمد	**–زوجة سيدي العربي المقدم**
(أخ المقدم الحالي لسيدي علي البكاي)	**–زوجة سيدي محمد بن المكي المفتاح**

فكما أن الكثير من عقود الزواج تتم بين هذه العائلات فكذلك الانتساب الصوفي يحصل بينهم. فكثير من الحمداويين أخذوا الطريقة الهبرية الدرقاوية في زمن ازدهارها، أو الطريقة البوتشيشية بعد تجديدها

وضعنا التصميم بالاعتماد على مؤلف :مساهمة في البحث عن زوايا بني يزناسن.

الملحق20

اسم الزاوية	القبيلة التي تنتهي إليها
زاوية أولاد سيدي البكاي	تريفة
زاوية الحاج محمد الهبري	بنو خالد
زاوية المختار بن محي الدين بوتشيش (القادرية)	بنو خالد
زاوية محمد بن الحاج العزاوي (الكرزازية)	بنو خالد
زاوية أولاد سيدي سليمان	بنو خالد
زاوية أولاد سيدي رمضان	بنو منكوش
زاوية أولاد البكاي (الزيانية)	بنو منكوش
زاوية أولاد سيدي علي (الكرزازية)	بنو منكوش
زاوية أولاد بنعيني (القادرية)	بنو منكوش
زاوية أولاد بن ملحة (الزيانية)	بنو منكوش
زاوية أولاد مولاي أحمد (الحمداويون في زكزل)	بنو عتيق
زاوية مالو (الحمداويونفي زكزل)	بنو عتيق
زاوية الوالي	بنو عتيق
زاوية تاقربوست (الحمداويون)	بنو عتيق
زاوية سيدي عبد المومن	بنو عتيق
زاوية أولاد مولاي أحمد (الحمداويون) في عين الهرارة	بنو وريمش
زاوية أولاد داوود (ببني نوكة)	بنو وريمش
زاوية أولاد بن عطية	بنو وريمش
زاوية أولاد سيدي علي وسعيد	بنو وريمش
زاوية أولاد مولاي اليزيد (ببني نوكة)	بنو وريمش

زاوية أهل الوريين	بنو وريمش
زاوية أهل عونوتفي تاكمة	بنو وريمش
زاوية أهل البصير في بني عبد السيد	بنو ماحيو
زاوية أولاد عيسى	بنو ماحيو
زاوية أولاد سيدي موسى	بنو ماحيو
من ذرية أولاد مولاي هاشم	بنو ماحيو
زاوية بوعمامة (الطريقة الشيخية)	في عيون سيدي ملوك
زاوية مولاي الطيب من الكصب	بنو وكيل في واد " زا "
زاوية مولاي محمد بن أحمد	بنو وكيل في واد " زا "
زاوية أولاد حمو	بنو وكيل في واد " زا "
زاوية محمد بن عبد القادر	في مول الباشا (يعني عبد القادر)
زاوية سيدي علي بن عبد الرحمن	في جبل نركوالشّوم
زاوية أولاد سيدي علي بن سماح	في المقام
زاوية أولاد سيدي عبد الرحمن	في جافيت
زاوية تلمسات (الحمداويون)	في بني كولان
زاوية بني حمليل	في أنكاد
زاوية بني بوحمدون	في أنكاد

زوايا المنطقة الشرقية وقبائل بني يزناسن اقتباس من:

Voinot (L) Capitaine: Oujda Et L'Amalat. Oran.1912

/

الملحق21

الرقم	اسماء الطرق	الزاوية	الوكلاء	الطلبة	االشيوخ	مقاديم	الشواش	الإخوان	الدراويش	الأحباب	الإخوانيات	الخليفة	االفقراء	الخدام	المجموع المنتسبين
1	القادرية	33	1	521	4	301	»	»	21.056	»	»	2.695	»	»	24.578
2	العروسية السلمية السولمية	2	»	»	»	3	6	77	»	»	5	»	»	3	91
3	العساوية غيتاوة	10	5	»	1	39	58	3.444	»	»	33	»	»	»	3.850
4	بوعلية	4	»	»	»	6	10	266	»	»	82	»	»	»	364
5	تجمع بن نجال	»	)	»	»	)	»	»	)	»	»	»	220	1.500	1.720
6	الرحمانية	117	11	676	23	873	869	140.596	»	»	13.186	»	»	»	156.214
7	دردورية الأوراس	1	»	»	1	1	»	1.020	»	»	250	»	»	»	1.279
8	النجانية	32	9	»	2	165	162	»	»	19.821	5.164	»	»	»	25.323
9	الشاذلية	11	»	195	9	99	»	13.251	»	»	652	»	»	»	14.206
10	الزروقية	1	»	55	4	16	13	2.614	»	»	35	»	»	»	2.734
11	اليوسفية	1	»	»	1	8	»	1.437	»	»	»	»	»	»	1.446
12	الشيخية	4	11	»	»	45	»	10.020	»	»	140	»	»	»	10.216
13	الناصرية	3	»	»	1	3	4	468	»	»	165	»	»	»	641
14	الشابية	2	»	»	»	»	»	»	»	»	»	»	»	2.500	2.500
15	الطيبية	8	21	128	»	234	208	19.110	»	»	2.547	»	»	»	22.148
16	الحنصالية	18	3	176	1	48	102	3.483	»	»	438	»	»	»	4.253
17	الزيانية	2	»	»	»	76	4	2.673	»	»	364	»	»	»	3.117
18	الكرزازية	»	»	»	»	78	»	1.673	»	»	263	»	»	»	2.014
19	الدرقاوية	10	»	134	9	72	2	»	8.232	»	1.118	»	»	»	9.567
20	المدنية	2	11	»	»	14	1	1.673	»	»	»	»	»	»	1.696
21	المكحلية	»	»	»	»	2	»	120	»	»	»	»	»	»	122
22	السنوسية	1	1	35	1	20	5	874	»	»	13	»	»	»	949
المجموع		349	76	1.999	57	57	2.149	224.441	8.232	19.821	27.172	36	5.994	4.000	2.95.189

جدول إحصائي للطرق الدينية الإسلامية التي لديها مريدين بالجزائر اقتباس مع التعريب من:

Octave Depont / Xavier Cappolani

Les Confréries Religieuses Musulmanes Qui Ont Des Adeptes En Algérie. P215

الملحق22

صحن زاوية سيدي البودالي الهبرية، أين يجتمع الطلبة للذكر والمذاكرة. الصورة بواسطة الهاتف النقال بالتاريخ الظاهر أسفلها.

الملحق23

مسجد زاوية سيدي البودالي بقرية الخريشفة التابعة لولاية سعيدة التي زارها الشيخ محمد متولي الشعراوي رحمه الله

تبعد عن بلدية تخمارت حوالي 15كم إلى الجنوب الغربي. التقطنا الصورة بواسطة الهاتف النقال بالتاريخ المحدد أسفل الصورة.

الملحق24

زاوية سيدي البودالي الهبرية، أعيدت بعد تخريبها، ويحضرها الشيخ دوريا بعد أن نقل مقرها إلى مدينة سعيدة، ولا يزال اجتماع القراء بها إلى اليوم. أخذت هذه الصورة بواسطة الهاتف النقال بالتاريخ المحدد في أسفل الصورة.

الملحق25

صورة قديمة للشيخ محمد بلقايد والشيخ الشعراوي رحمهما الله. من أرشيف مكتبة زاوية بلقايد الهبرية بسيدي معروف، وهران.

الملحق26

الشيخ الشعراوي يؤمن على دعاء الشيخ بلقايد وهذه الصورة تؤكد هبرية الشيخ الشعراوي مقارنة بصورة الملحق السابق نظرا لبعد العهد بينهما فضلا عن القصيدة المثبة في الملاحق. صورة من أرشيف مكتبة سيدي معروف بوهران.

الملحق27

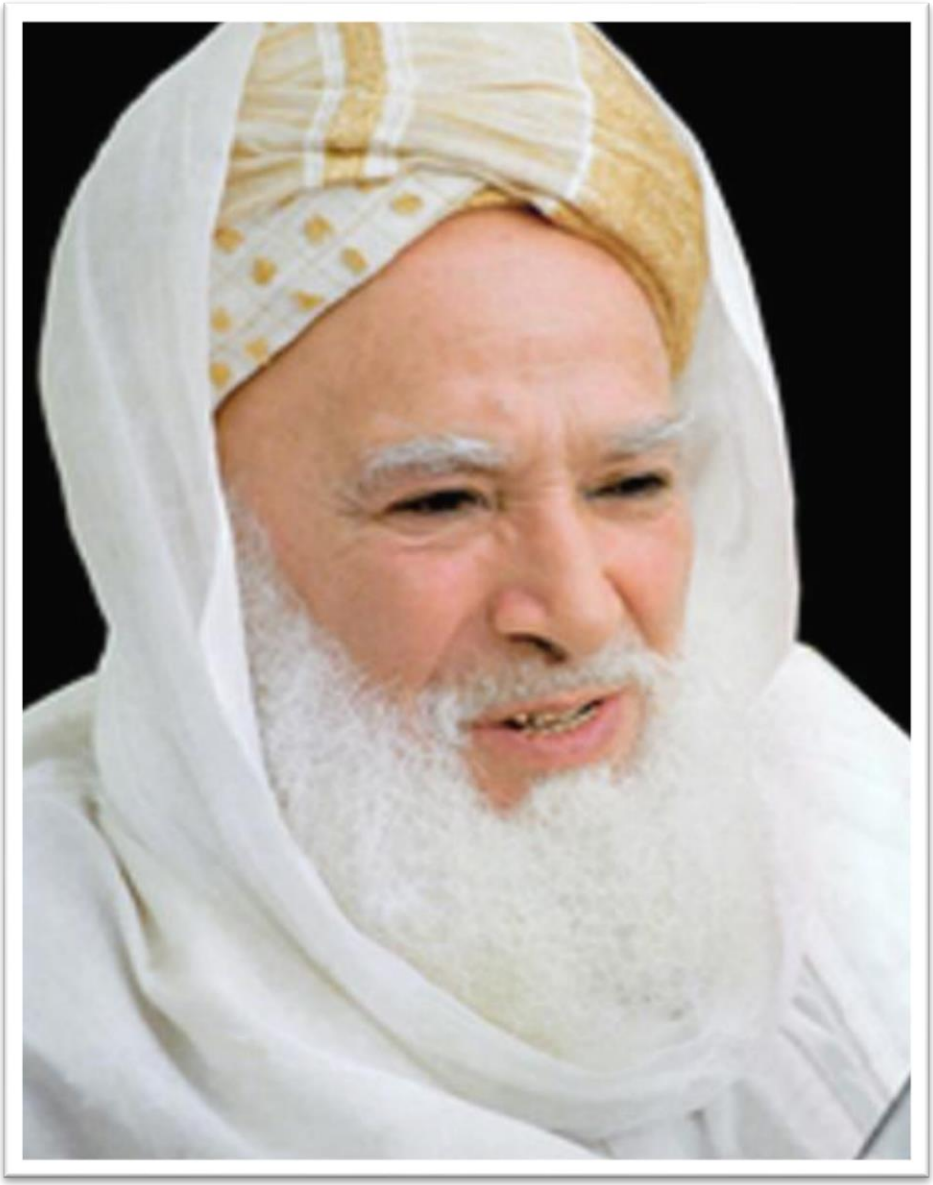

الشيخ محمد بلقايد رحمه الله .صورة من أرشيف مكتبة زاوية بسيدي معروف بوهران.

الملحق28

صورة للشيخ محمد بلقايد وابنه الشيخ محمد عبد اللطيف، الشيخ الحالي لزاوية سيدي معروف الهبرية.

أرشيف مكتبة الزاوية بسيدي معروف، وهران.

الملحق29

السلسلة الذهبية لمشايخ الطريقة الهبرية

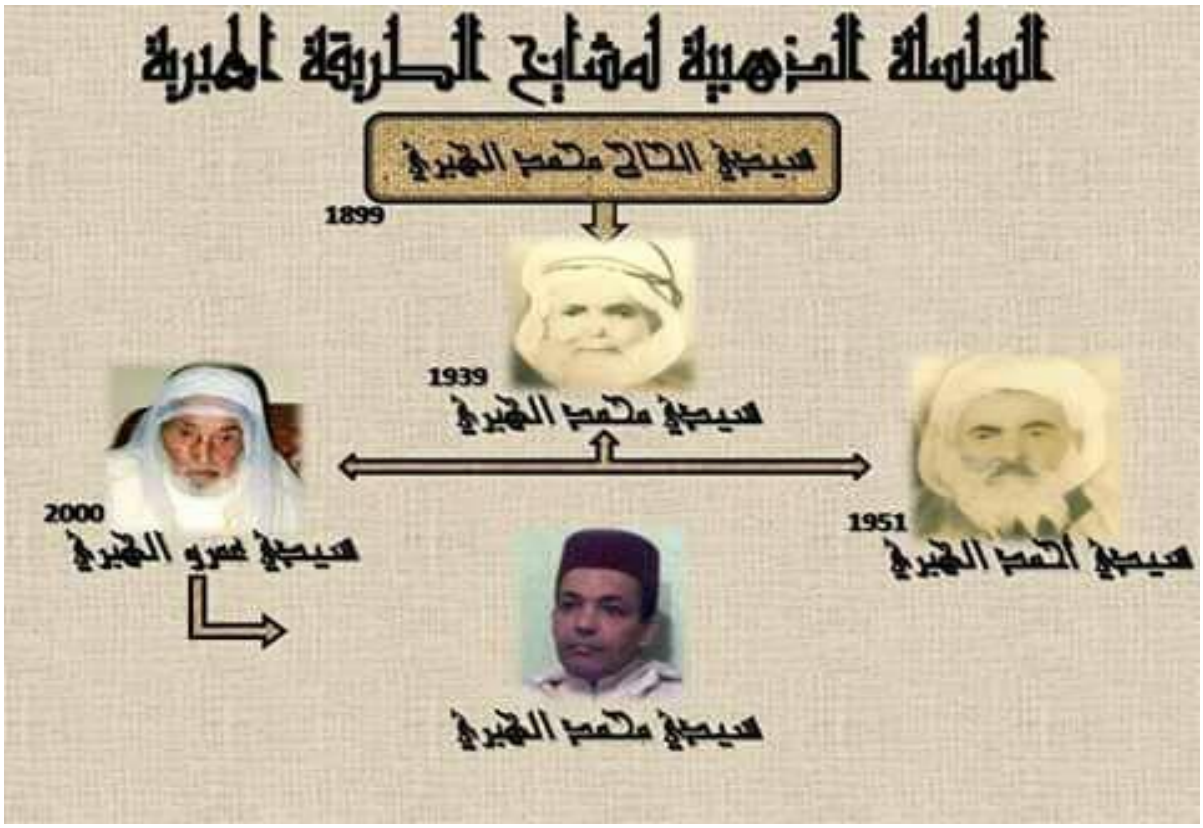

المصدر : **http://zaouiahabria.skyrock.com/tags/6ccA4oVIdXn-tag.html**

Le Mardi 03 Février 2015 à 20 : 13 Via Skyrock Android

قائمة المصادر والراجع

– القرآن الكريم

– الحديث النبوي الشريف

المصادر والمراجع

أولا: باللغة العربية

– الأب بول ع. نويا اليسوعي، الرسائل الصغرى للشيخ ابن عباد الرندي، السنة الواحدة والخمسون، كانون الثاني – شباط – 1958

– إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، ن، ت، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، المغرب ج1، ط 1420هـ / 2000م

– ابن القطان المراكشي، نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، درسه وقدم له وحققه، محمود علي المكي، دار الغرب الإسلامي، د ت

– ابن القنفذ القسنطيني، أنس الفقير وعز الحقير، اعتنى بنشره وتصحيحه، محمد الفاسي وأدولف فور ،منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، مطبعة أكدال، الرباط، المغرب، 1965

– ابن القيسراني المقدسي، صفوة التصوف، تحقيق عادة مقدم عدرة، دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1416هـ/ 1995م

– ابن القيم الجوزية، الروح، اعتنى به، عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط1، 1426هـ/ 2005م

ـــــــــ مدارك السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي، بيروت، ج3، دت

– ابن زاكور الفاسي، نشر أزهار البستان فمن أجازني بالجزائر وتطوان من فضلاء وأكابر الأعيان، تح، مصطفى ضيف ومحفوظ بوكراع، المعرفة الدولية، ن، ت، الجزائر، 2011

– ابن سحنون الراشدي، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تح ،تق، المهدي البوعبدلي، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، مارس1973

– ابن عاشر محمد بن محمد بن المبارك الفتحي المراكشي، الحبل المتين على نظم المرشد المعين، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دت

– ابن عباد النفزي الرُندي، شرح الحكم العطائية لابن عطاء الله السكندري، إ، د، محمد عبد المقصود هيكل، إ، ش، م، عبد الصبور شاهين، م، هـ، ت، ن، القاهرة، 1408هـ/1988م

– ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج4، تحقيق ومراجعة، إحسان عباس، دار الثقافة بيروت، ط2، 1400 هـ / 1980م

– ابن عطاء الله السكندري، الحكم العطائية، شرح ابن عباد النفزي الرُندي، إعداد ودراسة، محمد عبدذالمقصود هيكل، إشراف ومراجعة عبد الصبور شاهين، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، ط1، 1408هـ/1988م

– أبو الضيف محمد عمر مصطفى، القبائل العربية في المغرب في عصر الموحدين وبني مرين، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر 1982

– أبو العباس أحمد بن خالد الناصري الجعفري ، طلعة المشتري في النسب الجعفري، ج1، دت

– أبو القاسم الجنيد، رسائل الجنيد، تح، علي حسن عيد القادر وبرعي وجداي، القاهرة، 1988

– أبو القاسم القشيري، الرسالة القشيرية في علم التصوف، تحقيق وإعداد، معروف زريق وعلي عبد الحميد أبو الخير، دار الخير، ط2، 1417هـ/ 1995م

– أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ش، و، ن، ت، الجزائر،ج1، ج2، 1401هـ/1981م

– أبو بكر عبد الله بن شاهاور الرازي، منارات السائرين ومقامات الطائرين، تح، تق، سعيد عبد الفتاح، دار سعاد الصباح، الكويت، ط1، 1993

– أبو بكر محمد بن إسحاق الكلاباذي ، التعرف لمذهب أهل التصوف، ضبطه وعلق عليه وخرج آياته وأحاديثه، أحمد شمس الدين، منشورات، محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1،1413هـ / 1993م

– أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، كتاب عوارف المعارف للسهروردي، الملحق، دار المعرفة،بيروت، دت

ـــــــــ المنقذ من الضلال والموصل إلى ذي العزة والجلال، اعتنى بطبعه،طبعة جديدة، مكتبة الحقيقة،1419هـ/1998م

– أبو زيد عبد الرحمن السلمي، طبقات الصوفية،حققه وعلق عليه،مصطفى عبد القادر عطا، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1424هـ/2002

ـــــــــ عيوب النفس ومداواتها، تح، تع، أحمد الرفاعي شرفي، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2006

– أبو طالب المكي، سراج القلوب وعلاج الذنوب وحياة القلوب في كيفية الوصول إلى المحبوب، دار الفكر للطباعة والنشر، والتوزيع، ج1، دت

– أبو عبد الله محمد بن جعفر بن إدريس الكتاني، سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، ح، و، ف، الشريف محمد حمزة بن علي الكتاني،ج1، دت

– أبو نصر السراج الطوسي، اللُّمع، حققه وقدم له وأخرج أحاديثه، عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور، دار الكتب الحديثة، مصر، 1380هـ – 1960م

– أبوالقاسم القشيري، الرسالة القشيرية في علم التصوف، تحقيق وإعداد، معروف زريق وعلي عبد الحميد أبو الخير، دار الخير، ط، ن، ت، بيروت، ط2، 1416هـ/1995م، دار المعرفة، بيروت، لبنان، د ت

– أبي العباس أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى زروق الفاسي البرنسي، قواعد التصوف، تقديم وتحقيق، عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان ط3، 2007

– أبي العباس أحمد بن يحي الونشريسي، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقيا والأندلس والمغرب، خرجه جماعة من الفقهاء، إشراف، محمد حجي، نشر، و، س، م، غ، ج12،1401هـ/1981م

– أبي الفرج عبد ةالرحمن ابن الجوزي صفة الصفوة، حققه وعلق عليه، محمود فاخوري، وخرج أحاديثه، محمد رواش قلعه جي، دار المعرفة، ط، ن، ت، ج2،دت

ـــــــــ تلبيس إبليس، تح، ماهر عبد الغني، دار الكتاب الحديث، القاهرة، ط 1425هـ/2004م

ـــــــــ سلوة الأحزان بما روي عن ذوي العرفان، ع، ض، ح، أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1424هـ/2002م

– آثار الدكتور يحي بوعزيز، دب ن ش ت ، الجزائر ، طبعة خاصة ، 2009

– إحسان إلهي ظهير ، التصوف المنشأ و المصدر ، إدارة ترجمان ، فلسفة شاحمان لاهور ، باكستان ، الطبعة الأولى سنة 140 هـ /1986م

ـــــــــــ دراسات في التصوف، دار الإمام المجدد للنشر والتوزيع، ط1، 1426هـ /2005م

– أحمد ابن تيمية، مجموعة الرسائل والمسائل، نشر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1412هـ/1992م

أحمد ابن عجيبة، الفهرسة، تح، تع، تق، عبد الحميد صالح حمدان، دار الغد العربي، القاهرة، مصر ط1، 1990، ص16

ـــــــــــ معراج التشوف إلى الحقائق التصوف، تقديم وتحقيق عبد المجيد خيالي، مركز التراث الثقافي المغربي، الدار البيضاء، د ت

– أحمد الخطيب أبو العباس ابن قنفذ القسنطيني، أنس الفقير وعز الحقير، اعتنى بنشره وتصحيحه، محمد الفاسي وأدولف فور، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، دت

– أحمد أمين، ظهر الإسلام، مؤسسة هنداوي للعلوم والثقافة، القاهرة، ط 2012

– أحمد بشيري، علماء من المغرب العربي، في الأزهر الشريف، منشورات ثالة الأبيار، الجزائر، د ت

– أحمد بن محمد بن علي بن سحنون، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تح، تق، المهدي البوعبدلي، منشورات وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، ج1، دت

– أحمد بن مصطفى العلاوي، الرسالة العلاوية في بعض من المسائل الشرعية، المطبعة العلاوية، مستغانم الجزائر، ط2، 1990

– أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، المطبعة العربية، د ت

– أحمد زروق الفاسي، النصيحة الكافية، ضبط نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه، قيس بن محمد آل

– الشيخ مبارك، مكتبة الظلال، الأحساء، مكتبة الشافعي، الرياض، السعودية، ط1، 1414هـ / 1993م

– إدريس خضير، التفكير الاجتماعي الخلدوني وعلاقته ببعض النظريات الاجتماعية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983

– آدم متز، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، تع، محمد عبد الهادي أبو ريدة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط1، ج1، 1981

– إسماعيل العربي، فصول في العلاقات الدولية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1990

– إسماعيل عبد الحميد، الدولة العثمانية، طرابلس، ج2، 2002

– أَسِيس باثيوس، ابن عربي حياته ومذهبه، ترجمة عن الاسبانية، عبد الرحمن بدوي، مكتبة الأنجلو مصرية ، 1965

– الآغا بن عودة المزاري، طلوع سعد السعود، تحقيق ودراسة، يحي بوعزيز، دار الغرب الإسلامي، ج1، دت

– ألفرد بيل، الفرق الإسلامية، تر، عبد الرحمن بدوي، دار ليبيا، ن، ت، بنغازي، ليبيا، 1969

البستاني المعلم بطرس، دائرة المعارف، مطبوعات إسماعليان، نهران – ناصر خصروه ياسات مجيدي، المجلد6، د ت

– البكري حسين بن محمد ابن الحسن الديار، تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس، دت،ج2

– بلهاشمي بن بكار، مجموع النسب والحسب والفضائل والتاريخ والأدب في أربعة كتب، مطبعة ابن خلدون، تلمسان، الجزائر، 1381هـ / 1961م

– بودواية بلحيا، التصوف في المغرب العربي، دار القدس العربي للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر، ط1، 2009

– التلمساني الحاج عبد الرحمن بوجنان زداني، دوان الشيخ الحاج بوجنان زيداني التلمساني(1966/1882)، راجعه وصححه، يحي الطاهر برقة، مكتبة جودي، وهران، الجزائر، ط1، دت

– التليدي، المطرب بمشاهير أولياء المغرب، نشر، دار الأمان، ط4، 2004

– التهامي غيتاوي، الرائد في ذكر جملة من حياة وفضائل وكرامات الشيخ سيدي محمد بلقايد، منشورات، م، و، ن، ش، وحدة الرويبة، الجزائر، 2002

– جارودي روجيه(رجاء)، في سبيل حوار الحضارات، تر، عادل العوا، منشورات دار عويدات، بيروت، ط3، 1986

– جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، راجعها وعلق عليها، شوقي ضيف، دار الهلال ، طبعة جديدة ج4، دت

– جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تاريخ الخلفاء، دار الغد الجديد للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1434هـ / 2013م

– جلال محمد شرف، دراسات في التصوف الإسلامي شخصيات ومذاهب، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت 1406هـ/ ،1984

– جيب هاملتون، دراسات في الحضارة الإسلامية، دط، دت

– الحاج أحمد بن الحاج العياشي سكريج، كشف الحجاب عمن تلاقى مع الشيخ التجاني من الأصحاب ، دط، المغرب، 1381هـ/1961م

– الحارث المحاسبي، المسائل في الزهد، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الشهاب للطباعة والنشر، الجزائر، د ت

– الحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الفكر، ل ،ط، ن،ت، مكتبة الخانجي، القاهرة، ج10، 1416هـ/ 1997م

– حامد إبراهيم محمد الصقر، نور التحقيق في صحة أعمال الطريق، مطبعة دار التأليف المالية، مصر، ط2، 1390هـ– 1970م

– حسين مروة، تراثنا كيف تعرفه، مؤسسة الأبحاث العربية، لبنان، د ت، 1985

– حمدان بن عثمان خوجة ، المرآة ، تقديم و تعريب و تحقيق ، محمد العربي الزبيري ، منشورات ANEP، 2005

– حميدي خميسي، نشأة التصوف الفلسفي في المغرب الإسلامي الوسيط، سحب الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2007

– خالق عبد الرحمن، الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة، مكتب الكويت، الطبعة الثانية، دت

الخطابي محمد العربي، موسوعة التراث الفكري العربي الإسلامي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ج1، ط1 ، 1998

– الخليل النحوي، بلاد شنقيط المنارة والرباط، م، ع، ت، ث، ع، تونس، 1987

– خياطة نهاد، دراسة في التجربة الصوفية، دار المعرفة، دمشق، ط1، 1414هـ / 1994م

د.ت سوزوكي، التصوف البوذي والتحليل النفسي، تر، ثائر ذيب، تقديم وفيق خنسة، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ط2، دت

– زروال محمد، العلاقات الجزائرية الفرنسية، 1791– 1830، مطبعة دحلب، 108 شارع طرابلس حسين داي، الجزائر، د ت

– زكي مبارك، التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق، المكتبة العصرية للطباعة والنشر والتوزيع، صيدا، بيروت، ج1، دت

زكي مبارك، بين رياض الأدب والفن، عرض ونقد وتحليل، مكتبة الآداب ومطبعتها، دط ، دت

– سعد القاضي، العارف بالله سيدي أبو الحسن الشاذلي، د، غ، ظ، ن، ت، القاهرة، 2001م

– السعدي محمد صادق الشهابي القادري، تفريح الخاطر في مناقب تاج الأولياء وبرهان الأصفياء الشيخ

–عبد القادر الكيلاني، ترجمة عبد القادر الأربلي القادري، مطبعة مصطفى الحلبي، القاهرة، ط3، 136هـ/ 1949م

– سمير أمين، المغرب العربي الحديث، تر، كميل ق. داغر، دار الحداثة بالتعاون مع ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط2، 1981م

– السنجاري المكزون، معرفة الله، تحقيق ودراسة، أسعد أحمد علي، دار الرائد العربي، بيروت، المجلد1، ط2 ، 1981

– سيد أحمد الهبري، اللمحة البدرية في التعريف بالطريقة الهبرية، منشورات دار الأديب، ط2، 2003

– شارل أندري جوليان، تاريخ إقريقيا الشمالية، تعريب، محمد مزالي والبشير بن سلامة، ج1، د ت

– شهاب الدين السهروردي، عوارف المعارف ،من كتاب إحياء علوم الدين ،الملحق ، دار

– شهاب الدين محمد بن محمد الأبشيهي، المستطرف في كل فن مستظرف، تحقيق درويش جويد، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1416هـ / 1996م

– شوقلي جان، إفريقيا الشرق، تر،عبد القادر قنيني، المغرب، 1999

– الشيخ الحداد، التقييد المُحِل للتّعقيد في التصوف، حققه وعلق عليه، عمار الطالبي وآخرون، البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، دت

– صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي، 1519– 1830، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر ط2، 2007

– ضياء مجيد الموسوي، غاية التصوف وأدوات المتصوف، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، 1432ه /2011م

– ضيف شوقي، تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الثاني ، دار المعارف، مصر، ج2، ط2، 1975

– عامر النجار ، الطرق الصوفية في مصر نشأتها ونظمها وروادها، دار المعارف، مصر، ط5، دت

– عامر محمود علي ومحمد خير فارس، تاريخ المغرب العربي الحديث، المغرب الأقصى، ليبية، منشورات جامعة دمشق، د ت

– عبد الحفيظ محمد بن طاهر بن عبد الكبير الفاسي، المدهش المطرب، ص، خ، ج، ع، عبد المجيد – خيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1424ه/2003م

– عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة، ض، م، و، ح، ف، خليل شحادة، مر، سهيل زكار، دار الفكر، ط، ن، ت، بيروت، لبنان، 1431ه/2001م

– عبد الرحمن عثمان حجازي، التربية الإسلامية في القيروان في القرون الهجرية الثلاثة الأولى، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 1417ه / 1997م

– عبد العزيز الخمليشي، الرباطات والزوايا في تاريخ المغرب، زاوية تمجروت والمخزن (1642– 1914م)، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، المغرب، ط1، 1997

– عبد العزيز بنعبد الله، معلمة التصوف الإسلامي، دار المعرفة للنشر والتوزيع، الرباط، المغرب، ج1، ط1 2001

– عبد القادر زبادية، الحضارة العربية والتأثير الأوربي في إفريقيا الغربية جنوب الصحراء، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989

– عبد القاهر البغدادي، الفرق بين الفرق الإسلامية – و بيان الفرقة الناجية منهم، وآرار كبار علمائها– دراسة وتحقيق، محمد عثمان الخشت، مكتبة ابن سينا للنشر والتوزيع والتصدير، مصر، د ت

ـــــــــــ الفرق بين الفِرق، تح، محمد محي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت، دت

– عبد الكبير العلوي المدغري، الفقيه أبو علي اليوسي نموذج من الفكر المغربي في فجر الدولة العلوية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 1409هـ/1989م

– عبد الكبير بن عبد المجيد عليوات، سراج الغيوب في أعمال القلوب، تحقيق ودراسة، عبد الله شريف وزاني، كتاب ناشرون، لبنان، ط1، 1434هـ/ 2013م

– عبد الكريم الفكون، منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم و الولاية، تق، تح، تع، أبو القاسم سعد الله، دار الغرب، ط1، 1408هـ/1987م

– عبد الله أحمد بن عجيبة، معراج التشوف إلى حقائق التصوف، تقديم و تحقيق، عبد المجيد خيالي، مركز التراث الثقافي المغربي، الدار البيضاء، دت

ـــــــــ معراج التشوف إلى حقائق التصوف، تقديم وتحقيق، عبد المجيد خيالي، مركز التراث الثقافي المغربي، الدار البيضاء دت

– عبد الله بن محمد العياشي، الرحلة العياشية، تح، تع، سعيد الفاضلي وسليمان القرشي، دار السويدي للنشر والتوزيع، الإمارات العربية المتحدة، أبو ظبي، المجلد1، ط2006

– عبد المجيد قدوري، ابن أبي المحلى الثائر ورحلته الأصليت الخريت، منشورات عكاظ، المغرب، دت

– عبد المغيث بن سيدي محمد مصطفى، التعريف الشمولي بالإمام الجزولي، مكتبة الأحباب ط1، 2002

– عبد المنعم الجميعي، الدولة العثمانية والمغرب العربي، دار الفكر العربي، القاهرة، ج12، دت

– عبد الوهاب الشعراني، الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية، ج1، قدم له، طه عبد الباقي سرور،والسيد محمد عبد الشافعي، مكتبة المعارف، بيروت، لبنان، 1414هـ/1993

– عدة بن تونس المستغانمي، مجالس التذكير، جمع وإعداد، رشيد محمد الهادي بن تونس، تقديم وتصحيح، يحي طاهر برقة، المطبعة العلاوية، مستغانم، ط، 2، 1995

– العربي دحو، الشعر الشعبي ودوره في الثورة التحريرية الكبرى، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ج1 ، 1989

– عزيز سامح التر، الأتراك العثمانيون في شمال إفريقيا، تر، محمود علي عامر، دار النهضة العربية للنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1409هـ/1989م

– العقاد صلاح، المغرب العربي، الجزائر . تونس . المغرب الأقصى . القاهرة، 1955

– العلوي ابن مصطفى، رسالة الناصر معروف في الذب عن مجد التصوف، المطبعة العلوية،مستغانم، ط2، 1990

– علي حرازم ابن العربي برادة الفاسي، جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدي أبي العباس التجاني، المطبعة المحمودية بمصر المجية، الطبعة الأولى، ج1، 1318هـ

– علي فهمي خشيم، أحمد زروق والزروقية، دار المداد الإسلامي، ط3، أيلول / سبتمبر /الفاتح 2002 إفرنجي

– عواطف بنت محمد يوسف نواب،كتب رحلات في المغرب الأقصى مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين، دار الملك عبد العزيز، الرياض، 1429هـ/2008م

– الفكون عبد الكريم، منشور الهداية في كشف من ادعى العلم والولاية، تق، تح، تع، أبو القاسم سعدالله، دار الغرب الإسلامي، الجزائر، ط1،1408هـ/1987م

– فيلالي مختار الطاهر، نشأة المرابطين والطرق الصوفية وأثرهما في الجزائر خلال العهد العثماني، دار الفن الڤرافيكي للطباعة والنشر، باتنة، الجزائر، ط1، دت

– قاسم عبد الحكيم عبد الغني، مذاهب الصوفية ومدارسها، مكتبة مدبولي القاهرة، ط1 وط2، 1989 – 1999م

– قدور إبراهيم عمار، زاوية سيدي محمد بن عمر، تاريخها ونشأتها، ديوان المطبوعات الجامعية وهران ط1 1417هـ – 1997م

– لطيفة لخضر، الإسلام الطرقي، دراسة في موقعه في المجتمع ومن القضية الوطنية، مطابع الوحدة،مجموعة سراس، تونس، 1993

– مارسيل كاري، ذكريات الشيخ أحمد بن مصطفى العلاوي ، المطبعة العلوية ،ط2 ، 1987

– ماسينيون ومصطفى عبد الرزاق، التصوف، لجنة الترجمة، إبراهيم خورشيد وآخرون، دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة، لبنان، ط، ن، ت، 1984

– المالكي، رياض النفوس، حققه، بشير البكوش، وراجعه محمد العروسي المطوي، دار الغرب الإسلامي ج1، ط1، 1403هـ/ 1973م

– مبارك بن محمد الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، تقديم وتصحيح، محمد الميلي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، دت

– محمد الحبيب المشرقي، همم الملوك العالية لصاحب الوقت وسيرته المحمدية، تق، تح، تر، الطيب بن الطيب، ومساعدة بن الطيب محمد، تص، بن براهيم سالم، منشورات دار الأديب، وهران، دت

– محمد الخطيب العجاج، أصول الحديث، علومه ومصطلحه، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1 ، دت

– محمد الصغير بن عبد الله اليفرني، نزهة الهادي بأخبار القرن الحادي، صحح عباراته التاريخية السيد هوداس، تم طبعه على يد بريدن صاحب مطبعة أنجي سنة 1888

محمد الضعيف الرباطي، تاريخ الضعيف، تح ، تع، تق، أحمد العماري، دار المأثورات، الرباط – أكدال، ط1، 1406هـ/1986م

– محمد العبدري البلنسي، الرحلة المغربية، تق، سعد بوفلاقة، منشورات بونة للبحوث والدراسات، بونة، الجزائر، ط1، 1428هـ /أيلول –سبتمبر 2007م

– محمد العجاج الخطيب، أصول الحديث علومه ومصطلحاته، دار الفكر، بيروت، ط1، 1419هـ/ 1998م

– محمد العربي السائح الشرقي التجاني، بغية المستفيد لشرح منية المريد، تح، فه، سعيد محمود عقيل، دار الجيل ن، ط،ت، بيروت، ط2، 1426هـ/2005م

– محمد العربي معريش، المغرب الأقصى في عهد السلطان الحسن الأول، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، 1989م

– محمد بن اسماعيلي، مشايخ خالدون وعلماء عاملون، الطبعة الرابعة منقحة ومزيدة، 1421هـ/2001م

– محمد بن بريكة، الموافقات، زاد عياش للطباعة والنشر، الأبيار، الجزائر، السنة الرابعة محرم 1416هـ/ جوان 1995

– محمد بن تومرت، أعز ما يطلب، تقديم وتحقيق ، عمار طالبي، دار كراردة للنشر والتوزيع ، الجزائر، طبعة خاصة، 2013

– محمد بن سليمان الجزولي، دلائل الخيرات وشوارق الأنوار في ذكر الصلاة على النبي المختار، نشر، دار الهدى، ط، ن، ت، د ت

– محمد بن عبد الرحمن العريفي، موقف ابن تيمية من الصوفية، مكتبة دار المنهاج ، ل ن ، ت ، الرياض ، السعودية ، ج1، ط1، 1429هـ

– محمد بن عبد السلام بن عبد الله الناصري، المزايا فيما أحدث من بدع بأم الزوايا، در، تح، عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، ط1، 1424هـ / 2003م

– محمد بن عبد الله بن حسنين الشافعي الطصفاوي التجاني، الفتح الرباني فيما يحتاج إليه المريد التجاني، مكتبة القاهرة، دت

– محمد بن عسكر الحسني الشفشاوني، دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر، تح، محمد حجي، دار المغرب، ت، ت، ن، الرباط، المغرب، 1397هـ/1977م

– محمد بن محمد مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، ج1، 1349هـ

– محمد بن يوسف الزياني، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تحقيق وتقديم، البوعبدلي المهدي ،دار المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، طبعة خاصة، 2013

– محمد حجي، الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي، مطبعة الدار الجديدة، المغرب، ط1، 109هـ / 1988م

– محمد زايد، الراوي هو الشعراوي، مذكرات إمام الدعاة، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط1، 27 يونيو 1998

– محمد ضريف، مؤسسة الزوايا بالمغرب، منشورات المجلة المغربية لعلم الاجتماع السياسي، المغرب، ط1، 1992

– محمد عبد الكريم الجزائري، التصوف في ميزان الإسلام، مطبعة النهضة، وهران، د ت

– محمد على عامر ومحمدخير فارس، تاريخ المغرب العربي الحديث، منشورات جامعة دمشق، ج1 1420–1421هـ/1999–2000م

– محمد فؤاد شكري، السنوسية دين ودولة، دار الفكر العربي، 1948

– محمد لكحل بوجلال، تأملات في الطريقة البلقايدية، منشورات دار الأديب، دت

– محي الدين ابن عربي، الفتوحات المكية ، دار صادر ، المجلد الرابع دط ، دت

ـــــــــ الفتوحات المكية، ض، ث، و، ح، أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1،ج1 ، 1420ه/1999

ـــــــــ مختصر رسالة القدس في محاسبة النفس، اختصار وتقديم وتعليق أحمد الرفاعي شرفي، دار الهدى ، عين مليلة الجزائر، دت

– مخطوط الفوائد الجلية في تاريخ العائلة السنوسية، عبد القادر بن علي

– مخطوط ممتع الأسماع في ذكر الجزولي والتباع ، مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز ، الدار البيضاء، دت

– مرمول كربخال، إفريقيا، ج، م، ت، ن ، مطابع المعارف الجديدة، ج2، 1408/ 1409ه–1989/1988م

– مصطفى الأشرف، الجزائر الأمة والمجتمع، تر، حنفي بن عيسى، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983

– ةمصطفى باحو، علماء المغرب ومقاومتهم للبدع والتصوف والقبورية والمواسم، منشورات السبيل، جمادى الآخرة 1428ه /يونيو، ط1 ، 2007م

– مصطفى عوض الله حسن اليحصبي، من أعلام الإصلاح الديني، الشيخ العلامة عدة بن تونس المستغانمي ، المطبعة العلاوية، مستغانم، الجزائر، ط1، 1995

– موسى عبد اللاوي، الحضارة الإسلامية وآثارها على المدينة الغربية، دار العلوم للنشر والتوزيع،1429ه/2008

– مولاي العربي الدرقاوي الحسني، مجموع رسائل، تح، بسام محمد بارود، تق، أحمد بن الخياط الزكاري، المجمع الثقافي، أبو ظبي، إ، ع، م، ط1، 1420ه/1999م

– ناصر الدين سعيدوني، الجزائر في تاريخ العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ج4، 1984

ـــــــــ النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني 1792–1830م، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ،ط2، 1985

– الناصري السلاوي، الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تح، جعفر الناصري ومحمد الناصري،الدار البيضاء، المغرب، ج4

– النبهاني يوسف بن إسماعيل، جامع كرامات الأولياء، تحقيق ومراجعة، إبراهيم عطوة عوض، مركز أهل سنت بركات رضا، الهند، ط1 ،ج1، 1222هـ / 2001

– نيكلسون، في التصوف الإسلامي وتاريخه، ترجمة أبي العلاء العفيفي، لجنة الترجمة والنشر القاهرة ط1، 1947

– وليم سبنسر، الجزائر في عهد رياس البحر، تع، تح، عبد القادر زبادية ، ش ، و، ن، ت، الجزائر، 1980

– يحي بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، ج1،1995

– مجموعة من المؤلفين، تاريخ المغرب تحبين وتركيب، إشراف وتقديم، محمد القبلي، منشورات المعهد الملكي للبحث في تاريخ المغرب، الرباط ، 2011

– يحي بوعزيز، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الدولية والوطنية، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية، بن عكنون، الجزائر، طبعة 1999

الرسائل الجامعية

بوداود عبيد، التصوف في المغرب الأوسط مابين القرنين السابع والتاسع الهجريين رسالة ماجستير كلية الحضارة الإسلامية، قسم التاريخ وهران، 1999

عبد المنعم القاسمي الحسني، الطريقة الخلوتية الرحمانية الأصول والآثار منذ ظهورها إلى الحرب العالمية الأولى، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر، كلية العلوم الإنسانية، قسم العقائد والأديان، 2008– 2009

عمار بن خروف، العلاقات بين الجزائر و المغرب، 923–1069هـ / 1517–1659م، رسالة لنيل درجة ماجستير في التاريخ، مطبوعة، جامعة دمشق، كلية الآداب، قسم التاريخ، دمشق، 1403هـ/1983م

– عودة عبد علي زويد ضمير، الجزائر في الصراع الإسباني العثماني، 1518– 1587، دراسة تاريخية ، رسالة ماجستير، جامعة البصرة، كلية الآداب، 2006

– منال سليم سالم النخال، الشعر العربي في القرن التاسع عشر الميلادي / الثالث عشر هجري – أغراضه – ظواهره – اتجاهاته – قضاياه، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة، كلية الآداب، قسم اللغة العربية، 1434هـ / 2013م

المجلات والدوريات

– ابن محمد عبد الله بن الشارف بن سيدي علي حشلاف ، سلسلة الأصول في شجرة أبناء الرسول، المطبعة التونسية، نهج سوق البلاط، عدد57، تونس، 1347هـ /1929م

– المجلة الصوفية جمادى الأولى 1429هـ/ ماي 2008م العدد 8

– جريدة البلاغ الجزائري، ج1، ط1، 1406هـ / 1986م

– دائرة المعارف الإسلامية ن ع، المجلد الخامس

– فاهم نعمة الياسري وحسنين عبد الكاظم عجة، الإسهامات السياسية لمتصوفة المغرب الأقصى في العصر الحديث، مجلة كلية التربية، واسط، العراق، العدد 12 دت

– مجلة الدراسات التاريخية والحضارية، جامعة تكريت ،1518–1830م، مج 5، ع16، نيسان 2013م – جمادى الأخرة 1434هـ

– مجلة سرتا، مطبعة البعث، قسنطينة، السنة الثانية، العدد 3، رجب 1400هـ/1980م

– موجز دائرة المعارف، مركز الشارقة للإبداع الفكري الطبعة الأولى، 1418هـ/1998

–محمد بن علي الخروبي ، الأنس في شرح عيوب النفس ، تح ، محمد الطيب إدريس ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2011م

الملتقيات

– محمد حسن تبرائيان، مقارنة حول التصوف الإسلامي في إيران وإفريقيا، نشأته، تاريخه، طرقه والعلاقة بينهما، الملتقى الدولي للزاوية التيجانية، عين ماضي الجزائر، 23–25 نوفمبر 2006

الموسوعات والمعاجم

– ابن منظور (جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري)، لسان العرب، ج5، طبعة مصورة عن طبعة بولاق، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر، الدار المصرية للتأليف والترجمة دت

– رفيق العجم، موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي، مكتبة لبنان، بيروت، ط1، 1999

– عبد الرزاق القاشاني، اصطلاحات الصوفية ويليه، رشح الزلال في شرح الألفاظ المتداولة بين أرباب الأذواق والأحوال، ضبطها وصححها وعلق عليها، عاصم إبراهيم الكيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2005

– الهاشمي بلقاضي، معجم علماء الدين و الإصلاح في الوطن العربي، دار سحنون، الجزائر، دت

– عبد المنعم حنفي، الموسوعة الصوفية، أعلام التصوف والمنكرين عليه والطرق الصوفية، دار الرشاد، 1412هـ، ط1

ـــــــــــــ الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية، دار المسيرة، بيروت ط1، 1400هـ

– عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، مؤسسة الرسالة، شارع سوريا، بناية صمدي و صالحة، ط، ن، بيروت ج1، ط1، 1414هـ/1993م

– الزركلي، الأعلام،ج4، ج5، ج6

– الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، تح، صفوان داوودي، دار القلم، دشق، سوريا،ط4، دت

– عبد الرزاق القشاني، معجم اصطلاحات الصوفية، ضبطها وصححها وعلق عليها، عاصم إبراهيم الكيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2005،

– حسن الشرقاوي، معجم ألفاظ الصوفية، مؤسسة مختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1987

– حمدي أيمن، قاموس المصطلحات الصوفي، دار قباء للنشر والتوزيع، القاهرة، 2000

المواقع الالكترونية

– http://zaouiahabria.skyrock.com/tags/6ccA4oVIdXn-tag.html

ثانيا: باللغة الأجنبية

-Burckhardt Titus, Introduction to Sufi Doctrine, Foreword by wiliam Library of Congress - Cataloging –in wiliam. c – Library of Congress
-Vallérie Assan, Les Consistoires Israélites D'Algérie XIXe Siècle– Armand Colin, 2012
-Alfred Roux, La civilisation Ottomane , Ed ,Oriental, Paris , 1997
-H ´sen Derdour, Annaba 25 Siècles de vie quotidienne et de lute , s.n.e.d, Alger, tm1, 1983
-Henri-Léon Fey, Histoire D'oran¸ Avant¸ Pendant¸ Après La Domination Espagnole¸ Typographie Adolphe Perrier¸ Editeur¸ Oran¸ 1858
-louis rinn¸ Marabouts Et Khouans¸Adolphe Jordan¸ Libraire Editeur¸Alger¸ 1884
-Octave Depont , Et , Xavier Cappolani , Les Confréries Religieuses Musulmanes , Typographie et Lithographie , Adolphe Jourdan ,imprimeur, Library, Editeur, Alger, 1897
-Vallérie Assan, Les Consistoires Israélites D'Algérie XIXe Siècle – Armand Colin ,2012
-Voinot (L) Capitaine: Oujda Et L'Amalat. Oran.1912

الفهارس العامة

1–فهرس الأعلام

2–فهرس الزوايا والطرق الصوفية

3–فهرس المحتويات

فهرس الأعلام

– أ –

أبا حسون السملالي.106.205

إبراهيم الزرهوني.196.198

إبراهيم الفحام (الحجام).201

إبراهيم بن الأدهم.48 . 52 . 54. 73

ابن الأحرش.93 . 239 . 241

ابن الجوزي. .53 . 55

ابن الجوزية.67

ابن السبعين.77

ابن الطفيل.46

ابن المسايب.101

ابن المبارك الزعري.213

ابن بطو.135

ابن بطوطة.126

ابن تومرت.79

ابن تيمية.50 .67.68.69

ابن حمادوش.102

ابن خلدون.16 . 139

بن زرفة .94 . 239

ابن زاغو.255

الأحضر بن خلوف . 100

ابن زاكور الفاسي.35

ابن زكري.255

ابن سحنون الراشدي .58 . 99 . 102

ابن سيدة.42

ابن سينا.46

ابن شاهد.102

ابن عاشر.66 . 183

ابن عباد. 126 .184 . 185 . 187

ابن عربي.46 .71.72.72.73.74. 75. 76. 77 . 79 . 125 .269

ابن عطاء الله.67 . 185

ابن علي.101

ابن عمار.101

ابن قسي.45

ابن مريم.37

ابن مسرة.46

ابن مشيش.81 . 138 .139. 140 . 151 . 198

ابن منظور.33

ابن ناصر الدرعي39

أبو عبد الله بن الجلاء.67

أبو البركات الفاسي.201

أبو الحسن النوري.53

أبو الحسن البرجي.125

أبو الحسن البكري.200 .201

أبو الحسن الكومي.201

أبو الحسن علي الجمل.235 .237

أبو الحسن علي بن غالب.138

أبو الحسن علي بن محمد الصوفي.109

أبو الحسن قاسم.200

أبو الدرداء.52

أبو السري واصل بن عبد الله اللخمي.59

أبو الطيب اليحياوي201

أبو العتاهية.65

أبو العروق الأزهري.261

أبو الفتوح البستي.41

أبو الفضل الهندي.192

أبو القاسم الكعبي.67

أبو القاسم سعد الله.38

أبو النعيم.68

أبو بكر الدلائي.109 . 207 . 209

أبو بكر الطرطوشي.79

أبو بكر بن العربي.80

أبو بكر بن زياد.170

أبو حامد محمد العربي.223

أبو حفص عمرو بن أحمخد الأنصاري.202

أبو ذر الغفاري.52

أبو زكريا الثاني.204

أبو زكريا حي الوطاش.204

أبو سالم التازي.200 . 201

ابو سعيد الخراز.53 . 135

أبو سعيد المهني.46

أبو سعيد عثمان الهرتناني.192

أبو شلاغم المسراتي.238

أبو عبد الرحمن السلمي.53 . 68

أبو عبد الله الدقاق.138

أبو عبد الله الصغير السهلي.189

أبو عبد الله محمد البوزيدي العماري.237

أبو عبد الله محمد الشرقي.213

أبو عبد الله محمد العربي.214

أبو عثمان.67

أبو عزة المهاجي.241

أبو علي الكاتب.153

أبو محمد بن عبد الرحيم بن عبد ربه الربعي.59

أبو مدين بن المنور.145

أبو مروان عبد الملك.108

أبو مسعود الهراسي.185

أبو نصر سراج الطوسي.41

أبو هاشم الصوفي .41 . 55

أبو يزيد البسطامي.56

أبي الحسن الصنهاجي.207

أبي الحسن المنتصر.80

أبي العباس المرسي.154 . 216

أبي الفضل الهندي.215

أبي الفضل يوسف بن يوسف.125

أبي القاسم الصومعي.220

أبي القاسم الغازي.215

أبي المحاسن.209 .

أبي المحلى.109 . 115. 192 .

أبي بكر الكلا باذي.53

أبي ثور.70

أبي راس.89.93.99. 148 . 191 . 256

أبي زكريا القادري.216 .

أبي زكريا الوطاسي.106

أبي زيان.200

أبي سعيد الثالث.104

أبي طالب المكي.37 . 53

أبي عبد الله السطي.80

أبي عبد الله الشرقي.213

أبي عبد الله العربي.214

أبي عبد الله محمد بن الكندوز.170

أبي عبد الله محمد بن المختار.213

أبي عمر القسطلي.207

أبي فارس.105

ابي فلموس الزياني.89

أبي محمد الهبطي.207 . 210

أبي مدين شعيب.14 . 80 . 81 . 137.138.139 .145. 156 . 268 . 278

أبي يزيد البسطامي.44

أبي يعزى الشريف.243

أبي يعزى يلنور.80.138

أبي يعقوب المنصور.34

أبي يوسف يعقوب.138

أحمد الأزرق.135.136

أحمد البدوي زويتن.42

أحمد البدوي.215

أحمد الدرعي.201

أحمد الدريدير.157

أحمد الراشدي.201

أحمد السجلماسي الصديفي.165

أحمد السعي.42

أحمد الشيخ.244

أحمد الصقلي.158 . 164

أحمد الصومعي.185

أحمد الطواش.164

أحمد الفاسي.243

أحمد القرافي.192 . 215

أحمد الكالدي.261

أحمد المرسي.214 . 215

أحمد المنصور الذهبي.18 . 108 . 205

أحمد النقسيس.205

أحمد الهبري.243

أحمد بن الحاج سكريج.38

أحمد بن براهيم.202 . 204 . 214 . 215

أحمد بن بله.248 . 249

أحمد بن حمد السجاعي.191

أحمد بن صديق الغماري.261

أحمد بن طالب.214

أحمد بن طيب الصالح الرحموني.159

أحمد بن عبد الله الصادق.201

أحمد بن عبد القادر التستاوي.215

أحمد بن عبد الله.201

أحمد بن عبد المومن التجكاني.238

أحمد بن عجيبة.1170

أحمد بن عجيبة.42

أحمد بن عقبة.215

أحمد بن عقبي الحضرمي.195

أحمد بن علي الحاحي.215

أحمد بن علي الرفاعي.156

أحمد بن عليوة. 243

أحمد بن عمر الحارثي.189

أحمد بن محمد المقري. 18. 100.101

أحمد بن محمد بن ناصر.206 . 215

أحمد بن مخلوف الشابي.126

أحمد بن مرسي السملالي.109

أحمد بن مصطفى العلاوي.172

أحمد بن موسى الثاني.243

أحمد بن ناصر.214

أحمد بن يلس.261

أحمد بن يوسف الأزهري.156

أحمد بن يوسف الملياني.200 . 214 . 215

أحمد جاد الله الخنافي.215

أحمد غزالي.43

الأخضر بن خلوف.100

إدريس الأول.183

أرسطو.46

اسماعيل بن النجيد.67

الأعرج.194

اعمر بن الشيخ أحمد البكاي .141

الآغا بن عودة المزاري.94 .238 . 300

إفان أغلي.170

أفلاطون.46

أفلوطين.46

اكزافي كابولاني. 40

أم الخير.134

الأمير عبد القادر.103 . 112 . 114 .148 . 160 . 223 . 256 . 269

أنس بن مالك.152

أوكتاف ديبون.40

– ب –

باهج حسن.90

الباي إبراهيم97

الباي إسحاق إبراهيم.97

الباي شعبان.95

الباي علي.90

الباي محمد بن عثمان الكبير.94

الباي مصطفى.96

براهيم الحاج.202

بشر الحافي.81

بلحساب النجار.261

بلقاسم الحراق الكريتلي.173

بلقاسم السنوسي الحراثي.257

بن براهيم بن أحمد الكبير.144

بن عبد الله الزواوي.255

بن عودة الحبيب.264

بن عودة بن صالي.252

ابن محلي.96

بن مشعل.205

بهاء الدين أولياء.47

بهاء الدين زكريا.47

البوصيري.193

البوني.77

بيجو.103

– ت –

تاج الدين أبو الوفا.135

التاودي.215

التجاني. 158 . 163 . 164 . 165 166

توفيق البكري.38

- ج -

جابر بن حيان.65

الجاحظ.51

الجامي.67

جرجي زيدان.38

الجزولي. .105 . 125 126. 127 . 138. 140 .186 . 187 . 188 . 189 . 190 . 191
. 192 . 193 . 207 . 210 . 215 . 217 . 218 . 219

الجلدكي.46

الجنيد. .53.55.57.65.66 . 67.68.69.70.71. 81. 126 . 150.153.154 . 183.
282

- ح -

الحاج البودالي.257 . 258

الحاج العباس.143

الحاج بلقاسم السنوسي.253

الحاج بن الحملاوي.160

الحاج بن براهيم البودالي.251

الحاج بن علي بن الحملاوي .159

الحاج عبد الباقي.254

الحاج محمد بن عطية.253

الحاج محمد بن يلس.251

الحاج مصطفى بن عبد الله العجمي.239

الحارث المحاسبي.70

الحاحي.109

الحافظ المرتظى الزبيدي.211

حبيب العجمي.153

حذيفة.51

الحسن البصري.51. 52. 65 . 135 . 152 . 153

حسن الجداوي.157

حسن الصباح.118

الحسن النقيب.135

الحسن بن موسى.90

حسن قرصو.92

الحسين بن عراب الزواوي.157

الحطاب الكبير.198

الحفناوي.165

الحكيم الترمذي.71

الحلاج71

الحلبي.46

حمزة البوتشيشي.145.146. 258

حمزة الهبري ضوء المكان.247

حمو البوزيدي.176 . 246

حمو العشعاشي.256

سيدي سعيد.111

– خ –

الخروبي الصغير.198

الخضر غيلان.115

الخلدى.152

الخياط الزرهوني.201

– د –

داود الباخلي.216

داود الطائي.153

الدريدير.188

الدكتور موشان.113

الدميري.195.

الدواني.46

– ر –

رابعة العدوية.52

الراغب الأصفهاني.32

رباح بن عمر القيسي.65

الرصاع.191

الروذباري.66 . 153

رويم.56 . 67

رينيه غينون.171

– ز –

الزرهوني.195

زروق. 42 . 81 . 105 . 126 . 155 . 185 . 195 . 196 . 198 . 200 . 206 . 209 . 212 . 214 . 269

زياد الله الأغلبي.182

الزياني.203

– س –

سالم النفراوي.157.159

الساوساري.191

سحنون.124. 183

السخاوي. 195

سراج الطوسي.42.53

سري.43. 55 .70 . 71. 81

سعيد الحاحي.127

سعيد المنداسي.93

سعيد النيسابوري.53

سعيد الهرتناني.215

سعيد أمسناو.220

السعيد بن عبد الرحمان بن أبي داود.159

السعيد بن عبد العزيز.104

سعيد بن عيسى.257

سعيد قدورة.256

سفيان الثوري.42. 55

السقطي.152

سليمان بن عمر العجيلي.190

سمنون.43

السنهوري.195

السهروردي.46 . 54 .

سهل بن عبد الله.55 . 68

السيد الهاشمي.94

سيدي الحراث.257

سيدي بلعباس.259

سيدي عبدو.134

سيدي علي. 135

سيدي بن عيسى.111

سيدي معروف. 269

– ش –

الشاذلي. 69. 70. 77 . 81 .139.140.142 .150.152.153.154.155 . 184 . 192 .197 . 198 . 207 . 214 . 215 . 216

الشافعي.70

شاويل.104

الشبلي.55.56

شمس الدين اللقاني.198

الشهاب أحمد الدمنهوري.215

شهاب الأفطيش.195

الشيخ البودالي.250 . 251

الشيخ الدلائي.251

الشيخ الصاوي.171

الشيخ بلحول.149

الشيخ عبد القادر بن محمد.200

الشيخ علي.245

– ص –

الصادق الرحماني.160

صدر الدين الشرازي.46

صدر الدين القوني.47

صفي الدين الأردبيلي.47

صلاح الدين الأيوبي.151

– ط –

طاهر القسنطيني.198

الطيب بن كيران.170

الطيب دليل الخيرات.259

– ع –

عبد الباقي مفتاح.260

عبد الحفيظ الخنقي.156

عبد الحق المريني.103

عبد الحميد دليل الخيرات256

عبد الحي الكتاني.264

عبد الرحمن الرجراجي.188

عبد الرحمن الرجراجي.215

عبد الرحمن السلمي.54 .68. 77

عبد الرحمن الغريسي.158

عبد الرحمن الفاسي.201 .207 . 209

عبد الرحمن المجدولي.195 . 209

عبد الرحمن المجذوب.201 . 207

عبد الرحمن باش تارزي.159

عبد الرحمن بن خلدون. 42

عبد الرحمن بن عبد الله التوحيني.99

عبد الرزاق الدرعي.127

عبد الرزاق الواسطي.135

عبد السلام بن مشيش.137

عبد الصمد الرحوي.165

عبد العزيز التباع.189 . 195 . 207 . 209 . 300 . 215

عبد العزيز السجلماسي.205

عبد العزيز العجمي.188

عبد العزيز القسنطيني.199

عبد العزيز المليانى.104

عبد العزيز بن عبد الحليم.201

عبد العزيز بوتفليقة.248

عبد الفاتح أبو غدة.261

عبد القادر الجيلالي.133.135.136 . 198 . 278

عبد القادر الوكيلي.238

عبد القادر بن السنوسي.94

عبد القادر بن براهيم.258

عبد القادر بن شريف.94

عبد الكريم الحاحي.207 . 209

عبد الكريم الفكون.80

عبد الله الصومعي.134

عبد الله العبدلي.264

عبد الله الغزواني.207 . 210

عبد الله الفخار.195

عبد الله المغربي.192

عبد الله آمغار.188

عبد الله بن الحسن.201

عبد الله بن الحسين القباب.204

عبد الله بن الحسين.215

عبد الله بن الخفيف.67.68

عبد الله بن حسون.207 . 210

عبد الله بن سعيد الحاحي.127

عبد الله بن مبارك.52

عبد الله بن علي بن حمدين.79

عبد المعطي بن سالم السملاوي.191

عبد الملك.107

عبد الواحد الدكالي.198

عبد الواحد بن زيد.66

عبد الواحد بن عاشر.183 . 184

عدة بن تونس.173

عدلان خالد.173

العربي البقال.234

العربي الدرقاوي.170.171. 234. 235. 238 .240 . 242 . 269

العربي الفاسي.109

العربي بن عبد الله.201

العربي محمد الفاسي.190

عصمان بن الحاج إبراهيم.93

العطار.170

العقباني255

عقبة بن نافع.124

علاء الدين السمناني.47

علي الجمل.201

علي السطي.195

علي الصنهاجي الدوار.201

علي الفيلالي.200

علي الهبري.247

علي بن أحمد الصفيدي.159

علي بن حرزهم.138

علي بن خضر بن أحمد العمروسي.159

علي بن زياد.183

علي بن عبد الرحمن العمراني.171

علي بن عبد الله السجلماسي.215

علي بن عبد الله.201

علي بن عمر الطولقي.159.160

علي بن عمر.160

علي بن عيسى.159 . 160

علي بن محمد الصعيدي.157

علي بن مسافر الشامي.135

علي بن وفا. 216

علي بن يوسف.104

علي بوتشيش.145

علي حرازم .163. 165

عمار بوسنة.140

عمر الخيام.118

عمر الطحلاوي.159

عمر الفوتي.143

عمر القسطلي.209

عمر الكنتي142

عمر بن سليمان الشظيمي.189 . 194

عمرو بن عثمان.67.68

العياشي. 109.110 . 116 . 205 . 233

عيسى مانع.264

– غ –

الغزالي. 76 . 79 . 80 . 81 . 125 . 264

الغوثي البغدادي.252

الغوثي بن محمد البغدادي.252

– ف –

فاطمة نسومر.160

الفرابي.46

فرقد.152

فضل الرقاشي.65

الفضيل بن عياض.67

– ق –

قاسم الخصاصي.201

قاسم الغازي.201

القاضي عياض.214

القباب.79

قدور بن سليمان.172

القشيري.39 . 68 . 76

قطب الدين حيدر.47

القوري.195

القويسي.170

– ك –

الكركاخي.153

كريم فان زند.48

– ل –

لا لا مريم.247

لحلو الفاسي.147

اللورقي.191

لويس الرابع عشر.111

– م –

ماء العينين.142.145

المازري.80

مالك بن دبنار.66

المانجلاني.102

المجاصي.195

المجتبى بن خطري البصادي.142

محجوب المساوي.214

محمد البناني.201

محمد البوزيدي.22 . 237 . 238 . 242

محمد الثاني.136

محمد الحاج الدلائي.212

محمد الحاج.108 . 221

محمد الحارثي.200

محمد الحسن.164

محمد الحفناوي.215

محمد الحفيد.104

محمد الزعري.215

محمد السنوسي.169

محمد الشرقي.217

محمد الشيخ.105

محمد الصالح.214 . 221

محمد الصغير بن الحاج الإفراني.17

محمد الصغير.94

محمد العربي الدرقاوي.94

محمد الكبير.94 . 214 . 215

محمد الكنتي.141

محمد المامي الشمشوي.141

محمد المتوكل.107

محمد المختار.248

محمد المعطي.214

محمد المفضل.215

محمد المهدي القصيري.190

محمد المهدي.91 . 107 . 175

محمد الناصري حسوس.201

محمد الهبري الطرابلسي.214

محمد الهبري.215 .241 . 242 . 243 . 244 . 247 . 250 . 252 . 256 . 257. 269

محمد أمزيان الحداد.159 . 160

محمد آمغار.192 .215

محمد بكراشي.102

محمد بلقايد.23 .260 . 261 . 262 . 263. 264 . 265 . 270 . 271

محمد بلهاشمي.252

محمد بن أبي التواجني.139

محمد بن أبي القاسم البوجليلي.159

محمد بن أبي بكر الدلائي.126 . 207 . 209. 221 . 223

محمد بن أبي بكر العياشي.224

محمد بن أبي عبد الرحمن.199

محمد بن الحاج العشعاشي.252

محمد بن الصالح المعطي.215

محمد بن القاسم الفيلالي.214

محمد بن الناصر.108 . 201

محمد بن سالم لحفناوي.159.158

محمد بن سعيد الأريحاوي.191

محمد بن سعيد الدلائي.209

محمد بن سليمان الرحاوي.191

محمد بن طاهر الفيلالي.169

محمد بن عبد الرحمان الأزهري.162.159

محمد بن عبد الرحمان باش تارزي.160

محمد بن عبد الرحمن السهلي.200

محمد بن عبد الرحمن العزاوي.259

محمد بن عبد الكريم المغيلي.141

محمد بن عبد الله التزاني.164

محمد بن عبد الله.239

محمد بن عثمان.238

محمد بن عزوز.159

محمد بن عطية.257

محمد بن علي السنوسي.173 . 205 . 260

محمد بن علي القصاب.74

محمد بن عيسى السفياني.140

محمد بن عيسى.189. 195 . 200

محمد بن قدور الوكيلي.238 . 242

محمد بن قعمش الطهراوي.169

محمد بن مبارك.201

محمد بن محمد الجعدي.160

محمد بن محمد الناصري.201

محمد بن موسى القادري.127

محمد بن ناصر. 127. 205. 206

محمد بن يخلف المعسكري.258

محمد بن يوسف الدلائي.221

محمد بن يوسف الزياني.240

محمد علي الكثافي. 42

محمد عليش.174

محمد فاضل الدهلوي.191

محمد فاضل ولد مامين.143.144

محمد متولي الشعراوي.262 . 263

محمد يلس شاوشي.256

محمد الصالح.215

محمود الكردي.165

المختار الشريف بن الأحرش.160

المختار الكبير الكنتي.141

المختار الكنتي.140

المختار بن خليفى.160

المختار بن محي الدين.145

سعد بوه.140.143

مصالي الحاج.247

المصطفى بن عبد الله.95

مصطفى بن عزوز.159 . 160

مصطفى بوشلاغم.99

مصطفى دليل الخيرات.259

مصطفى شرشالي.264

مصطفى لغريسي.148

مصطفى باحو. 80 . 152 . 155

المعطي بن عبد الخالق.214

المغربي.153

المقراني.161

المنداسي. 101

منصور بن الحسين الواسطي.138

المنور التلمساني.158

المهاجي.243

المهدي البوعبدلي. 202

المهدي بلعريان.147

مولاي أحمد بن محرز.222

المولى إسماعيل.111 . 205

المولى الحسن.109

المولى الرشيد.109.110 . 205

المولى الشريف.205

المولى سليمان.115 . 206

المولى عبد الحفيظ.112

المولى عبد الرحمن.112

المولى محمد بن عبد الله.111. 115

ميشال فالسان.174

– ن –

نادرشاه.48

ناصر الدين اللقاني.198

ناصر الدين شاه.48

النجري التطواني.238

نجم الدين داية .47

نجم الدين كبري.46

نصر السراج الطوسي.53

نعمة الله ولي.47

نور الدين اليشرطي.201

نور الدين.247

– هـ –

هارون.104

الهجويري.54

– ي –

يحي بن محمد الرازي.45

يوسف الناصري.201

اليوسي. 213

البكائية.141 . 142 . 143

البكرية.196

البوتشيشية. 142 . 143 . 144 . 145 . 154 . 170 . 174 . 246 . 254

البوعزاوية.112

البوعلية.140

البوعمامية.245

التباعية.210

التجانية. 94 95. 114 . 119 . 142 . 143. 158 . 163 . 166 . 167 . 168. 173

الجزولية.94. 103 . 105 . 114. 126 . 155. 197 . 199 . 210 . 214 . 215 . 223 . 225. 259

الحمزاوية. 224

الخلوتية.156 . 157 . 158 .159. 165 . 215

الدرقاوية. 95 . 114 . 117. 133 . 168 .171. 172 . 173 . 174 . 175 .176. 201 . 274

الدلائية.116 . 124. 196. 207 . 208 . 209 . 210 . 213 . 220 .221. 222. 223. 224. 225

الرحمانية. 155 . 156 . 157. 158 . 159 . 160 .161. 162

الرفاعية.156

الزروقية.126. 155 .188. 195 197 . 199 . 200 . 201 . 202 . 203 . 204 . 214.
225 .223 .215

الزيانية.201

السلامية.267

السنوسية. 133 . 169 . 177 . 201 . 267

السهروردية.156

السهلية.195. 201

الشابية.126 . 133

الشاذلية.. 126 . 127 . 138 . 139 . 140 . 141 . 150 . 151 . 152. 154. 155 .
171 . 175. 176 . 210 . 214 . 223 . 224 . 225 . 236.241.252 . 258. 269

الشرقاوية.180. 213 . 214 . 215 . 216. 218 . 219 . 220. 221. 222. 223. 225

الشيخية.155 . 201 . 249

الطيبية.155 . 177. 267

العبادية. 126 . 184 . 185 . 187 . 197 . 199 . 210

العروسية.267

العزوزية.159 .267

العلاوية. 145. 146. 171. 173 . 174 . 175 .176. 177 . 243

العمارية.140

العياشية. 213 . 224 . 234

العيساوية.140 . 141 . 267

الغازية. . 201. 214

الفاسية. 223 .213

الفاضلية.141 . 143

القادرية. 141 . 142 . 143. 144.145 . 146 . 147 . 148 . 151 . 152 . 156. .
164. 249. 250. 258. 267. 269

الكتانية.112

الكنتية. 141 . 142. 143

المدينية.156

الناصرية.164. 202. 203. 204. 205. 206. 207. 210. 213. 214. 220. 224.
225

الهبرية. 214. 249 . 250 . 251 . 252 .255. 256 . 257. 258 . 259 . 260 . 261.
262 . 263 . 264 . 265 . 266. 271. 272. 273. 274. 275

اليوسفية الراشدية.155

فهرس المحتويات

الأهداء.....
شكر و عرفان.....
قائمة المختصرات.....
مقدمة.....أ–ق

الفصل الأول

أهمية ضبط وتحديد المفاهيم والمصطلحات الصوفية

أهمية ضبط وتحديد المصطلحات.....
مفهوم التواصل.....32
مفهوم الذكر.....35
مفهوم المقام.....
مفهوم الحال.....36
مفهوم الشيخ.....
مفهوم الصوفي.....37
مفهوم مصطلح التصوف.....
المعنى اللغوي.....38
المعنى الفني.....
المعنى الاصطلاحي (الاشتقاقي).....39

التصوف من الصوف.....

التصوف من الصفة.....40

التصوف من الصفاء.....

التصوف من منظور صوفي.....43

نشأة التصوف.....44

التصوف في الحضارات السابقة.....

التصوف الهندي.....45

التصوف اليوناني (الأفلاطونية الحديثة).....

الاتحادية.....46

الاشراقية.....

الوصولية.....47

التصوف الفارسي.....

التصوف المسيحي.....48

التصوف الإسلامي.....50

الزهد.....51

الفرق بين الزهد والتصوف.....56

الجهاد عند الصوفية.....58

الرباطات بالمغرب الإسلامي.....59

فضل الرباط والمرابطة.....60

فكر ومنهج الأولياء و أصناف المجاهدين.....61

جهاد الأعداء.....

جهاد النفس.....

المظهر الأول (الجماعي).....

المظهر الثاني (الفردي).....

أوجه الجهاد.....

مجاهدة النفس.....62

مجاهدة المؤمن.....

جهاد المؤمن.....

أقسام الصوفية.....

أصحاب السوابق.....

أصحاب العواقب.....

أصحاب الوقت.....63

أنواع المجاهدين.....64

العارف.....

المسلم.....

أقطاب التصوف السني.....66

أبو القاسم الجنيد.....67

نبذةعن سيرة الجنيد العلمية.....71

أقطاب التصوف الفلسفي.....72

ابن عربي.....

انتقال التصوف إلى المغرب.....80

موقف علماء المغرب من التصوف.....

استنتاجات.....83

الفصل الثاني

الأوضاع العامة في غرب الجزائر والمغرب الأقصى منذ القرن16

الأوضاع العامة في غرب الجزائر منذ القرن16م.....88

الأوضاع السياسية.....90

باي الغرب ونوابه وموظفوه.....91

الأوضاع الاجتماعية.....93

علاقة حكام بايليك الغرب بالطرق الصوفية.....95

الأوضاع الاقتصادية.....97

وضع الزراعة والأراضي الزراعية.....

أنواع المحاصيل.....98

الأوضاع الثقافية والدينية.....100

الوضع العلمي والإنتاج الفكري.....

التعليم و انعكاساته.....101

التصانيف في أقسام التصوف.....103

العلاقات بين الجزائر والمغرب الأقصى في الفترة الحديثة.....104

الأوضاع العامة في المغرب الأقصى منذ القرن 16م.....106

علاقة الطرق الصوفية بالأوضاع في المغرب الأقصى.....

دور الطرق الصوفية في قيام الدولة السعدية.....109

نظرة عامة حول الثوابت و المتغيرات في الفترة العلوية.....111

دور السلطان الرشيد و علاقته بالطرق الصوفية وأرباب الزوايا.....112

عهد الاضطرابات و بداية الضعف.....113

المولى عبد الرحمن و علاقته بالجزائر (من الألفة والوئام إلى الجفوة والخصام).....114

استنتاجات عامة.....117

الفصل الثالث

التصوف وأهم الطرق الصوفية بالجزائر

التصوف و الطرق الصوفية بالجزائر.....126

نشأة الزهد والتصوف في المغرب.....

تعريف الطريقة الصوفية.....127

تاريخ تشكل الطرق الصوفية.....131

أهم الطرق الصوفية في الجزائر.....133

الطريقة القادرية.....

نبذة عن مؤسس الطريقة.....

سيدي بومدين الغوث.....137

عبد السلام بن مشيش.....139

فروع القادرية.....140

القادرية بالقيطنة.....148

الطريقة الشاذلية.....150

نبذة عن مؤسس الطريقة.....

تعاليم الطريقة الشاذلية.....151

الانتساب وسند الطريقة.....152

مبادئ الطريقة.....154

مصنفات الشاذلي.....

فروع الطريقة الشاذلية.....

الطريقة الرحمانية.....156

نسب الطريقة ونبذة عن المؤسس.....157

انتشار الطريقة الرحمانية.....158

مميزات الطريقة الرحمانية.....159

شاط تلامذة الرحماني.....

الطريقة بين العهدين العثماني والفرنسي.....161

الطريقة التجانية.....163

نسب ونشأة الطريقة التجانية.....

رحلات الشيخ التجاني.....165

التجانية بين المغرب الأقصى والجزائر العثمانية.....167

أهم الطرق الصوفية بغرب الحزائر.....168

الطريقة السنوسية.....169

محمد بن علي السنوسي.....

مولده وتنشئته ووفاته.....170

شيوخه في المغرب ومصر.....171

الطريقة الدرقاوية.....172

مولاي العربي الدرقاوي.....

طريقته الصوفية.....167

رسائل مولاي العربي الدرقاوي.....173

الطريقة العلاوية.....

الشيخ العلاوي.....174

انتشار الطريقة العلاوية.....175

انجازات الطريقة العلاوية.....176

الفصل الرابع

أهم الطرق الصوفية بالمغرب الأقصى

أهم الطرق الصوفية بالمغرب الأقصى.....181

الطريقة الشاذلية..... 183

الطريقة الشاذلية العبادية.....184

الطريقة الشاذلية الجزولية.....187

الجزولي وحياته الصوفية.....

آثار الجزولي.....189

مصنفات الجزولي.....190

سند الطريقة الجزولية.....192

الطريقة بعد الجزولي.....194

الشاذلية الزروقية.....195

الشيخ أحمد زروق.....

رحلة الشيخ أحمد زروق إلى الحجاز.....196

مكانته العلمية والصوفية.....197

مصنفاته.....

سند الطريقة الزروقية.....198

فروع الطريقة الزروقية وأماكنها.....200

الطريقة الناصرية.....202

ظهور الطريقة.....

الزاوية الناصرية.....

الدور التعليمي للزاوية الناصرية.....203

أوراد الطريقة الناصرية.....

الطريقة الناصرية والسلطة.....204

انتشار الطريقة الناصرية.....206

الطريقة الدلائية.....207

الشيخ أبو بكر الدلائي.....

أوراد الطريقة الدلائية.....

أذكار الطريقة.....208

الدور الاجتماعي للزاوية الدلائية.....209

سند الطريقة الدلائية.....210

الدلائيون والسلطة.....211

مقتطف من الرسائل المتبادلة بين العلويين والدلائيين.....212

رسالة الدلائي.....

الطريقة الشرقاوية.....213

النشأة والتأسيس.....

خلفاء سيدي الشرقي.....214

سند الطريقة الشرقاوية.....215

أوراد الطريقة.....217

علاقة وتواصل الطريقة الشرقاوية.....218

علاقة وتواصل الطريقة الشرقاوية مع القبائل.....

تواصل الطريقة الشرقاوية مع الطرق الأخرى.....220

علاقة الطريقة الشرقاوية بالسلطة.....222

التواصل بين الطرق الصوفية المغربية.....223

استنتاجات.....225

الفصل الخامس

التواصل الصوفي بين الطرق الصوفية في المغرب الأقصى وغرب الجزائر

التواصل الصوفي بين الطرق الصوفية في المغرب الأقصى وغرب الجزائر.....232

الطريقة الدرقاوية.....234

الشيخ المؤسس.....

شيوخه.....235

رسائل الشيخ الدرقاوي.....236

الرسالة الثانية.....

سيدي محمد البوزيدي.....238

الصراع العثماني الدرقاوي.....239

الطريقة الهبرية.....242

شيوخ الطريقة الهبرية.....

الشيخ الحاج محمد الهبري العزاوي.....

ظروف ميلاد الشيخ الحاج محمد الهبري.....243

نص السند الطيني.....245

الشيخ محمد الهبري الصغير.....246

الشيخ أحمد الهبري.....247

الشيخ الحاج علي الهبري.....248

ورد الطريقة الهبرية.....249

الوظيفة الهبرية (الذكر الجماعي).....250

الشيوخ من تلامذة الطريقة الهبرية.....

الشيخ الحاج محمد بن يلس.....251

رسائل الحاج محمد الهبري.....252

الرسالة السادسة عشر.....253

الرسالة الأخيرة.....

هامش الرسالة الأخيرة.....254

الطريقة الهبرية بغرب الجزائر.....255

دخول الطريقة غرب الجزائر.....256

الشيخ سيدي عيسى.....257

اتصال الشيخ بلقايد بالشيخ الهبري.....260

الشيخ محمد بلقايد.....261

تلامذة الشيخ محمد بلقايد.....263

الشيخ محمد متولي الشعراوي.....

من أقوال الشيخ محمد بلقايد.....265

التوبة.....

الهمة.....

الزاوية.....266

أنواع الزوايا.....267

الزاوية الطرقية.....

التعريف بزاوية سيدي معروف.....270

زاوية سيدي معروف (سيدي مبروك).....

الإدارة.....

حضور الطريقة الهبرية.....271

الديني والتعليمي.....

حضورها السياسي.....274

حضورها الاجتماعي.....275

خاتمة.....278

الملاحق.....285

قائمة المصادر والمراجع.....325

الفهارس العامة.....343

فهرس الأعلام 344

فهرس الطرق الصوفية والزوايا.....378

فهرس المحتويات..... 382